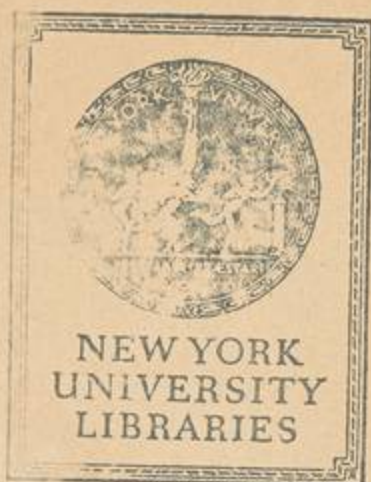


Chrestomathie, partie I

M. de la Haye, D., l.



NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

Mr J. B. Beloit et A. Roi

Beloit

Cheshmeh, c. 1



Nuhal al-Mulak.

Sup

par J. B. Belot et A. Ro

Belot, Jean Baptiste

نُكْحَابُ
أَلْمُلَاهِ

Nukhab
al-mūlah /

جميعها الاب يوحنا بلو والاب اغوستينوس رود
من الرهبنة اليسوعية

الجزء الاول

القسم الاول

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَايَاتٍ أَدْبِيَّةٍ

٧٠١



طبعة سابعة في مطبعة المرسلين اليسوعيين

في بيروت ١٨٨٢

Chesham, 1883

Near East

PJ

7601

B43

1883

v.1

c.1

٢٠
مِنْ أَمْثَالِ لُغَانَ الْحَكِيمِ

أَسَدٌ وَتُورَانٌ

أَسَدٌ مَرَّةً خَرَجَ عَلَى تُورَانِ . فَأَجْتَمَعَا جَمِيعًا وَكَانَا يَنْطَحَانِيهِ بِفُرُونِهِمَا . وَلَا
يَبْهَكْنَانِيهِ مِنَ الدُّخُولِ بَيْنَهُمَا . فَأَنْفَرَدَا بِأَحَدِيهَا وَخَدَعَهُ وَوَعَدَهُ الْأَبْعَارِضَهُ .
إِنْ نَخَلْتَنِي عَنْ صَاحِبِهِ . فَلَمَّا أَفْتَرَقَا أَفْتَرَسَهَا جَمِيعًا

مَغْرَاهُ

أَنْ مَدِيبَتَيْنِ . إِذَا اتَّفَقَ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ أَهْلُهُمَا . فَإِنَّهُ لَا يَبْهَكُنُ مِنْهَا عَدُوٌّ .
فَإِذَا أَفْتَرَقَا هَلَكَا جَمِيعًا

غَزَالٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ . فَظَنَرَ خِيَالَهُ فِي الْمَاءِ
فَحَزِنَ لِدِقَّةِ فَوَائِيهِ وَسُرِّ وَأَبْتَهَجَ لِعِظَمِ فُرُونِهِ وَكِبَرِهَا . وَفِي الْحَالِ خَرَجَ
عَلَيْهِ الصَّيَادُونَ فَأَنْهَزَمَ مِنْهُمْ . فَأَمَّا وَهُوَ فِي السَّهْلِ فَلَمْ يَدْرِكُوهُ فَلَمَّا دَخَلَ
فِي الْجَبَلِ وَعَبَّرَ بَيْنَ الشَّجَرِ لِحِفَّةِ الصَّيَادُونَ وَقَتَلُوهُ . فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ :
الْوَيْلُ لِي أَنَا الْهِسْكِينِ . الَّذِي أَزْدَرَيْتُهُ هُوَ خَلَصَنِي . وَالَّذِي رَجَوْتُهُ
أَهْلَكَنِي

أَسَدٌ وَتَعْلَبٌ

أَسَدٌ شَاخٍ وَضَعْفٍ . فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوُحُوشِ فَأَرَادَ أَنْ يَخْتَالَ
لِنَفْسِهِ فِي الْمَعِيشَةِ . فَتَارَضَ وَالْتَمَى نَفْسَهُ فِي بَعْضِ الْمَغَارِ . وَكَانَ كُلَّمَا أَتَاهُ
زَائِرٌ مِنَ الْوُحُوشِ بَعُودَهُ أَفْتَرَسَهُ دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَآكَلَهُ . وَأَتَى التَّعْلَبُ .
وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ قَائِلًا لَهُ : كَيْفَ حَالَكَ يَا سَيِّدَ

الْوَحُوشِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا لَكَ لَا تَدْخُلُ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ : فَقَالَ لَهُ
 الثَّعْلَبُ : يَا سَيِّدُ . قَدْ كُنْتُ عَوَّلْتُ عَلَى هَذَا غَيْرَ أَنِّي أَرَى عِنْدَكَ آثَارَ أَقْدَمِ
 كَبِيرٍ (١) قَدْ دَخَلُوا . وَلَا أَرَى أَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ لَا يَأْتِيَ أَمْرًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَفَكِّرَ فِيهِ وَيَهَيِّئُ
 أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ أَصْطَحَبَا مَرَّةً عَلَى الطَّرِيقِ . فَجَعَلَا يَتَشَاوِرَانِ بِالْكَلامِ عَلَى
 الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ الْبَأْسِ . فَجَعَلَ الْأَسَدُ يُطِنُّ فِي شِدَّتِهِ وَبَأْسِهِ . فَنَظَرَ الْإِنْسَانُ
 عَلَى حَائِطِ صُورَةِ رَجُلٍ وَهُوَ يَخْتَقُ أَسَدًا . فَصَحَّكَ الْإِنْسَانُ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ :
 لَوْ أَنَّ السَّبَاعَ مُصَوِّرُونَ مِثْلَ بَنِي آدَمَ . لَهَا قَدْرَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَخْتَقُ سَبْعًا
 بَلْ كَانَ السَّبْعُ يَخْتَقُ الْإِنْسَانَ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ مَا يَزُكِّي الْإِنْسَانَ بِشَهَادَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ
 غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ الصَّيَادِينَ أَنْهَزَمَ إِلَى مَغَارَةٍ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْأَسَدُ
 فَأَفْتَرَسَهُ فِيهَا . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : الْوَيْلُ لِي أَنَا الشَّقِيءُ لِأَنِّي هَرَبْتُ مِنَ النَّاسِ
 فَوَقَعْتُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَأْسًا

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا يَفِرُّونَ مِنْ بَلَاءٍ فَيَقْعُونَ فِي بَلَاءٍ أَعْظَمَ

(١) كَبِيرٍ نعت لمخدوفٍ يُقَدَّرُ بحسبِ المقام والمراد هنا خلق كبير

غَزَالٌ وَتَعْلَبٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ . فَوَرَدَ عَيْنَ مَاءٍ لِيَشْرَبَ . وَكَانَ الْمَاءُ فِي جُبٍّ عَمِيقٍ .
ثُمَّ إِنَّهُ حَاوَلَ الطُّلُوعَ فَلَمْ يَقْدِرْ . فَنَظَرَ التَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ : أَسَأَتْ يَا أَخِي .
إِذْ لَمْ تَهَيِّزْ صُدُورَكَ قَبْلَ وُرُودِكَ

مَغْرَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ الطَّمَعُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرًا حُونَ تَرَوِي فِيهِ . لَمْ يَأْمَنْ غَائِلَتَهُ

أَرْبٌ وَبَيُوتٌ

أَرْبٌ مَرَّةً أَجْنَزَتْ بِبَيُوتِهِ وَقَالَتْ لَهَا : أَنَا أَنْتِ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْلَادًا كَثِيرَةً
وَأَنْتِ إِنَّمَا تَلِدِينَ فِي عَهْرِكَ كُلِّهِ فَذَا أَوْ زَوْا : فَقَالَتْ لَهَا اللَّيُوتُ : صَدَقْتِ .
غَيْرَ أَنَّهُ وَإِنْ يَكُنْ وَاحِدًا فَهُوَ سَبْعٌ

مَغْرَاهُ

لَيْسَ الْإِعْتَادُ عَلَى الْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْهَيْدِ

إِمْرَأَةٌ وَدَجَاجَةٌ

إِمْرَأَةٌ كَانَتْ لَهَا دَجَاجَةٌ تَبْيِضُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْضَةً فِضَّةً . فَقَالَتْ فِي
نَفْسِهَا : إِنْ أَنَا كَثُرْتُ عَلَيْهَا بَاضَتْ بَيْضَتَيْنِ . فَلَمَّا فَعَلَتْ ذَلِكَ . انْشَقَّتْ
حَوْصَلَةُ الدَّجَاجَةِ فَاتَتْ

مَغْرَاهُ

أَنْ كَثِيرًا بِسَبَبِ طَمَعِهِمْ بِخَسْرُونَ رَأْسَ مَا لِيَهُمْ

بُعُوضَةٌ وَتَوُورٌ

بُعُوضَةٌ بَعْثِي نَامُوسَةٌ وَقَفَّتْ عَلَى قَرْنِ تَوُورٍ وَظَنَّتْ أَنَّهَا ثَقَلَتْ عَلَيْهِ .

فَقَالَتْ لَهُ: إِنْ كُنْتُ قَدْ بَهَظْتُكَ فَأَعْلِمْنِي حَتَّى أَطِيرَ عَنْكَ: فَقَالَ لَهَا التَّوْرُ:
يَا هَذِهِ. مَا شَعَرْتُ بِزُورِكَ حَتَّى يُرِيحَنِي فِرَاقُكَ
مَغْرَاهُ

مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذِكْرًا وَمَجْدًا وَهُوَ حَفِيْرٌ يَلْفَى الْهَوَانَ
بُسْتَانِي

بُسْتَانِي كَانَ يَوْمًا يَنْقِي الْبَقْلَ. فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا الْبَقْلُ الْبَرِّيُّ يَهِي الْمَنْظَرَ
وَهُوَ غَيْرُ مَخْدُومٍ وَمَنْبَتٍ: فَقَالَ: لِأَنَّهُ تَرِيهِ أُمَّهُ. وَغَيْرُهُ تَرِيهِ رَبِيبَتَهُ
مَغْرَاهُ

أَنْ تَرِيَةَ الْأُمَّ أَكْثَرَ تَأْثِيرًا فِي وَلَدِهَا مِنْ غَيْرِهَا
إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ بَرَكِبَهَا وَهِيَ حَامِلٌ. وَفِيمَا هُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ
إِذَا أُتِيَتْ لَهُ مَهْرًا. فَتَبِعَ أُمَّهُ غَيْرَ بَعِيدٍ. ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَرَانِي
صَغِيرًا لَا أَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ. وَقَدْ مَضَيْتِ وَتَرَكْتَنِي هَهُنَا. فَإِنْ أَنْتَ أَخَذْتَنِي
مَعَكَ وَرَيْبَتَنِي إِلَيَّ أَنْ أَقْوَى حَمَلْتِكَ عَلَى ظَهْرِي وَأَوْصَلْتِكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ
مَغْرَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُقَ بِهِنَ بَسْتَعْمِثُونَنَا وَهَمَّ غَيْرُ قَادِرِينَ
إِنْسَانٌ وَخِنْزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَرَّ حَمَلًا عَلَى بَيْهَمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَعِزْرًا وَخِنْزِيرًا. وَقَصَدَ بِهَا الْمَدِينَةَ
لِيَبِيعَ الْجَمِيعَ. أَمَّا الْكَبْشُ وَالْعِزْرُ فَلَمْ يَكُونَا يُؤَدِّيَانِ الْبَيْهَمَةَ. وَأَمَّا الْخِنْزِيرُ
فَإِنَّهُ كَانَ يَغْرَضُ دَائِمًا وَلَا يَهْدَأُ. فَقَالَ لَهُ الْإِنْسَانُ: يَا شَرَّ الْوُحُوشِ. مَا لِي

أَرَى الْكَبْشَ وَالْعَتْرَ سَاكِنَيْنِ لَا يَضْطَرِبَانِ . وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَفِرُّ .
فَقَالَ لَهُ الْخَنْزِيرُ: كُلُّ بَعِيرٍ شَأْنُهُ . أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْكَبْشَ لِيُصَوِّفِهِ . وَالْعَتْرَ
لِلْبَنِيهَا . وَأَنَا الشَّقِيُّ فَلَا صُوفَ لِي وَلَا لَبَنَ . فَمَا يَكُونُ بَعْدَ وَصُوفِي إِلَى الْمَدِينَةِ
إِلَّا إِزْسَالِي إِلَى الْمَسْلُخِ

مَغْرَاهُ

أَنَّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ فِي الْخَطَايَا الَّتِي قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ يَعْلَمُونَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ
سُلْخَانَهُ وَأَرْبَابَهُ

سُلْخَانَهُ وَأَرْبَابَهُ تَسَابَقًا مَرَّةً . وَجَعَلَا أَحَدَهُمَا الْجَبَلَ يَسْتَبِقَانِ إِلَيْهِ . أَمَّا
الْأَرْبَابُ فَلَمَّا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْخِنْفَةِ فِي الْجُرْمِ . تَوَاتَى فِي الطَّرِيقِ وَنَامَ .
وَأَمَّا السُّلْخَانَةُ فَعَلِمَهَا يَثْقُلُ حَرَكَتِهَا لَمْ تَكُنْ لِيَسْتَفِرَّ وَلَا تَوَاتَى فِي الْمَسِيرِ
حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ قَبْلَهُ . وَعِنْدَمَا اسْتَبَقَتْ مِنْ نَوْمِهِ . وَجَدَهَا قَدْ
سَبَقَتْ فَتَدِيمَ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ

مَغْرَاهُ

لَا يَنْبَغِي لِلْفَوِيِّ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ الْقُوَّةِ وَيُغْفَلَ أَمْرُهُ . فَيَفْشَلُ
وَيَكُونُ مِنَ الْخُحَّاسِرِينَ

ذَيْبُ

ذَيْبُ مَرَّةً أَخْطَفَ خِنُوصًا . وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ بِهِ لَيْبُهُ الْأَسَدُ فَأَخَذَهُ
مِنْهُ . فَقَالَ الذَّيْبُ فِي نَفْسِهِ: لَا غَرَوَ أَنْ يَكُونَ الْغَاصِبُ مَغْضُوبًا . فَإِنَّ الْبَغِيَّ
مُضَرَّعُهُ وَخِيمُهُ

مَغْرَاهُ

أَنَّ مَا يَكْتَسِبُ مِنَ الظُّلْمِ لَا يَدُومُ لِصَاحِبِهِ . وَإِنْ دَامَ فَلَا يَتَهَنَّأُ بِهِ . كَمَا
وَرَدَ : مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ مَهَاوِشَ . أَذْهَبَهُ اللَّهُ فِي نَهَائِرِ

الْعُوجُجُ

الْعُوجُجُ قَالَ مَرَّةً لِلْبُسْتَانِيِّ : لَوْ أَنَّ لِي مِنْ يَهْتَمُّ بِي وَيَنْصِبُنِي وَيَسْقِينِي
وَيَحْدُمُنِي . لَا شَهْتَنِي الْمُلُوكُ وَنَظَرُوا مِنْ زَهْرِي وَنَهْرِي . فَأَخَذَهُ وَغَرَسَهُ
فِي أَجْوَدِ مَحَلٍّ فِي الْبُسْتَانِ . وَصَارَ يَسْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ دُفْعَتَيْنِ . فَنَشَأَ وَقَوِيَ .
وَتَفَرَّغَتْ أَغْصَانُهُ عَلَى جَمِيعِ الشَّجَرِ . الَّتِي حَوْلَهُ وَأَصْلَتْ عُرُوقُهُ فِي الْأَرْضِ .
حَتَّى أَمْتَلَا الْبُسْتَانُ مِنْهُ وَمِنْ كَثْرَةِ شَوْكِهِ . فَلَمْ يَبْدَأْ أَحَدٌ بِسَطِيعِ أَنْ يَتَفَرَّجَ فِيهِ

مَغْرَاهُ

مَنْ يُجَاوِرُ إِنْسَانَ سُوءَ قَائِنِهِ كُلَّمَا أَكْرَمْتَهُ كَثُرَتْ شُرُورُهُ وَتَهَرَّدَ كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ : وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَهَرَّدَ

صَيِّ

صَيِّ رَمَى بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي نَهْرٍ . وَلَمْ يَكُنْ يُحْسِنُ السَّبَاحَةَ . فَأَشْرَفَ عَلَى
الْغُرُقِ . فَاسْتَعَانَ بِرَجُلٍ عَابِرٍ فِي الطَّرِيقِ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَلُومُهُ عَلَى
نُزُولِهِ إِلَى النَّهْرِ . فَقَالَ الصَّيِّ : يَا هَذَا . خَلَصْنِي أَوْ لَا مِنْ الْمَوْتِ ثُمَّ لُبْنِي

مَغْرَاهُ

إِذَا وَقَعَ صَدِيقُكَ فِي شَيْءٍ نَجِّهِ وَخَلِّصْهُ أَوْ لَا ثُمَّ لُبْنِي

صَيِّ وَعَقْرَبُ

صَيِّ مَرَّةً كَانَتْ يَصِيدُ الْجُرَادَ . فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَهَا جَرَادَةً . فَهَدَّ يَدَهُ

لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا . فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ لَتَحَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ الْجَرَادِ

مَغْرَاهُ

أَنَّ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَهْتَرِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَيُدْبِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حِدَّتِهِ

حَامَةٌ

حَامَةٌ مَرَّةً عَطِشَتْ . فَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ حَوْلَ حَائِطٍ فِي طَلَبِ الْمَاءِ . فَنظَرَتْ عَلَيْهِ صُورَةً صُحُفِيَّةً مَهْلُوءَةً مَاءً . فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ فَأَنْشَقَتْ حَوْصَلَتَهَا . فَقَالَتْ : الْوَيْلُ لِي . فَإِنِّي لَمْ أَنْرَوْهُ فِي الصُّبْحِ وَالْمُهْتَمَلِ . وَأَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . حَتَّى جَلَبْتُ الْمَنِينَةَ لِرُوحِي بِيَدِي

مَغْرَاهُ

أَنَّ الْمُسْتَعِجِلَ لَا يَسْلُمُ مِنْ تَبِعَةِ عَجَلَتِهِ وَأَنَّ الْحَزْمَ فِي الْتَأَنِّي

حَدَادٌ وَكَلْبٌ

حَدَادٌ كَانَ لَهُ كَلْبٌ دَابُّهُ التَّوَانِي وَالرُّقَادُ مَا دَامَ الْحَدَادُ عَامِلًا . فَإِذَا رَفَعَ الْعَمَلُ وَجَلَسَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِيَأْكُلُوا . اسْتَبَقَ الْكَلْبُ . فَقَالَ لَهُ الْحَدَادُ : يَا كَلْبُ السُّوءِ . مَا لِي أَرَى صَوْتَ الْمَطَارِقِ الَّتِي تُرْعِزُ الْأَرْضَ لَا بَيْنَهُكَ . وَحِسَّ الْمَضْغِ الْخَفِيِّ تَسْمَعُهُ فَيُوقِظُكَ

مَغْرَاهُ

أَنَّ الْعَبِيَّ يَتَّقَاعَسُ عَنِ الْوَعْظِ . وَإِذَا سَمِعَ اللَّهَوَ أَنْصَبَ إِلَيْهِ

الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ

الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ تَخَاصَمُوا عَلَى أَيْمِهِمْ بِحِمْلِ الْجِسْمِ . فَقَالَتِ الرَّجُلَانِ :
 نَحْنُ بَقِيَّةُ نَحْمِلُهُ : فَقَالَ الْجَوْفُ : إِذَا أَنَا لَمْ أُغْدَمِ مِنَ الطَّعَامِ . فَلَا تَسْتَطِيعَانِ
 الْمَشْيَ . فَضَلَا عَنْ أَنْ يُفْلَا شَيْئًا

مَغْرَاهُ

مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرًا فَإِنْ لَمْ يَعْضُدْهُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْشَلُ

الشَّمْسُ وَالرِّيحُ

الشَّمْسُ وَالرِّيحُ تَخَاصَمَتَا عَلَى أَيِّهَا يَقْدِرُ أَنْ يَجْرِدَ الْإِنْسَانَ ثِيَابَهُ . فَاشْتَدَّتِ
 الرِّيحُ فِي هُبُوبِهَا وَعَصَفَتْ جِدًّا . فَكَانَ الْإِنْسَانُ كُلَّمَا تَزَايَدَ هُبُوبُهَا . ضَمَّ
 إِلَيْهِ ثِيَابَهُ وَالتَفَّ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَلَمَّا أَرْتَفَعَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ .
 خَلَعَ ثِيَابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ

مَغْرَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ الْإِنْفَاعُ وَكَمَالَةُ الْأَخْلَاقِ . نَالَ مِنْ صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيكَانِ

دِيكَانٍ كَانَا يَتَفَاتَلَانِ عَلَى فُهَيْوَرٍ . فَغَلَبَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ . أَمَّا الْمَغْلُوبُ
 فَبَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى مَاوَاهُ . وَأَمَّا الْغَالِبُ فَصَعِدَ فَوْقَ السَّطْحِ . وَجَعَلَ
 يُصْفِقُ بِجَنَاحَيْهِ وَيُصْبِحُ وَيُفْتَخِرُ . فَبَصُرَ بِهِ بَعْضُ الْجَوَارِحِ فَأَنْقَضَ إِلَيْهِ
 وَأَخْطَفَهُ

مَغْرَاهُ

أَنَّ الْإِفْتِخَارَ بِالْقُوَّةِ رُبَّمَا أَوْفَعَ صَاحِبَهُ فِي تَهْلُكِهِ لِأَنَّ مَنَاصِلَ لَهُ مِنْهَا

ذِئَابُ

ذِئَابُ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ. فَأَتَقُوا عَلَى أَكْلِهَا جَمِيعًا. وَأَنْتَهُمْ يَشْرَبُونَ الْمَاءَ كُلَّهُ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى الْجُلُودِ. فَمِنْ كَثَرِ مَا شَرِبُوا أَنْفَلَقُوا. وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا رَهْمَهُمْ (۱)

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ قَلِيلَ الرَّأْيِ. عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالَاعِيَهُ

الْوَزُّ وَالْخُطَافُ

الْوَزُّ وَالْخُطَافُ تَشَارِكَا فِي الْمَعِيشَةِ. فَكَانَ مَرْعَاهُمَا كَلِمَهُمَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ. فَهَرَبِيهَا الصَّيَادُونَ يَوْمًا. فَأَمَّا الْوَزُّ فَادْرِكُ وَذَيْجٌ فَأَمَّا الْوَزُّ فَادْرِكُ وَذَيْجٌ

مَغْزَاهُ

مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ. أَحَاقَ بِهِ السُّوءُ

بَطَّةٌ وَضَوْءٌ كَوْكَبٌ

بَطَّةٌ رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتَهُ سَمَكَةً. فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا. فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهَا لَيْسَ بِشَيْءٍ بِصَادٍ. فَتَرَكَتْهُ. ثُمَّ رَأَتْ فِي غَدٍ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمَكَةً. فَظَنَّتَهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ. فَتَرَكَتَهَا

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَهَيِّزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَلَا يُوقِعَ أَحَدَهُمَا مَوْقِعَ
الْآخِرِ

(۱) أصغر الذئاب بصغير العنقلاء لانه نزلها منزلتهم اذ هي كتابة عنهم وقس على ذلك ما اشبهه

مُخَبَّرٌ

مِنَ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِالْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ
حِكَايَةُ الْمَلِكِ جَلْبَعَادَ
وَأَبْنِهِ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ مَلِكٌ فِي
بِلَادِ الْهِنْدِ. وَكَانَ مَلِكًا عَظِيمًا طَوِيلَ الْقَامَةِ حَسَنَ الصُّورَةِ. حَسَنَ الْخَلْقِ
كَرِيمَ الطَّبَاعِ مُحْسِنًا لِلْفُقَرَاءِ مُجِبًا لِلرَّعِيَّةِ وَاجْتَمَعَ أَهْلُ دَوْلَتِهِ. وَكَانَ اسْمُهُ
جَلْبَعَادَ. وَكَانَ تَحْتَ يَدِهِ فِي مَمْلَكَتِهِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ مَلِكًا. وَلِبِلَادِهِ ثَلَاثُمِائَةٍ
وَخَمْسُونَ قَاضِيًا. وَكَانَ لَهُ سَبْعُونَ وَزِيرًا وَقَدْ جَعَلَ عَلَى كُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ
عَسْكَرِهِ رَئِيسًا. وَكَانَ أَكْبَرُ وَزَرَائِهِ شَخْصًا يُقَالُ لَهُ شَهَاسٌ. وَكَانَ عَظِيمُ
اِثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ حَسَنَ الْخَلْقِ وَالطَّبَاعِ لَطِيفًا فِي كَلَامِهِ. لَيِّبًا
فِي جَوَابِهِ. حَازِقًا فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ. حَكِيمًا مُدَبِّرًا رَئِيسًا مَعَ صَغِيرِ سِنِهِ. عَارِفًا
بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَأَدَبٍ. وَكَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّهُ حُبًّا عَظِيمًا وَيَهْبِلُ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ
بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَأَحْوَالِ السِّيَاسَةِ. وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَخَفِضَ
الْجَنَاحَ لِلرَّعِيَّةِ. وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ عَادِلًا فِي مَمْلَكَتِهِ حَافِظًا لِلرَّعِيَّةِ
مُوَاصِلًا كَبِيرَهُمْ وَصَغِيرَهُمْ بِالْإِحْسَانِ. وَمَا يَلِيقُ بِهِمْ مِنَ الرِّعَايَةِ وَالْعَطَايَا
وَالْأَمَانِ وَالطَّمَأِينَةِ. وَمُخَفِّفًا لِلخَرَاجِ عَنِ كَامِلِ الرَّعِيَّةِ. وَكَانَ مُجِبًّا لَهُمْ كَبِيرًا
وَصَغِيرًا. وَمُعَامِلًا لَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ. وَأَتَى بِحُسْنِ سِيرَتِهِ
بَيْنَهُمْ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَزُرْهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَدًا.
فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. فَأَتَفَقَ أَنْ الْمَلِكُ كَانَ مُضْطَجِعًا فِي

لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي وَهُوَ مَشْغُولُ الْفِكْرِ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِ مَمْلَكَتِهِ . ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ
النَّوْمُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ يُصَبُّ مَاءً فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ
أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ وَإِذَا بِنَارٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا
كَانَ حَوْلَهَا مِنَ الْأَشْجَارِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْبَأَهُ الْمَلِكُ مِنْ مَنَامِهِ فَرَزَعَا وَاسْتَدْعَى
أَحَدَ غُلَامَيْهِ وَقَالَ لَهُ : أَذْهَبْ بِسُرْعَةٍ وَأُنَبِّئِي بِشَمَاسِ الْوَزِيرِ عَاجِلًا :
فَدَهَبَ الْغُلَامُ إِلَى شَمَاسٍ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لِأَنَّهُ
أَنْبَأَهُ مِنْ نَوْمِهِ مَرْعُوبًا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِتَحْضَرَ عِنْدَهُ عَاجِلًا : فَلَمَّا سَمِعَ
شَمَاسٌ كَلَامَ الْغُلَامِ قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعِنِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَلِكِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ .
فَرَأَاهُ قَاعِدًا عَلَى فِرَاشِهِ . فَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ دَاعِيًا لَهُ بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعَمِ . وَقَالَ :
لَا أَحْزَنَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . مَا الَّذِي أَقْلَقَكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَمَا سَبَبُ طَلَبِكَ
إِيَّايَ بِسُرْعَةٍ : فَأَذِنَ لَهُ الْمَلِكُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ . وَصَارَ يَقْصُ عَلَيْهِ مَا رَأَى
قَائِلًا : إِنِّي رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ مَنَامًا أَهَالَنِي . وَهُوَ كَأَنِّي أَصَبُّ مَاءً فِي أَصْلِ
شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ . فَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ . وَإِذَا
بِنَارٍ خَرَجَتْ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَشْجَارِ .
فَفَزَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَأَخَذَنِي الرَّعْبُ فَأَنْتَبَهْتُ عِنْدَ ذَلِكَ وَارْسَلْتُ
دَعْوَتَكَ لِكَثْرَةِ مَعْرِفَتِكَ وَتَعْيِيرِكَ لِلرُّؤْيَا . وَلِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ اتِّسَاعِ عَلَيْكَ
وَغَزَاةِ فِيمَكَ

فَاطَرَقَ شَمَاسٌ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ تَبَسَّمَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا رَأَيْتَ يَا شَمَاسُ
أَصْدُقَنِي الْخَبَرَ وَلَا تَخْفَ عَنِّي شَيْئًا : فَأَجَابَهُ شَمَاسٌ وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى حَوْلَكَ وَأَقْرَعَيْنِكَ . وَأَمْرُهُ هَذِهِ الرُّؤْيَا بِأَوْلِ إِلَى خَيْرٍ . وَهُوَ أَنَّ

اللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُكَ وَلَكَا ذَكَرَا . يَكُونُ وَارِثًا لِلْمَلِكِ عِنْدَكَ مِنْ بَعْدِ طَوِيلِ
 عُمُرِكَ . غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ لَا أَحِبُّ تَفْسِيرَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ لِأَنَّهُ غَيْرُ
 مُوَافِقٍ لِتَفْسِيرِهِ : فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ فَرَحًا عَظِيمًا . وَزَادَ سُورُهُ وَذَهَبَ
 عَنْهُ فِرْعُهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ . وَقَالَ : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ مِنْ حُسْنِ تَأْوِيلِ
 هَذَا الْمَنَامِ . فَكَيْفَ لِي تَأْوِيلُهُ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الْمُوَافِقُ لِكَمَالِ تَأْوِيلِهِ .
 لِأَجْلِ أَنْ يَكْمَلَ قَرَحِي . لِأَنِّي لَا أَتَّبِعِي بِذَلِكَ غَيْرَ رِضَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :
 فَلَمَّا رَأَى شَهَاسًا مِنَ الْمَلِكِ أَنَّهُ مُصَمَّمٌ عَلَى تَمَامِ تَفْسِيرِهِ . أَحْتَجُّ لَهُ بِحُجَّةٍ دَفَعُ
 عَنْ نَفْسِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا الْمَلِكُ بِالْمُنْعِمِينَ وَجَمِيعِ الْمُعِيرِينَ لِلْأَحْلَامِ
 الَّذِينَ فِي مَمْلَكَتِهِ . فَحَضَرُوا جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْمَنَامَ .
 وَقَالَ لَهُمْ : أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُخْبِرُونِي بِصِحَّةِ تَفْسِيرِهِ : فَتَقَدَّمَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ
 وَأَخَذَ إِذْنَا مِنَ الْمَلِكِ بِالْكَلَامِ . فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ قَالَ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ
 وَزِيرَكَ شَهَاسًا لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنِ تَفْسِيرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْكَ وَسَكَنَ
 رَوْعَكَ وَلَمْ يُظْهِرْ لَكَ جَمِيعَ التَّأْوِيلِ بِالْكَلْبِيَّةِ . وَلَكِنْ إِذَا أُذِنْتَ لِي بِالْكَلَامِ
 تَكَلَّمْتُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : تَكَلَّمْ أَيُّهَا الْمَفْسِرُ بِلَا أَحْشَاءَ وَأَصْدُقْ فِي كَلَامِكَ :
 فَقَالَ الْمَفْسِرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ بَظُهُرٍ مِنْكَ غَلَامٌ يَكُونُ وَارِثًا لِمَمْلَكَتِكَ
 عِنْدَكَ بَعْدَ طَوِيلِ حَيَاتِكَ . وَلَكِنَّهُ لَا يَسِيرُ فِي الرَّعِيَّةِ بِسِيرِكَ بَلْ يُخَالِفُ
 رُسُومَكَ وَيَجُورُ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَ الْفَارَ مَعَ السُّنُورِ فَاسْتَعَاذَ
 بِاللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ السُّنُورِ وَالْفَارِ

(حكاية السنور والفار)

فَقَالَ الْمَفْسِرُ : أَطَالَ اللَّهُ عُمَرَ الْمَلِكِ . إِنَّ السُّنُورَ وَهُوَ الْفِطْرُ . سَرَحَ لَيْلَةً

مِنَ اللَّيَالِي إِلَى شَيْءٍ يَفْتَرِسُهُ فِي بَعْضِ الْغِطَانِ . فَأَوْجَدَ شَيْئًا . وَضَعَفَ
 مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ الَّذِي صَارَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَأَخَذَ بِمَخَالٍ لِنَفْسِهِ بِشَيْءٍ
 يَفُوزُ بِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ دَائِرٌ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . إِذْ رَأَى وَكْرًا فِي أَسْفَلِ شَجَرَةٍ
 فَدَنَا مِنْهُ وَصَارَ بِشْمِيمٍ وَيُدْنِدِنُ حَتَّى أَحَسَّ بِأَنَّ دَاخِلَ الْوَكْرِ فَارًا . فَحَاوَلَهُ
 وَهَمَّ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ لَكِنِّي يَأْخُذُهُ . فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ الْفَارُ أَعْطَاهُ قَفَاهُ وَصَارَ
 يَزْحَفُ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لَكِنِّي بَسَدْتُ بَابَ الْوَكْرِ عَلَيْهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ
 السِّنُورُ بِصَوْتِ صَوْتَا ضَعِيفًا وَيَقُولُ لَهُ : لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ يَا أَخِي . وَأَنَا
 مُلْتَجِيٌّ إِلَيْكَ لِتَفْعَلَ مَعِيَ رَحْمَةً بِأَنْ تُقَرِّبَنِي فِي وَكْرِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . لِأَنِّي ضَعِيفٌ
 الْحَالُ مِنْ كِبَرِ سِنِّي وَذَهَابِ قُوَّتِي . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ . وَقَدْ تَوَعَّلْتُ
 فِي هَذَا الْغَيْطِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . وَكَمْ مَرَّةً دَعَوْتُ بِالْمَوْتِ عَلَى نَفْسِي لَكِنِّي أَسْتَرْجِحُ
 وَهَذَا أَنَا عَلَى بَابِكَ طَرِجٌ مِنَ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ . وَأَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ مِنْ صَدَقَتِكَ
 أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِي وَتَدْخُلَنِي عِنْدَكَ وَتَأْوِيَنِي فِي دِهْلِيزِ وَكْرِكَ . لِأَنِّي غَرِيبٌ
 وَمِسْكِينٌ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ أُوِيَ بِهَيْزَلِهِ غَرِيبًا مَسْكِينًا كَانَ مَاوَاهُ الْجَنَّةَ
 يَوْمَ الدِّينِ فَأَنْتَ يَا أَخِي حَفِيقٌ بِأَنْ تَكْسِبَ أَجْرِي . وَتَأْذَنَ لِي فِي أَنْ آيَتَ
 عِنْدَكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى الصَّبَاحِ ثُمَّ أَرْوَحُ إِلَى حَالِ سَبِيلِي : فَلَمَّا سَمِعَ الْفَارُ كَلَامَ
 السِّنُورِ . قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَدْخُلُ وَكْرِي وَأَنْتَ لِي عَدُوٌّ بِالطَّبَعِ وَمَعَاشِكَ
 مِنْ لِحْيِي . وَأَخَافُ أَنْ تُغْدِرَ بِي . لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ شِبْهَتِكَ . لِأَنَّهُ لَا عَهْدَ لَكَ .
 وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي الْأَمَانُ لِلْفَقِيرِ عَلَى الْمَالِ وَلَا لِلنَّارِ عَلَى الْحَطَبِ وَلَيْسَ
 بِوَاجِبٍ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَأْمِنَكَ عَلَى نَفْسِي وَقَدْ قِيلَ : عَدَاوَةُ الطَّبَعِ كُلَّمَا ضَعَفَ
 صَاحِبُهَا كَانَتْ أَقْوَى : فَاجَابَ السِّنُورُ قَائِلًا يَا أَخْمَدُ صَوْتِ وَأَسْأَلُ حَالِ :

إِنَّ الَّذِي قُلْتَهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ . وَاسْتُنْكِرُ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ أَسَأَلُكَ الصَّخْرَ
 عَمَّا مَضَى مِنَ الْعِدَاوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ : مَنْ صَخَّرَ عَنْ
 مَخْلُوقٍ مِنْهُ صَخْرًا خَالَفَهُ عَنْهُ . وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ عَدُوًّا لَكَ وَهَذَا أَنَا
 الْيَوْمَ طَالِبُ صَدَاقَتِكَ . وَقَدْ قِيلَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ عَدُوُّكَ صَدِيقًا
 لَكَ فَافْعَلْ مَعَهُ خَيْرًا . وَأَنَا يَا أَخِي أُعْطِيكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَنِّي لَا أُضْرِكُ
 أَبَدًا . وَمَعَ هَذَا لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ فَتَقِ بِاللَّهِ وَافْعَلْ خَيْرًا . وَأَقْبَلَ
 عَهْدِي وَمِيثَاقِي : فَقَالَ الْفَارُّ : كَيْفَ أَقْبَلُ عَهْدَ مَنْ تَأَسَّسَتِ الْعِدَاوَةُ
 بَيْنِي وَبَيْنَهُ . وَعَادَاتُهُ أَنْ يَغْدُرَ بِي . وَلَوْ كَانَتِ الْعِدَاوَةُ بَيْنَنَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ
 الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الدَّمِ لَهَانَ عَلَيَّ ذَلِكَ . وَلَكِنَّهَا عِدَاوَةٌ طَبِيعِيَّةٌ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ .
 وَقَدْ قِيلَ : مَنْ أَسْتَأْمَنَ عَدُوَّهُ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ كَمَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي نَمْرِ الْأَفْعَى :
 فَقَالَ السَّنُورُ وَهُوَ مُهْتَلِيٌّ غَبْطًا : قَدْ ضَاقَ صَدْرِي وَضَعُفَتْ نَفْسِي . وَهَذَا أَنَا
 فِي التَّنَزُّعِ وَعَنْ قَلِيلٍ أَمُوتُ عَلَى بَابِكَ وَيَبْقَى إِسْمِي عَلَيْكَ لِأَنَّكَ فَادِرٌ عَلَيَّ
 نَجَاتِي مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَهَذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ : فَحَصَلَ لِلْفَارِّ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى . وَتَزَلَّتْ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَنْ أَرَادَ الْمَعُونَةَ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ فَلْيَصْنَعْ مَعَهُ رَحْمَةً وَخَيْرًا . وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ فِي هَذَا
 الْأَمْرِ وَأَنْقُذْ هَذَا السَّنُورَ مِنْ هَذَا الْهَلَاكِ لِأَكْسِبَ أَجْرًا : فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ
 الْفَارُّ إِلَى السَّنُورِ وَأَدْخَلَهُ فِي وَكْرِ سَجَبٍ . فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ
 وَاسْتَرَجَّ وَتَعَانَى قَلِيلًا . فَصَارَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضَعْفِهِ وَذَهَابِ قُوَّتِهِ وَقَلَّةِ
 أَصْدِقَائِهِ . فَصَارَ الْفَارُّ يَبْرُقُ بِهِ وَيَأْخُذُ بِخَاطِرِهِ وَيَتَقَرَّبُ مِنْهُ وَيَسْعَى
 حَوْلَهُ . فَأَمَّا السَّنُورُ فَإِنَّهُ زَحَفَ إِلَى الْوَكْرِ حَتَّى مَلَكَ الْمَخْرَجَ خَوْفًا أَنْ

يُخْرِجُ مِنْهُ النَّارَ . فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ قَرَّبَ مِنَ السِّنُورِ عَلَى عَادَتِهِ . فَلَمَّا صَارَ قَرِيبًا مِنْهُ قَبِضَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ بَيْنَ أَظْفِيرِهِ وَصَارَ بَعْضُهُ وَيَنْدُهُ وَيَأْخُذُهُ فِي فِيهِ وَيَرْفَعُهُ عَنِ الْأَرْضِ وَيَبْرُمِيهِ وَيَجْرِي وَرَأْسُهُ وَيَنْهَشُهُ وَيَعْدُبُهُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَعَاثَ النَّارُ وَطَلَبَ الْخَلَّاصَ مِنَ اللَّهِ . وَجَعَلَ يُعَاتِبُ السِّنُورَ وَيَقُولُ : أَيُّنَ الْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدْتَنِي بِهِ . وَأَيُّنَ أَقْسَامِكَ الَّتِي أَقْسَمْتَ بِهَا . أَهَذَا جَزَائِي مِنْكَ . وَقَدْ أَذْخَلْتُكَ وَكَرَّمْتُكَ وَأَسْتَأْمَنُكَ عَلَى نَفْسِي . وَلَكِنْ صَدَقَ مَنْ قَالَ : مَنْ أَخَذَ عَهْدًا مِنْ عَدُوِّهِ لَا يَتَّبِعِي لِنَفْسِهِ نَجَاةً . وَمَنْ قَالَ : مَنْ سَلَّمَ نَفْسَهُ لِعَدُوِّهِ كَانَ مُسْتَوْجِبًا لِنَفْسِهِ الْهَلَاكَ . وَلَكِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى خَالِي فِيهِ فَهُوَ الَّذِي يُخَلِّصُنِي مِنْكَ : فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مَعَ السِّنُورِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْجُمَ عَلَيْهِ وَيَقْتَرِسَهُ . إِذَا بِرَجُلٍ صَبَّادٍ مَعَهُ كِلَابٌ جَارِحَةٌ مَعُودَةٌ عَلَى الصَّيْدِ . فَهَرَمَ مِنْهَا كَلْبٌ عَلَى بَابِ الْوَكْرِ فَسَمِعَ فِيهِ مَعْرَكَةً كَبِيرَةً فَظَنَّ أَنَّ فِيهِ تَعَلْبًا يَقْتَرِسُ شَيْئًا . فَأَنْدَفَعَ الْكَلْبُ مُتَخَدِّرًا لِيَصْطَادَهُ فَصَادَفَ السِّنُورَ فَجَدَّ بِهِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَقَعَ السِّنُورُ بَيْنَ يَدَيْ الْكَلْبِ النَّهَى بِنَفْسِهِ وَأَطْلَقَ النَّارَ حَيًّا لَيْسَ فِيهِ جُرْحٌ . وَأَمَّا هُوَ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِهِ الْكَلْبُ الْجَارِحُ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ عَصَبَهُ وَرَمَاهُ مَيِّتًا . وَصَدَقَ فِي حَقِّهَا قَوْلُ مَنْ قَالَ :

مَنْ رَحِمَ رُحِمَ آجِلًا . وَمَنْ ظَلَمَ ظَلِمَ عَاجِلًا

هَذَا مَا جَرَى لَهَا أَيُّهَا الْمَلِكُ . فَلِذَلِكَ لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْتَقِضَ عَهْدَ مَنْ اسْتَأْمَنَهُ . وَمَنْ غَدَرَ وَخَانَ يَحْضُلُ لَهُ مِثْلُ مَا حَصَلَ لِلْسِّنُورِ . لِأَنَّهُ كَمَا يَدِينُ النَّفْسُ يَدَانُ وَمَنْ يَرْجِعْ إِلَى الْخَيْرِ يَنْبَلُ الثَّوَابَ . وَلَكِنْ لَا تَخْزَنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا يَشُوْ عَلَيْكَ ذَلِكَ . لِأَنَّ وَلَدَكَ بَعْدَ ظُلْمِهِ وَعَسْفِهِ رُبَّمَا يَعُودُ إِلَى

حُسْنِ سِيرَتِكَ . وَإِنَّ هَذَا الْعَالِمَ الَّذِي هُوَ وَزِيرُكَ شَمَّاسٌ أَحَبُّ أَنْ لَا يَكْتُمَ
عَلَيْكَ شَيْئًا فِيمَا رَمَنُ إِلَيْكَ . وَذَلِكَ رُشْدٌ مِنْهُ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ : أَكْثَرُ النَّاسِ
خَوْفًا أَوْ سَعْمًا عَلِمًا وَأَغْبَطُهُمْ خَيْرًا : فَأَذْعَنَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ لَهُمْ
بِإِكْرَامِ جَزِيلٍ . ثُمَّ صَرَفَهُمْ وَقَامَ وَدَخَلَ مَكَانَهُ وَصَارَ يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ .
وَسَلَّمَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي فِي يَدِهِ جَمِيعُ الْأُمُورِ . فَلَمْ يَمْضِ زَمَانٌ كَثِيرٌ
إِلَّا أَنَّتَهُ الْبَشَرَى بِخَفِيضِ أَمَلِهِ فَقَالَ : صَدَقْتَ رُؤْيَايَ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ : ثُمَّ
إِنَّهُ دَعَا بَعْضَ الْعِلْمَانِ وَأَرْسَلَهُ لِيُحْضِرَ شَهَّاسًا . فَلَمَّا حَدَّثَهُ الْمَلِكُ بِهَا صَارَ
مِنْ حَمَلٍ زَوْجِيهِ وَهُوَ فَرِحَانٌ قَائِلًا : قَدْ صَدَقْتَ رُؤْيَايَ وَأَتَّصَلَ رَجَائِي
فَلَعَلَّ ذَلِكَ الْحَمَلُ يَكُونُ وَلَدًا ذَكَرًا وَيَكُونُ وَاِرثًا لِمَلِكِي . فَأَتَقُولُ
بِأَشْهَاسٍ فِي ذَلِكَ : فَسَكَتَ شَمَّاسٌ وَلَمْ يَنْطِقْ بِجَوَابٍ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا لِي
أَرَاكَ لَا تَفْرَحُ لِفَرَحِي وَلَا تَرُدُّ لِي جَوَابًا . يَا نَرَى هَلْ أَنْتَ كَارِهِ لِهَذَا الْأَمْرِ .
يَا شَهَّاسُ : فَسَجَدَ عِنْدَ ذَلِكَ شَمَّاسٌ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
أَطَالَ اللَّهُ عَمْرَكَ . مَا الَّذِي يَنْفَعُ الْمُسْتَظِلَّ بِشَجَرَةٍ إِذَا كَانَتِ النَّارُ تَخْرُجُ
مِنْهَا . وَمَا لَذَّةُ شَارِبِ الْخَمْرِ الصَّافِي إِذَا حَصَلَ لَهُ بِهَا الشَّرْقُ . وَمَا فَائِدَةُ
النَّاهِلِ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْبَارِدِ إِذَا غَرِقَ فِيهِ . وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ لِلَّهِ وَلَكَ
أَيُّهَا الْمَلِكُ . وَلَكِنْ قَدْ قِيلَ : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي
شَأْنِهَا إِلَّا إِذَا تَمَّتْ : الْمَسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ سَفَرِهِ . وَالَّذِي فِي الْحَرْبِ
حَتَّى يَهْرَعُدَّوهُ . وَالْمَرْأَةُ الْحَامِلُ حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا . فَأَعْلَمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّ
الْمَتَكَلِّمَ بِشَأْنِ شَيْءٍ لَمْ يَتَمَّ مِثْلُ النَّاسِكِ الْمَذْفُوقِ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنُ : فَقَالَ
لَهُ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ حِكَايَةُ النَّاسِكِ وَمَا جَرَى لَهُ

(حكاية الناسك وما جرى له)

فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ . إِنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ عِنْدَ شَرِيفٍ مِنْ أَشْرَافِ بَعْضِ
 الْمُدُنِ . وَكَانَ لِلنَّاسِكِ جَرَايَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقِ ذَلِكَ الشَّرِيفِ . وَهِيَ:
 ثَلَاثَةُ أَرْغِفَةٍ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ . وَكَانَ السَّمْنُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ غَالِيًا .
 وَكَانَ النَّاسِكُ يَجْمَعُ الَّذِي يَمِيءُ إِلَيْهِ فِي جَرَجٍ عِنْدَهُ حَتَّى مَلَأَهَا وَعَلَفَهَا فَوْقَ
 رَأْسِهِ خَوْفًا وَأَخْبِرَاسًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ
 وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ . إِذْ عَرَضَ لَهُ فِكْرٌ فِي أَمْرِ السَّمْنِ وَعَالِيِهِ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:
 يَنْبَغِي أَنْ أُبِيعَ هَذَا السَّمْنُ الَّذِي عِنْدِي جَمِيعَهُ . وَأَشْتَرِي بِشَيْئِهِ نَعْجَةً وَأُشَارِكَ
 عَلَيْهَا أَحَدًا مِنَ الْفَلَاحِينَ . فَإِنَّهَا فِي أَوَّلِ عَامٍ تَلِدُ ذَكَرًا وَأُنْثَى . وَثَانِي عَامٍ
 تَلِدُ أَنْثَى وَذَكَرًا . وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْغَنَمُ تَتَوَالَدُ ذُكُورًا وَإِناثًا حَتَّى تَصِيرَ شَيْئًا
 كَثِيرًا . وَأَقْسِمُ حِصْنِي بَعْدَ ذَلِكَ وَأُبِيعُ مَا شِئْتُ . وَأَشْتَرِي الْأَرْضَ الْفُلَانِيَّةَ
 وَأُنْثَى فِيهَا غَبْطًا وَأَبْنِي فِيهَا قَصْرًا عَظِيمًا وَأَقْنِي ثِيَابًا وَمَلْبُوسًا . وَأَشْتَرِي
 عَيْدًا وَجَوَارِيَّ وَأَنْزُوجَ بِنْتِ التَّاجِرِ الْفُلَانِيِّ وَأَعْمَلُ عُرْسًا مَا صَارَ مِثْلُهُ
 قَطُّ . وَأَذْبُجُ الدَّبَاحَ وَأَعْمَلُ الْأَطْعِمَةَ الْفَاحِخَةَ وَالْمُحْلُويَاتِ الْمُهَلِّبَاتِ
 وَغَيْرَهَا . وَأَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ الْمَلَاعِبِ وَأَرْبَابَ الْفُنُونِ وَالآلِ السَّمَاعِ . وَأُجَهِّزُ
 الْأَزْهَارَ وَالْمَشْهُومَاتِ وَأَصْنَافَ الرِّيَاحِينَ وَأَدْعُو الْأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ
 وَالْعُلَمَاءَ وَالرُّؤَسَاءَ وَأَرْبَابَ الدَّوَلَةِ . وَكُلُّ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا أَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ .
 وَأُجَهِّزُ أَنْوَاعَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ . وَأُطْلِقُ مُنَادِيًا يُنَادِي بِ . مَنْ يَطْلُبُ
 شَيْئًا يَنَالُهُ . وَبَعْدَ ذَلِكَ تَحْمِلُ زَوْجَتِي وَتَلِدُ غُلَامًا ذَكَرًا . فَأَفْرَحُ بِهِ وَأَعْمَلُ

لَهُ الْوَلَايَةُ وَأَرْبِيهِ فِي الدَّلَالِ. وَأُعْلِمُهُ الْحِكْمَةَ وَالْأَدَبَ وَالْحِسَابَ وَأَشْهَرُ
 أَسْمَهُ بَيْنَ النَّاسِ. وَأَفْخَرُهُ بِعِنْدِ أَرْبَابِ الْجَالِسِ. وَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ فَلَا
 يُخَالِفُنِي وَأَنْهَاهُ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَالْمُنْكَرِ. وَأُوَصِّيهِ بِالْتَّقْوَى وَفِعْلِ الْخَيْرِ.
 وَأُعْطِيهِ الْعَطَايَا الْحَسَنَةَ السَّنِيَّةَ. فَإِنْ رَأَيْتَهُ لَزِمَ الطَّاعَةَ زِدْتُهُ عَطَايَا
 صَالِحَةً. وَإِنْ رَأَيْتَهُ مَالَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ أَنْزَلُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْعَصَا وَرَفَعَهَا لِيَضْرِبَ
 بِهَا وَلَكُ فَاصَابَتْ جِرَّةَ السَّمَنِ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِهِ فَكَسَّرَتْهَا. فَعِنْدَ ذَلِكَ نَزَلَتْ
 بِشَقَاتِهَا عَلَيْهِ وَسَاحَ السَّمْنُ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى ثِيَابِهِ وَخَيْبَتِهِ وَصَارَ عَيْبَةً. فَلَا جُلَّ
 ذَلِكَ أَيْهَا الْمَلِكُ. لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ
 فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ. وَنَعَمَ الْوَزِيرُ أَنْتَ. لِكُونِكَ
 بِالصِّدْقِ نَطَقْتَ. وَبِالْخَيْرِ أَشْرْتَ. وَلَقَدْ صَارَتْ رُبَّتُكَ عِنْدِي عَلَى مَا
 تُحِبُّ وَلَمْ تَنْزَلْ مَقْبُولًا: فَسَجَدَ شَهَاسٌ لِلَّهِ وَلِلْمَلِكِ وَدَعَا لَهُ بِدَوَامِ النِّعَمِ وَقَالَ
 لَهُ: أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَكَ وَأَعْلَى شَأْنِكَ. وَأَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ أَكْتُمُ عَنْكَ شَيْئًا لَا فِي
 السِّرِّ وَلَا فِي الْعَلَانِيَةِ وَرِضَاكَ رِضَايَ وَغَضَبُكَ غَضَبِي وَلَيْسَ لِي فَرْحٌ إِلَّا
 بِفَرْحِكَ وَلَا يُبْكِنُنِي أَنْ أَيْتَ وَأَنْتَ سَاخِطٌ عَلَيَّ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَزَقَنِي
 كُلَّ خَيْرٍ يَا كَرَامَتِكَ إِيَّايَ. فَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْرُسَكَ بِمَهْلًا تَكْتَبُهُ.
 وَيُحْسِنَ ثَوَابَكَ عِنْدَ لِقَائِهِ: فَأَبْتَهَجَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَامَ شَهَاسٌ
 وَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ وَضَعَتْ زَوْجَةَ الْمَلِكِ غُلَامًا ذَكَرًا. فَهَضَّ الْمَبَشَّرُونَ إِلَى
 الْمَلِكِ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ فَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا. وَشَكَرَ اللَّهُ شُكْرًا جَزِيلًا
 وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي وَلَكُلًّا بَعْدَ الْبَلَاءِ وَهُوَ الشُّفُوقُ الرَّؤْفُ عَلَى

عِبَادِهِ: ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ كَتَبَ إِلَى سَائِرِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ لِيُعْلِمَهُمْ بِالْحَبْرِ وَيَدْعُوهُمْ
إِلَى مَنْزِلِهِ. فَحَضَرَ لَهُ الْأُمَرَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ الَّذِينَ
تَحْتَ أَمْرِهِ. هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ وَوَلَيْهِ. فَإِنَّهُ قَدَّ دَقَّتْ لَهُ الْبَشَائِرُ وَالْأَفْرَاحُ فِي سَائِرِ
الْمَمْلَكَةِ. وَأَقْبَلَ أَهْلَهَا إِلَى الْحُضُورِ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ. وَأَقْبَلَ أَهْلُ
الْعُلُومِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْأَدَبَاءُ وَالْحُكَمَاءُ وَدَخَلُوا جَمِيعُهُمْ إِلَى الْمَلِكِ. وَوَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى حَدِّ مَقَامِهِ. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْوُزَرَءِ السَّبْعَةِ الْكِبَارِ الَّذِينَ رَأْسُهُمْ
شِهَاسٌ أَنْ يَتَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي شَأْنِ مَا
هُوَ بِصَدْرِهِ. فَأَبْتَدَأَ رَأْسُهُمُ الْوَزِيرُ شِهَاسٌ. وَأَسْتَأْذَنَ الْمَلِكَ فِي الْكَلَامِ.
فَأَذِنَ لَهُ

فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْشَأَنَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ الْمُنْعَمِ عَلَى
عِبَادِهِ الْمُلُوكِ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ بِهَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ الْمَلِكِ وَالْعَمَلِ
الصَّالِحِ. وَبِهَا أَجْرُهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِرِعَائِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ وَخُصُوصًا مَلِكَنَا
الَّذِي أَحَبَّنِي بِهِ مَوَاتَ بِلَادِنَا بِهَا أَسَدُهُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنَ النِّعَمِ. وَرَزَقَنَا مِنْ
سَلَامَتِهِ بِرِخَاءِ الْعَيْشِ وَالطَّمَأِينَةِ وَالْعَدْلِ. فَأَيُّ مَلِكٍ بَصَّعَ بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ
مَا صَنَعَ الْمَلِكُ بَيْنَا مِنَ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِنَا وَأَدَاءِ حُقُوقِنَا وَإِنصَافِ بَعْضِنَا مِنْ
بَعْضٍ وَقِلَّةِ الْغَفْلَةِ عَنَّا وَرَدِّ مَظَالِمِنَا. وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَكُونَ
مَلِكُهُمْ مُتَعَهِّدًا لِأُمُورِهِمْ. وَحَافِظًا لَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ. لِأَنَّ الْعَدُوَّ غَايَةُ قَصْدِهِ
أَنْ يَفْهَرِ عَدُوَّهُ وَأَنْ يَهْلِكَ فِي يَدِهِ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقْدُمُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَى
الْمُلُوكِ خَدَمًا فَيَصِيرُونَ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْعَبِيدِ. لِأَجْلِ أَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُمْ

الْأَعْدَاءَ وَأَمَّا نَحْنُ فَلَمْ يَطَّأِ بِإِلَادِنَا أَعْدَاءَهُ فِي زَمَنِ مَلِكِنَا . لِهُذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى
وَالسَّعَادَةِ الْعُظْمَى الَّتِي لَمْ يَقْدِرِ الْوَاصِفُونَ عَلَى وَصْفِهَا وَإِنَّمَا هِيَ فَوْقَ ذَلِكَ .
وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ بِأَنَّكَ أَهْلٌ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظِيمَةِ وَنَحْنُ نَحْتَمِ
كَفَيْكَ وَفِي ظِلِّ جَنَاحِكَ أَحْسَنَ اللَّهُ تَوَابِكَ وَأَدَامَ بَقَاءَكَ . لِأَنَّنا كُنَّا
قَبْلَ ذَلِكَ نَحْدُ فِي الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالْإِجَابَةِ وَيُنْفِكَ
لَنَا وَيُعْطِيكَ وَلَكِنَّا صَاحِبًا نَقَرُّ بِهِ عَيْنَكَ وَاللَّهُ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى قَدْ نَقَبَلْنَا مِنَّا
وَأَسْتَجَابَ دُعَاءَنَا وَأَتَانَا بِالْفَرَجِ الْفَرِيبِ مِثْلَمَا أَنَّى لِبَعْضِ السَّمَكِ فِي
غَدِيرِ الْمَاءِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ السَّمَكِ وَكَيْفَ ذَلِكَ

(حكاية السمك وما جرى له)

فَقَالَ شِهَاسٌ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ غَدِيرُ مَاءٍ .
وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَمَكَاتٍ . فَعَرَّضَ لِذَلِكَ الْغَدِيرِ أَنَّهُ قَلَّ مَائُهُ . وَصَارَ
يَنْضُمُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلمْ يَبْقَ فِي الْمَاءِ مَا يَسَعْنَهَا فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ .
وَقَالَتْ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا . وَكَيْفَ نَحْنَالُ وَمَنْ نَسْتَشِيرُهُ فِي نَجَاتِنَا :
فَقَامَتِ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ وَكَانَتْ أَكْبَرَهُنَّ عَقْلاً وَسِنّاً وَقَالَتْ : مَا لَنَا حِيلَةٌ فِي
خَلَاصِنَا إِلا الطَّلَبُ مِنَ اللَّهِ . وَلَكِنْ نَلْتَمِسُ الرَّأْيَ مِنَ السَّرَطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُنَا
فَهَلْ مَنَ بِنَا إِلَيْهِ لِنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُنَا مَعْرِفَةً بِحَقَائِقِ
الْكَلَامِ : فَاسْتَحْسَنَ رَأْيَهَا وَجِنَّ بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى السَّرَطَانِ . فَوَجَدَهُ رَاضِياً
فِي مَوْضِعِهِ . وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا خَبْرٌ جَاهُنَّ فِيهِ . فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ :
يَا سَيِّدَنَا . أَمَا يَعْنِيكَ أَمْرُنَا . وَأَنْتَ حَاكِمُنَا وَرَبِّسُنَا : فَأَجَابَهُنَّ السَّرَطَانُ
قَائِلاً : وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ . مَا الَّذِي يَكُنُّ . وَمَا تُرِخُنَّ : فَفَضَّضْنَ عَلَيْهِ فِصْنَهُنَّ

وَمَا دَاهَاهُنَّ مِنْ أَمْرِ نَقَصِ الْمَاءِ وَأَنَّهُ مَتَى نَشَفَ حَصَلَ لَهُنَّ الْهَلَاكُ ثُمَّ
 قُلْنَا لَهُ: وَقَدْ جِئْنَاكَ مُنْتَظِرَاتٍ رَأَيْكَ وَمَا يَكُونُ فِيهِ التَّجَاهُ. لِأَنَّكَ كَبِيرُنَا
 وَأَعْرَفُنَا: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْرَقَ رَأْسُهُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: لَا شَكَّ أَنَّ عِنْدَكُمْ نَقَصَ
 عَقْلٍ لِيَأْسِكُنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَفَالَتِهِ بِأَرْزَاقِ خَلَائِقِهِ جَمِيعًا. أَلَمْ تَعْلَمَنَّ
 أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ عِبَادَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ قَبْلَ أَنْ
 يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ. وَجَعَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ عُمْرًا مَحْدُودًا وَرِزْقًا مَقْسُومًا
 يُنْقِذُ بِهِ الْإِلَهِيَّةَ. فَكَيْفَ نَحْمِلُ هَمَّ شَيْءٍ هُوَ فِي الْغَيْبِ مَسْطُورٌ. وَالرَّأْيُ
 عِنْدِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِنَ الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَيَنْبَغِي أَنْ كُلُّ
 وَاحِدٍ مِنَّا يُصَلِّحَ سِرِّيَّتَهُ مَعَ رَبِّهِ فِي سِرِّهِ وَعَالَانِيَّتِهِ. وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُخْلِصَنَا
 وَيُنْقِذَنَا مِنَ الشَّدَائِدِ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُجِيبُ رَجَاءَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ. وَلَا
 يَرُدُّ طَلَبَ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ. فَإِذَا أَصْلَحْنَا أَحْوَالَنَا اسْتَقَامَتْ أُمُورُنَا. وَحَصَلَ
 لَنَا كُلُّ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ. وَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَعُمْرُ أَرْضِنَا بَدُوعًا صَالِحًا فَلَا يَهْدِمُ
 الْمُخِيرَ الَّذِي بَنَاهُ. فَالرَّأْيُ أَنْ نَصْبِرَ وَنَنْتَظِرَ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ بِنَا. فَإِنْ كَانَ
 يَحْصُلُ لَنَا مَوْتُ عَلَى الْعَادَةِ اسْتَرْحْنَا. وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لَنَا مَا يُوجِبُ الْهَرَبَ
 هَرَبْنَا وَرَحَلْنَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ: فَأَجَابَ السَّمَكُ جَمِيعَهُ مِنْ
 قَمٍ وَاحِدٍ: صَدَقْتَ يَا سَيِّدَنَا. جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا: وَتَوَجَّهَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمْ إِلَى مَوْضِعِهِ. فَأَمَضَى إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَأَتَاهُنَّ اللَّهُ يَهْطِرُ شَدِيدًا حَتَّى
 مَلَأَ مَحَلَّ الْغُدِيرِ زِيَادَةً عَمَّا كَانَ أَوْلًا

وَهَكَذَا نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا يَا نَسِيبَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ. وَحَيْثُ مِنْ
 اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ بِهَذَا الْوَلَدِ الْمُبَارِكِ. فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا

مَبَارَكًا . وَأَنْ يُفَرِّقَ بِهِ عَيْنَكَ وَبِجَعَلَهُ خَلِيفَةً صَاحِحَةً . وَبِرَزُقْنَا مِنْهُ مَا رَزَقْنَا
مِنْكَ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ مَنْ قَصَدَهُ . وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّانِي وَسَلَّمَ عَلَى الْمَلِكِ . فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ قَائِلًا : وَعَلَيْكَ
السَّلَامُ : فَقَالَ ذَلِكَ الْوَزِيرُ : إِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسَمِّي مَلِكًا إِلَّا إِذَا أُعْطِيَ وَعَدَلَ .
وَحَكَمَ وَكَرَّمَ وَأَحْسَنَ سِيرَتَهُ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْمَأْلُوفَةِ
بَيْنَ النَّاسِ . وَأَنْصَفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَحَفَنَ دِمَاءَهُمْ وَكَفَّ الْأَذَى
عَنْهُمْ وَيَكُونُ مَوْضُوفًا بَعْدَهُمِ الْغَفْلَةَ عَنْ فُقَرَائِهِمْ وَإِسْعَافِ أَعْلَانِهِمْ وَأَذْنَانِهِمْ
وَأَعْطَانِهِمْ الْحَقَّ الْوَاجِبَ لَمْ حَتَّى يَصِيرُوا جَمِيعًا دَاعِينَ لَهُ مُسْتَثَلِينَ لِأَمْرِهِ .
لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي فِيهِ هَذِهِ الصِّفَةُ مُحْبُوبٌ عِنْدَ الرِّعِيَّةِ مُكْتَسِبًا مِنَ
الدُّنْيَا عِلْمًا وَهَيَاوًا وَمِنَ الْآخِرَةِ شَرَفًا وَرِضَى خَالِقِهَا . وَنَحْنُ مَعَاشِرَ الْعَبِيدِ
مُعْتَرِفُونَ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَفْنَاكَ عِنْدَكَ . كَمَا قِيلَ : خَيْرُ
الْأُمُورِ أَنْ يَكُونَ مَلِكُ الرِّعِيَّةِ عَادِلًا . وَحَكِيمًا مَاهِرًا . وَعَالِمًا خَيْرًا
عَادِلًا يَعْلَمُ بِهِ . وَنَحْنُ الْآنَ مُتَنَعِمُونَ بِهَذِهِ السَّعَادَةِ . وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ
وَقَعْنَا فِي الْيَأْسِ مِنْ حُصُولِ وَلَدٍ لَكَ بَرْتٌ مُلْكَكَ . وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ أَسْمُهُ
لَمْ يُخَيِّبْ رَجَاءَكَ وَقِيلَ دُعَاؤَكَ لِحُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِكَ إِلَيْهِ . فَنِعْمَ
الرَّجَاءُ رَجَاؤُكَ . وَقَدْ صَارَ فِيكَ مَا صَارَ لِلْغُرَابِ وَالْحَبِيَّةِ : فَقَالَ الْمَلِكُ :
كَيْفَ ذَلِكَ وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ وَالْحَبِيَّةِ

(حكاية الغراب والحبة)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّكَ كَانَتْ غُرَابٌ سَاكِنًا فِي شَجَرَةٍ هُوَ

وَزَوْجَتُهُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ إِلَى أَنْ بَلَغَا زَمَانَ تَفْرِيحِهِمَا . وَكَانَ زَمَنَ الْقَيْظِ .
 فَخَرَجَتْ حَبِيَّةٌ مِنْ وَكْرَهَا . وَقَصَدَتْ تِلْكَ الشَّجْرَةَ فَتَعَلَّقَتْ بِفُرُوعِهَا إِلَى أَنْ
 صَعِدَتْ إِلَى عُشِّ الْغُرَابِ وَرَبَّضَتْ فِيهِ . وَمَكَثَتْ مُدَّةَ أَيَّامٍ الصَّبْفِ .
 وَصَارَ الْغُرَابُ مَطْرُودًا لَا يَجِدُ لَهُ فُرْصَةً وَلَا مَوْضِعًا يَرُقُدُ فِيهِ . فَلَمَّا انْقَضَتْ
 أَيَّامُ الْحَرِّ ذَهَبَتِ الْحَبِيَّةُ إِلَى مَوْضِعِهَا . فَقَالَ الْغُرَابُ لِزَوْجَتِهِ : نَشْكُرُ اللَّهَ
 تَعَالَى الَّذِي نَجَّانَا وَخَلَّصَنَا مِنْ هَذِهِ الْأَافَةِ وَلَوْ كُنَّا حُرْمَانًا مِنَ الزَّادِ فِي هَذِهِ
 السَّنَةِ . لِإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْطَعُ رَجَاءَنَا . فَنَشْكُرُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامَةِ
 وَصِحَّةِ أَبْدَانِنَا . وَلَيْسَ لَنَا اتِّكَالٌ إِلَّا عَلَيْهِ . وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَعِشْنَا إِلَى الْعَامِ
 الْقَابِلِ عَوَّضَ اللَّهُ عَلَيْنَا نِتَاجَنَا : فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ تَفْرِيحِهِمَا . خَرَجَتْ الْحَبِيَّةُ
 مِنْ مَوْضِعِهَا وَقَصَدَتْ الشَّجْرَةَ . فَبَيْنَمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا . وَهِيَ
 قَاصِدَةٌ عُشَّ الْغُرَابِ عَلَى الْعَادَةِ . وَإِذَا بِجِدَاةٍ قَدِ انْقَضَتْ عَلَيْهَا وَضَرَبَتْهَا
 فِي رَأْسِهَا فَحَدَشَتْهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ سَقَطَتِ الْحَبِيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ مَغْشِيًا عَلَيْهَا .
 وَطَلَعَ عَلَيْهَا الْمَلَكُ فَآكَلَهَا . وَصَارَ الْغُرَابُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي سَلَامَةٍ وَطَهَانِيَّةٍ .
 وَفَرَّخَا أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَشَكَرَ اللَّهُ عَلَى سَلَامَتِهَا وَعَلَى حُصُولِ الْأَوْلَادِ . وَنَحْنُ
 أَيُّهَا الْمَلِكُ . يَحِبُّ عَلَيْنَا شُكْرَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِهَذَا الْمَوْلُودِ
 الْمُبَارِكِ السَّعِيدِ . بَعْدَ الْيَأْسِ وَقَطْعِ الرَّجَاءِ . أَحْسَنَ اللَّهُ ثَوَابَكَ وَعَاقِبَةَ
 أَمْرِكَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّلَاثُ وَقَالَ : أَبَشِّرُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ بِالتَّخْيِيرِ الْعَاجِلِ
 وَالثَّوَابِ الْأَجَلِ . لِإِنَّ كُلَّ مَنْ يُحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ يُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ . وَاللَّهُ
 تَعَالَى قَسَمَ لَكَ الْحَبِيَّةَ . وَجَعَلَهَا فِي قُلُوبِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ . فَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ

أُحْمَدُ مِنَّا وَمِنْكَ لِكَيْ يَزِيدَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ . وَأَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّ
 الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى . وَإِنَّهُ هُوَ الْمُعْطِي . وَإِنَّ كُلَّ
 خَيْرٍ عِنْدَ شَخْصٍ إِلَيْهِ يَنْتَهِي . فَسَمَّ النَّعْمَ عَلَى عَيْدِي . كَمَا يُحِبُّ فَمِنْهُمْ مَنْ أَعْطَاهُ
 مَوَائِبَ كَثِيرَةً . وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ بِتَحْصِيلِ الْقُوَّةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ رَيْسًا .
 وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا . رَاغِبًا إِلَيْهِ . لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ : أَنَا
 الضَّرَّاءُ النَّافِعُ . أَشْفِي وَأُفْرِضُ . وَأُغْنِي وَأُفْقِرُ . وَأُمِيتُ وَأُحْيِي . وَبِيَدِي كُلُّ
 شَيْءٍ وَالْيَوْمِ الْمَصِيرُ . فَوَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ شُكْرُهُ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنْ
 السُّعَدَاءِ الْأَبْرَارِ . كَمَا قِيلَ : إِنْ أَسْعَدَ الْأَبْرَارِ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ خَيْرِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَيَقْنَعُ بِهَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَقَامَهُ . وَمَنْ تَعَدَّى
 وَطَلَبَ غَيْرَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ وَعَلَيْهِ يُشْبِهُ حِمَارَ الْوَحْشِ وَالنُّعْلَبَ : قَالَ الْمَلِكُ :
 وَمَا حَدِيثُهُمَا

(حكاية حمار الوحش والنعلب)

قَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّ نُّعْلَبًا كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَطَنِهِ
 وَيَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ . فَمِثْلًا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الْأَجْبَالِ . وَإِذَا بِالنَّهَارِ قَدِ
 انْقَضَى . وَقَصَدَ الرَّجُوعَ . فَاجْتَمَعَ عَلَى نُّعْلَبٍ رَأَتْهُ مَاشِيًا . وَصَارَ كُلُّ مَنِهَا
 يَحْكِي لِصَاحِبِهِ حِكَايَتَهُ مَعَ مَا أَفْتَرَسَهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنِّي بِالْأَمْسِ وَقَعْتُ
 فِي حِمَارِ وَحْشٍ وَكُنْتُ جَائِعًا . وَكَانَ لِي ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا أَكَلْتُ . فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ
 وَشَكَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي سَخَّرَ لِي . ثُمَّ إِنِّي عَمِدْتُ إِلَى قَلْبِهِ فَالْكَلْتُهُ
 وَشَبِعْتُ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى وَطَنِي وَمَضَى عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَحِذْ شَيْئًا أَكَلُهُ
 وَمَعَ ذَلِكَ أَنَا شَبَعَانٌ إِلَى الْآنَ : فَلَمَّا سَمِعَ النُّعْلَبُ الْحِكَايَةَ حَسَدَهُ عَلَى شَبْعِهِ .

وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَا بُدَّ لِي مِنْ أَكْلِ قَلْبِ حِمَارِ الْوَحْشِ: فَتَرَكَ الْأَكْلَ
 أَيَّامًا حَتَّى أَنْهَزَلَ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَقَصُرَ سَعْبُهُ وَأَجْتَهَادُهُ وَرَبَضَ فِي
 وَطْنِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ فِي وَطْنِهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِصَيَّادَيْنِ مَاشِيَيْنِ
 قَاصِدَيْنِ الصَّيْدِ فَوَقَعَ لهُمَا حِمَارُ وَحْشٍ. فَأَقَامَا النَّهَارَ كُلَّهُ فِي أُنْرِهِ طَرْدًا.
 ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهُمَا رَمَاهُ بِسَهْمٍ مُشَعَّبٍ فَأَصَابَهُ وَدَخَلَ جَوْفَهُ وَاتَّصَلَ بِقَلْبِهِ فَفَتَلَهُ
 قُبَالَةَ وَكَّرِ النَّعْلِبِ الْمَذْكُورِ. فَأَذْرَكَهُ الصَّيَّادَانِ فَوَجَدَاهُ مَيِّتًا. فَأَخْرَجَا
 السَّهْمَ الَّذِي أَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ. فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا الْعُودُ. وَنَجَّى السَّهْمُ مُشَعَّبًا فِي
 بَطْنِ حِمَارِ الْوَحْشِ فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءَ خَرَجَ النَّعْلِبُ مِنْ وَطْنِهِ وَهُوَ يَتَضَجَّرُ مِنَ
 الضَّعْفِ وَالْجُوعِ فَرَأَى حِمَارَ الْوَحْشِ عَلَى بَابِهِ طَرِيحًا. فَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا
 حَتَّى كَادَ أَنْ يَطِيرَ مِنَ الْفَرَحِ. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَسَّرَ لِي شَهْوَتِي
 مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ لِأَنِّي كُنْتُ لَا أُمَلُّ أَنْ أُصِيبُ حِمَارَ وَحْشٍ وَلَا غَيْرَهُ. وَلَعَلَّ
 اللَّهُ أَوْقَعَ هَذَا رِسَاقَهُ إِلَيَّ فِي مَوْضِعِي: ثُمَّ وَتَبَ عَلَيْهِ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَأَدْخَلَ
 رَأْسَهُ. وَصَارَ يَجُولُ فِيهِ فِي أَمْعَائِهِ إِلَى أَنْ وَجَدَ الْقَلْبَ فَالْتَقَمَهُ فِيهِ
 وَابْتَلَعَهُ. فَلَمَّا صَارَ دَاخِلَ حَلْفِهِ أَشْتَبَكَ شُعْبُ السَّهْمِ فِي عَظْمِ رَقَبَتِهِ وَلَمْ
 يَقْدِرْ عَلَى إِدْخَالِهِ فِي بَطْنِهِ وَلَا عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ حَلْفِهِ وَأَيُّقَنَ بِأَهْلَاكِ
 وَقَالَ: حَتَّى لَا يَنْبَغِي لِخَلْقٍ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ مَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ. لِأَنِّي
 لَوَقَفْتُ بِهَا قَسَمَهُ اللَّهُ لِي لَهَا صِرْتُ إِلَى أَهْلَاكِ

فَلَمَّا دَا أَيْهَا الْمَلِكُ. يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَى بِهَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ وَيَشْكُرَ
 نِعْمَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْطَعُ رِجَاءَهُ مِنْ مَوْلَاهُ. وَهَذَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِحُسْنِ نِيَّتِكَ
 وَإِسْدَاءِ مَعْرُوفِكَ رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَكَّا بَعْدَ الْيَأْسِ. فَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ

عُمَرَا طَوِيلًا وَسَعَادَةً دَائِمَةً . وَيَجْعَلُهُ خَلْفًا مَبَارَكًا مُوفِيًا بِعَهْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ
بَعْدَ طَوِيلِ عُمُرِكَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الرَّابِعُ وَقَالَ: إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ فِيهَا عَالِمًا بِأَبْوَابِ الْحِكْمَةِ
وَالْأَحْكَامِ وَالسِّيَاسَةِ . مَعَ صَلَاحِ النَّبِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ مَنْ يَجِبُ
إِكْرَامُهُ . وَتَوْفِيرِهِ مَنْ يَجِبُ تَوْفِيرُهُ . وَالْعُفْوِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ .
وَرِعَايَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالْمُرُؤَسِينَ . وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَصَوْنِ
دِمَائِهِمْ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمْ . كَانَ حَقِيقًا بِالسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ . فَإِنَّ
ذَلِكَ مِمَّا يُعِيدُهُ مِنْهُمْ وَيُعِينُهُ عَلَى ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَنُضْرَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَبُلُوغِ
مَأْمُولِهِ مَعَ زِيَادَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَتَوْفِيرِهِ لِشُكْرِهِ وَالْفُوزِ بِعِنَايَتِهِ . وَإِنَّ
الْمَلِكَ إِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَصَائِبٍ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ
مَمْلَكَتِهِ . لِكُونَ جَوْرِهِ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ . وَيَصِيرُ فِيهِ مَا صَارَ لِابْنِ
الْمَلِكِ السَّامِحِ: فَقَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

(حكاية ابن الملك السامح)

فَقَالَ الْوَزِيرُ: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ مَلِكٌ جَائِرٌ فِي
حُكْمِهِ ظَالِمٌ غَاشِمٌ عَاسِفٌ مُضِيعٌ لِرِعَايَةِ رَعِيَّتِهِ وَجَمِيعٍ مَنْ يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ
فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَتَأْخُذُ عَمَلُهُ مِنْهُ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ مَالِهِ
وَيُقْبُونَ لَهُ الْخُمْسَ لِأَخِيَرٍ . فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوقِفٌ .
فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ الدُّنْيَا غَيْرَ مُسْتَفِيدَةٍ تَرَكَهَا وَخَرَجَ سَائِحًا عَابِدًا لِلَّهِ تَعَالَى
مِنْ صِغَرِهِ وَرَفَضَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَخَرَجَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِسَرْحٍ فِي
الْبَرَارِيِّ وَالْقَفَارِ وَيَدْخُلُ الْهَدْنِ . فَبِئْسَ الْأَيَّامِ دَخَلَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ .

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمُحَافِظِينَ أَخَذُوهُ وَفَتَشَوْهُ فَلَمْ يَرَوْا مَعَهُ شَيْئًا سِوَى ثَوْبَيْنِ
 أَحَدُهُمَا جَدِيدٌ وَالْآخَرُ عَنِيْقٌ . فَتَزَعُّوا مِنْهُ الْجَدِيدَ وَتَرَكَوْا لَهُ الْعَنِيْقَ بَعْدَ
 الْإِهَانَةِ وَالْتَحْفِيرِ . فَصَارَ هُوَ يَشْكُو وَيَقُولُ : وَيَحْكُمُ أَيُّهَا الظَّالِمُونَ . أَنَا
 رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَاحِجٌ وَمَا عَسَى أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ . وَإِذَا لَمْ تَعْطُوهُ لِي
 دَهَبْتُ لِلْمَلِكِ وَشَكُوْتُكُمْ إِلَيْهِ : فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ : إِنَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَمْرِ
 الْمَلِكِ . فَأَبَدَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ فَأَفْعَلَهُ : فَصَارَ السَّاحِجُ يَمِشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى
 بَلَاطِ الْمَلِكِ وَارْتَادَ الدُّخُولَ فَمَنَعَهُ الْمُحْجَابُ فَرَجَعَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا لِي إِلَّا
 أَنِّي أَرْضَعُهُ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَشْكُو إِلَيْهِ حَالِي وَمَا أَصَابَنِي : فَبَيْسَهَا هُوَ عَلَى تِلْكَ
 الْحَالَةِ يَنْتَظِرُ خُرُوجَ الْمَلِكِ . إِذْ سَمِعَ أَحَدَ الْأَجْنَادِ يُخْبِرُ عَنْهُ . فَأَخَذَ يَتَقَدَّمُ
 قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ الْبَابِ . فَأَشْعَرَ إِلَّا وَالْمَلِكُ خَارِجٌ فَعَارَضَهُ
 السَّاحِجُ وَدَعَا لَهُ بِالنَّصْرِ . وَأَخْبَرَهُ بِهَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْمُحَافِظِينَ وَشَكَا إِلَيْهِ
 حَالَهُ . وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ رَفِضَ الدُّنْيَا وَخَرَجَ طَالِبًا لِرِضَا اللَّهِ
 تَعَالَى فَصَارَ سَائِحًا فِي الْأَرْضِ . وَكُلُّ مَنْ وَقَدَّ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ
 بِهَا أَمْكَنَهُ . وَصَارَ يَدْخُلُ كُلَّ مَدِينَةٍ وَكُلَّ قَرْيَةٍ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ . ثُمَّ
 قَالَ : فَلَمَّا دَخَلْتُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ تَرَجَّيْتُ أَنْ يَفْعَلَ لِي أَهْلُهَا مِثْلَ مَا يُفْعَلُ
 بِغَيْرِي مِنَ السَّائِحِينَ . فَعَارَضَنِي أَتْبَاعُكَ وَتَزَعُّوا أَحَدًا ثَوْبًا لِي وَأَهْلَفُونِي
 ضَرْبًا . فَأَنْظَرُ فِي شَأْنِي وَخَذْتُ بِيَدَيْ وَخَلِصْتُ لِي ثَوْبِي . وَأَنَا لَا أَقِيمُ بِهَذِهِ
 الْمَدِينَةَ سَاعَةً وَاحِدَةً : فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ الظَّالِمُ قَائِلًا : مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ
 بِدُخُولِكَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ . وَأَنْتَ غَيْرُ عَالِمٍ بِهَا يَفْعَلُ مِثْلَهَا : فَقَالَ : بَعْدَ أَنْ
 أَخَذْتُ ثَوْبِي أَفْعَلُ لِي مِثْلَكَ

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ مِنَ السَّامِعِ هَذَا الْكَلَامَ. حَصَلَ عِنْدَكَ تَغْيِيرُ مِرَاجٍ
فَقَالَ: أَيُّهَا التَّجَاهِلُ نَزَعْنَا عَنْكَ ثَوْبَكَ لِكَيْ تَدِلَّ وَحَيْثُ وَقَعَ مِنْكَ مِثْلُ
هَذَا الصِّبَاحِ عِنْدِي. فَأَنَا أَنْزَعُ نَفْسَكَ مِنْكَ: ثُمَّ أَمَرَ بِسَجِينِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ
السَّجِينُ جَعَلَ يَنْدُمُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنَ الْجَوَابِ وَعَنَفَ نَفْسَهُ حَيْثُ لَمْ تَتْرُكْ
ذَلِكَ وَبِفُوزِ رُوحِهِ. فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَصَلَّى صَلَاةَ
مُطَوَّلَةٍ. وَقَالَ: يَا اللَّهُ. إِنَّكَ أَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ. تَعْلَمُ بِحَالِي وَمَا أَنْطَوَى
عَلَيْهِ أَمْرِي مَعَ هَذَا الْمَلِكِ الْجَائِرِ. وَأَنَا عَبْدُكَ الْمَظْلُومُ أَسْأَلُكَ مِنْ فَيْضِ
رَحْمَتِكَ أَنْ تَنْقُذَنِي مِنْ يَدِ هَذَا الْمَلِكِ الظَّالِمِ وَتُحِلَّ بِهِ نَفْسَتَكَ لِأَنَّكَ لَا
تَغْفُلُ عَنِ ظُلْمِ كُلِّ ظَالِمٍ. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ ظَلَمَنِي فَأَحِلِّ نَفْسَتَكَ عَلَيْهِ
فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَأَنْزِلْ بِهِ عَذَابَكَ لِأَنَّ حُكْمَكَ عَدْلٌ وَأَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ
مَلْهُوفٍ^١. يَا مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْعِظْمَةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ: فَلَمَّا سَمِعَ السَّجَانُ دُعَاءَ
هَذَا الْيَسْكِينِ صَارَ جَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ مَرْعُوبًا. فَيَسْنَأُ هُوَ كَذَلِكَ
وَإِذَا بِنَارٍ أَنْقَذَتْ فِي الْقَصْرِ الَّذِي فِيهِ الْمَلِكُ. فَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا فِيهِ حَتَّى
بَابَ السَّجِينِ وَلَمْ يَخْلُصْ سِوَى السَّجَانِ وَالسَّامِعِ فَأَنْطَلَقَ السَّامِعُ وَسَارَ هُوَ
وَالسَّجَانُ. وَلَمْ يَزَالَا سَائِرِينَ حَتَّى وَصَلَا إِلَى غَيْرِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ. وَأَمَّا مَدِينَةُ
الْمَلِكِ الظَّالِمِ فَإِنَّهَا أَحْرَقَتْ عَنْ آخِرِهَا بِسَبَبِ جَوْرِ مَلِكِهَا. وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا

^١ هذه طلبة مظلوم لم يستر بنور تعليم المسيح الغافر لاعداؤه. فمن امن بهذه الحكمة الالهية
والمجودة الازلية حذا حذوه تعالى محملاً السوء غافراً لمن اساء اليه مستسبباً بموجب كلام الرب
القائل: احبوا اعداءكم واحسنوا الي من يبغضكم وصلوا على من يطردهم ويظلمكم لكيما تكونوا
بني ابيكم الذي في السموات الذي يشرق شمس على الاخيار والاشرار ويمطر على الصديقين
والظالمين (متى ٥: ٤٤ و ٤٥)

الْمَلِكُ السَّعِيدُ. فَأَنْهَسِي وَنُصِجُ إِلَّا وَنَحْنُ دَاعُونَ وَشَاكِرُونَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
 فَضْلِهِ بِوُجُودِكَ مُطَهِّبِينَ بَعْدَكَ وَحَسَنِ سِيرَتِكَ. وَكَانَ عِنْدَنَا غَمٌّ
 كَثِيرٌ لِعَدَمِ وَلَدِكَ بَرْتُ مُلْكَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ
 مِنْ بَعْدِكَ. وَالْآنَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَرَمِهِ عَلَيْنَا وَأَزَالَ عَنَّا الْغَمَّ وَأَتَانَا بِالسُّرُورِ
 بِوُجُودِ هَذَا الْغُلَامِ الْمُبَارَكِ. فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ خَلِيفَةَ صَالِحَةً
 وَبَرَزُقَةً الْعِزِّ وَالسَّعَادَةِ الْبَاقِيَةَ وَالْخَيْرَ الدَّائِمَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الْخَامِسُ وَقَالَ: تَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ مَا نَحْنُ الْعَطَايَا الصَّالِحَةَ
 وَالْمَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ. وَبَعْدُ فَإِنَّا نَحْقُقُنَا أَنَّ اللَّهَ يَنْعِمُ عَلَيْنَا بِشُكْرٍ وَبِحَافِظٍ
 عَلَيْنَا دِينِهِ. وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ. الْمَوْصُوفُ بِهَذِهِ الْمَنَاقِبِ الْجَمِيلَةِ
 وَالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ بَيْنَ رَعِيَّتِكَ بِمَا يُرِضِي اللَّهُ تَعَالَى. فَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَعْلَى
 اللَّهُ شَأْنَكَ وَأَسْعَدَ أَيَّامَكَ وَوَهَبَ لَكَ هَذِهِ الْعَطِيَّةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي هِيَ هَذَا
 الْوَلَدُ السَّعِيدُ بَعْدَ الْيَأْسِ. وَصَارَ لَنَا بِذَلِكَ الْفَرَحُ الدَّائِمُ وَالسُّرُورُ الَّذِي
 لَا يَنْقَطِعُ. لِأَنَّ قَبْلَ ذَلِكَ كُنَّا فِي هَمٍّ شَدِيدٍ وَغَمٍّ زَائِدٍ بِسَبَبِ عَدَمِ وَلَدِ
 لَكَ. وَفِي أَفْكَارٍ فِيهَا أَنْتَ مُنْطَوٍ عَلَيْهِ مِنْ عَدْلِكَ وَرَأْفَتِكَ بِنَا. وَخَوْفًا أَنْ
 يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالْمَوْتِ. وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَنْ يَخْلُفُكَ وَبَرْتُ الْهَلْكَ مِنْ
 بَعْدِكَ. فَيَخْلُفُ رَأْيُنَا وَيَقَعُ بَيْنَنَا الشِّقَاقُ وَيَصِيرُ بَيْنَنَا مَا صَارَ لِلْغُرَابِ:
 فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ

(حكاية الغراب)

فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ قَائِلًا: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ. أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ
 الْبَرَارِيِّ وَادٍ مُتَسِعٍ. وَكَانَ بِهِ أَنْهَارٌ وَشَجَارٌ وَأَنْهَارٌ وَبِهِ أَطْيَارٌ تُسَبِّحُ اللَّهَ

الْوَاحِدَ الْفَهَّارَ. خَالِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ الطُّيُورِ غُرَبَانَ. وَكَانَتْ
 فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ. وَكَانَ الْمَقْدَمَ عَلَيْهِنَّ وَالْحَاكِمَ بَيْنَهُنَّ غُرَابٌ رُوِيَ بَيْنَ
 شُفُوقِ عَلَيْهِنَّ وَكَانَتْ مَعَهُ فِي أَمَانٍ وَطَهَانِيَةٍ. وَمِنْ حُسْنِ تَصَرُّفِهِنَّ فِيمَا
 بَيْنَهُنَّ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الطُّيُورِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا. فَأَتَّفَقَ أَنَّ مَقْدَمَهُنَّ تُوَفِّيَ
 وَجَاهَهُ الْأَمْرُ الْخَنُومُ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ فَخَزَّتْ عَلَيْهِ حَزَنًا شَدِيدًا. وَمِنْ
 زِيَادَةِ حُزْنِهِنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ أَحَدٌ مِثْلَهُ يُقَوْمُ مَقَامَهُ. فَاجْتَمَعْنَ جَمِيعًا
 وَأَتَمَّرْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ عَلَى مَنْ يَقَوْمُ عَلَيْهِنَّ بِحَيْثُ يَكُونُ صَاحِبًا. فَطَافَتْهُنَّ مِنْهُنَّ
 أَخْتَرْنَ غُرَابًا. وَقُلْنَ إِنْ هَذَا بَصُحٌّ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا عَلَيْنَا. وَأَخْرُ أَخْتَلَفْنَ فِيهِ.
 وَلَمْ يَرِدْنَهُ فَوْقَ بَيْنَهُنَّ الشِّفَاقُ وَالْمُجْدَالُ وَعَظُمَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُنَّ. وَبَعْدَ ذَلِكَ
 حَصَلَ بَيْنَهَا تَوَافُقٌ. وَتَعَاهَدْنَ عَلَى أَنْ يَنْمَنَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. وَلَا يَبْكُرُ أَحَدٌ
 إِلَى السُّرُوحِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ غَدًا. بَلْ يَصْبِرْنَ جَمِيعًا إِلَى الصَّبَاحِ. وَعِنْدَ
 طُلُوعِ الْفَجْرِ يَكُنَّ مُجْتَمِعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ يَنْظُرْنَ كُلُّ طَيْرٍ بِسَبْقِ
 فِي الطَّيْرَانِ. وَقُلْنَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ مَأْمُورًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَمُخْتَارًا عِنْدَنَا
 لِلْمَلِكِ. فَجَعَلَهُ مَلِكًا عَلَيْنَا. وَتَوَلَّيَهُ أَمْرَنَا. فَرَضِينَ كُلُّهُنَّ بِذَلِكَ وَعَاهَدْنَ
 بَعْضُهُنَّ بَعْضًا وَاتَّفَقْنَ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ. فَبَيْنَمَا هِيَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ إِذْ طَلَعَ
 بَازٌ. فَقُلْنَ لَهُ: يَا أَبَا الْخَيْرِ. نَحْنُ أَخْتَرْنَاكَ وَالِيَا عَلَيْنَا لِتَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا: فَرَضِيَ
 الْبَازُ بِهَا قَلْبَهُ. وَقَالَ لَهُنَّ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَيَكُونُ لَكُنَّ مِنِّي خَيْرٌ عَظِيمٌ.
 ثُمَّ إِتَمَّنَّ بَعْدَ مَا وَوَلَّيْنَهُ عَلَيْهِنَّ. صَارَ كُلُّ يَوْمٍ إِذَا سَرَحَ وَسَرَحَ الْغُرَبَاتُ
 يَسْتَفْرِدُّ بِأَحَدِهِنَّ وَيَضْرِبُهُ وَيَأْكُلُ دِمَاغَهُ وَعَيْنَيْهِ وَيَتْرِكُ الْبَاقِيَ. وَلَمْ
 يَزَلْ يَفْعَلُ مَعَهُنَّ هَكَذَا حَتَّى فَطِنَتْ بِهِ فَرَأَتْ غَالِبَهَا قَدْ هَلَكَ فَأَيَّقَتْ

يَأْتِيهِمْ بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ دُونِهِمْ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ هَلَكَ أَكْثَرُنَا. وَمَا
 أَنْتُمْ بِهَا حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُنَا. فَيَسْتَبْغِي لَنَا أَنْ نَحْفَظَ عَلَى أَنْفُسِنَا: فَلَمَّا أَصْبَحَتْ
 نَفَرَتْ مِنْهُ وَتَفَرَّقَتْ مِنْ حَوْلِهِ. وَنَحْنُ الْآنَ نَخْشَى أَنْ يَفْعَ لَنَا مِثْلُ هَذَا
 وَيَصِيرَ عَلَيْنَا مِثْلُ غَيْرِكَ. وَلَكِنْ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَوَجَّهَكَ إِلَيْنَا.
 وَنَحْنُ وَاتِّفَاقُ الْآنَ بِالصَّلَاحِ وَجَمْعِ السَّمَلِ. وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانَةِ وَالسَّلَامَةِ
 فِي الْوَطَنِ. فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْتِنَاءُ الْجَمِيلُ. وَبَارَكَ
 اللَّهُ لِلْمَلِكِ وَلِنَا مَعْشَرَ الرَّعِيَّةِ وَرَزَقَنَا وَإِيَّاهُ السَّعَادَةَ الْعُظْمَى. وَجَعَلَهُ سَعِيدًا
 الْوَقْتِ قَائِمًا الْجِدِّ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّادِسُ وَقَالَ: هُنَاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَحْسَنِ الْهَنَاءِ فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَقَامَ
 بِحَقِّ قَوْلِ الْوَالِدِينَ وَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ لِنَبِيِّ رَبِّهِ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ. وَقَدْ وُئِيتَ
 عَلَيْنَا فَعَدَلْتَ. فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ سَعِيدًا مُحْرَكًا. فَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
 يُجْزِلَ ثَوَابَكَ وَيُجْرِكَ عَلَى إِحْسَانِكَ. وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ هَذَا الْعَالِمُ فِيمَا
 تَخَوَّفُ مِنْ جِرْمَانِ حَظَّنَا بَعْدَ الْمَلِكِ أَوْ بوجُودِ مَلِكٍ آخَرَ لَا يَكُونُ نَظِيرَهُ.
 فَبَعْضُ أَخْتِلَافِنَا بَعْدَهُ وَيَفْعُ الْبَلَاءُ فِي الْأَخْتِلَافِ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا
 ذَكَرْنَا قَالُوا جِبُّ عَلَيْنَا أَنْ نَبْنِيهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْدُّعَاءِ. لَعَلَّهُ يَهَبُ لِلْمَلِكِ
 وَلِنَا سَعِيدًا. وَجَعَلَهُ وَارِثًا لِلْمَلِكِ بَعْدَهُ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ رَبِّهَا كَانَ الَّذِي
 يَحِبُّهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الدُّنْيَا وَيَسْتَهْبِئُهُ بِمَجْهُولِ الْعَاقِبَةِ لَهُ. وَحِينَئِذٍ لَا يَسْتَبْغِي
 لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ أَمْرًا لَا يَدْرِي عَاقِبَتَهُ. لِأَنَّهُ رَبِّهَا كَانَ ضَرُرُ ذَلِكَ
 أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهِ. فَيَكُونُ هَلَاكُهُ فِي مَطْلُوبِهِ وَيُصِيبُهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ

أَلْحَاوِي وَوَلَادَهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ : قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ أَلْحَاوِي
وَوَلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

(حكاية الحاوي واولاده وزوجته واهل بيته)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانٌ حَاوِيًا وَكَانَ بُرِّي
الْحَيَاتِ . وَهَذِهِ كَانَتْ صَنَعَتَهُ . وَكَانَ عِنْدَهُ سَلَةٌ كَبِيرَةٌ . فِيهَا ثَلَاثُ حَيَاتٍ
لَمْ يُعْلَمِ بِهَا أَهْلُ بَيْتِهِ . وَكَانَ كُلُّ يَوْمٍ يُخْرِجُ يَدُورُ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ . وَيَتَسَبَّبُ
بِهَا لِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ وَرِزْقِ عِيَالِهِ . وَيَرْجِعُ عِنْدَ الْمَسَاءِ فِي بَيْتِهِ وَيَضَعُ
الْأَحْنَاشَ فِي السَّلَّةِ سِرًّا . وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَأْخُذُهَا وَيَدُورُ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ .
فَكَانَ هَذَا دَأْبَهُ عَلَى الدَّوَامِ . وَلَمْ يُعْلَمِ أَهْلُ بَيْتِهِ بِهَا فِي السَّلَّةِ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ
لَمَّا عَادَ أَلْحَاوِي إِلَى بَيْتِهِ عَلَى جَرِي عَادَتِهِ . سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ . وَقَالَتْ لَهُ :
مَا فِي هَذِهِ السَّلَّةِ : فَقَالَ لَهَا أَلْحَاوِي : وَمَا مُرَادُكِ مِنْهَا . أَلَيْسَ الزَّادُ عِنْدَكُمْ
كثِيرًا زَانِدًا . فَاقْنَعِي بِهَا قِسْمَ اللَّهِ لَكَ . وَلَا تَسْأَلِي عَن غَيْرِهِ : فَسَكَتَتْ عَنْهُ
تِلْكَ الْمَرْأَةُ . وَصَارَتْ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا : لَا بُدَّ لِي أَنْ أُفْتِشَ هَذِهِ السَّلَّةَ وَأَعْرِفَ
مَا فِيهَا . وَصَمَّمَتْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْلَمَتْ أَوْلَادَهَا وَأَكَّدَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا
وَالِدَهُمْ عَنِ السَّلَّةِ وَيُلْحُوا عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ لِأَجْلِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
تَعَلَّقَ خَاطِرُ الْأَوْلَادِ بِأَنَّ فِيهَا شَيْئًا يُؤْكَلُ . فَصَارَ الْأَوْلَادُ كُلُّ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ
مِنْ آبِيهِمْ أَنْ يَرِيَهُمْ مَا فِي السَّلَّةِ . وَكَانَ أَبُوهُمْ يُدَافِعُهُمْ وَيُرَاضِيهِمْ وَيَبْنَاهُمْ عَنْ
هَذَا السُّؤَالِ . فَهَمَزَتْ لَهُمْ مَدَّةً وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ . وَأُمُّهُمْ تَحْتَمُّ عَلَى ذَلِكَ .
ثُمَّ اتَّفَقُوا مَعَهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَدُوفُونَ طَعَامًا وَلَا يَشْرَبُونَ شَرَابًا لِوَالِدِهِمْ حَتَّى
يُبَلِّغَهُمْ طَلِبَتَهُمْ وَيَقْتَعُ لَهُمُ السَّلَّةَ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ حَضَرَ أَلْحَاوِي

وَمَعَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ . فَفَعَدَّ وَدَعَاهُمْ لِيَأْكُلُوا مَعَهُ فَأَبَوْا
 الْحُضُورَ إِلَيْهِ . وَبَيْنَا لَهُ الْغَيْظُ . فَجَعَلَ يَلَاطِفُهُمْ بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ . وَيَقُولُ
 لَهُمْ : أَنْظِرُوا مَاذَا تُرِيدُونَ حَتَّى أَجِيبَ بِهَ الْبَيْتِ أَكْلًا أَوْ شُرْبًا أَوْ مَلْبُوسًا : فَقَالُوا
 لَهُ : يَا وَالِدَنَا . مَا تُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا فَتَحَ هَذِهِ السَّلَّةَ لِنَنْظُرَ مَا فِيهَا وَالْأَقْتَلْنَا أَنْفُسَنَا :
 فَقَالَ لَهُمْ : يَا أَوْلَادِي . لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ . وَإِنَّمَا فَتَحَهَا ضَرَرٌ لَكُمْ : فَعِنْدَ
 ذَلِكَ أَزْدَادُوا غَيْظًا . فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ . أَخَذَ يَهْدِدُهُمْ وَيُبَشِّرُهُمْ
 بِالضَّرْبِ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ . فَلَمْ يَزِدُوا إِلَّا غَيْظًا وَرَغْبَةً فِي
 السُّؤَالِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ غَضِبَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ عَصًا لِيَضْرِبَهُمْ بِهَا . فَهَرَبُوا قَدَامَهُ
 فِي الدَّارِ . وَكَانَتِ السَّلَّةُ حَاضِرَةً لَمْ يُخْفِهَا الْحَاوِي فِي مَكَانٍ . فَخَلَّتِ الْمَرْأَةُ
 الرَّجُلَ مَشْغُولًا بِالْأَوْلَادِ وَفَتَحَتِ السَّلَّةَ بِسُرْعَةٍ لِكَيْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا . وَإِذَا
 بِالْحَيَاتِ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ السَّلَّةِ وَلَدَعَتِ الْمَرْأَةُ أَوْلَادَ فَفَتَلَتْهَا ثُمَّ دَارَتْ فِي
 الدَّارِ وَاهْلَكَتِ الْكِبَارَ وَالصِّغَارَ مَا عَدَا الْحَاوِي . فَتَرَكَ الْحَاوِي الدَّارَ وَخَرَجَ .
 فَلَمَّا تَحَقَّقَتْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ . عَلِمَتْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ أَنْ
 يَتَبَنَّى شَيْئًا غَيْرَ الَّذِي لَمْ يُرِدِ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ يَطِيبُ نَفْسًا بِهَا قَدْرَهُ اللَّهُ لَهُ
 وَأَرَادَهُ . وَهِيَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . مَعَ غَزَارَةِ عَلَيْكَ وَجُودَةِ فَمَيْكَ . أَفَرَأَى
 عَيْنَكَ بِحُضُورِ وَلَدِكَ بَعْدَ الْيَأْسِ وَطَيْبَ قَلْبِكَ . وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
 أَنْ يَجْعَلَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ الْمُرْضِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالرَّعِيَّةِ
 ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّابِعُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ وَتَحَقَّقْتُ مَا
 ذَكَرَ إِخْوَتِي هُوَ لِأَنَّ الْوَزَرَ الْعُلَمَاءَ الْحُكَمَاءَ وَمَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَضْرَتِكَ
 أَيُّهَا الْمَلِكُ . وَمَا وَصَفُوهُ مِنْ عَدْلِكَ وَحُسْنِ سَيْرَتِكَ وَمَا تَبَيَّنَتْ بِهِ عَنْهُ

سِوَاكَ مِنَ الْمَلُوكِ حَيْثُ فَضَّلُوكَ عَلَيْهِمْ. وَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا
أَيُّهَا الْمَلِكُ

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَلَّاهُ لِنِعْمَتِهِ. وَأَعْطَاكَ صَلَاحَ
الْمَلِكِ بِرَحْمَتِهِ وَأَعَانَكَ وَإِيَانًا عَلَيَّ أَنْ تَزِيدَهُ شُكْرًا. وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِوُجُودِكَ.
وَمَا دُمْتَ فِيْنَا لَمْ نَخَوْفْ جَوْرًا وَلَا نَبْغِي ظُلْمًا. وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ
يَسْتَطِيلَ عَلَيْنَا مَعَ ضَعْفِنَا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَحْسَنَ الرَّعَايَا مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ عَادِلًا
وَشَرُّهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ جَائِرًا. وَقِيلَ أَيْضًا: السُّكْنَى مَعَ الْأَسْوَدِ الْكَوَاسِرِ.
وَلَا السُّكْنَى مَعَ السُّلْطَانِ الْجَائِرِ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا دَائِمًا
حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِوُجُودِكَ. وَرَزَقَكَ هَذَا الْوَلَدَ الْمُبَارَكَ بَعْدَ الْبَأْسِ
وَالطَّعْنِ فِي السِّنِّ. لِأَنَّ أَجَلَ الْعَطَايَا فِي الدُّنْيَا الْوَلَدُ الصَّالِحُ. وَقَدْ قِيلَ:
مَنْ لَا وَدَّ لَهُ لِعَاقِبَةٍ لَهُ وَلَا ذِكْرٍ. وَأَنْتَ بِقِيَمِ عَدْلِكَ وَحُسْنِ ظَنِّكَ بِاللَّهِ
تَعَالَى أُعْطِيتَ هَذَا الْوَلَدَ السَّعِيدَ. فَجَاءَكَ هَذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكَ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ. بِحُسْنِ سَيْرَتِكَ وَجَمِيلِ صَبْرِكَ. وَصَارَ فِيكَ ذَلِكَ
مِثْلَ مَا صَارَ فِي الْعَنْكَبُوتِ وَالرَّيْحِ: فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ الْعَنْكَبُوتِ
وَالرَّيْحِ

(حكاية العنكبوت والريح)

قَالَ الْوَزِيرُ: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ. أَنَّ عَنْكَبُوتًا تَعَلَّقَتْ فِي بَابِ مُتَخِّعٍ عَالٍ.
وَعَمِلَتْ لَهَا بَيْتًا وَسَكَنْتَ فِيهِ بِأَمَانٍ وَكَانَتْ تَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي بَسَّرَهَا
هَذَا الْمَكَانَ وَأَمَّنَ خَوْفَهَا مِنَ الْهَوَامِّ. فَهَكَئِثَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنْ
الزَّمَانِ. وَهِيَ شَاكِرَةٌ لِلَّهِ عَلَى رَاحَتِهَا وَاتِّصَالِ رِزْقِهَا. فَأَمْتَحَبَهَا خَالَتُهَا.

بِأَنَّ أَخْرَجَهَا لِيَنْظُرَ شُكْرَهَا وَصَبْرَهَا. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رِيحًا عَاصِفَةً شَرْقِيَّةً.
فَحَمَلَتْهَا بَيْنَيْهَا وَرَمَتْهَا فِي الْبَحْرِ. فَجَرَّتْهَا الْأَمْوَاجُ إِلَى الْبَرِّ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
شَكَرَتْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَلَامَتِهَا. وَجَعَلَتْ تُعَابِ الرِّيحِ قَائِلَةً لَهَا: أَيُّهَا
الرِّيحُ لِمَ فَعَلْتِ بِي ذَلِكَ. وَمَا الَّذِي حَصَلَ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ فِي نَفْلِي مِنْ
مَكَانِي إِلَى هُنَا. وَقَدْ كُنْتُ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً فِي بَيْتِي بِأَعْلَى ذَلِكَ الْبَابِ. فَقَالَ
لَهَا الرِّيحُ: أَنْتِ بِي عَنِ الْعِتَابِ. فَإِنِّي سَارَّجِعُ بِكَ وَأُوصِلُكَ إِلَى مَكَانِكَ كَمَا
كُنْتِ أَوَّلًا: فَلَيْسَتْ الْعَنْكَبُوتُ صَابِرَةً عَلَى ذَلِكَ. رَاجِيَةً أَنْ تَرْجِعَ إِلَى
مَكَانِهَا حَتَّى دَهَبَتْ رِيحُ الشِّمَالِ وَلَمْ تَرْجِعْ بِهَا. وَهَبَتْ رِيحُ الْجَنُوبِ
فَهَرَّتْ بِهَا وَأَخْطَفَتْهَا. وَطَارَتْ بِهَا إِلَى جِهَةِ ذَلِكَ الْبَيْتِ. فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِ
عَرَفَتْهُ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَنْتَابَ الْمَلِكِ عَلَى وَحْدَتِهِ وَصَبْرِهِ وَرَزَقَهُ هَذَا
الْغُلَامَ بَعْدَ بَأْسِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ. وَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا حَتَّى رَزَقَهُ فُرْقَ
عَيْنٍ وَوَهَبَ لَهُ مَا وَهَبَ مِنَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ. فَحَرِّمِ رِعِيَّتَهُ وَأَوْلَادَهُ نِعْمَتَهُ
فَقَالَ الْمَلِكُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَوْقَ كُلِّ حَمْدٍ. وَالشُّكْرُ لَهُ فَوْقَ كُلِّ شُكْرٍ. لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي عَرَفْنَا بِنُورِ آثَارِهِ جَلَالَ عَظَمَتِهِ. يُؤْتِي
الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ مِنْ بَشَائِهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي بِلَادِهِ. لِأَنَّهُ يَتَخَبَّرُ مِنْهُمْ مَنْ بَشَاءُ
يَجْعَلُهُ خَلِيفَةً وَوَكِيلًا عَلَى خَلْفِهِ. وَيَأْمُرُ فِيهِمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ وَإِقَامَةِ
الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ وَالْعَمَلِ بِالتَّخَفُّفِ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي أُمُورِهِمْ عَلَى مَا أَحَبَّ
وَأَحْبَبُوا. فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ كَانَ لِحِظِّهِ مُصِيبًا وَأَمْرٌ رَبِّهِ مُطِيعًا.
فِيَكْفِيهِ هَوْلُ دُنْيَاهُ وَيُحْسِنُ جَزَاءَهُ فِي آخِرَاهُ. إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَخْطَأَ خَطَاةً بَلِيغًا وَعَصَى رَبَّهُ وَأَثَرَ ذُنُوبَهُ
 عَلَى آخِرَاهُ. فَلَيْسَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَأْتَرٌ وَلَا فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ. لِأَنَّ اللَّهَ لَا
 يُهَيِّلُ عَلَى أَهْلِ الْجُورِ وَالْفَسَادِ وَلَا يُهَيِّلُ أَحَدًا مِنَ الْعِبَادِ. وَقَدْ ذَكَرَ
 وَزَرَ أَوْلَادَنَا هُوَ لَا أَنْ مِنْ عَدْلِنَا بَيْنَهُمْ وَحُسْنِ تَصَرُّفِنَا مَعَهُمْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا
 وَعَلَيْهِمْ بِالتَّوْفِيقِ لِشُكْرِ الْمَسْتُوجِبِ لِمَزِيدِ نِعَامِهِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَالَ
 مَا أَلْهَمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ. وَبِالْغَوَا فِي الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِسَبَبِ
 نِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ. وَأَنَا أَشْكُرُ اللَّهَ. لِأَنِّي إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ وَقَلْبِي بِيَدِهِ وَلسَانِي
 تَائِعٌ لَهُ. رَاضٍ بِهَا حَكْمٌ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ صَارَ. وَقَدْ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمْ مَا خَطَرَ بِيَالِهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْغُلَامِ وَذَكَرُوا مَا كَانَ مِنْ مُجَدِّدِ النِّعْمَةِ
 عَلَيْنَا حِينَ بَلَغَتْ مِنَ السِّنِّ حَدًّا يَغْلِبُ مَعَهُ الْيَأْسُ وَضَعْفُ الْيَقِينِ. وَالْحَمْدُ
 لِلَّهِ الَّذِي تَجَانَنَا مِنَ الْحَرَمَانِ. وَاخْتِلَافُ الْحُكْمِ كَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.
 وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ إِنْعَامًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ وَعَلَيْنَا. فَتَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي رَزَقَنَا
 هَذَا الْغُلَامَ سَمِيمًا مُطِيعًا وَجَعَلَهُ وَارِثًا مِنَ الْإِحْلَافَةِ مَحَلًّا رَفِيعًا. نَسَأَلُهُ مِنْ
 كَرَمِهِ وَجَلِيلِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ سَعِيدَ الْحَرَكَاتِ مُوَفَّقًا لِلْخَيْرَاتِ حَتَّى يَصِيرَ مَلِكًا
 وَسُلْطَانًا عَلَى رَعِيَّتِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ. حَافِظًا لَهُمْ مِنْ هَلَكَاتِ الْإِعْسَافِ
 بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ

فَلَمَّا فَرَعَ الْمَلِكُ مِنْ كَلَامِهِ قَامَ الْحُكَمَاةُ وَالْعُلَمَاءُ وَسَجَدُوا لِلَّهِ وَشَكَرُوا
 الْمَلِكَ وَقَبَلُوا يَدَيْهِ وَأَنْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ دَخَلَ
 الْمَلِكُ بَيْتَهُ وَأَبْصَرَ الْغُلَامَ وَدَعَا لَهُ
 فَلَمَّا مَضَى لَهُ مِنَ الْعُمُرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً. أَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْعُلُومَ فَخَبَّرَ

لَهُ فَصَرَ فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ وَبَنَى فِيهِ ثَلَاثِينَ مَنصُورَةً. وَجَعَلَ الْغُلَامَ فِيهِ. وَرَتَّبَ لَهُ ثَلَاثَةَ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَغْفُلُوا عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا. وَأَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُ فِي كُلِّ مَنصُورَةٍ يَوْمًا وَيَجْرِصُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِلْمٌ إِلَّا وَيَعْلَمُونَهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَصِيرَ بِجَمِيعِ الْعُلُومِ عَارِفًا. وَيَكْتُبُوا عَلَى بَابِ كُلِّ مَنصُورَةٍ مَا يَعْلَمُونَهُ لَهُ فِيهَا مِنَ الْعُلُومِ. وَيَرْفَعُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَا عَرَفَهُ مِنْ أَصْنَافِهَا. ثُمَّ إِنَّ الْعُلَمَاءَ أَقْبَلُوا عَلَى الْغُلَامِ وَصَارُوا لَا يَفْتَرُونَ عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا وَلَا يُؤَخَّرُونَ عَنْهُ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ. فَظَهَرَ لِلْغُلَامِ مِنْ ذِكَاةِ الْعَقْلِ وَجُودَةِ الْفَهْمِ وَقَبُولِ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَظْهَرَ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ. وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ لِلْمَلِكِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مِقْدَارَ مَا تَعَلَّمَهُ وَكَذَلِكَ وَآتَقَنَهُ. فَكَانَ الْمَلِكُ يَسْتَظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا حَسَنًا وَأَدَبًا حَمِيلًا. وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا مَارَأَيْنَا قَطُّ مَنْ أُعْطِيَ فَهْمًا مِثْلَ هَذَا الْغُلَامِ. فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ وَمَتَّعَكَ بِحَيَاتِهِ

فَلَمَّا أتمَّ الْغُلَامُ مَدَّةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَفِظَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ. وَفَاقَ جَمِيعَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ الَّذِينَ فِي زَمَانِهِ. فَأَتَى بِهِ الْعُلَمَاءُ إِلَى الْمَلِكِ وَاللَّيْلِ. وَقَالُوا لَهُ: أَفَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. بِهِذَا الْوَلَدِ السَّعِيدِ. وَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْوَقْتِ وَحُكَمَائِهِ بَلَغَ مَا بَلَغَهُ: فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَزَادَ فِي شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَرَّ سَاجِدًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى. ثُمَّ دَعَا بِشَهَاسِ الْوَزِيرِ وَقَالَ لَهُ: أَعَلِمَ يَا شَهَاسُ. أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدَ اتُّوْنِي وَأَخْبَرُونِي أَنَّ ابْنِي هَذَا قَدْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْعُلُومِ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَهُ لَهُ حَتَّى فَاقَ مَنْ تَقَدَّمَ

فِي ذَلِكَ. فَأَنْقُولُ يَا شَهَّاسُ: فَسَجَدَ عِنْدَ ذَلِكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَبَّلَ يَدَ
 الْمَلِكِ وَقَالَ: أَبَتِ الْبِافُوتَةُ وَلَوْ كَانَتْ فِي الْجَبَلِ الْأَصَمِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُضِيئَةً
 كَالسِّرَاجِ. وَأَبْنُكَ هَذَا جَوْهَرَةٌ. فَأَتَمَّنَعُهُ حَدَائِثَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا.
 وَأُحْمَدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ. وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي غَدٍ أَسْأَلُهُ وَأَسْتَنْطِقُهُ بِهَا
 عِنْدَكَ فِي مَجْمَعِ أَجْمَعِهِ لَهُ مِنْ خَوَاصِّ الْعُلَمَاءِ وَالْأَمْرَاءِ: فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَ
 شَهَّاسٍ أَمَرَ جَهَابِيذَةَ الْعُلَمَاءِ وَأَذْكِيَاءَةَ الْفَضَلَاءِ وَمَهْرَةَ الْحُكَمَاءِ أَنْ يَحْضُرُوا
 إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ فِي غَدٍ. فَحَضَرُوا جَمِيعًا. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ الْمَلِكِ أَذِنَ لَهُمْ
 بِالْدُخُولِ ثُمَّ حَضَرَ شَهَّاسُ الْوَزِيرُ. وَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ امْتِحَانُ ابْنِ الْمَلِكِ
 (وَهَا نَحْنُ نُورِدُ بَعْضَ أَسْئَلَةٍ وَأَجْوِبَةٍ امْتِحَنَ بِهَا فَاجَابَ عَلَيْهَا أَحْسَنَ
 جَوَابٍ) قَالَ شَهَّاسُ لِلْغُلَامِ: أَخْبِرْنِي هَلْ تَسْتَفِيمُ آخِرَةَ يَغْيِرُ دُنْيَا
 قَالَ الْغُلَامُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دُنْيَا فَلَا آخِرَةَ لَهُ. وَلَكِنْ رَأَيْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا
 وَالْعَادَةَ الَّتِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهَا كَيْفَ أَهْلِ تِلْكَ الضُّبَاعِ الَّذِينَ ابْتَنَى لَهُمْ
 أَمِيرٌ بَيْتًا ضَيْقًا وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ. وَأَمَرَهُمْ بِعَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ وَضَرَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمْ أَجَلًا وَوَكَّلَ بِهِ شَخْصًا. فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ مَا أَمَرَ بِهِ أَخْرَجَهُ الشَّخْصُ
 الْمُوَكَّلُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الضَّيْقِ. وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ مَا أَمَرَ بِهِ. وَقَدِ انْقَضَى الْأَجَلُ
 الْمَضْرُوبُ لَهُ عَوْقِبَ. فَيَبْقَى هُمْ كَذَلِكَ. إِذْ رَسَخَ لَهُمْ مِنْ شُقُوقِ الْبَيْتِ
 عَسَلٌ. فَلَمَّا أَكَلُوا مِنَ الْعَسَلِ وَذَاقُوا طَعْمَهُ وَحَلَاوَتَهُ. تَوَانَوْا فِي الْعَمَلِ
 الَّذِي أَمَرُوا بِهِ وَبَدَّوهُ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ. وَصَبَرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّيْقِ
 وَالْغَمِّ مَعَ مَا عَلِمُوا مِنْ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهَا. وَفِيَعُوا بِتِلْكَ
 اتِّحْلَافِ الْبَسِيرَةِ. وَصَارَ الْمُوَكَّلُ لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنْهُمْ. إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ. إِلَّا

وَيُخْرِجُهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ . فَعَرَفْنَا أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ تَتَّخِرُ فِيهَا الْأَبْصَارُ
وَضُرِبَ لِأَهْلِهَا فِيهَا الْأَجَالُ . فَمَنْ وَجَدَ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي تَكُونُ فِي
الدُّنْيَا وَأَشْغَلَ نَفْسَهُ بِهَا كَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ . حَيْثُ أَثَرَ أَمْرُ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ .
وَمَنْ يُؤَيِّرُ أَمْرَ آخِرَتِهِ عَلَى دُنْيَاهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تِلْكَ الْحَلَاوَةِ الْقَلِيلَةِ كَانَ
مِنَ الْفَائِزِينَ

قَالَ شِمَاسٌ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَقِيلَتْ
ذَلِكَ مِنْكَ . وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُمَا مُسَلَّطِينَ عَلَى الْإِنْسَانِ فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ إِرْضَائِهِمَا
مَعًا . وَهُمَا مُتَخَلِّفَانِ . فَإِنِ أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَى طَلَبِ الْمَعِيشَةِ . فَذَلِكَ إِضْرَامٌ
يُرْوِجُهُ فِي الْمَعَادِ . وَإِنِ أَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . كَانَ ذَلِكَ إِضْرَارًا يَحْسِدُ . وَلَيْسَ
لَهُ سَبِيلٌ إِلَى إِرْضَائِ الْمُتَخَلِّفِينَ مَعًا

قَالَ الْغَلَامُ : إِنَّهُ مَنْ حَصَلَ الْمَعِيشَةَ فِي الدُّنْيَا نُفُوِيَهِ عَلَى الْآخِرَةِ . فَإِنِّي
رَأَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِثْلَ مَلِكَيْنِ . عَادِلٍ وَجَائِرٍ . وَكَانَتْ أَرْضُ
الْمَلِكِ الْجَائِرِ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَنَبَاتٍ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ لَا يَدْعُ أَحَدًا
مِنَ التُّجَّارِ إِلَّا أَخَذَ مَالَهُ وَتِجَارَتَهُ . وَهُمْ صَابِرُونَ عَلَى ذَلِكَ . لِمَا يُصِيبُونَ
مِنْ خِصْبِ تِلْكَ الْأَرْضِ فِي الْمَعِيشَةِ . وَأَمَّا الْمَلِكُ الْعَادِلُ . فَإِنَّهُ بَعَثَ
رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ . وَأَعْطَاهُ مَالًا وَفِرًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ
الْمَلِكِ الْجَائِرِ . لِيَتَتَاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا . فَأَنْطَلَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِالْمَالِ . حَتَّى
دَخَلَ تِلْكَ الْأَرْضَ . فَبَقِيَ لِلْمَلِكِ : إِنَّهُ جَاءَ إِلَى أَرْضِكَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَمَعَهُ
مَالٌ كَثِيرٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَتَاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ :
مَنْ أَنْتَ . وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ . وَمَنْ جَاءَ بِكَ إِلَى أَرْضِي . وَمَا حَاجَتُكَ : فَقَالَ

لَهُ: إِنِّي مِنْ أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا. وَإِنَّ مَلِكَ نِلكَ الْأَرْضِ أَعْطَانِي مَا لَأَ
 وَأَمَرَنِي أَنْ أَتَّبَعَ لَهُ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ. فَأَمْتَلْتُ أَمْرَهُ وَحِثُّ:
 فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وَيْحَكَ. أَمَا عَلِمْتَ صُنْعِي بِأَهْلِ أَرْضِي مِنْ أَنِّي أَخَذُ مَا لَهُمْ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ. فَكَيْفَ تَأْتِينِي بِمَالِكَ. وَهَذَا أَنْتَ مُقِيمٌ بِأَرْضِي مُنْذُ كَذَا
 وَكَذَا: فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ: إِنَّ الْمَالَ لَيْسَ لِي مِنْهُ شَيْءٌ. وَإِنَّمَا هُوَ أَمَانَةٌ تَحْتَ
 يَدِي حَتَّى أُوصِلَهُ لِصَاحِبِهِ: فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَسْتُ بِتَارِكِكَ تَأْخُذُ مَعِشَتَكَ
 مِنْ أَرْضِي حَتَّى تَقْدِي نَفْسَكَ بِهَذَا الْمَالِ جَمِيعِهِ: فَقَالَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ:
 قَدْ وَقَعْتُ بَيْنَ مَلِكَيْنِ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ جُورَ هَذَا الْمَلِكِ عَامٌ عَلَى مَنْ أَقَامَ
 بِأَرْضِهِ. فَإِنْ لَمْ أَرْضِهِ كَانَ هَلَاكِي وَذَهَابُ الْمَالِ لِأَبَدٍ مِنْهَا وَلَمْ أُصِبْ
 حَاجَتِي. وَإِنْ أَعْطَيْتُهُ جَمِيعَ الْمَالِ كَانَ هَلَاكِي عِنْدَ الْمَلِكِ صَاحِبِ الْمَالِ
 لِأَبَدٍ مِنْهُ وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ سِوَى أَنِّي أُعْطِيَهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ جُزْءًا سِيرًا
 وَأَرْضِيهِ بِهِ وَأَدْفَعُ عَن نَفْسِي وَعَن هَذَا الْمَالِ أَهْلَكَ. وَأُصِيبُ مِنْ خِصْبِ
 هَذِهِ الْأَرْضِ قُوَّةَ نَفْسِي حَتَّى أَتَّبَعَ مَا أُرِيدُ مِنَ الْجَوَاهِرِ. وَأَكُونُ قَدْ
 أَرْضَيْتُهُ بِمَا أَعْطَيْتُهُ وَأَخَذُ نِصْبِي مِنْ أَرْضِهِ هُنَا. وَأَتَّوَجَّهُ إِلَى صَاحِبِ
 الْمَالِ بِحَاجَتِهِ. فَإِنِّي أَرْجُو مِنْ عَدْلِهِ وَتَجَاوُزِهِ مَا لَا أَخَافُ مَعَهُ عَفْوَةً فِيهَا
 أَخَذَ هَذَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَالِ. خُصُوصًا إِذَا كَانَ سِيرًا: ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ دَعَا
 لِلْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَا أَقْدِي نَفْسِي بِجُزْءٍ صَغِيرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ
 مُنْذُ دَخَلْتُ أَرْضَكَ حَتَّى أَخْرَجَ مِنْهَا: فَقَبِلَ الْمَلِكُ مِنْهُ ذَلِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ
 سَنَةً. فَاشْتَرَى الرَّجُلُ بِمَالِهِ جَمِيعَهُ جَوَاهِرَ. وَأَنْطَلَقَ إِلَى صَاحِبِهِ
 فَأَلَمَّكَ الْعَادِلُ مِثَالًا لِلْآخِرِ. وَالْجَوَاهِرُ الَّتِي بِأَرْضِ الْمَلِكِ الْأَجَائِرِ

مِثَالُ الْحَسَنَاتِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَالرَّجُلُ صَاحِبُ الْمَالِ . مِثَالُ مَنْ طَلَبَ
الدُّنْيَا . وَالْمَالُ الَّذِي مَعَهُ . مِثَالُ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِ . فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ عَلِمْتُ
أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَطْلُبُ الْمَعِيشَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا يُجْلِيَ يَوْمًا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ .
فَيَكُونُ قَدْ أَرْضَى الدُّنْيَا بِمَا نَالَهُ مِنْ خِصْبِ الْأَرْضِ . وَأَرْضَى الْآخِرَةَ بِهَا
بِصَرْفِ مِنْ حَيَاتِهِ فِي طَلَبِهَا

قَالَ شَمَّاسٌ : فَأَخْبِرْنِي هَلِ الْجَسَدُ وَالرُّوحُ سَوَاءٌ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ .
أَوْ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِالْعِقَابِ صَاحِبُ الشَّهَوَاتِ وَفَاعِلُ الْمُخْطِيَّاتِ
قَالَ الْغَلَامُ : قَدْ يَكُونُ الْمَبْلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالْمُخْطِيَّاتِ مُوجِبًا لِلثَّوَابِ
بِحَبْسِ النَّفْسِ عَنْهَا وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا . وَالْأَمْرُ يَدُ مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَبِضِدِّهَا
تَمَيُّزُ الْأَشْيَاءِ . عَلَى أَنَّ الْمَعَاشَ لَا بَدَّ مِنْهُ لِلْجَسَدِ . وَلَا جَسَدَ إِلَّا بِالرُّوحِ .
وَطَهَارَةُ الرُّوحِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالِاتِّفَاتِ إِلَى مَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ .
فَهِيَ فَرَسٌ رِيحَانٌ وَرَضِيْعَةٌ لَبَانٌ . وَمُشْتَرِكَانِ فِي الْأَعْمَالِ . وَبِاعْتِبَارِ النِّيَّةِ
تَفْصِيلُ الْأَجْمَالِ . وَكَذَلِكَ الْجَسَدُ وَالرُّوحُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْأَعْمَالِ . وَفِي
الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ . وَذَلِكَ مِثْلُ الْأَعْمَى وَالْمُقْعَدِ . الَّذِي أَخَذَهَا رَجُلٌ
صَاحِبُ بُسْتَانٍ وَأَدْخَلَهَا بُسْتَانَهُ وَأَمَرَهَا أَنْ لَا يَفْسُدَ فِيهِ وَلَا يَصْنَعَنَّ فِيهِ
أَمْرًا يَضُرُّ بِهِ . فَلَمَّا طَابَتْ أَثْمَارُ البُسْتَانِ . قَالَ الْمُقْعَدُ لِلْأَعْمَى : وَيْحَكَ
إِنِّي أَرَى أَثْمَارًا طَيِّبَةً وَقَدْ أَشْبَهْتُنِيهَا وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْفِيَامِ إِلَيْهَا لِأَكُلَ
مِنْهَا . فَقُمِ أَنْتَ لِأَنَّكَ صَحِيحُ الرَّجْلَيْنِ . وَأَتَيْنَا مِنْهَا بِمَا نَأْكُلُ : فَقَالَ الْأَعْمَى :
وَيْحَكَ . قَدْ ذَكَرْتَنِي لِي وَقَدْ كُنْتُ عَنْهَا غَافِلًا . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ .
لِأَنِّي لَسْتُ أَبْصَرُهَا . فَمَا الْحِجَلَةُ فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ : فَيَتَيْنَا هُمَا كَذَلِكَ . إِذْ

أَتَاهُمَا النَّاطِرُ عَلَى الْبُسْتَانِ. وَكَانَ رَجُلًا عَالِمًا. فَقَالَ لَهُ الْمُنْعَدُ: وَنَحْكَ
يَا نَاطِرُ. إِنَّا قَدْ أَشْتَهَيْنَا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْغَارِ. وَنَحْنُ كَمَا تَرَى أَنَا مُنْعَدُ
وَصَاحِبِي هَذَا أَعْمَى لَا يُبْصِرُ شَيْئًا. فَأَجِئْتِنَا

فَقَالَ لَهُمَا النَّاطِرُ: وَنَحْكُمْ أَلَسْنَا نَعْلَمَانِ مَا قَدْ عَاهَدْتُكَمَا عَلَيْهِ صَاحِبُ
الْبُسْتَانِ. مِنْ أَنَّكُمَا لَا تَتَعَرَّضَانِ لِشَيْءٍ مِمَّا يُؤْتِرُ فِيهِ الْفَسَادَ. فَأَنْتَهُمَا وَلَا تَفْعَلَا:
فَقَالَ لَهُ: لَا بَدَلْنَا مِنْ أَنْ نُصِيبَ مِنْ هَذِهِ الْغَارِ مَا نَأْكُلُهُ. فَأَخْبَرْنَا بِمَا عِنْدَكَ
مِنَ الْحِمْلَةِ: فَلَمَّا لَمْ يَنْتَهَبَا عَنْ رَأْيِهِمَا. قَالَ لَهُمَا: الْحِمْلَةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقُومَ
الْأَعْمَى وَبِحِمْلِكَ أَهْبَا الْمُنْعَدُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَيُذْنِبُكَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تُعْجِبُكَ
أَثْمَارُهَا. حَتَّى إِذَا أَدْنَاكَ مِنْهَا. نَجْحِي أَنْتَ مَا أَصَبْتَ مِنَ الْغَارِ: فَقَامَ الْأَعْمَى
وَحَمَلَ الْمُنْعَدَ. وَجَعَلَ الْمُنْعَدُ يَهْدِيهِ إِلَى السَّبِيلِ حَتَّى أَدْنَاهُ إِلَى شَجَرَةٍ.
فَصَارَ الْمُنْعَدُ يَأْخُذُ مِنْهَا مَا أَحَبَّ. وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ كَأَهْبَا حَتَّى أَفْسَدَا مَا فِي
الْبُسْتَانِ مِنَ الشَّجَرِ. وَإِذَا بِصَاحِبِ الْبُسْتَانِ قَدْ جَاءَ وَقَالَ لَهُمَا: وَنَحْكُمْ مَا
هَذِهِ الْفِعَالُ. أَلَمْ أَعَاهِدْكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُفْسِدَا فِي هَذَا الْبُسْتَانِ: فَقَالَ لَهُ: قَدْ
عَلِمْتَ أَنَّكُمَا لَمْ تَقْدِرَا أَنْ تَصِلَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ. لِأَنَّ أَحَدَنَا مُنْعَدٌ لَا يَقُومُ
وَالْآخَرَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ. فَأَذْنَبْنَا

فَقَالَ لَهُمَا صَاحِبُ الْبُسْتَانِ: لَعَلَّكُمْ تَظُنَّانِ أَنِّي لَسْتُ أُخْرِجُ كَيْفَ صَنَعْتُمَا
وَكَيفَ أَفْسَدْتُمَا فِي بُسْتَانِي. كَأَنِّي بِكَ أَهْبَا الْأَعْمَى قَدْ قَهَمْتَ وَحَمَلْتَ الْمُنْعَدَ
عَلَى ظَهْرِكَ. وَصَارَ يَهْدِيكَ السَّبِيلَ حَتَّى أَوْصَلْتَهُ إِلَى الشَّجَرِ: ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَهَا
وَعَاقَبَهَا عِقُوبَةً شَدِيدَةً وَأَخْرَجَهُمَا مِنَ الْبُسْتَانِ
فَالْأَعْمَى مِثَالٌ لِلْجَسَدِ. لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِالنَّفْسِ. وَالْمُنْعَدُ مِثَالٌ

لِلنَّفْسِ الَّتِي لَا حَرَكَةَ لَهَا إِلَّا بِالْجَسَدِ . وَأَمَّا الْبُسْتَانُ فَإِنَّهُ مِثَالُ لِلْعَمَلِ
الَّذِي يُجَازَى بِهِ الْعَبْدُ . وَالنَّاظِرُ مِثَالُ لِلْعَقْلِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَى
عَنِ الشَّرِّ . فَالرُّوحُ وَالْجَسَدُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْعِقَابِ وَالنُّوَابِ
قَالَ شَمَّاسٌ : صَدَقْتَ وَقَدْ قِيلَتْ مِنْكَ ذَلِكَ . فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْعَالِمِ
الْعَلِيمِ . ذِي الرَّأْيِ السَّيِّدِ . وَالْفِطْنَةِ الْوَقَادَةِ . وَالذُّهْنِ الْفَائِقِ الرَّائِقِ .
هَلْ يُغَيِّرُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةَ عَنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ الَّتِي ذَكَرْتَ
قَالَ الْغَلَامُ : إِنَّ هَاتَيْنِ الْمُحْصَلَتَيْنِ إِذَا دَخَلْنَا عَلَى الرَّجُلِ غَيْرَنَا
عِلْمَهُ وَفَهْمَهُ . وَرَأْيَهُ وَذَمُّهُ . وَكَانَ مِثْلَهُ مِثْلَ الْعُقَابِ الْكَاسِرِ الْمَحَازِرِ
عَنِ الْقَنْصِ الْمُهَيِّمِ فِي جَوْ السَّمَاءِ لِفَرْطِ جِدْفِهِ . فَيَسْبِقُنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا
نَظَرَ رَجُلًا صَيَادًا قَدْ نَصَبَ شَرْكَهُ . فَلَمَّا فَرَعَ الرَّجُلُ مِنْ نَصَبِ الشَّرِكِ
وَضَعَفَ فِيهِ قِطْعَةَ لَحْمٍ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَبْصَرَ الْعُقَابُ قِطْعَةَ اللَّحْمِ . فَغَلَبَ عَلَيْهِ
الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ حَتَّى نَسِيَ مَا شَاهَدَ مِنَ الشَّرِكِ وَمِنْ سُوءِ الْحَالِ لِكُلِّ مَا
وَقَعَ مِنَ الطَّائِرِ . فَانْقَضَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ . حَتَّى وَقَعَ عَلَى قِطْعَةِ اللَّحْمِ .
فَأَشْتَبَكَ فِي الشَّرِكِ . فَلَمَّا جَاءَ الصَّيَادُ رَأَى الْعُقَابَ فِي شَرْكِهِ . فَتَعَجَّبَ
عَجْبًا شَدِيدًا . وَقَالَ : أَنَا نَصَبْتُ شَرْكِي لِيَقَعَ فِيهِ حَامٌ أَوْ نَحْوُهُ مِنْ
الطُّيُورِ الضَّعِيفَةِ . فَكَيْفَ وَقَعَ فِيهِ هَذَا الْعُقَابُ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرَّجُلَ الْعَاقِلَ إِذَا حَمَلَهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ يَتَدَبَّرُ
عَاقِبَةَ ذَلِكَ الْأَمْرِ بِعَقْلِهِ . فَيَسْتَنْعِجُ مَا حَسَنَاهُ . وَيَقْهَرُ بِعَقْلِهِ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ .
فَإِذَا حَمَلَهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ . يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ الْعَقْلَ مِثْلَ الْفَارِسِ
الْمَاهِرِ فِي فُرُوسِيَّتِهِ . إِذَا رَكِبَ الْفَرَسَ الْأَرْعَنَ فَإِنَّهُ يُجَذِّبُهُ بِاللِّجَامِ الشَّدِيدِ

حَتَّى يَسْتَقِيمَ . وَيَهْضِبَ مَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ . وَأَمَّا مَنْ كَانَ سَفِيهَا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رَأْيَ عِنْدَهُ . وَالْأُمُورُ مُشْتَبِهَةٌ عَلَيْهِ . وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةُ مُسْلِطَانِ عَلَيْهِ . فَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِشَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ . فَيَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ . وَلَا يَكُونُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْهُ

فَبَعْدَ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَحُسْنِ إِصَابَةٍ فِي الْإِجَابَةِ . قَالَ شَهَّاسٌ لِلْمَلِكِ جُلَيْعَادَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنْتَ مَلِكُنَا . وَلَكِنْ نُحِبُّ أَنْ تَعْهَدَ لَوْلَدِكَ بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِكَ . وَنَحْنُ الْحَوْلُ وَالرَّعِيَّةُ : فَعِنْدَ ذَلِكَ حَثَّ الْمَلِكُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالنَّاسِ عَلَى أَنْ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ يَحْفَظُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ . وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَمَثِلُوا أُمَّرَ ابْنِهِ فَإِنَّهُ جَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ . لِيَكُونَ خَلِيفَةً عَلَى مَلِكِ وَالِدِهِ . وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْبَانِ وَالشُّبُوحِ وَالصِّبْيَانِ وَبَقِيَّةِ النَّاسِ . أَنْ لَا يَتَخَالَفُوا عَلَيْهِ وَلَا يَنْكُثُوا عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَلَمَّا آتَى عَلَى ابْنِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً . مَرِضَ الْمَلِكُ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ . فَلَمَّا آتَى الْمَلِكُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ . قَالَ لِأَهْلِهِ : هَذَا دَأْبُ الْمَوْتِ قَدْ نَزَلَ لِي . فَادْعُوا لِي أَقَارِبِي وَوَلَدِي وَاجْمَعُوا لِي أَهْلَ مَمْلَكَتِي . حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَبِحَضْرِي : فَخَرَجُوا وَنَادَوْا النَّاسَ الْقَرِيبِينَ . وَاجْهَرُوا بِالنِّدَاءِ لِلنَّاسِ الْبَعِيدِينَ . حَتَّى حَضَرُوا بِاجْمَعِهِمْ وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ . أَيُّهَا الْمَلِكُ . وَكَيْفَ تَرَى لِنَفْسِكَ مِنْ مَرَضِكَ هَذَا : قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : إِنْ مَرَضِي هَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِ الْقَاضِيَةُ وَقَدْ نَفَذَ السَّهْمُ بِهَا قَدْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ . وَأَنَا الْآنَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ : ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ : اخذْ مِنْ مَنِي فِدَانًا مِنْهُ الْغُلَامُ . وَهُوَ يَبْكُ بَكَاءً

شَدِيدًا . حَتَّى كَادَ أَنْ يُبَلَ فِرَاشَهُ . وَالْمَلِكُ قَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى كُلُّ مَنْ
 حَضَرَ . ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لَوَالِيهِ : لَا تَبِكُ يَا ابْنِي . فَإِنِّي لَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ جَرَى
 لَهُ هَذَا الْخُتُومُ لِأَنَّهُ سَاطِرٌ عَلَى جَمِيعِ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ . وَأَعْمَلُ خَيْرًا يَسْبُقُكَ إِلَى
 الْمَوْضِعِ الَّذِي تَقْصِدُهُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ . وَلَا تُطْعِمْ أَلْهَوَى وَأَشْغَلْ نَفْسَكَ
 بِذِكْرِ اللَّهِ فِي فَيَامِكَ وَتُعُودِكَ وَيَقْظَنِكَ وَنَوْمِكَ . وَأَجْعَلِ الْحَقَّ نُسْبَ
 عَيْنِكَ . وَهَذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ وَالسَّلَامُ

فَقَالَ الْغُلَامُ لِأَبِيهِ : قَدْ عَلِمْتَ يَا أَبَتِ . أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ مُطِيعًا . وَلَوْ صَبَّحْتَ
 حَافِظًا . وَلَا مَرِكَ مُنْفِدًا . وَلِرِضَاكَ طَالِبًا . وَأَنْتَ لِي نِعَمَ الْأَبِّ . فَكَيْفَ
 أَخْرَجْتُ بَعْدَ مَوْتِكَ عَمَّا تَرْضَى بِهِ . وَأَنْتَ بَعْدَ حُسْنِ تَرْبِيَّتِي مُفَارِقٌ لِي وَلَا
 أَقْدِيرُ عَلَى رَدِّكَ عَلَيَّ . فَإِذَا حَفِظْتُ وَصِيَّتَكَ صِرْتُ بِهَا سَعِيدًا وَصَارَ لِي
 النَّصِيبُ الْأَكْبَرُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْإِسْتِغْرَاقِ مِنْ سَكَرَاتِ
 الْمَوْتِ : يَا ابْنِي . الزَّمْ عَشْرَ خِصَالٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَهُنَّ :
 إِذَا انْغَضَتْ فَأَكْظِمَ غَبْظَكَ . وَإِذَا بَلَيْتَ فَأَصْبِرْ . وَإِذَا نَطَقْتَ فَأَصْدُقْ .
 وَإِذَا وَعَدْتَ فَأَوْفِ . وَإِذَا حَكَمْتَ فَأَعْدِلْ . وَإِذَا قَدَّرْتَ فَأَعْفُ . وَأَكْرِمْ
 قَوْلَكَ . وَأَصْفَحْ عَنِ أَعْدَائِكَ . وَأَبْذِلْ مَعْرُوفَكَ لِعَدُوِّكَ . وَكُفَّ أَدَاكَ
 لَهُ . وَالزَّمْ أَيْضًا عَشْرَ خِصَالٍ أُخْرَى يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي أَهْلِ مَهْلَكِكَ
 وَهِيَ : إِذَا قَسَمْتَ فَأَعْدِلْ . وَإِذَا عَاقَبْتَ بِحَقٍّ فَلَا تَجَبَّرْ . وَإِذَا عَاهَدْتَ
 فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ . وَأَقْبَلِ التُّضْحُ . وَأَنْزِكِ الْجَاجَةَ . وَالزَّمِ الرَّعِيَةَ بِالْإِسْتِقَامَةِ
 عَلَى الشَّرَائِعِ وَالسَّنَنِ الْحَمِيدَةِ . وَكُنْ حَاكِمًا عَادِلًا بَيْنَ النَّاسِ . حَتَّى يُحِبُّكَ
 كِبَرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ وَيَخَافَكَ عَابَتُهُمْ وَمُفْسِدُهُمْ : ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ مِنْ

الْعُلَمَاءَ وَالْأَمْرَاءَ الَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عَهْدَهُ لَوْلَاكَ بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ:
 أَيَاكُمْ وَمُخَالَفَةَ أَمْرِ مَلِكِكُمْ. وَتَرَكَ الْإِسْتِمَاعَ لِكَبِيرِكُمْ. فَإِنَّ فِي ذَلِكَ هَلَاكًا
 لِأَرْضِكُمْ. وَتَفْرِيفًا لِحَبِيبِكُمْ. وَضَرَرًا لِأَبْدَانِكُمْ وَتَلَفًا لِأَمْوَالِكُمْ فَتَشَبَّهَتْ بِكُمْ
 أَعْدَاؤُكُمْ. وَهَذَا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ مَا عَاهَدْتُمْ بِي عَلَيَّ. فَهَكَذَا يَكُونُ عَهْدُكُمْ مَعَ
 هَذَا الْغُلَامِ وَالْبِشَاقِ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَكُونُ أَيْضًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ. وَعَلَيْكُمْ
 بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرِي. لِأَنَّ فِي ذَلِكَ صَلَاحَ أَمْوَالِكُمْ. وَاتِّبَاعًا مَعَهُ عَلَى مَا
 كُنْتُمْ مَعِيَ فَتَسْتَفِيمُ أُمُورَكُمْ وَتُحْسِنُ حَالَكُمْ وَهَذَا هُوَ ذَا مَلِكِكُمْ وَوَلِيُّ نِعْمَتِكُمْ
 وَالسَّلَامَةِ: ثُمَّ بَعْدَ هَذَا أَشْتَدَّتْ بِهِ سَكْرَاتُ الْمَوْتِ وَالْحُجْمُ لِلسَّانَةِ. فَضَمَّ ابْنَهُ
 إِلَيْهِ وَقَبَلَهُ وَشَكَرَ اللَّهُ ثُمَّ قَضَى نَجْبَهُ. وَطَلَعَتْ رُوحُهُ. فَجَاحَ عَلَيْهِ جَمِيعُ رَعِيَّتِهِ
 وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ كَفَنُوهُ وَدَفَنُوهُ بِأَكْرَامٍ. وَتَسْبِيحًا وَأَعْظَامًا. ثُمَّ
 رَجَعُوا وَالْغُلَامُ مَعَهُمْ. فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةَ الْمَلِكِ. وَتَوَجَّهَ بِتَاجِ وَالِدِهِ وَالْبَسُوهُ
 الْحَنَاطِمَ فِي أَصْبُعِهِ وَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ. فَسَارَ الْغُلَامُ فِيهِمْ بِسِيرَةِ أَبِيهِ
 بِالْحِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَدَّةَ بَسِيرَةٍ. ثُمَّ تَعَرَّضَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَجَدَّتْهُ
 بِشَهْوَاتِهَا. فَاسْتَعْتَمَ لَذَائِهَا وَأَقْبَلَ عَلَى زَخَافِ أُمُورِهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ قَلْدًا
 أَبُوهُ مِنَ الْمَوَاتِيقِ. وَنَبَذَ الطَّاعَةَ لِوَالِدِهِ وَأَهْمَلَ مَمْلَكَتَهُ. وَمَشَى فِي مَا فِيهِ
 هَلَاكُهُ مَدَّةَ مِنَ الزَّمَانِ. إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ عَسْفِهِ عَادَ إِلَى حُسْنِ السَّيْرِ وَالسِّيَاسَةِ
 وَهَذَا مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ الْمَلِكِ جَلْبَعَادَ وَوَالِدِهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا يَنْتَهِي

حِكَايَةُ الطَّائُوسِ وَالْوُحُوشِ

مَعَ ابْنِ آدَمَ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ طَائُوسٌ
يَأْوِي إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ مَعَ زَوْجَتِهِ. وَكَانَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ كَثِيرَ السِّبَاعِ وَفِيهِ
مِنْ سَائِرِ الْوُحُوشِ. غَيْرَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ. وَذَلِكَ الطَّائُوسُ
هُوَ وَزَوْجَتُهُ يَأْوِيَانِ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْجَارِ لَيْلًا مِنْ خَوْفِهَا مِنْ
الْوُحُوشِ. وَيَبْغُدُونَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ نَهَارًا. وَلَمْ يَزَالَا كَذَلِكَ حَتَّى كَثُرَ
خَوْفُهُمَا. فَسَارَا يَبْغِيَانِ مَوْضِعًا غَيْرَ مَوْضِعِهَا يَأْوِيَانِ إِلَيْهِ. فَبَيَّنَّهَا
يُفْتِشَانِ عَلَى مَوْضِعٍ إِذْ ظَهَرَتْ لهُمَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ. فَتَزَالَا
فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَالْكَلامِ مِنْ أَنْهَارِهَا. وَشَرِبَا مِنْ أَنْهَارِهَا. فَبَيَّنَّهَا كَذَلِكَ
إِذَا بَيَّطُوا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا. وَهِيَ فِي شِدَّةِ الْفَزَعِ. وَلَمْ تَزَلْ تَسْعَى حَتَّى آتَتْ إِلَى
الشَّجَرِ الَّتِي عَلَيْهَا الطَّائُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ. فَاطْمَأْنَنْتَ. فَلَمْ يَشْكُ الطَّائُوسُ
فِي أَنَّ تِلْكَ الْبَطَّةَ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ. فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَعَنْ سَبَبِ خَوْفِهَا.
فَقَالَتْ: إِنِّي مَرِيضَةٌ مِنَ الْحُزْنِ وَخَوْفِي مِنْ ابْنِ آدَمَ. فَحَدَارِ حَدَارِ
مِنْ بَنِي آدَمَ: فَقَالَ لَهَا الطَّائُوسُ: لَا تَخَافِي حَيْثُ وَصَلْتَ إِلَيْنَا: فَقَالَتْ
الْبَطَّةُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَرَّجَ هَمِّي وَغَمِّي بِقُرْبِكَ. وَقَدْ آتَيْتُ رَاغِبَةً فِي
مَوْدَتِكَ: فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ كَلَامِهَا. نَزَلَتْ إِلَيْهَا زَوْجَةُ الطَّائُوسِ وَقَالَتْ
لَهَا: أَهْلًا وَسَهْلًا. لَا بَأْسَ عَلَيْكَ. وَمِنْ ابْنِ آدَمَ يَصِلُ إِلَيْنَا ابْنُ آدَمَ وَنَحْنُ فِي
تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْبَحْرِ. فَمَنْ الْبَرُّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا. وَمَنْ
الْبَحْرُ لَا يُهَيِّئُ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْنَا. فَأَبْشِرِي وَحَدِّثِينَا بِالَّذِي نَزَلَ بِكَ وَأَعْتَرَاكَ

من ابن آدم: فقالت البطة: اعلمي ايها الطاووسه. انني في هذه الجزير
طول عهري امينه لا اري مكرها. فتمت ليلة من الليالي. فرأيت صورة
ابن آدم وهو يخاطبني واخاطبه. وسمعت قائلا يقول لي: ايها البطة.
احذري من ابن آدم. ولا تغترى بكلامه. ولا يها يدخله عليك. فانه
كثير الجبل والخذاع. فاحذرك كل الحذر من مكره فانه مخادع مكر.
كما قال فيه الشاعر

بعطبك من طرف اللسان حلاوة وبروغ منك كما يروغ الثعلب
واعلمي ان ابن آدم بخال على الحيطان. فيخرجها من البحار. ويرمي
الطير ببنذقة من طين. ويوقع الفيل بمكره. وابن آدم لا يسلم احد
من شره. ولا ينجو طير ولا وحش. وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم.
فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة. وانا الى الان لا ينشرح صدري
خوفا على نفسي من ابن آدم. لئلا يدهمني بحيلته ويصيدني بحبائله. ولم
يات علي آخر النهار الا وقد ضعفت قوتي. وبطلت همتي. ثم اني
اشتقت الى الاكل والشرب. فخرجت اتمشى واخاطري مكدرا. وقلبي
منبوس. فلما وصلت الى ذلك الجبل. وجدت على باب مغارة شيلا
اصفر اللون. فلما رآني ذلك الشبل فرح بي فرحا شديدا واعجبه لوني
وكوني لطيفة الذات. فصاح علي وقال لي: افربي مني. فلما قربت منه
قال لي: ما اسمك. وما جنسك. فقلت له: اسمي بطة. وانا من جنس
الطيور. ثم قلت له: ما سبب فعودك الى هذا الوقت في هذا المكان.
فقال الشبل: سبب ذلك. ان واليدي الاسد له ايام وهو يحذرني من

أَبْنِ آدَمَ . فَأَتَقَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي مَنَاجِي صُورَةَ ابْنِ آدَمَ . ثُمَّ إِنَّ
الشَّيْبَلَ حَكَى لِي نَظِيرَ مَا حَكَتَهُ لَكَ

فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ . قُلْتُ لَهُ يَا أَسَدُ : إِنِّي قَدْ لَجأتُ إِلَيْكَ فِي أَنْ نَقْتُلَ
ابْنَ آدَمَ . فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا شَدِيدًا . وَأَزْدَدْتُ خَوْفًا عَلَى خَوْفِي
مِنْ خَوْفِكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَعَ أَنَّكَ سُلْطَانُ الْوُحُوشِ . وَمَا زِلْتُ يَا أُخْتِي
أُحَدِّثُ الشَّيْبَلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ . وَأَوْصِيهِ بِقَتْلِهِ . حَتَّى قَامَ مِنْ وَفْتِهِ وَسَاعِنِهِ مِنْ
الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ . وَتَمَشَّى وَتَمَشَّيْتُ وَرَأَيْتُهُ . فَفَرَّقَ بِيَدَيْهِ عَلَى ظَهْرِهِ
وَلَمْ يَزَلْ يَتَمَشَّى وَأَنَا أَمْشِي وَرَأَيْتُهُ إِلَى مَفْرَقِ الطَّرِيقِ . فَوَجَدْنَا غَبْرَةَ طَارَتْ .
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْكَشَفَتِ الْغَبْرَةَ . فَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا حِمَارٌ شَارِدٌ عُرْيَانٌ . وَهُوَ
تَارَةٌ بَيْضٌ وَبَحْرِي . وَتَارَةٌ يَبْرُغُ . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ الْأَسَدُ صَاحَ عَلَيْهِ . فَأَتَى إِلَيْهِ
خَاضِعًا . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْحَيَوَانُ الْخَرِيفُ الْعَقْلُ . مَا جِئْتُكَ . وَمَا سَبَبُ
قُدُومِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ : فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ السُّلْطَانِ أَنَا جِئْتُ حِمَارٌ
وَسَبَبُ قُدُومِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ هَرَبِي مِنْ ابْنِ آدَمَ : فَقَالَ لَهُ الشَّيْبَلُ : وَهَلْ
أَنْتَ خَائِفٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَنْ يَقْتُلَكَ : فَقَالَ لَهُ الْحِمَارُ : لَا يَا ابْنَ السُّلْطَانِ .
وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَعْجَلَ حِيلَةَ عَلَيَّ وَيَرْكَبَنِي . لِأَنَّ عِنْدَكَ شَيْئًا يُسَمِّيهِ الْبَرْدَعَةَ
فَيَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ الْحِزَامَ . فَيَشُدُّهُ عَلَيَّ بَطْنِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ
الْحِجَامَ فَيَجْعَلُهُ فِي فَمِي . وَيَعْجَلُ لِي مِنْخَاسًا يُنْخَسِي بِهِ . وَيَكْلِفُنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنْ
الْحَجْرِي . وَإِذَا عَثَرْتُ لَعْنَتِي . وَإِنْ نَهَيْتُ شَتْمَنِي وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَبُرْتُ . وَلَمْ
أَقْدِرْ عَلَى الْحَجْرِي . يَجْعَلُ لِي رَحْلًا مِنَ الخَشَبِ وَيُسَلِّبُنِي إِلَى السَّقَائِينِ
فَيَجْمَلُونَ الْمَاءَ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْبَحْرِ فِي الْقَرَبِ وَتَحْوِيهَا كَالْحِجَارِ وَلَا أَزَالُ

فِي ذُلِّ وَهَوَانٍ وَتَعَبٍ حَتَّى أَمُوتَ فَيَرْمُونِي فَوْقَ التَّلَالِ لِلِكَلَابِ . فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا أَلَمٍ . وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْمَصَائِبِ .
 فَلَمَّا سَمِعَتْ أَيْتِمَهَا الطَّائِفَةَ كَلَامَ الْحِجَارِ أَفْشَعَرَ جَسَدِي مِنْ ابْنِ آدَمَ
 وَقُلْتُ لِلشَّيْبِلِ : يَا سَيِّدِي إِنَّ الْحِجَارَ مَعْدُورٌ . وَقَدْ زَادَنِي كَلَامُهُ رُعبًا عَلَى
 رُعبِي : فَقَالَ الشَّيْبِلُ لِلْحِجَارِ : إِلَى أَيِّ أَيْنَ أَنْتَ سَائِرٌ : فَقَالَ لَهُ الْحِجَارُ : إِنِّي نَظَرْتُ
 ابْنَ آدَمَ قَبْلَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ مِنْ بَعِيدٍ . فَفَرَرْتُ هَرَبًا مِنْهُ . وَهَذَا أَنَا أَرِيدُ
 أَنْ أَنْطَلِقَ . وَلَمْ أَزَلْ أَجْرِي مِنْ شِدَّةِ خَوْفِي مِنْهُ . لَعَلِّي أَجِدُ لِي مَوْضِعًا
 يَأْوِينِي مِنْ ابْنِ آدَمَ الْغَدَّارِ

فَيْنَمَا ذَلِكَ الْحِجَارُ بَحَثَتْ مَعَ الشَّيْبِلِ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ
 يُوَدِّعَنَا وَيَرْوَحَ . إِذْ ظَهَرَتْ لَنَا غُبْرَةٌ . وَنَظَرَ الْحِجَارُ بَعَيْنِهِ إِلَى نَاحِيَةِ
 الْغُبْرَةِ . فَتَهَقَّ وَصَاحَ . وَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتِ الْغُبْرَةُ عَنْ فَرَسِ آدَمَ
 يُغْرِقُ كَالدِّرْهَمِ . وَذَلِكَ الْفَرَسُ ظَرِيفُ الْغُرَّةِ مَلِيحُ التَّحْجِيلِ حَسَنُ
 الْفَوَائِمِ وَالصَّهِيلِ وَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْبِلِ ابْنِ الْأَسَدِ .
 فَلَمَّا رَأَى الشَّيْبِلُ اسْتَعْظَمَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا جِنْسُكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْجَلِيلُ .
 وَمَا سَبَبُ سُرُودِكَ فِي هَذَا الْبَرِّ الْعَرِضِ الطَّوِيلِ : فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدُ
 الْوَحْشِ . أَنَا فَرَسٌ مِنْ جِنْسِ التَّحْجِيلِ . وَسَبَبُ سُرُودِي هَرَبِي مِنْ ابْنِ
 آدَمَ : فَتَعَجَّبَ الشَّيْبِلُ مِنْ كَلَامِ الْفَرَسِ وَقَالَ لَهُ : لَا تَقُلْ هَذَا الْكَلَامَ .
 فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ : وَأَنْتَ طَوِيلٌ عَلِيظٌ وَكَيْفَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَعَ عَظَمِ
 جُنَّتِكَ . وَسُرْعَةِ جَرِيكَ : وَأَنَا مَعَ صَغَرِ جِسْمِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَلْتَمِيعَ مَعَ
 ابْنِ آدَمَ فَأَبْطِشَ بِهِ وَأَكُلَ لَحْمَهُ وَأَسْكِنَ رَوْعَ هَذِهِ الْبَطْنَةِ الْمِسْكِينَةِ

وَأَقْرَبَهَا فِي وَطَنِهَا. وَهِيَ أَنْتَ لَمَّا أَتَيْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَلَامِكَ
 وَأَرْجَعْتَنِي عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ. فَإِذَا كُنْتُ أَنْتَ مَعَ عِظْمِكَ قَدْ فَهَرَكْتُ ابْنَ
 آدَمَ. وَلَمْ يَخْفَ مِنْ طَوْلِكَ وَعَرَضِكَ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَهُ بِرِجْلِكَ لَقَتَلْتَهُ
 وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ بَلْ تَسْفِيهِ كَأْسَ الرَّدَى: فَصَحَّكَ الْقَرَسُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ
 الشَّيْلِ وَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ أَغْلِبَهُ يَا ابْنَ الْمَلِكِ. فَلَا يُغْرُكَ طَوْلِي
 وَلَا عَرَضِي وَلَا ضَخَامَتِي مَعَ ابْنِ آدَمَ. لِأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ حَبْلِهِ وَمَكْرِهِ بَصَّعَ لِي
 شَيْئًا يُقَالُ لَهُ الشَّكَالُ. وَيَضَعُ فِي أَرْبَعِ قَوَائِمِي شِكَاكِينَ مِنْ حِبَالِ اللَّيْفِ
 الْمَلْفُوفَةِ بِاللُّبَادِ وَيَصْلُبُنِي مِنْ رَأْسِي فِي وَتْدِ عَالٍ وَأَبْنَى وَأَفْنَاءَ وَأَنَا مَصْلُوبٌ
 لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقْعُدَ وَلَا أَنَامَ. وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَنِي يَعْمَلُ لِي شَيْئًا فِي رِجْلَيْهِ
 مِنْ الْحَدِيدِ اسْمُهُ الرِّكَابُ وَيَضَعُ عَلَى ظَهْرِي شَيْئًا يُسَمِّيهِ السَّرْجَ وَيَشُدُّهُ
 بِحِزَامِينَ مِنْ تَحْتِ إِبْطِي وَيَضَعُ فِي فَمِي شَيْئًا مِنْ الْحَدِيدِ يُسَمِّيهِ اللَّجَامَ وَيَضَعُ
 فِيهِ شَيْئًا مِنْ الْجِلْدِ يُسَمِّيهِ الصِّرْعَ. فَإِذَا رَكِبَ قَوْقَ ظَهْرِي عَلَى السَّرْجِ
 يَمْسِكُ الصِّرْعَ بِيَدِهِ وَيَقْوُدُنِي بِهِ وَيَهْمُزُنِي بِالرِّكَابِ فِي خَوَاصِرِي حَتَّى
 يَدْمِيهَا. وَلَا تَسْأَلْ يَا ابْنَ السُّلْطَانِ عَمَّا أَقَاسِيهِ مِنْ ابْنِ آدَمَ. فَإِذَا كَبُرْتُ
 وَأَنْجَلَ ظَهْرِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى سُرْعَةِ الْحِزْمِ. يَبِيعُنِي لِلطَّحَّانِ لِيُدَوِّرَنِي فِي
 الطَّاحُونِ. فَلَا أَزَالُ دَائِرًا فِيهَا لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى أَنْ أَهْرَمَ فَيَبِيعُنِي لِلْجَزَّارِ
 فَيَذْبَحُنِي وَيَسْلُخُ جِلْدِي وَيَنْتِفُ ذَنْبِي وَيَبِيعُهَا لِلغَرَابِلِ وَالْمَنَاخِلِ وَيَسْلُخُ شَعْبِي
 فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْلُ كَلَامَ الْقَرَسِ أَزْدَادًا غَيْظًا وَغَمًا وَقَالَ لَهُ: مَتَى فَارَقْتُ
 ابْنَ آدَمَ: قَالَ فَارَقْتُهُ نِصْفَ النَّهَارِ وَهُوَ فِي ثَرِي: فَبَيْنَمَا الشَّيْلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ
 الْقَرَسِ بِهَذَا الْكَلَامِ إِذَا بِغَبْرَةٍ ثَارَتْ. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ وَبَانَ

مِنْ تَحْتِهَا جَمَلٌ هَائِجٌ وَهُوَ يَبْعُجُ وَيَجْحَطُ بِرِجْلَيْهِ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ
 كَذَلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا. فَلَمَّا رَأَاهُ الشُّبْلُ كَبِيرًا غَلِيظًا ظَنَّ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ
 فَأَرَادَ الْوُثُوبَ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ السُّلْطَانِ، إِنَّ هَذَا مَا هُوَ ابْنُ آدَمَ.
 وَإِنَّمَا هَذَا جَمَلٌ وَكَأَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ: فَبَيْنَمَا أَنَا يَا أُخْتِي مَعَ الشُّبْلِ
 فِي هَذَا الْكَلَامِ، وَإِذَا يَا جَمَلُ تَقَدَّمَ بَيْنَ آيَادِي الشُّبْلِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ. فَرَدَّ
 عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ لَهُ: مَا سَبَبُ مَجِيئِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟ قَالَ: جِئْتُ هَارِبًا
 مِنْ ابْنِ آدَمَ: قَالَ لَهُ الشُّبْلُ: وَأَنْتَ مَعَ عِظْمِ خَلْقِكَ وَطُولِكَ وَعَرْضِكَ
 كَيْفَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَلَوْ رَفَضَهُ بِرِجْلِكَ رَفِصَةً لَقَتَلْتَهُ: فَقَالَ لَهُ
 الْجَمَلُ: يَا ابْنَ السُّلْطَانِ، أَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَهُ دَوَاهٍ لَا تَطَاقُ وَمَا يَغْلِبُهُ
 إِلَّا الْمَوْتُ. لِأَنَّهُ يَضَعُ فِي أَنْفِي خِطًّا وَيُسَبِّهُ خِزَامًا وَيَجْعَلُ فِي رَأْسِي مِقْوَدًا
 وَيُسَلِّمُنِي إِلَى أَصْغَرِ أَوْلَادِهِ فَيَجُرُّنِي الْوَلَدَ الصَّغِيرُ بِالْحَبْطِ مَعَ كَبِيرِي وَعَظْمِي
 وَيَجْهَلُونِي أَنْتَقِلَ الْأَحَالَ وَيُسَافِرُونَ بِي الْأَسْفَارَ الطُّوَالَ وَيَسْتَعْبِلُونَنِي فِي
 الْأَشْغَالِ الشَّاقَّةِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ. وَإِذَا كَبُرْتُ وَسَخْتُ أَوْ
 أَنْكَرْتُ، فَلَا يَحْفَظُ صُحْبَتِي بَلْ يَبْعُونِي لِلْجَزَارِ فَيُدْبَجُونِي وَيَبْعُونَ جِلْدِي
 لِلدَّبَّاعِينَ وَالْحَمِي لِلطَّبَّاعِينَ. وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا أَقَاسِي مِنْ ابْنِ آدَمَ: فَقَالَ لَهُ
 الشُّبْلُ: أَيَّ وَقْتٍ فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ؟ فَقَالَ: فَارَقْتُهُ وَقْتُ الْغُرُوبِ. وَأَظْنَهُ
 بَأَنِّي عِنْدَ أَنْصِرَافِي. فَلَا يَجِدُنِي فَيَسْعَى فِي طَلْبِي. فَدَعَانِي يَا ابْنَ السُّلْطَانِ
 حَتَّى أَهْجُ فِي الْبَرَارِ وَالْفِنَارِ: فَقَالَ الشُّبْلُ: تَهْمَلُ قَلِيلًا يَا جَمَلُ. حَتَّى تَنْظُرَ
 كَيْفَ أَفْتَرَسَهُ وَأَطْعِمَكَ مِنْ لَحْمِهِ وَأَهْتَمَّ عَظْمَهُ وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِهِ: فَقَالَ
 لَهُ الْجَمَلُ: يَا ابْنَ السُّلْطَانِ، أَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ، فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ

مَأْكُرٌ . ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَأَلِلسَاكِينِ سِوَى الرَّجُلِ
فَبَيْنَمَا الْجَمَلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشَّيْبِلِ فِي هَذَا الْكَلَامِ . وَإِذَا بَغْبَرَةٌ طَلَعَتْ .
وَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ رَفِيقِ الْبَشَرَةِ . عَلَى كَتِفِهِ مَقْطَعٌ فِيهِ
عُدَّةُ بَحَّارٍ . وَعَلَى رَأْسِهِ شُعْبَةٌ وَتَمَانِيَةُ الْوَالِجِ . وَبِيَدِهِ أَفْقَالٌ صِغَارٌ . وَهُوَ
يَهْرُؤُ فِي مَشْيِهِ . وَمَا زَالَ يَمْشِي حَتَّى قَرَّبَ مِنَ الشَّيْبِلِ . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ يَا أَخِي .
وَقَعْتُ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ . وَأَمَّا الشَّيْبِلُ فَإِنَّهُ قَامَ وَنَمَشَى إِلَيْهِ وَلَا قَاهُ . فَلَمَّا
وَصَلَ إِلَيْهِ ضَحِكَ النَّجَّارُ فِي وَجْهِهِ . وَقَالَ لَهُ بِلِسَانٍ قَصِيحٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
الْجَمِيلُ . صَاحِبُ الْبَاعِ الطَّوِيلِ . أَسْعَدَ اللَّهُ مَسَافِكَ وَمَسْعَاكَ . وَزَادَ فِي
شَجَاعَتِكَ وَقُوَاكَ . أَجْرَنِي مَا دَهَانِي . وَبَشَّرَهُ رَمَانِي . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ لِي
نَصِيرًا غَيْرَكَ : ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْأَسَدِ وَبَكَى . وَأَنَّ وَأَشْتَكِي .
فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْبِلُ بَكَاءَهُ وَشَكْوَاهُ . قَالَ لَهُ : أَجْرَنُكَ مَا تَخْشَاهُ . فَمَنِ الَّذِي قَدْ
ظَلَمَكَ . وَمَا أَنْتَ تَكُونُ أَيُّهَا الْوَحْشُ . الَّذِي مَا رَأَيْتُ عُهْرِي مِثْلَكَ .
وَلَا أَحْسَنَ صُورَةٍ . وَلَا أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْكَ . فَمَا شَأْنُكَ : فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ :
يَا سَيِّدَ الْوَحْشِ : أَمَّا أَنَا فَنَجَّارٌ : وَأَمَّا الَّذِي ظَلَمَنِي فَإِنَّهُ ابْنُ آدَمَ وَفِي
صَبَاحِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ يَكُونُ عِنْدَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ : فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْبِلُ مِنَ النَّجَّارِ
هَذَا الْكَلَامَ . تَبَدَّلَ الضِّيَاءُ فِي وَجْهِهِ بِالظَّلَامِ . وَشَخَّرَ وَنَخَّرَ وَارْتَهَتَ
عَيْنَاهُ بِالشَّرْرِ . وَصَاحَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَسْهَرَنَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى الصَّبَاحِ . وَلَا
أَرْجِعُ إِلَى وَالِدِي حَتَّى أَبْلُغَ مَقْصِدِي : ثُمَّ إِنَّ الشَّيْبِلَ التَّفَتَّ إِلَى النَّجَّارِ وَقَالَ
لَهُ : إِنِّي أَرَى خُطْوَانَكَ قَصِيرَةً وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَكْسِرَ بِخَاطِرِكَ . لِأَنِّي ذُو مَرْقَةٍ .

وَأَظُنُّ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ تَمَاشِي الْوُحُوشَ . فَأَخْبِرْنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ : فَقَالَ
 لَهُ النَّجَّارُ : أَعْلَمُ أَنَّي رَاحِحٌ إِلَى وَزِيرِ وَالِدِكَ الْفَهْدِ . لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ
 آدَمَ دَاسَ هَذِهِ الْأَرْضِ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ خَوْفًا عَظِيمًا وَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولًا
 مِنْ الْوُحُوشِ لِأَصْنَعُ لَهُ بَيْتًا يَسْكُنُ فِيهِ وَيَأْوِي إِلَيْهِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى
 لَا يَبْصُلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ . فَلَمَّا جَاءَنِي الرَّسُولُ أَخَذْتُ هَذِهِ الْأَلْوَاجَ
 وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ : فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْبِلُ كَلَامَ النَّجَّارِ . أَخَذَهُ الْحَسَدُ لِلْفَهْدِ . فَقَالَ
 لَهُ : مِجَابِي لَا بَدَّ أَنْ تَصْنَعَ لِي هَذِهِ الْأَلْوَاجَ بَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَ لِلْفَهْدِ بَيْتَهُ .
 وَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ شُغْلِي فَأَمْضِ إِلَى الْفَهْدِ وَأَصْنَعْ لَهُ مَا يُرِيدُ : فَلَمَّا سَمِعَ النَّجَّارُ
 مِنَ الشَّيْبِلِ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ : مَا أَقْدِرُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ
 شَيْئًا إِلَّا إِذَا صَنَعْتُ لِلْفَهْدِ مَا يُرِيدُ . ثُمَّ أَجَبَنِي إِلَى خِدْمَتِكَ وَأَصْنَعُ لَكَ بَيْنَا
 بِحِصْنِكَ مِنْ عَدُوِّكَ : فَقَالَ لَهُ الشَّيْبِلُ : وَاللَّهِ مَا أُخْلِكَ تَرُوحُ مِنْ هَذَا
 الْمَكَانِ حَتَّى تَصْنَعَ لِي هَذِهِ الْأَلْوَاجَ بَيْنَا : ثُمَّ إِنَّ الشَّيْبِلَ هَمَّ عَلَى النَّجَّارِ وَوَثَبَ
 عَلَيْهِ . وَأَرَادَ أَنْ يَهْرَجَ مَعَهُ فَلَطَسَهُ بِدَيْهِ فَرَمَى الْبَيْتَ مِنْ عَلَى كَيْفِهِ وَوَقَعَ
 النَّجَّارُ مَغْشِبًا عَلَيْهِ . فَضَحِكَ الشَّيْبِلُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ يَا نَجَّارُ إِنَّكَ ضَعِيفٌ
 وَمَا لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْدُورٌ إِذْ خِفْتَ مِنْ ابْنِ آدَمَ : فَلَمَّا وَقَعَ النَّجَّارُ عَلَى
 ظَهْرِهِ . انْعَظَا غَبْطًا شَدِيدًا وَلَكِنَّهُ كَتَمَ ذَلِكَ عَنِ الشَّيْبِلِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ .
 فَقَعَدَ النَّجَّارُ عَلَى حَيْلِهِ وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَا أَنَا أَصْنَعُ لَكَ الْبَيْتَ : ثُمَّ
 إِنَّ النَّجَّارَ تَنَاوَلَ الْأَلْوَاجَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَسَمَّرَ الْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ الْقَالِبِ
 عَلَى قِيَاسِ الشَّيْبِلِ وَخَلَّى بَابَهُ مَفْتُوحًا . لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى صُورَةِ الصُّنْدُوقِ وَفَتَحَ لَهُ
 طَاقَةَ كَثِيرَةً وَجَعَلَ لَهَا غِطَاءً كَبِيرًا وَثَقَبَ فِيهِ ثُقُبًا كَثِيرَةً وَأَخْرَجَ مِنْهَا

مَسَامِيرَ مَطْرَفَةَ وَقَالَ لِلشَّيْبَلِ: أَدْخُلْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ هَذِهِ الطَّاقَةِ حَتَّى
 أَقْبِسَهُ عَلَيْكَ: فَفَرِحَ الشَّيْبَلُ بِذَلِكَ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الطَّاقَةِ فَرَأَاهَا ضَيْقَةً .
 فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: أَدْخُلْ وَأَبْرُكْ عَلَى يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ: فَفَعَلَ الشَّيْبَلُ ذَلِكَ
 وَدَخَلَ الصُّنْدُوقَ فَبَقِيَ ذَنْبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ . فَأَرَادَ الشَّيْبَلُ أَنْ يَتَأَخَّرَ
 إِلَى وَرَائِهِ وَيَخْرُجَ . فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: أَهْمِلْ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَنْظُرَ هَلْ يَسْعُ ذَنْبُكَ
 مَعَكَ: فَأَمْتَلَّ الشَّيْبَلُ أَمْرَهُ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ لَفَّ ذَنْبَ الشَّيْبَلِ وَحَشَاهُ فِي
 الصُّنْدُوقِ وَرَدَّ اللَّوْحَ عَلَى الطَّاقَةِ سَرِيعًا وَسَمِعَهُ . فَصَاحَ الشَّيْبَلُ قَائِلًا:
 يَا نَجَّارُ مَا هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي صَنَعْتَهُ لِي . دَعْنِي أَخْرُجْ مِنْهُ: فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ:
 هَيْهَاتَ . هَيْهَاتَ . لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ . إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ:
 ثُمَّ صَحِكَ النَّجَّارُ وَقَالَ لِلشَّيْبَلِ: إِنَّكَ وَقَعْتَ فِي الْفُتْصِ وَمَا بَقِيَ لَكَ خَلَاصٌ
 مِنْ ضَيْبِ الْأَقْفَاصِ يَا أَخْبَثَ الْوُحُوشِ: فَقَالَ: يَا أَخِي مَا هَذَا الْمُحِطَّابُ الَّذِي
 تُحَاطِبُنِي بِهِ: فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ: أَعَلَمْ يَا كَلْبَ الْبُرِّ . أَنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي مَا كُنْتَ
 تَخَافُ مِنْهُ وَقَدْ رَمَاكَ الْقَدْرُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ الْحَذَرُ: فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْبَلُ كَلَامَهُ
 يَا أَخِي عَلِمَ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ الَّذِي حَذَرَهُ مِنْهُ أَبُوهُ فِي الْبَيْتِ وَالْهَاتِفُ فِي
 الْمَنَامِ . وَأَنَا تَحَقَّقْتُ أَنَّهُ هُوَ بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ وَخِفْتُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا
 عَظِيمًا وَبَعُدْتُ عَنْهُ قَلِيلًا وَصِرْتُ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِالشَّيْبَلِ . فَرَأَيْتَ يَا أَخِي
 ابْنَ آدَمَ حَفَرَ حُفْرَةً فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِالْقُرْبِ مِنَ الصُّنْدُوقِ الَّذِي فِيهِ
 الشَّيْبَلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ وَالْقَى عَلَيْهِ الْحَطَبَ وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ . فَكَبَّرَ
 يَا أَخِي خَوْفِي وَوَلِي يَوْمَانِ وَأَنَا هَارِبَةٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَخَائِفَةٌ مِنْهُ
 فَلَمَّا سَمِعْتَ الطَّوُوسَةَ مِنَ الْبَيْتِ هَذَا الْكَلَامَ . نَجَّيْتُ مِنْهُ غَايَةَ الْعَجَبِ .

وَقَالَتْ: يَا أُخْتِي. إِنَّكَ آمِنَةٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ. لِأَنَّنا فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ
 الْبَحْرِ. لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ فِيهَا مَسَلَكٌ. فَأَخْبَارِي الْمَقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ يَسْهَلَ
 اللَّهُ أَمْرَكَ وَأَمَرْنَا: قَالَتْ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ. وَالْقَضَاءُ لَا يَنْفَكُ
 عَنْهُ أَبَقٍ: فَقَالَتْ: أَقْعِدِي عِنْدَنَا. وَأَنْتِ مِثْلُنَا: وَمَا زَالَتْ بِهَا حَتَّى قَعَدَتْ
 وَقَالَتْ: يَا أُخْتِي أَنْتِ تَعْلَمِينَ فَلَمَّا صَبَرِي. وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُكِ هُنَا مَا كُنْتُ
 قَعَدْتُ: فَقَالَتْ الطَّائُوسَةُ: إِنْ كَانَ عَلَى جَبِينِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ. وَإِنْ كَانَ
 دَنَا أَجْلُنَا فَمَنْ يُخْلِصُنَا. وَلَنْ نَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا: فَبَيْنَمَا
 هُمَا فِي هَذَا الْكَلَامِ. إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ. فَعِنْدَ ذَلِكَ صَاحَتِ الْبَطَّةُ
 وَتَزَلَّتْ فِي الْبَحْرِ. وَقَالَتْ: الْحَدْرُ الْحَدْرُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَفْرٌ مِنَ الْقَضَاءِ
 وَالْقَدْرِ: فَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ. وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظَنِي. فَاطْمَأَنَّتِ
 الْبَطَّةُ وَالطَّائُوسَةُ. ثُمَّ قَالَتْ لِلْبَطَّةِ: يَا أُخْتِي إِنَّ الَّذِي نَصَرْتِ وَحَدِرْتِ
 مِنْهُ ظَنِي وَهَذَا هُوَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَنَا. فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ بَأْسٌ. لِأَنَّ الظَّنِّيَ إِنَّمَا
 يَأْكُلُ الْحَشَائِشَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ. وَكَمَا أَنْتِ مِنْ جِنْسِ الطَّيْرِ. هُوَ الْآخِرُ
 مِنْ جِنْسِ الْوُحُوشِ. فَاطْمَأَنَّي وَلَا تَهْتَبِي. فَإِنَّ أَلَمَ يُخْلِ الْبَدَنَ: فَلَمَّ تِمَّ
 الطَّائُوسَةُ كَلَامَهَا. حَتَّى وَصَلَ الظَّنِّيُّ إِلَيْهَا. يَسْتَنْظِلُ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ.
 فَلَمَّا رَأَى الطَّائُوسَةَ وَالْبَطَّةَ سَلَّمَ عَلَيْهِمَا. وَقَالَ لهُمَا: إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى هَذِهِ
 الْجَزِيرَةِ الْيَوْمَ. فَلَمْ أَرِ أَكْثَرَ مِنْهَا خِصْبًا وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا مَسْكِنًا: ثُمَّ دَعَاهُمَا
 لِهَرِافَتِهِ وَمُصَافَاتِهِ. فَلَمَّا رَأَتِ الْبَطَّةُ وَالطَّائُوسَةُ تَوَدُّدَهُ إِلَيْهِمَا أَقْبَلَتَا
 عَلَيْهِ وَرَغِبَتَا فِي عِشْرَتِهِ. فَتَصَادَفُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى ذَلِكَ. وَصَارَ مِيتَهُمْ وَاحِدًا.
 وَمَا كَلَّمَهُمْ وَمَشَرُّهُمْ سِوَاكُمْ وَلَمْ يَزَالُوا آمِنِينَ آكِلِينَ شَارِيِينَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ

سَفِينَةٌ كَانَتْ تَائِبَةً فِي الْبَحْرِ . فَأَرَسَتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَطَلَعَ النَّاسُ وَتَفَرَّقُوا فِي
 الْجَزِيرَةِ . فَرَأَوْا اجْتِمَاعَ الظَّنِيِّ وَالطَّائِوُوسَةِ وَالْبَطَّةِ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَتْهُمْ
 الطَّائِوُوسَةُ صَعِدَتْ إِلَى الشَّجَرَةِ . ثُمَّ طَارَتْ فِي الْجَوِّ وَشَرَدَ الظَّنِيُّ فِي الْبَرِّيَّةِ
 فَبَقِيََتِ الْبَطَّةُ مُجْبَلَةً . وَلَمْ يَزَلِ الْوَالِدُ بِهَا حَتَّى صَادُوهَا وَصَاحَتْ قَائِلَةً : لَمْ يَنْفَعْنِي
 الْحَدْرُ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ : وَأَنْصَرَفُوا بِهَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ . فَلَمَّا رَأَتِ الطَّائِوُوسَةُ
 مَا جَرَى لِلْبَطَّةِ . أُرْتَحَلَتْ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَقَالَتْ : لَا أَرَى الْآفَاتِ إِلَّا مُرَاصِدَةً
 لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْ لَا هَذِهِ السَّفِينَةُ مَا حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذِهِ الْبَطَّةِ انْفِرَاقٌ . وَلَقَدْ
 كَانَتْ مِنْ خِيَارِ الْأَصْدِقَاءِ : ثُمَّ طَارَتْ الطَّائِوُوسَةُ وَاجْتَمَعَتْ بِالظَّنِيِّ .
 فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَهَنَّاهَا بِالسَّلَامَةِ وَسَأَلَهَا عَنِ الْبَطَّةِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَخَذَهَا الْعَدُوُّ
 وَكَرِهَتْ الْمَقَامَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ بَعْدَهَا : ثُمَّ بَكَتْ عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ وَأَنْشَدَتْ
 تَقُولُ :

إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ قَطَعَ قَلْبِي قَطَعَ اللَّهُ قَلْبَ يَوْمِ الْفِرَاقِ
 ثُمَّ قَالَتْ أَيْضًا هَذَا الْبَيْتَ :

تَبَيَّنْتُ الْوِصَالَ بَعْدُ يَوْمًا لِأُخْبِرُ بِهَا صَنَعَ الْفِرَاقِ
 فَاعْتَمَ الظَّنِيُّ غَمًّا شَدِيدًا . ثُمَّ عَزَمَ الطَّائِوُوسَةَ عَنِ الرَّجُلِ فَأَقَامَتْ مَعَ
 الظَّنِيِّ آمِنِينَ آكِلِينَ شَارِبِينَ . غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَلَا حَزِينِينَ عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ .
 فَقَالَ الظَّنِيُّ لِلطَّائِوُوسَةِ يَا أُخْتِي . قَدْ عَلِمْتِ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ طَلَعُوا لَنَا مِنَ
 الْمَرْكَبِ كَانُوا سَبَبًا لِفِرَاقِنَا وَلِهَلَاكِ الْبَطَّةِ فَأَحْدَرِيهِمْ وَأَحْتَرِسِي مِنْهُمْ وَمِنْ
 مَكْرِ بَنِي آدَمَ وَخِدَاعِهِ : قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّ مَا قَتَلَهَا غَيْرُ تَرْكِيهَا التَّسْبِيحَ
 وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ تَرْكِكَ التَّسْبِيحِ . لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ

اللَّهُ يُسِيحُهُ. فَإِنْ غَفَلَ عَنِ التَّسْبِيحِ عُوقِبَ بِهَا لِكَيْهِ: فَلَمَّا سَمِعَ الظُّبْيُ كَلَامَ
الطَّائِرِ وَسَّعَ قَالَ: أَحْسَنَ اللَّهُ صُورَتَكَ: وَأَقْبَلَ عَلَى التَّسْبِيحِ لَا يَفْتُرُ عَنْهُ سَاعَةً.
وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ تَسْبِيحَ الظُّبْيِ: سُبْحَانَ الدَّبَّانِ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالسُّلْطَانِ

حِكَايَةُ الطُّبُورِ

زَعُمُوا أَنَّ طَيْرًا مِنَ الطُّبُورِ. طَارَ وَعَلَا إِلَى الْجَوْ. ثُمَّ أَنْفَضَ عَلَى صَخْرَةٍ
فِي وَسْطِ الْمَاءِ وَكَانَ الْمَاءُ جَارِيًا. فَبَيْنَمَا الطَّائِرُ وَقَفَ إِذَا هُوَ بِرِمَّةٍ
إِنْسَانٍ جَرَّهَا الْمَاءُ حَتَّى أَسْنَدَهَا إِلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ وَقَدْ انْتَفَحَتْ وَأَرْتَفَعَتْ.
فَدَنَا مِنْهَا طَيْرُ الْمَاءِ وَتَأَمَّلَهَا فَرَأَاهَا رِمَّةَ ابْنِ آدَمَ فَوَجَدَ فِيهَا ضَرْبَ
سُوفٍ وَطَعَنَ رِمَاحٍ. فَقَالَ طَيْرُ الْمَاءِ فِي نَفْسِهِ: أَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْمَقْتُولَ
كَانَ شَرِيرًا فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَاعَةٌ فَفَتَلَوْهُ وَأَسْتَرَا حَوا مِنْهُ وَمِنْ شَرِّهِ: وَلَمْ يَزَلْ
طَيْرُ الْمَاءِ حَائِرًا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا يُنْسِرُ وَعَقِبَانِ
أَحَاطُوا بِتِلْكَ الْجِيفَةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ طَيْرُ الْمَاءِ جَزِعَ
جَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ: لَا صَبْرَ لِي عَلَى الْإِقَامَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ. ثُمَّ طَارَ مِنْهُ
يُفْتِشُ عَلَى مَوْضِعِ بَأْوِيهِ إِلَى حِينٍ تَنفَدُ تِلْكَ الْجِيفَةُ وَتَرُوحُ سِبَاعُ الطُّبُورِ
عَنْهَا. وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا حَتَّى وَجَدَ نَهْرًا فِي وَسْطِهِ شَجْرَةً. فَتَزَلَّ عَلَيْهَا مُتَغَيِّرًا
كَنِيبًا حَزِينًا عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا زِلْتُ الْأَحْزَانَ تُتَبِعُنِي
وَكُنْتُ قَدْ اسْتَرَحْتُ لَهَا رَأَيْتُ تِلْكَ الْجِيفَةَ وَفَرِحْتُ بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا
وَقُلْتُ: هَذَا رِزْقُ سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيَّ. فَصَارَ قَرِحِي عَمًّا وَسُرُورِي حَزْنًا وَهَبًّا.
فَأَخَذَتْهَا وَأَفْتَرَسَتْهَا سِبَاعُ الطُّبُورِ مِنِّي وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَهَا. فَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ
أَكُونَ سَالِمًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُدْرِ وَالطُّهْمِ الْإِلَهِيَّ. وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ:

الدُّنْيَا دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ . يَغْتَرُّ بِهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا بِهَا لِهٖ
 وَقَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ . وَلَمْ يَزَلِ الْمُهَنْتَرُ بِهَا رَاكِنًا إِلَيْهَا يَجْتُنَالُ فَوْقَ الْأَرْضِ
 حَتَّى بَصِيرَ تَحْتَهَا وَيَخْتَوِعُ عَلَيْهِ الثَّرَابَ أَعَزُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَفْرَهُمْ لَدَيْهِ . وَمَا لِلْفَتَى
 خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى هُمُومِهَا وَمَكَارِهِهَا . وَقَدْ فَارَقْتُ مَكَانِي وَوَطَنِي وَكُنْتُ
 كَارِهَا بِفِرْقِهِ إِخْوَانِي وَأَجْبَاءِي وَخُلَايَايَ

فَيَسِينَمَا هُوَ فِي فِكْرَتِهِ إِذَا يَذْكَرُ مِنَ السَّلَاحِ فِي أَقْبَلِ مُخْدِرًا فِي الْمَاءِ
 وَدَنَا مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي مَا الَّذِي حَجَبَكَ وَأَبْعَدَكَ
 عَنِ مَوْضِعِكَ : قَالَ : حُلُولُ الْأَعْدَاءِ فِيهِ وَلَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى مُجَاوَرَةِ
 عَدُوِّهِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ قَمَا لِلْسَّاكِينِ سِوَى الرَّحِيلِ
 فَقَالَ لَهُ الْعَيْلِمُ : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَأَحَالَ مِنْهُ مَا ذَكَرْتَهُ . فَأَنَا
 لَا أَزَالُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أَفَارُكَ لِأَقْضِي لَكَ حَاجَتَكَ وَأَفِي بِخِدْمَتِكَ .
 فَإِنَّهُ قِيلَ : لَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنْ وَحْشَةِ الْغَرِيبِ الْمُنْقَطِعِ عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ .
 وَقَدْ قِيلَ : إِنْ فُرْقَةَ الصَّالِحِينَ لَا يَعْدهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَصَائِبِ . وَأَحْسَنُ مَا
 يُسَلِّي بِهِ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ الْأَسْتِنَاسُ فِي الْغُرْبَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى الرِّزْيَةِ وَالْكُرْبَةِ .
 وَأَرْجُو أَنْ تَحْمَدَ صُحْبَتِي مَعَكَ . وَأَكُونُ لَكَ خَادِمًا وَمُعِينًا : فَلَمَّا سَمِعَ طَيْرُ
 الْمَاءِ مَقَالَ الْعَيْلِمِ . قَالَ لَهُ : لَقَدْ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ . وَلَعَهْرِي إِيَّيَ وَجَدْتُ
 لِلْفِرَاقِ أَلْمًا وَغَمًّا مُدَّةً بَعْدِي عَنْ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِإِخْوَانِي وَخُلَايَايَ لِأَنَّ فِي
 الْفِرَاقِ عَيْبَةً لِيَنْ أَعْتَبَرَ وَفِكْرَةً لِيَنْ تَفَكَّرَ . وَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْفَتَى مَنْ يُسَلِّيهُ مِنَ
 الْأَصْحَابِ يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْخَيْرُ أَبَدًا وَيَثْبُتُ الشَّرُّ سَرْمَدًا . وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ إِلَّا

التَّسْلِي بِالْإِخْوَانِ عَنِ الْهَمِّ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ . وَمَلَا زِمَةُ الصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ .
 فَأَتَمَّهَا خَصْلَتَانِ مَحْمُودَتَانِ . يُعِينَانِ عَلَى الْمَصِيبَةِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ . وَيَدْفَعَانِ
 الْفَزَعَ وَالتَّجَزُّعَ فِي كُلِّ أَمْرٍ : فَقَالَ لَهُ الْعَلِيمُ : يَا بَاكَ وَالتَّجَزُّعَ . فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ
 عَيْشَكَ . وَيُذْهِبُ مَرُوءَتَكَ . وَمَا زَالَ التَّحَدُّثَانِ مَعَ بَعْضِهِمَا . إِلَى أَنْ قَالَ طَيْرُ
 الْمَاءِ لِلْعَلِيمِ : أَنَا لَمْ أَزَلْ أَخْشَى نَوَائِبَ الزَّمَانِ وَطَوَارِقَ التَّحَدُّثَانِ : فَلَمَّا سَمِعَ
 الْعَلِيمُ مَقَالَ طَيْرِ الْمَاءِ . أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَبَلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ . وَقَالَ لَهُ : لَمْ تَزَلْ جَمَاعَةُ
 الطَّيْرِ تَتَبَرَّكُ بِكَ وَتَعْرِفُ فِي مَشُورَتِكَ الْخَيْرَ . فَكَيْفَ تَحْمِلُ أَلَمَ وَالضَّرِيرِ :
 وَلَمْ تَزَلْ يَسْكُنُ رُوعَ طَيْرِ الْمَاءِ حَتَّى أَطْمَأَنَّ . ثُمَّ إِنَّ طَيْرَ الْمَاءِ طَارَ إِلَى
 مَكَانٍ الْحِجْفَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ . لَمْ يَرِ مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ شَيْئًا . وَلَا مِنْ نِتْلِكَ
 الْحِجْفَةِ إِلَّا الْأَعْظَامَ فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ الْعَلِيمَ بِزَوَالِ الْعَدُوِّ مِنْ مَكَانِهِ . وَقَالَ لَهُ :
 أَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ الرُّجُوعَ إِلَى مَكَانِي . لِأَتَمَلَّى بِخِلَاتِي . فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى
 فِرَاقِ وَطَنِهِ : فَأَتَى إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا مِمَّا يَخَافَانِ مِنْهُ فَأَنْشَدَ
 طَيْرُ الْمَاءِ يَقُولُ :

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى دَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْخُرْجُ
 ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَهَمَّكَتْ حَلَقَاتِهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ثُمَّ إِنَّهُمَا سَكَنَا فِي تِلْكَ الْحَزْبِيَةِ . فَبَيْنَمَا طَيْرُ الْمَاءِ مَسْرُورٌ آمِنٌ إِذْ سَاقَ
 الْقَضَاءُ إِلَيْهِ بَازِيًا جَائِعًا . فَضْرَبَهُ بِخَلْبِهِ فِي بَطْنِهِ ضَرْبَةً فَقَتَلَهُ . وَلَمْ يُغْنِ
 عَنْهُ التَّحَدُّثُ عِنْدَ فِرَاقِ الْأَجْلِ . وَسَبَبُ قَتْلِهِ غَفْلَتُهُ عَنِ التَّنَسُّجِ . قِيلَ إِنَّ
 تَنَسُّجَهُ . سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا قَدَّرَ وَدَبَّرَ . سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا أَعْنَى وَأَفَرَّ . هَذَا
 مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ طَيْرِ الْمَاءِ وَجَوَارِحِ الطُّبُورِ

الدَّرَاجُ وَالسَّلَاحِفُ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ رَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْيَسِيرَةِ فَهَلَكَ

حُكِيَ أَنَّ سَلَاحِفَ كَانَتْ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ الْجَزَائِرِ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْجَزِيرَةُ
ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَأَنْهَارٍ. فَاتَّفَقَ أَنَّ دُرَّاجًا اجْتَنَزَهَا يَوْمًا. وَقَدْ أَصَابَهُ
الْحَرُّ وَالنَّعْبُ. فَلَمَّا أَضْرَبَهُ ذَلِكَ. حَطَّ مِنْ طَيْرَانِهِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي
بِهَا تِلْكَ السَّلَاحِفُ. فَلَمَّا رَأَى السَّلَاحِفَ اتَّجَأَ إِلَيْهَا وَنَزَلَ عِنْدَهَا.
وَكَانَتْ السَّلَاحِفُ تَرَعَى فِي جِهَاتِ الْجَزِيرَةِ. ثُمَّ تَرَجَّعَ إِلَى مَكَانِهَا. فَلَمَّا
رَجَعَتْ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَى مَكَانِهَا. رَأَتْ الدَّرَاجَ فِيهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ اعْجَبَهَا.
وَزَيَّنَتْهُ اللَّهُ لَهَا. فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا. وَأَحْبَبَتْ هَذَا الدَّرَاجَ حُبًّا شَدِيدًا وَفَرِحَتْ
بِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: لَأَشْكُ أَنْ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الطُّبُورِ: فَصَارَتْ
كُلُّهَا تَلَاطِفُهُ وَتَمَجُّحُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا عَيْنَ الْحَيَّةِ. مَالَ إِلَيْهَا وَأَسْتَأْنَسَ
بِهَا. وَصَارَ يَطِيرُ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَرَادَ. وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى الْمَيْتِ عِنْدَهَا.
فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ. يَطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَارَتْ هَذِهِ عَادَتُهُ. وَأَسْتَهَرَ
عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ. فَلَمَّا رَأَتْ السَّلَاحِفُ أَنَّ غِيَابَهُ عَنْهَا يُوحِشُهَا.
وَتَحَقَّقَتْ أَنَّهَا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ. وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ مُبَادِرًا. وَلَا تَشْعُرُ بِهِ مَعَ
زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ. قَالَ بَعْضُهَا: إِنَّ هَذَا الدَّرَاجَ قَدْ أَحْبَبْنَاهُ وَصَارَ لَنَا صَدِيقًا.
وَمَا بَقِيَ لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى فِرَاقِهِ. فَمَا يَكُونُ مِنَ الْحَيْلَةِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى إِقَامَتِهِ عِنْدَنَا
دَائِمًا. لِأَنَّهُ إِذَا طَارَ. يَغِيبُ عَنَّا النَّهَارَ كُلَّهُ. وَلَا نَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ: فَاسَّارَتْ
عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ قَائِلَةٌ: أَسْتَرْحَنُ يَا أَخَوَاتِي. وَأَنَا أَجْعَلُهُ لَا يُفَارِقُنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ:
فَقَالَ لَهَا الْجَمِيعُ: إِنْ فَعَلْتِ ذَلِكَ كُنَّا لَكَ كُلُّنَا عَيْدًا

فَلَمَّا حَضَرَ الدَّرَاجُ مِنْ مَسْرَحِهِ وَجَلَسَ بَيْنَهَا . تَقَرَّبَتْ مِنْهُ السُّلْحَفَاءُ
 اَلْحُمْلَاءُ وَدَعَتْ لَهُ وَهَنَاتُهُ بِالسَّلَامَةِ . وَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي اَعْلَمْ اَنَّ اَللَّهَ قَدْ
 رَزَقَكَ مِنَّا اَلْحَبَّةَ وَكَذَلِكَ اَوْدَعَ قَلْبَكَ مَحَبَّتَنَا وَصِرْتَ لَنَا فِي هَذَا اَلْقَفْرِ اَنِيسًا
 وَاَحْسَنُ اَوْقَاتِ اَلنُّحَيْبِ اِذَا كَانُوا مُجْتَمِعِينَ وَاَلْبَلَاءُ اَلْعَظِيمُ فِي اَلْبُعْدِ
 وَاَلْفِرَاقِ . وَلِكِنَّكَ تَتْرُكُنَا عِنْدَ طُلُوعِ اَلْفَجْرِ . وَاَمَّ تَعُدُّ اَلْبِنَاءُ اِلَّا عِنْدَ اَلْغُرُوبِ
 فَبَصِيرُ عِنْدَنَا وَحِشَّةُ زَائِلَةٌ . وَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا ذَلِكَ كَثِيرًا وَنَحْنُ فِي وَجْدِ
 عَظِيمٍ بِهَذَا السَّبَبِ : فَقَالَ لَهَا الدَّرَاجُ : نَعَمْ اَنَا عِنْدِي مَحَبَّةٌ لَكِنَّ وَاَشْتِيَاقُ
 عَظِيمٌ اِلَيْكَ زِيَادَةً عَلٰى مَا عِنْدُكَ وَفِرَاقُكَ لَيْسَ سَهْلًا عِنْدِي . لَكِنْ مَا
 يَدِي حِيلَةٌ فِي ذَلِكَ لِكُوْنِي طَيْرًا يَا حَيْجَةَ فَلَا يُمْكِنُنِي اَلْمَقَامُ مَعَكَ دَائِمًا .
 لِاَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ طَبْعِي . فَاِنَّ الطَّيْرَ ذَا اَلْاَاجِحَةِ لَيْسَ لَهُ مُسْتَقَرٌّ اِلَّا فِي اَللَّيْلِ
 لِاَجْلِ اَلنُّومِ . وَاِذَا اَصْبَحَ طَارَ وَسَرَحَ فِي اَيِّ مَوْضِعٍ اَعْجَبَهُ : فَقَالَتْ لَهُ
 اَلسُّلْحَفَاءُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنْ ذُو اَلْاَاجِحَةِ فِي غَالِبِ اَلْاَوْقَاتِ لَا رَاحَةَ لَهُ لِكُوْنِهِ
 لَا يَبَالُغُ مِنْ اَلْحَيْرِ رُبْعٌ مَا يَحْضُلُ لَهُ مِنْ اَلْمَشَقَّةِ . وَغَايَةُ اَلْمَقْصُودِ لِلشَّخْصِ
 اَلرَّفَاهِيَةُ وَاَلرَّاحَةُ . وَنَحْنُ قَدْ جَعَلَ اَللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ اَلْحَبَّةَ وَاَلْاَلْفَةَ وَنَحْنُ
 عَلَيْكَ مِمَّنْ يَصْطَادُكَ مِنْ اَعْدَائِكَ . فَتَهْلِكُ وَنُحْرَمُ مِنْ رُؤْيَيْهِ وَجِهِكَ
 فَاجَابَهَا الدَّرَاجُ قَائِلًا : صَدَقْتَ . وَلَكِنْ مَا عِنْدَكَ مِنَ الرَّأْيِ وَاَلْحِيلَةِ
 فِي اَمْرِي : فَقَالَتْ لَهُ : الرَّأْيُ عِنْدِي اَنْ تَنْتَفَ سَوَاعِدَكَ اَلَّتِي تَسْرِعُ بِطَيْرَانِكَ
 وَتَقْعُدُ عِنْدَنَا مُسْتَرْجِمًا وَتَأْكُلُ مِنْ اَكْلِنَا وَتَشْرَبُ مِنْ شُرْبِنَا فِي هَذِهِ اَلْمَسْرَحَةِ
 اَلْكَثِيرَةِ اَلْاَشْجَارِ اَلْبَانِعَةِ اَلْاَثْمَارِ وَنَقِيمُ نَحْنُ وَاَنْتَ فِي هَذَا اَلْمَوْضِعِ
 اَلنُّحَيْبِ وَبِمَنْعِ كُلِّ مِنَّا بِصَاحِبِهِ : فَقَالَ الدَّرَاجُ اِلَى قَوْلِهَا وَقَصَدَ اَلرَّاحَةَ

لِنَفْسِهِ ثُمَّ تَنَفَّ رِيْشَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَتَّى حَكِمَ مَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْ رَأْيِ السُّلْخَفَاءِ
 وَاسْتَفَرَّ عِنْدَهُنَّ عَائِشًا مَعَهُنَّ وَرَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْبَيْسِيرَةِ وَالطَّرْبِ الزَّائِلِ
 فَيَبْنِيهَا هُنَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . إِذَا يَا بَنِي عَرَسٍ قَدْ مَرَّ فَرَمَقَهُ بِعَيْنِهِ وَتَأَمَّلَهُ
 فَرَأَهُ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِيعُ النَّهْوُضَ . فَلَمَّا رَأَاهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَرِحَ
 فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هَذَا الدَّرَّاجُ سَمِينٌ اللَّحْمِ قَلِيلُ الرِّيشِ : ثُمَّ
 دَنَا مِنْهُ ابْنُ عَرَسٍ وَأَفْتَرَسَهُ . فَصَاحَ الدَّرَّاجُ وَطَلَبَ النَّجْدَةَ مِنَ السَّلَاحِ .
 فَلَمْ يَجِدْنَاهُ بَلْ تَبَاعَدَنَ عَنْهُ . وَأَنْكَشَنَ فِي بَعْضِهِنَّ . لَهَا رَأْيُنُ ابْنِ عَرَسٍ
 قَائِمًا عَلَيْهِ . وَحَيْثُ رَأَى ابْنُ عَرَسٍ يُعَذِّبُهُ . خَنَقَهُنَّ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ . فَقَالَ
 هُنَّ الدَّرَّاجُ : هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ غَيْرُ الْبُكَاءِ : فَقُلْنَ لَهُ : يَا أَخَانَا . لَيْسَ لَنَا
 قُوَّةٌ وَلَا طَاقَةٌ وَلَا حِيلَةٌ فِي أَمْرِ ابْنِ عَرَسٍ : فَخَزَنَ الدَّرَّاجُ عِنْدَ ذَلِكَ . وَقَطَعَ
 الرَّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ نَفْسِهِ . وَقَالَ هُنَّ : لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ . إِنَّمَا الذَّنْبُ لِي . حَيْثُ
 أَطَعْتُمْ . وَتَنَفَّتُ أَجْنَحِي الْيَئِي أَطِيرُ بِهَا . فَأَنَا اسْتَحَقُّ الْهَلَاكَ لِهَطَاوَعِي
 لَكُنَّ . وَلَا أَلُوْمُكُنَّ فِي شَيْءٍ

الْتَعَالِبُ وَالذَّيْبُ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحْكِيمِهِ . فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْبُورَاءُ
 زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ التَّلْعَالِبِ . خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مَا
 يَأْكُلُونَ . فَيَبْنِيهَا هُنَّ بِجَوْلُونَ فِي طَلَبِ ذَلِكَ . إِذَا هُنَّ يَحْمِلُ مَيْتٍ . فَقَالُوا
 فِي أَنْفُسِهِمْ : قَدْ وَجَدْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ زَمَانًا طَوِيلًا . وَلَكِنْ نَخَافُ أَنْ يَبْغِيَنَا
 بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ . وَيَهْبِلُ الْقَوِيُّ بِقُوَّتِهِ عَلَى الضَّعِيفِ . فَهَبْلِكَ الضَّعِيفُ
 مِنَّا . فَيَبْغِيَنَا لَنَا أَنْ نَطْلُبَ حَكْمًا بِحُكْمٍ يَبْنِيهَا وَنَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا . فَلَا يَكُونُ

لِلْقَوِيِّ سُلْطَةً عَلَى الضَّعِيفِ : فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِي شَأْنِ ذَلِكَ . وَإِذَا
 يَذُئِبَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ أَصَابَ رَأْيُكُمْ فَأَجْعَلُوا هَذَا
 الذُّئِبَ حَكَمًا بَيْنَنَا لِأَنَّهُ أَقْوَمُ مِنَ النَّاسِ . وَأَبُوهُ سَابِقًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا .
 وَنَحْنُ نَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَنَا : ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَأَخْبَرُوهُ بِمَا
 صَارَ إِلَيْهِمْ . وَقَالُوا : لَقَدْ حَكَمْنَاكَ بَيْنَنَا لِأَجْلِ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا
 مَا يَقُوتُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ . عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ لِيَلَّا يَبْغِيَ قَوِينَا عَلَى ضَعِيفِنَا
 فَيُهْلِكَ بَعْضُنَا بَعْضًا : فَأَجَابَهُمُ الذُّئِبُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَتَعَاطَى أُمُورَهُمْ وَقَسَمَ
 عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا كَفَانَهُمْ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ الذُّئِبُ فِي نَفْسِهِ : إِنْ
 قَسَمَ هَذَا الْجَهْلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْعَاجِزِينَ لَا يُوَدُّ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا الْجُرْمُ
 الَّذِي جَعَلُوهُ لِي . وَإِنْ أَكَلْتُهُ وَخَدَيْتُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِي ضُرَامِعَ أَنَّهُمْ عَنَمَ
 لِي وَإِلَهُ بَيْتِي . فَبِنِ الَّذِي يَسْتَعِينِي عَنْ أَخْذِ هَذَا لِنَفْسِي . وَلَعَلَّ اللَّهَ مُسَبِّبُهُ
 لِي بِغَيْرِ حِيلَةٍ مِنْهُمْ . فَالْأَحْسَنُ لِي أَنْ أَخْصَّ بِهِ دُونَهُمْ . وَمِنْ هَذَا الْوَقْتِ
 لَا أُعْطِيهِمْ شَيْئًا : فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّعَالِبُ . جَاءُوا إِلَيْهِ عَلَى الْعَادَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ
 قُوتَهُمْ . فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ . أَعْطِنَا مَوْتَةَ يَوْمِنَا : فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا : مَا
 بَقِيَ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِ لَكُمْ : فَذَهَبُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ ثُمَّ قَالُوا : إِنْ
 اللَّهُ أَوْعَدَنَا فِي هَمِّ عَظِيمٍ مَعَ هَذَا الْخَائِنِ الْخَائِثِ . الَّذِي لَا يَتَّقِي اللَّهَ وَلَا
 يَخَافُهُ . وَلَيْسَ لَنَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا
 الْأَمْرِ ضَرُورَةُ الْجُوعِ . فَدَعُوهُ الْيَوْمَ يَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى يَشْبَعَ وَفِي غَدٍ نَذْهَبُ
 إِلَيْهِ : فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ . إِنَّمَا وَلَّيْنَاكَ عَلَيْنَا
 لِأَجْلِ أَنْ تَدْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قُوتَهُ . وَنُنْصِفَ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ . وَإِذَا

فَرَعَ تَجْتَهِدُ لَنَا فِي تَحْصِيلِ غَيْرِهِ . وَتَصِيرَ دَائِمًا تَحْتَ كَنَفِكَ وَرِعَايَتِكَ .
 وَقَدْ مَسَّنَا الْجُوعُ . وَلَنَا يَوْمَانِ مَا أَكَلْنَا . فَأَعْطِنَا مَوْتِنَا . وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ
 جَمِيعِ مَا نَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ حُونَ ذَلِكَ : فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . بَلْ أزدَادَ
 قَسْوَةً . فَرَأَجَعُوا فَلَمْ يَرْجِعْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَيْسَ لَنَا حِيلَةٌ إِلَّا أَنْتَا
 نَنْطَلِقُ إِلَى الْأَسَدِ . وَنَرْمِي أَنْفُسَنَا عَلَيْهِ . وَنَجْعَلُ لَهُ الْجَمَلُ فَإِنْ أَحْسَنَ لَنَا
 بَشِيئَةً مِنْهُ كَانَ مِنْ فَضْلِهِ وَالْأَفْهَى أَحَقُّ بِهِ مِنْ هَذَا الْحَبِيثِ : ثُمَّ انْطَلَقُوا إِلَى
 الْأَسَدِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مَعَ الذِّئْبِ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ : نَحْنُ عِيْدُكَ وَقَدْ
 جِئْنَاكَ مُسْتَجِيرِينَ بِكَ لِنُخْلِصْنَا مِنْ هَذَا الذِّئْبِ وَتَصِيرَ لَكَ عِيْدًا : فَلَمَّا
 سَمِعَ الْأَسَدُ كَلَامَ الثَّعَالِبِ أَخَذَتْهُ الْحُبِيئَةُ وَغَارَ لِلَّهِ تَعَالَى وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى
 الذِّئْبِ . فَلَمَّا رَأَى الذِّئْبُ الْأَسَدَ مُقْبِلًا طَلَبَ الْفِرَارَ مِنْ قُدَامِهِ . فَجَرَى
 الْأَسَدُ خَلْفَهُ وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَمَزَقَهُ فِطْعَاءً وَمَكَّنَ الثَّعَالِبَ مِنْ فَرِيَسَتِهِمْ : فَمِنْ هَذَا
 يَنْتُجُ بَيَانُهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ فِي أَمْرِ رِعَايَتِهِ

السَّنْدَبَادُ الْحَمَلُ

٨٩٤ إِنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ الْخُلَيْفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ بَيْدِيْنَةَ بَغْدَادَ
 رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ السَّنْدَبَادُ الْحَمَلُ وَكَانَ رَجُلًا فَنِيْرًا الْحَمَلِ بِحَيْلٍ بِأَجْرَتِهِ عَلَى
 رَأْسِهِ . فَأَتَقَقَ لَهُ أَنَّهُ حَمَلٌ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حِمْلَةٌ ثَقِيْلَةٌ وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ
 شَدِيدَ الْحَرِّ فَتَعَبَ مِنْ تِلْكَ الْحِمْلَةِ وَعَرِقَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ . فَهَرَّ عَلَى بَابِ
 رَجُلٍ تَاجِرٍ قُدَامَهُ كَنْسٌ وَرَشٌّ وَهُنَاكَ هَوَاءٌ مُعْتَدِلٌ وَكَانَ بِجَانِبِ الْبَابِ
 مَضْطَبَةٌ عَرِيضَةٌ فَحَطَّ الْحَمَلُ حِمْلَتَهُ عَلَى تِلْكَ الْبِضْطَبَةِ لِيَسْتَرْجِحَ وَيَسْمُ الْهَوَاءَ
 فَخَرَجَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ نَسِيمٌ رَائِقٌ وَرَائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ فَاسْتَلَدَ الْحَمَلُ لِذَلِكَ

وَجَلَسَ عَلَى جَانِبِ الْبِضْطَبَةِ. فَسَمِعَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ نَغْمَ أَوْتَارٍ وَعُودٍ
 وَأَعْوَاتٍ مُطْرَبَةٍ وَأَنْوَاعٍ إِنْشَادٍ مُغْرَبَةٍ. وَسَمِعَ أَيْضًا أَصْوَاتَ طُوبُرٍ تُنَاغِي
 وَسُجَّجِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَخْتِلَافِ الْأَصْوَاتِ وَسَائِرِ اللُّغَاتِ مِنْ قَمَارِيٍّ وَهَزَارِيٍّ
 وَشَعَارِيٍّ وَبُلْبُلٍ وَفَاحِخَةٍ وَكَرْوَانٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ وَطَرِبَ
 طَرِبًا شَدِيدًا. فَتَقَدَّمَ إِلَى ذَلِكَ فَوَجَدَ دَاخِلَ الْبَيْتِ بُسْتَانًا عَظِيمًا وَنَظَرَ فِيهِ
 غُلَامَانًا وَعَبِيدًا وَخَدَمًا وَحَشَمًا وَشَيْئًا لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ.
 وَبَعْدَ ذَلِكَ هَبَّتْ عَلَيْهِ رَاحِحَةٌ طَيِّبَةٌ ذَكِيَّةٌ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ
 الْمُخْتَلِفَةِ وَالشَّرَابِ الطَّيِّبِ. فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ
 يَا خَالِقُ يَا رَازِقُ تَرَزُّقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ
 الذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ الْعُيُوبِ. يَا رَبِّ لَا أَعْتَزُّ بِعَيْنِكَ فِي حُكْمِكَ
 وَقَدَّرْتَكَ فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سُبْحَانَكَ تُغْنِي
 مَنْ تَشَاءُ وَتُفْقِرُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعْزِّزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مَا
 أَعْظَمَ شَأْنُكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانُكَ وَمَا أَحْسَنَ تَدْيِيرُكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ مِنْ
 تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ. فَهَذَا الْمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ النِّعْمَةِ وَهُوَ مُتَلَدِّذٌ بِالرَّوَّاحِ
 اللَّطِيفَةِ وَالْمَأْكَلِ اللَّذِيذِ وَالْمَشَارِبِ الْفَاحِخَةِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ. وَقَدْ
 حَكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِهَا تَرْيِدًا وَقَدَّرْتَهُ عَلَيْهِمْ. فَمِنْهُمْ تَعْبَانٌ وَمِنْهُمْ مُسْتَرْجِحٌ
 وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلِي فِي غَايَةِ التَّعَبِ وَالذُّلِّ. وَأَنْشَدَ يَقُولُ
 فَكَمْ مِنْ شَيْءٍ بِالرَّاحَةِ يَنْعَمُ فِي خَيْرٍ فِيَّ وَظِلِّ
 وَأَصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ وَأَمْرِي عَجِيبٌ وَقَدْ زَادَ حَمْلِي
 وَغَيْرِي سَعِيدٌ بِالشَّفْوَةِ وَمَا حَمَلَ الدَّهْرَ بَوْمًا كَحَمْلِي

يَبْسُطُ وَعِزٌّ وَشَرِبَ وَأَكَلَ
 بِنَعْمٍ فِي عَيْشِهِ دَائِمًا
 وَأَنَا مِثْلُ هَذَا وَهَذَا كَثِيرِي
 وَكُلُّ الْحَلَاثِقِ مِنْ نُطْفَةٍ
 وَشَتَانِ مَا بَيْنَنَا
 وَلَكِنَّ شَتَانَ مَا بَيْنَنَا
 فَأَنْتَ حَكِيمٌ حَكَمْتَ بِعَدْلٍ
 وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ أَفْرَاءً

فَلَمَّا فَرَغَ السَّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ مِنْ شِعْرِهِ وَنَظَمِهِ أَرَادَ أَنْ يَجْهَلَ حِمْلَهُ وَبَسِيرَ
 إِذْ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ غُلَامٌ صَغِيرُ السِّنِّ حَسَنُ الْوَجْهِ مَلِيحُ الْقَدِّ
 فَاخِرُ الْمَلَائِسِ. فَتَبَضَّ عَلَى يَدِ الْحَمَّالِ وَقَالَ لَهُ: أَدْخُلْ كَلِمَ سَيِّدِي فَإِنَّهُ
 يَدْعُوكَ: فَأَرَادَ الْحَمَّالُ الْإِمْتِنَاعَ مِنَ الدُّخُولِ مَعَ الْغُلَامِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ.
 فَحَطَّ حِمْلَهُ عِنْدَ الْبُوبِ فِي دِهْلِيزِ الْمَكَانِ وَدَخَلَ مَعَ الْغُلَامِ دَاخِلَ الدَّارِ.
 فَوَجَدَ دَارًا مَلِيحَةً وَعَلَيْهَا أُنْسٌ وَوَقَارٌ. وَنَظَرَ إِلَى مَجْلِسِ عَظِيمٍ فَنَظَرَ فِيهِ
 مِنْ السَّادَاتِ الْكِرَامِ وَالْمَوْلَى الْعِظَامِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الزَّهْرِ وَجَمِيعِ
 أَصْنَافِ الْمَشْهُومِ وَمِنْ أَنْوَاعِ النُّقْلِ وَالنُّوَكِيهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ
 الْأَطْعِمَةِ النَّفِيسَةِ. وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ خَوَاصِّ دَوَالِي الْكُرُومِ وَفِيهِ آلَاتُ
 السَّمَاعِ وَالطَّرَبِ مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَارِي الْحَسَانِ كُلِّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى
 حَسَبِ التَّرْتِيبِ. وَفِي صَدْرِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ عَظِيمٌ مُحْتَرَمٌ قَدْ لَكَّنَ
 الشَّيْبُ فِي عَوَارِضِهِ وَهُوَ مَلِيحُ الصُّورَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَعَلَيْهِ هَيْبَةٌ وَوَقَارٌ وَعِزٌّ
 وَافْتِخَارٌ. فَعِنْدَ ذَلِكَ بَهَتَ السَّنْدَبَادُ الْحَمَّالُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا
 الْمَكَانَ مِنْ بَقْعِ الْجَنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُونُ قَصْرَ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ: ثُمَّ إِنَّهُ تَأَلَّبَ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَبَلَ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوَقَفَ وَهُوَ مُنْكَسُ
 الرَّأْسِ مُتَخَشِّعٌ. فَأَذِنَ لَهُ صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ وَقَدَّرَهُ إِلَيْهِ

وَصَارَ يُؤَانِسُهُ بِالْكَلَامِ وَيَرْحَبُ بِهِ . ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ
 الْمُنْفَعِ الطَّيِّبِ النَّفِيسِ . فَتَقَدَّمَ السَّنْدَبَادُ الْحَمَلُ وَسَمِيَ وَكَلَّ حَتَّى أَكْتَفَى
 وَشَبِعَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ : ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُمْ عَلَى
 ذَلِكَ . فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ : مَرَحَبًا بِكَ وَنَهَارُكَ مُبَارَكٌ . فَأَيْكُونُ اسْمُكَ .
 وَمَا نَعَانِي مِنَ الصَّنَائِعِ : فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي أَسْمِي السَّنْدَبَادُ الْحَمَلُ وَأَنَا أَحْمَلُ
 عَلَى رَأْسِي أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأَجْرِ : فَتَبَسَّمَ صَاحِبُ الْمَكَانِ وَقَالَ لَهُ : أَعَلَمْ
 يَا حَمَلُ أَنَّ اسْمَكَ مِثْلُ اسْمِي . فَأَنَا السَّنْدَبَادُ الْبَحْرِيُّ وَلَكِنْ يَا حَمَلُ فَصِّدِي
 أَنْ تُسَمِعَنِي الْآيَاتِ الَّتِي كُنْتَ تُنْشِدُهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ : فَاسْتَجَبَ الْحَمَلُ
 وَقَالَ لَهُ : يَا اللَّهُ عَلَيْكَ لَا تُوَاخِذْنِي فَإِنَّ النَّعَبَ وَالْمَشَقَّةَ وَقِلَّةَ مَا فِي الْيَدِ تُعَلِّمُ
 الْإِنْسَانَ قِلَّةَ الْأَدَبِ وَالسَّفَهَةِ : فَقَالَ لَهُ : لَا تَسْتَحْ فَأَنْتَ صِرْتَ أَخِي فَأَنْشِدْ
 الْآيَاتِ فَإِنَّمَا أُعْجِبْتَنِي لَهَا سَمِعْتَهَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا عَلَى الْبَابِ : فَعِنْدَ
 ذَلِكَ أَنْشَدَ الْحَمَلُ تِلْكَ الْآيَاتِ فَأَعْجَبْتَهُ وَطَرِبَ لِسَمَاعِهَا وَقَالَ لَهُ :
 يَا حَمَلُ أَعَلَمْ أَنَّ لِي قِصَّةَ عَجِيبَةٍ وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِجَمِيعِ مَا صَارَ لِي وَمَا جَرَى
 لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِيرَ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلِسَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي
 فِيهِ . فَإِنِّي مَا وَصَلْتُ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ وَهَذَا الْمَكَانِ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ
 وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ . وَكَمْ فَاسَيْتُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ
 وَالنَّصَبِ . وَقَدْ سَافَرْتُ سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفَرَةٍ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ تُخَيِّرُ الْفِكْرَ
 السَّفَرَةُ السَّادِسَةُ

مِنَ السَّبْعِ السَّفَرَاتِ لِلسَّنْدَبَادِ الْبَحْرِيِّ

إِعْلَمُوا يَا سَادَةَ يَا كِرَامُ . أَنَّهُ كَانَ لِي أَبٌ تَاجِرٌ وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ النَّاسِ

وَالْتِجَارِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَتَوَالَ جَزِيلٌ . وَقَدْ مَاتَ وَأَنَا وَوَلَدٌ
صَغِيرٌ وَخَلْفَ لِي مَالًا وَعَقَارًا وَضِياعًا . فَلَمَّا كَبُرْتُ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى
الْجَمِيعِ وَقَدْ أَكَلْتُ أَكْلًا مَلِيحًا وَشَرَبْتُ شُرْبًا مَلِيحًا وَعَاشَرْتُ الشَّبَابَ
وَجَمَّهَلْتُ بِلُبْسِ الشِّيَابِ وَمَشَيْتُ مَعَ الْخُلَّانِ وَالْأَصْحَابِ وَأَعْتَقَدْتُ أَنَّ
ذَلِكَ يَدُومُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَدَّةً مِنَ الزَّمَانِ وَأَفْقْتُ
مِنْ غَفْلَتِي . ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ إِلَى عَقْلِي فَوَجَدْتُ مَا لِي قَدْ مَالَ وَحَالِي قَدْ حَالَ
وَقَدْ ذَهَبَ جَمِيعُ مَا كَانَ مَعِي وَلَمْ أَسْتَفِقْ لِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا مَرُوعٌ مَدْهُوشٌ
وَقَدْ تَفَكَّرْتُ حِكَايَةَ كُنْتُ أَسْمَعُهَا سَابِقًا مِنْ أَبِي وَهِيَ حِكَايَةُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ
بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ثَلَاثَةُ خَيْرٍ مِنْ ثَلَاثَةِ شَرٍّ : يَوْمُ الْمَمَاتِ خَيْرٌ مِنْ
يَوْمِ الْوِلَادَةِ . وَكَلْبٌ حَيٌّ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِ مَيِّتٍ . وَالْقَبْرُ خَيْرٌ مِنَ النَّقْرِ : ثُمَّ
إِنِّي قَهْتُ وَجَمَعْتُ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ آثَارِ وَمَلْبُوسٍ وَبِعْتُهُ ثُمَّ بَعْتُ عَقَارِي
وَجَمَعْتُ مَا تَهَلَّكَتُ يَدِي فَجَمَعْتُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَقَدْ خَطَرَ بِيَالِي السَّفَرُ
إِلَى بِلَادِ النَّاسِ وَتَذَكَّرْتُ كَلَامَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ حَيْثُ قَالَ :

يَقْدِرُ الْكُدُّ تَكْتَسِبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي
يُغْوَسُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ الْأَلَاكِي وَيَحْظَى بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِي
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كُدٍّ أَضَاعَ الْعَهْرَ فِي طَلَبِ الْبَحَالِي

Huc usque
congrue
e. ni -
Jatur.
Agrees
w. both.

فَأَشْتَاقْتُ نَفْسِي إِلَى السَّفَرِ وَالتَّجَارَةِ فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ وَأَشْرَيْتُ لِي بَضَائِعَ
نَيْسَةَ فَأَخَرَهُ تَصَلَّحَ لِلْبَحْرِ وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَسَافَرْتُ مِنْ مَدِينَةِ بَغْدَادَ إِلَى
مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ فَرَأَيْتُ مَرْكَبًا عَظِيمًا فِيهِ تِجَارٌ وَكَأْبُرُ وَمَعَهُمْ بَضَائِعُ نَيْسَةَ
فَنَزَلْتُ حُمُولِي مَعَهُمْ فِي هَذَا الْمَرْكَبِ وَسِرْنَا بِالسَّلَامَةِ مِنْ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ وَلَمْ

٨٩٧

نَزَلَ مُسَافِرِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ
 وَنَشْتَرِي وَنَتَفَرِّجُ عَلَى بِلَادِ النَّاسِ . وَقَدْ طَابَ لَنَا السَّعْدُ وَالسَّفَرُ وَأَغْنَيْنَا
 الْمَعَاشَ إِلَى أَنْ كُنَّا سَائِرِينَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِرَأْسِ الْمَرْكَبِ صَرَخَ
 وَصَاحَ وَرَمَى عِيَامَتَهُ وَأَلْطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَتَنَفَّ لِحَيْبَتِهِ وَوَقَعَ فِي بَطْنِ الْمَرْكَبِ
 مِنْ شِدَّةِ الْغَمِّ وَالْقَهْرِ . فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ التِّجَارِ وَالرُّكَّابِ . وَقَالُوا لَهُ يَا رَأْسُ
 مَا الْحَبْرُ فَقَالَ لَهُمُ الرَّأْسُ : أَعْلَمُوا بِاجْتِمَاعِ أَتِنَا قَدْ تَهِنَا بِهَرَكِينَا وَخَرَجْنَا
 مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَدَخَلْنَا بَحْرًا لَمْ نَعْرِفْ طُرُقَهُ وَإِذَا لَمْ يُقْبِضِ اللَّهُ لَنَا
 شَيْئًا يُخَلِّصُنَا مِنْ هَذَا الْبَحْرِ هَلِكْنَا بِاجْتِمَاعِنَا لِاحْتِمَالَةِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجِيبَنَا
 مِنْ هَذَا الْأَمْرِ : ثُمَّ إِنَّ الرَّأْسَ قَامَ عَلَى حَيْلِهِ وَصَعِدَ عَلَى الصَّارِي وَأَرَادَ أَنْ
 يَجْلُ الْفُلُوعَ فَتَوَيَّرَ الرَّجُحُ عَلَى الْمَرْكَبِ فَزَدَهَا عَلَى مُوْخَرِّهَا فَانْكَسَرَتْ دَفْنَهَا
 قُرْبَ جَبَلٍ عَالٍ . فَتَزَلَّ الرَّأْسُ مِنَ الصَّارِي وَقَالَ : لِأَحْوَالٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
 بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا يَتَدَبَّرُ أَحَدٌ أَنْ يَهْنَعَ الْمَقْدُورَ . وَاللَّهُ إِنَّمَا قَدْ وَقَعْنَا فِي
 مَهْلَكَةٍ عَظِيمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهَا مَخْلَصٌ وَلَا نَجَاةٌ : فَبَكَى جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ وَوَدَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِفِرَاقِ أَعْمَارِهِمْ وَأَنْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَمَالَ الْمَرْكَبُ
 عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ فَانْكَسَرَ وَتَفَرَّقَتِ الْوَاحِيهَا . فَغَرِقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ
 وَوَقَعَ التِّجَارُ فِي الْبَحْرِ . فَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَّكَ بِذَلِكَ الْجَبَلِ
 وَطَلَعَ عَلَيْهِ . وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ طَلَعَ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَإِذَا فِيهِ جَزِيرَةٌ كَثِيرَةٌ
 عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَائِبِ الْمَكْسُورَةِ . وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ
 مِنَ الَّذِي يَطْرُقُهُ الْبَحْرُ مِنَ الْمَرَائِبِ الَّتِي كُسِّرَتْ وَغَرِقَ رُكَّابُهَا . وَفِيهَا شَيْءٌ
 كَثِيرٌ يُجَبِّدُ الْعُقْلَ وَالْفِكْرَ مِنَ الْمَتَاعِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي يُلْقِيهَا الْبَحْرُ عَلَى

 ٩٢٢
 paragr.
 c. m.

٩٢٢/٤

٩٢٨،
 ل. ٦.
 جَوَانِبَهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَتْ أَعْلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَمَشَبَتْ فِيهِ فَرَأَيْتُ فِي
 وَسَطِهَا عَيْنَ مَاءٍ عَذْبٍ جَارٍ خَارِجٍ مِنْ تَحْتِ أَوَّلِ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَاخِلِ
 فِي آخِرِهِ مِنَ الْجَانِبِ الثَّانِي. فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَ جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى ذَلِكَ
 الْجَبَلِ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ ذَهَلَتْ عُقُولُهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَصَارُوا
 مِثْلَ الْجَانِبِينَ مِنْ كَثْرَةِ مَا رَأَوْا فِي الْجَزِيرَةِ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي عَلَى
 سَاحِلِ الْبَحْرِ. وَقَدَرْتُ فِي وَسَطِ تِلْكَ الْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ
 الْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِينِ وَالْيَوَاقِيتِ وَاللَّائِيءِ الْكِبَارِ الْمُلُوكِيَّةِ وَهِيَ مِثْلُ الْخَصِيِّ فِي
 بَحَارِي الْمَاءِ فِي تِلْكَ الْغَيْطَانِ. وَجَمِيعُ أَرْضِ تِلْكَ الْعَيْنِ تَبْرُقُ مِنْ كَثْرَةِ مَا
 فِيهَا مِنَ الْمَعَادِينِ وَغَيْرِهَا. وَرَأَيْتُ شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَعْلَى الْعُودِ
 الصِّبْيِيِّ وَالْعُودِ الْقَمَارِيِّ. وَفِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ عَيْنٌ نَابِعَةٌ مِنْ صَنْفِ الْعَنْبَرِ
 الْحَامِ وَهُوَ يَسِيلُ مِثْلَ الشَّمْعِ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ
 وَيَهْتَدُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَتَطْلُعُ الْهَوَاشِ مِنْ الْبَحْرِ تَبْلَعُهُ وَتَنْزِلُ بِهِ فِي الْبَحْرِ
 فَيَحْمِي فِي بَطُونِهَا فَتَقْدِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِهَا فِي الْبَحْرِ فَيَجْهَدُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ. فَعِنْدَ
 ذَلِكَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَأَحْوَالُهُ فَتَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ فَيَأْخُذُ
 السَّبَّاحُونَ وَالْتِجَارُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ فَيَبِيعُونَهُ. وَأَمَّا الْعَنْبَرُ الْحَامُ الْحَالِصُ مِنَ
 الْبَلْعِ فَإِنَّهُ يَسِيلُ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ وَيَجْهَدُ بِأَرْضِهِ. وَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ
 الشَّمْسُ يُسْبِغُ وَيَبْقَى مِنْهُ رَائِحَةٌ ذَلِكَ الْوَادِي كُلُّهُ مِثْلَ الْهَسْكِ. وَإِذَا زَالَتْ
 عَنْهُ الشَّمْسُ يَجْهَدُ. وَذَلِكَ الْمَكَانُ الَّذِي فِيهِ هَذَا الْعَنْبَرُ الْحَامُ لَا يَقْدِرُ
 أَحَدٌ عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ سُلُوكُهُ. فَإِنَّ الْجَبَلَ مُحِيطٌ بِتِلْكَ الْجَزِيرَةِ
 وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صُعُودِ ذَلِكَ الْجَبَلِ. وَلَمْ نَزَلْ دَائِرَتَيْنِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ

تَفَرَّجُ عَلَيَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَرْزَاقِ وَنَحْنُ مُتَحَدِّرُونَ فِي أَمْرِنَا وَفِيمَا
نَرَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيدٌ. وَقَدْ جَمَعْنَا عَلَى جَانِبِ الْجَزِيرَةِ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ
الزَّادِ فَصَرْنَا نَوْفَرَهُ وَنَأْكُلُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَكْلَةً وَاحِدَةً وَنَحْنُ
خَائِفُونَ أَنْ يَفْرَغَ الزَّادُ مِنَّا فَنَمُوتَ كَمَا مَاتَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ. وَكُلُّ مَنْ
مَاتَ مِنَّا نَغْسِلُهُ وَنَكْفِنُهُ فِي ثِيَابٍ وَفُأْسٍ مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ عَلَى جَانِبِ
الْجَزِيرَةِ حَتَّى مَاتَ مِنَّا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَبْقَ مِنَّا إِلَّا جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ. فَضَعْنَا بُوجَعِ
الْبَطْنِ مِنَ الْبَحْرِ وَأَقَمْنَا مَدَّةً قَلِيلَةً فَاتَّ جَمِيعُ أَصْحَابِي وَرَفَقَائِي وَاحِدٌ بَعْدَ
وَاحِدٍ. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ نَدَفْنُهُ. وَبَقِيَْتُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَخَدِيدِي وَبَنِي
مَعِيَ زَادٌ قَلِيلٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا فَبَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَقُلْتُ: يَا لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ
رَفَقَائِي وَكَانُوا غَسَلُونِي وَدَفَنُونِي فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ:
ثُمَّ إِنِّي أَقَمْتُ مَدَّةً بَسِيرَةً وَقُمْتُ حَفَرْتُ لِنَفْسِي حُفْرَةً عَمِيقَةً فِي جَانِبِ
تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا ضَعُفْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ أَتَانِي أَرْقُدُ
فِي هَذَا الْقَبْرِ فَأَمُوتُ فِيهِ وَيَسِقَى الرِّيحُ بُسْفِي الرَّمْلَ عَلَيَّ فَيَغْطِينِي وَأَصِيرُ
مَدْفُونًا فِيهِ. وَصَرْتُ أَلُومُ نَفْسِي عَلَى قِلَّةِ عَقْلِي وَخُرُوجِي مِنْ بِلَادِي وَمَدِينَتِي
وَسَفَرِي إِلَى الْبِلَادِ بَعْدَ الَّذِي فَاسَيْتُهُ أَوْلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا.
وَلَا سَفَرَةَ مِنَ الْأَسْفَارِ إِلَّا وَأُقَاسِي أَهْوَالًا وَشَدَائِدَ أَشَقَّ وَأَصْعَبَ مِنَ
الْأَهْوَالِ الَّتِي قَبْلَهَا. وَمَا أَصْدَقُ بِالنَّجَاةِ وَالسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنْ السَّفَرِ فِي
الْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَيْهِ. وَلَسْتُ مُحْتَاجًا لِهَالٍ وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ. وَالَّذِي
عِنْدِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْنِيَهُ وَلَا أُضِيعَ نِصْفَهُ فِي بَاقِي عُمْرِي. وَعِنْدِي مَا يَكْفِينِي
وَرِيَادَةً. ثُمَّ إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ هَذَا النَّهْرُ لَهُ أَوَّلٌ

٩٢٩
٢٣

وَأَخِرُّ وَلَا بُدَّ مِنْ مَكَانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْعَمَارِ. وَالرَّأْيُ السَّيِّدُ عِنْدِي أَنِّي
 أَعْمَلُ لِي فُلْكَأً صَغِيرًا عَلَى قَدْرِ مَا أَجْلِسُ فِيهِ وَأَنْزِلُ وَأَلْقِيهِ فِي هَذَا النَّهْرِ
 وَأَسِيرُ بِهِ. فَإِنْ وَجَدْتُ لِي خَلَاصًا أَخْلَصُ وَأَنْجُو بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَإِنْ لَمْ
 أَجِدْ لِي مَخْلَصًا أَمُوتُ دَاخِلَ هَذَا النَّهْرِ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ وَصِرْتُ
 أَنْحَسَرُ عَلَى نَفْسِي. ثُمَّ إِنِّي قُمْتُ وَسَعَيْتُ فَجَمَعْتُ أَخْشَابًا مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
 مِنْ خَشَبِ الْعُودِ الصِّبِيِّ وَالْقَهْمَارِيِّ وَشَدَدْتُهَا عَلَى جَانِبِ الْبَعْرِ بِجِبَالٍ مِنْ
 جِبَالِ الْمَرَكَبِ الَّتِي كَسَرْتُ وَجِئْتُ بِالْوَجْهِ مَتَسَاوِيَةً مِنَ الْوَجْهِ الْمَرَكَبِ
 وَوَضَعْتُهَا فِي ذَلِكَ الْخَشَبِ وَجَعَلْتُ ذَلِكَ الْفُلْكَ عَلَى عَرْضِ ذَلِكَ النَّهْرِ
 أَوْ أَقْلَ مِنْ عَرْضِهِ. وَشَدَدْتُهُ شَدًّا طَيِّبًا مَكِينًا. وَقَدْ أَخَذْتُ مَعِيَ مِنْ تِلْكَ
 الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَمْوَالِ وَاللُّؤْلُؤِ الْكَبِيرِ الَّذِي مِثْلُ الْحَصَى وَغَيْرِ
 ذَلِكَ مِنَ الَّذِي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَشَيْئًا مِنَ الْعَنْبَرِ الْحَامِ الْخَالِصِ الطَّيِّبِ
 وَوَضَعْتُهُ فِي ذَلِكَ الْفُلْكَ وَوَضَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ مَا جَمَعْتُهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَأَخَذْتُ
 مَعِيَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَاقِيًا مِنَ الزَّادِ. ثُمَّ إِنِّي أَلْقَيْتُ ذَلِكَ الْفُلْكَ فِي هَذَا النَّهْرِ
 وَجَعَلْتُ لَهُ خَشَبَتَيْنِ عَلَى جَنْبَيْهِ مِثْلَ الْجَادِيْفِ وَعَمِلْتُ بِقَوْلِ بَعْضِ
 الشُّعْرَاءِ

وَحَلَّ الْكَلْرُ تَنَعَى مَنْ بَنَاهَا	تَرَحَّلَ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ ضَمِيمٌ
وَنَفْسُكَ لَمْ تَحِدْ نَفْسًا سِوَاهَا	فَإِنَّكَ وَاجِدُ أَرْضًا يَارِضِي
فَكُلُّ مُصِيبَةٍ يَأْتِي أَتْنَاهَا	وَلَا تَجْزَعُ لِجَادِيَةِ اللَّيَالِي
فَلَيْسَ يَهْوَتْ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا	وَمَنْ كَانَتْ مَنِئْتُهُ يَارِضِي
فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا	وَلَا تَبْعَثُ رَسُولَكَ فِي مِهِمَّ

وَسِرْتُ بِذَلِكَ الْفُلْكِ فِي النَّهْرِ وَأَنَا مَتَفَكِّرٌ فِيمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرِي . وَلَمْ
 أَزَلْ سَائِرًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ النَّهْرُ تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَخَلْتُ
 الْفُلْكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَقَدْ صِرْتُ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَلَمْ
 يَزَلِ الْفُلْكَ دَاخِلًا بِي مَعَ الْمَاءِ إِلَى صَبْفٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَصَارَتْ جَوَانِبُ
 الْفُلْكِ تَحْتُ فِي جَوَانِبِ النَّهْرِ وَرَأْسِي يَحُكُّ فِي سَفْفِ النَّهْرِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى
 إِيَّيْ أَعُودُ مِنْهُ وَقَدْ لُمْتُ نَفْسِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِرُوحِي وَقُلْتُ : إِنْ ضَاقَ الْمَكَانُ
 عَلَى الْفُلْكِ قُلْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ وَلَا يُهَيِّئْ عَوْدَهُ فَأَهْلِكُ فِي الْمَكَانِ كَمَا بَلَآ
 مَحَالَةَ . وَقَدْ أَنْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِي فِي الْفُلْكِ مِنْ صَبْفِ النَّهْرِ . وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا
 وَلَا أَعْلَمُ لَبَلًا مِنْ نَهَارٍ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ مَعَ
 الْفَزَعِ وَالْخَوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنْ أَهْلَاكِ . وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ سَائِرًا فِي ذَلِكَ
 النَّهْرِ وَهُوَ يَتَسَعُّ تَارَةً وَيَضِيقُ أُخْرَى . وَلَكِنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ أَعْبَتْنِي تَعْبَا شَدِيدًا
 فَأَخَذْتَنِي سِنَّةٌ مِنَ النَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنِمْتُ عَلَى وَجْهِي فِي الْفُلْكِ . وَلَمْ
 يَزَلْ سَائِرًا بِي وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَذْرِي بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ . ثُمَّ إِنِّي اسْتَبَقْتُ فَوَجَدْتُ
 نَفْسِي فِي النُّورِ . فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ مَكَانًا وَاسِعًا وَذَلِكَ الْفُلْكَ مَرْبُوطًا
 عَلَى جَزْبَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْهُنُودِ وَالْحَبَشَةِ . فَلَمَّا رَأَوْنِي نِمْتُ نَهَضُوا إِلَيَّ
 وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ فَلَمْ أَعْرِفْ مَا يَقُولُونَ . وَبَقِيْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ حُلْمٌ وَأَنَّ هَذَا فِي
 الْمَنَامِ مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضَّيْقِ وَالنَّهْرِ . فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَلَمْ أَعْرِفْ
 حَدِيثَهُمْ وَلَمْ أَرُدُّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . تَقَدَّمَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ لِي بِلِسَانِ
 عَرَبِيٍّ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَانَا . مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمَنْ أَبْنُ جَيْتَ . وَمَا سَبَبُ
 مَجِيئِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ . وَمِنْ أَهْلِ دَخَلْتَ فِي هَذَا الْمَاءِ . وَأَبُ بِلَادٍ خَلْفَ

هَذَا الْجَبَلِ لِأَنَّنا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا سَلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا: فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ تَكُونُونَ
 أَنْتُمْ وَأَيُّ أَرْضٍ هَذِهِ: فَقَالَ لِي: يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ الزَّرْعِ وَالْغَيْطَانِ وَجُنَاتِنَا
 لِنَسْتَفِي غَيْطَانَنَا وَزَرَعَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي الْفُلْكِ فَأَمْسَكْنَاهُ وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا
 حَتَّى نَقُومَ عَلَى مَهْلِكَ. فَأَخْبِرْنَا مَا سَبَبُ وُضُوكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ: فَقُلْتُ لَهُ:
 يَا اللَّهُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي أَتَيْتَنِي بِشَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ فَإِنِّي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَسَأَلُنِي
 عَمَّا تُرِيدُ. فَاسْرِعْ وَأَتَانِي بِالطَّعَامِ فَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَأَرْتَحْتُ وَسَكَنْتُ
 رَوْعِي وَأَزْدَادَ شَبْعِي وَرُدَّتْ لِي رَوْحِي. فَحَمِدْتَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ
 وَفَرِحْتَ بِخُرُوجِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ وَوُضُوكَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى
 لِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقَيْتُهُ فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَضَيْفِهِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا مَعَ
 بَعْضِهِمْ وَقَالُوا: لَا بُدَّ أَنْ نَأْخُذَ مَعَنَا وَنَعْرِضَهُ عَلَى مَلِكِنَا لِنُخْبِرَهُ بِمَا جَرَسَ
 لَهُ: قَالَ: فَأَخَذُونِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مَعِيَ الْفُلْكَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَالِ وَالنَّوَالِ
 وَالْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْمَصَاغِ. وَقَدْ أَذْخَلُونِي عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى.
 فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي وَمَا اتَّفَقَ لِي مِنَ الْأُمُورِ. فَأَخْبَرْتُهُ
 بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَمَا لَقَيْتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ. فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ
 هَذِهِ الْحِكَايَةِ غَايَةَ الْعَجَبِ وَهَنَأَنِي بِالسَّلَامَةِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قُبْتُ وَطَلَعْتُ مِنْ
 ذَلِكَ الْفُلْكِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْعُودِ وَالْعَنْبَرِ الْحَمَامِ
 وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَبِلَهُ مِنِّي وَأَكْرَمَنِي أَكْرَامًا زَائِدًا وَأَنْزَلَنِي فِي مَكَانٍ عِنْدَهُ
 وَقَدْ صَاحَبْتُ أَخْبَارَهُمْ وَأَعَزُّونِي مَعَزَّةً عَظِيمَةً وَصِرْتُ لَا أَفَارِقُ دَارَ
 الْمَلِكِ. وَصَارَ الْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ يَسْأَلُونَنِي عَنْ أُمُورِ بِلَادِي
 فَأَخْبَرْتَهُمْ بِهَا. وَكَذَلِكَ أَسَأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي

٩٣. par.
 c. m.

مَلِكُمْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ عَنْ أَحْوَالِ بِلَادِي وَعَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ الْخُلَيْفَةِ فِي بِلَادِ
 مَدِينَةِ بَغْدَادَ فَأَخْبَرْتُهُ بِعَدْلِهِ فِي أَحْكَامِهِ. فَتَعَجَّبَ مِنْ أُمُورِهِ وَقَالَ لِي: وَاللَّهِ
 إِنْ الْخُلَيْفَةَ لَهُ أُمُورٌ عَقْلِيَّةٌ وَأَحْوَالٌ مَرْضِيَّةٌ وَأَنْتَ قَدْ حَبَبْتَنِي فِيهِ وَمُرَادِي
 أَنْ أُجَهِّزَ لَهُ هَدِيَّةً وَأَرْسِلَهَا مَعَكَ إِلَيْهِ: فَقُلْتُ: سَمِعَا وَطَاعَةً يَا مَوْلَانَا أَوْصِلْهَا
 إِلَيْهِ وَأُخْبِرْ أَنَّكَ مُحِبٌّ صَادِقٌ: وَلَمْ أَزَلْ مُتِمِّمًا عِنْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي
 غَايَةِ الْعِزِّ وَالْإِكْرَامِ وَحُسْنِ مَعِيشَةٍ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ كُنْتُ جَالِسًا
 يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي دَارِ الْمَلِكِ فَسَمِعْتُ يُخْبِرُ جَمَاعَةً مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ. أَنَّهُمْ
 جَهَّزُوا لَهُمْ مَرْكَبًا يُرِيدُونَ السَّفَرَ فِيهِ إِلَى نَوَاحِي مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ. فَقُلْتُ فِي
 نَفْسِي لَيْسَ لِي أَوْقْتُ مِنَ السَّفَرِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ. فَاسْرَعْتُ مِنْ وَقْتِي
 وَسَاعَتِي وَقَبَلْتُ يَدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَعْلَمْتُهُ بِأَنْ مُرَادِي السَّفَرُ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي
 الْمَرْكَبِ الَّذِي جَهَّزُوهُ لِأَنِّي اسْتَفْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي. فَقَالَ لِي الْمَلِكُ:
 الرَّأْيُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ الْإِقَامَةَ عِنْدَنَا فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَقَدْ حَصَلَ لَنَا
 أَنْسُكَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي قَدْ غَمَّرْتَنِي بِحَبِيبِكَ وَاحْسَانِكَ وَلَكِنِّي قَدْ
 اسْتَفْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي وَعِيَالِي: فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِي أَحْضَرَ التِّجَارَ الَّذِينَ
 جَهَّزُوا الْمَرْكَبَ وَأَوْصَاهُمْ عَلَيَّ وَقَدْ وَهَبَ لِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عِنْدِهِ وَدَفَعَ
 عَنِّي أَجْرَ الْمَرْكَبِ وَأَرْسَلَ مَعِي هَدِيَّةً عَظِيمَةً إِلَى الْخُلَيْفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
 بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ. ثُمَّ إِنِّي وَدَّعْتُ جَمِيعَ أَصْحَابِي الَّذِينَ كُنْتُ أَتَرَدُّدُ عَلَيْهِمْ.
 ثُمَّ نَزَلْتُ ذَلِكَ الْمَرْكَبَ مَعَ التِّجَارِ وَسِرْنَا وَقَدْ طَابَ لَنَا الرِّيحُ وَالسَّفَرُ وَنَحْنُ
 مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَلَمْ نَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ وَمِنْ
 جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا بِالسَّلَامَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَدِينَةِ

الْبَصْرَةَ . فَطَلَعْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا بِأَرْضِ الْبَصْرَةِ أَيَّامًا وَلَبَّيْ لِي
 حَتَّى جَهَزْتُ نَفْسِي وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ دَارِ السَّلَامِ .
 فَدَخَلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ
 بِجَمِيعِ مَا جَرَى لِي . ثُمَّ خَزَنْتُ جَمِيعَ أَمْوَالِي وَأَمْتِعَتِي وَدَخَلْتُ حَارَتِي
 وَجَاءَنِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي وَفَرَّقْتُ الْهَدَايَا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ .
 وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ إِلَيَّ الْخَلِيفَةُ . فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ تِلْكَ الْهَدِيَّةِ
 وَمَنْ أَبْنَى هِيَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَاللَّهِ لَا أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ الَّتِي هِيَ
 مِنْهَا اسْمًا وَلَا طَرِيقًا . وَلَكِنْ لَمَّا غَرِقَ الْمَرْكَبُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ . طَلَعْتُ عَلَى
 جَزِيرَةٍ وَقَدْ صَنَعْتُ لِي فُلْكَأَ وَنَزَلْتُ فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَسْطِ جَزِيرَةٍ .
 وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى لِي فِي السَّفَرِ وَكَيْفَ كَانَ خَلَاصِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى
 تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَبِهَا جَرَى لِي فِيهَا وَبِسَبَبِ إِرْسَالِي الْهَدِيَّةَ . فَتَجَبَّ الْخَلِيفَةُ
 مِنْ ذَلِكَ غَايَةً الْعَجَبِ وَأَمَرَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَكْتُبُوا حِكَايَتِي وَيَجْعَلُوهَا فِي
 خِزَانَتِهِ لِيُعْتَبَرَ بِهَا كُلُّ مَنْ رَأَاهَا

٩٣١ m. ft.

حِكَايَةُ عَابِدٍ

زَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ الْعَبَادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ . وَكَانَ يَأْوِي إِلَى
 ذَلِكَ الْجَبَلِ زَوْجًا مِنَ الْحَمَامِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْعَابِدُ قَدْ قَسَمَ قُوَّتَهُ نِصْفَيْنِ .
 وَجَعَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ . وَنِصْفَهُ لِذَلِكَ الزَّوْجِ الْحَمَامِ . وَدَعَا الْعَابِدُ لِهَاتَا
 بِكَثْرَةِ النَّسْلِ . فَكَثُرَ نَسْلُهَا . وَلَمْ يَكُنِ الْحَمَامُ يَأْوِي سِوَى الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ
 الْعَابِدُ . وَكَانَ السَّبَبُ فِي أَجْمَاعِ الْحَمَامِ بِالْعَابِدِ كَثْرَةَ تَسْبِيحِ الْحَمَامِ . وَقِيلَ :
 إِنَّ الْحَمَامَ يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ : سُبْحَانَ خَالِقِ الْخَلْقِ . وَقَاسِمِ الرِّزْقِ . وَبَانِي

السَّمَوَاتِ . وَبَاسِطِ الْأَرْضِينَ : وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الرَّوْجُ الْحَمَامِ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ
هُوَ وَنَسْلُهُ حَتَّى مَاتَ الْعَايِدُ . فَتَشَتَّتْ سَمَلُ الْحَمَامِ وَتَفَرَّقَ فِي الْمُدُنِ
وَالْقُرَى وَالْجِبَالِ

حِكَايَةُ الرَّاعِي الْعَايِدِ

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ رَجُلٌ مِنَ الرُّعَاةِ . وَكَانَ صَاحِبَ
دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَّةٍ . وَكَانَ لَهُ أَغْنَامٌ بِرَعَاهَا . وَيَنْتَفِعُ بِالْبَانِيهَا وَأَصْوَابِهَا . وَكَانَ
ذَلِكَ الْجَبَلُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ الرَّاعِي كَثِيرَ الْأَشْجَارِ وَالْمَرْعَى وَالسِّبَاعِ . وَلَمْ
يَكُنْ لِيَتْلِكَ الْوُحُوشِ قُدْرَةٌ عَلَى الرَّاعِي . وَلَا عَلَى غَنِيهِ . وَلَمْ يَزَلْ مُتَمَيِّزًا فِي
الْجَبَلِ مُطْمَئِنًّا لَا يَمِهُهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا . لِسَعَادَتِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى صَلَاتِهِ
وَعِبَادَتِهِ . فَقَدَّرَ اللَّهُ أَنَّهُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا . فَدَخَلَ الْعَايِدُ فِي كَهْفٍ
الْجَبَلِ . وَصَارَتْ الْغَنَمُ تَخْرُجُ بِالنَّهَارِ إِلَى مَرَعَاهَا . وَتَأْوِي بِاللَّيْلِ إِلَى الْكَهْفِ
وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الرَّاعِي قَرْيَةً فِيهَا رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ لَمْ يَعْلَمْ بِمَكَانِهِ .
فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ فَائِلًا يَقُولُ لَهُ : إِنَّ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فِي مَكَانٍ كَذَا رَجُلًا
صَالِحًا . فَأَذْهَبَ إِلَيْهِ وَكُنَ تَحْتَ طَاعَةِ أَمِيرٍ : فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ
سَائِرًا . فَلَمَّا أَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ أَنْهَى إِلَى شَجَرَةٍ عِنْدَهَا عَيْنٌ مَاءٍ تَجْرِي . فَاسْتَرَاحَ
هُنَاكَ وَجَلَسَ فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ . فَإِذَا هُوَ بِوُحُوشٍ وَطُيُورٍ أَتَتْ إِلَى
تِلْكَ الْعَيْنِ لِتَشْرَبَ مِنْهَا . فَلَمَّا رَأَتْ الْعَايِدَ جَالِسًا نَفَرَتْ مِنْهُ وَرَجَعَتْ
وَسَرَدَتْ . فَقَالَ الْعَايِدُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . إِنِّي لَمْ أَسْتَرِحْ هُنَا إِلَّا
ضَرَرًا عَلَى هَذِهِ الْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ : فَقَامَ وَقَالَ مُعَاتِبًا لِنَفْسِهِ : لَقَدْ أَضْرَبْتَنِي
الْحَيَوَانَاتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ جُلُوسِي فِي هَذَا الْمَكَانِ . فَمَا الْعُذْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ

خَالِقِي وَخَالِقِ هَذِهِ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ فَإِنِّي كُنْتُ سَبِيحًا لِشُرُودِهَا عَنْ شُرْبِهَا
وَعَنْ رِزْقِهَا وَمَرَاعَاهَا. فَوَاحِجَلَنِي مِنْ رَبِّي يَوْمَ يَقْتَضُ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنْ
الشَّاةِ الْفَرْنَاءِ: ثُمَّ بَكَى وَأَنشَدَ يَقُولُ هَذِهِ الْآيَاتَ

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لَمَا غَفَلُوا وَنَامُوا
فَمَوْتُ ثُمَّ بَعَثَ ثُمَّ حَشَرَ وَتَوَيْجُحُ وَأَهْوَالِ عِظَامِ
وَنَحْنُ إِذَا أَنهَبْنَا أَوْ أَمْرَنَا كَأَهْلِ الْكُهْفِ أَبْقَاظُ نِيَامِ

ثُمَّ بَكَى عَلَى جُلُوسِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ الْعَيْنِ وَمَنْعِهِ الطُّيُورَ وَالْوُحُوشَ
مِنْ شُرْبِهَا. وَوَلَّى سَائِحًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى آتَى إِلَى الرَّاعِي. فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَانَقَهُ وَبَكَى. فَقَالَ لَهُ الرَّاعِي: مَا الَّذِي آتَى بِكَ إِلَى
هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيَّ: فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنِّي
رَأَيْتُ فِي مَنَامِي مَنْ يَصِفُ لِي مَكَانَكَ وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ وَأُسَلِّمَ
عَلَيْكَ. فَأَتَيْتُكَ مُهْتَبِلًا لِمَا أَمَرْتُ بِهِ: فَقَبِلَهُ الرَّاعِي وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ
وَجَلَسَ مَعَهُ فِي الْجَبَلِ يَعْبُدَانِ اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْغَارِ. فَحَسُنَتْ عِبَادَتُهُمَا وَلَمْ
يَزَالَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ يَعْبُدَانِ رَبَّهُمَا وَيَتَفَوَّتَانِ مِنَ الْحُومِ الْغَنَمِ وَالْبَاعِثَا
مُنَجَّرِ دَيْنٍ عَنِ الْمَالِ وَالْبَيْنِ إِلَى أَنْ آتَاهُمَا الْيَقِينُ. وَهَذَا آخِرُ حَدِيثِهَا



حِكَايَاتُ مَلَائِكَةِ الْمَوْتِ

الْحِكَايَةُ الْأُولَى

ذَكَرُوا أَنَّ مَلَائِكَةَ الْمَلَائِكَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ. أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ يَوْمًا. فِي جُمْلَةٍ
 أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَأَرْبَابَ دَوْلَتِهِ. وَيُظْهِرُ لِلْخَلَائِقِ عَجَائِبَ زِينَتِهِ. فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ
 وَأَمْرًا لَهُ وَكِبْرًا دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْخُذُوا أَهْبَةَ الْخُرُوجِ مَعَهُ. وَأَمَرَ خَازِنَ الثِّيَابِ
 بِأَنْ يُحْضِرَ لَهُ مِنْ أَفْخَرِ الثِّيَابِ مَا بَصُلِحَ لِلْمَلِكِ فِي زِينَتِهِ. وَأَمَرَ بِإِحْصَائِهِ
 حَيْلَهُ الْمُؤَصِّفَةَ الْعِتَاقِ الْمَعْرُوفَةَ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ أَخْبَرَ مِنَ الثِّيَابِ مَا
 أَعْجَبَهُ. وَمِنْ الْحَبْلِ مَا اسْتَحْسَنَهُ. ثُمَّ لَيْسَ الثِّيَابَ وَرَكِبَ الْجَوَادَ. وَسَارَ
 بِالْمَوَكِبِ. وَالطَّرِيقَ الْمُرْصَعَ بِالْجَوَاهِرِ وَأَصْنَافِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ. وَجَعَلَ
 يَرْكُضُ الْحِصَانَ فِي عَسْكَرِهِ. وَيَفْتَخِرُ بِنَبِيهِ وَتَجْبِيهِ. فَأَتَاهُ إِبْلِيسُ فَوَضَعَ يَدَهُ
 عَلَى مَخْرَجِهِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَفْحَةَ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ فَزَهَا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَنْ فِي
 الْعَالَمِ مِثْلِي: وَطَفِقَ يَتَبَهُ بِالْعُجْبِ وَالْكِبَرِ وَيُظْهِرُ الْأَهْمَةَ. وَيَزْهُو بِالْحَبْلَاءِ
 وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ تَبِيهِ وَكِبَرِهِ. وَعُجْبِهِ وَفَخْرِهِ. فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ
 عَلَيْهِ ثِيَابُ رِنَّةٍ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ. فَغَبَضَ عَلَى عَيْنَانِ فَرَسِهِ.
 فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَرْفَعُ يَدَكَ. فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِعَيْنَانِ مَنْ فَذَا مَسَكْتَ:
 فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً: فَقَالَ: أَصْبِرْ حَتَّى أَنْزِلَ وَأَذْكَرُ حَاجَتَكَ:
 فَقَالَ: إِنَّهَا سِيرٌ وَلَا أَقُولُهَا إِلَّا فِي أُذُنِكَ: قَالَ بِسْمِعِهِ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: أَنَا
 مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ. وَأُرِيدُ قَبْضَ رُوحِكَ: فَقَالَ: أَهْمَلِي بِقَدْرِ مَا أَعُوذُ إِلَى بَيْتِي
 وَأَوْجِعُ أَهْلِي وَأَوْلَادِي وَجِيرَانِي وَزَوْجَتِي: فَقَالَ: كَلَّا. لَا تَعُوذُ. وَلَنْ تَرَاهُمْ

أَبَدًا. فَإِنَّهُ قَدْ مَضَى أَجَلَ غُيُوبِكُمْ. فَأَخَذَ رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ. فَحَرَمِيَّتًا
 وَمَضَى مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ مِنْ هُنَاكَ. فَأَتَى رَجُلًا صَالِحًا. قَدْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
 عَنْهُ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ. فَقَالَ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ. إِنَّ لِي
 إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ سِرٌّ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ: أَذْكَرُ حَاجَتَكَ فِي أُذُنِي
 فَقَالَ: أَنَا مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: مَرَحِبًا بِكَ. أَتُحَمَّدُ اللَّهُ عَلَى مَجِيئِكَ
 فَإِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَتَرَقَّبُ وَصُورَكَ إِلَيَّ. وَلَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُكَ عَنِ الْمَشْتَاكِ
 إِلَى قُدُومِكَ. فَقَالَ لَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ: إِنْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ فَأَقِضِهِ. فَقَالَ لَهُ
 لَيْسَ لِي شُغْلٌ أَهْمٌ عِنْدِي مِنْ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. فَقَالَ: كَيْفَ يُحِبُّ أَنْ
 أَقْبِضَ رُوحَكَ. فَإِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَهَا كَيْفَ أَرَدْتُ وَأَخْتَرْتُ. فَقَالَ:
 أَهْلِي حَتَّى أَتَسَبَّدَ وَأُصَلِّيَ. فَإِذَا سَجَدْتُ وَصَلَّيْتُ فَأَقْبِضْ رُوحِي. وَأَنَا سَاجِدٌ.
 فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ: إِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَقْبِضَ رُوحَكَ إِلَّا
 بِإِخْتِبَارِكَ. كَيْفَ أَرَدْتُ. وَأَنَا أَفْعَلُ مَا قُلْتَ. فَقَامَ الرَّجُلُ وَسَجَدَ وَصَلَّى
 فَاقْبِضَ مَلِكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ. وَهُوَ سَاجِدٌ. وَنَقَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَحَلِّ الرَّحْمَةِ
 وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ

الْحِكَايَةُ الثَّانِيَةُ

زَعَمُوا أَنَّ مَلَائِكَةَ الْمَلُوكِ. كَانَ قَدْ جَمَعَ مَا لَا عَظِيمًا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ.
 وَأَخْنَوَى عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ. مِنْ كُلِّ نَوْعٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لِيُرْفَهُ
 نَفْسُهُ. حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِمَا جَمَعَهُ مِنَ النِّعَمِ الطَّائِلَةِ بَنَى لَهُ قَصْرًا عَالِيًا
 مُرْتَبَعًا شَاهِنًا. يَصْلُحُ لِلْمَلُوكِ. وَيَكُونُ بِهِمْ لِأَيْقَانًا. ثُمَّ رَكَّبَ عَلَيْهِ بَابَيْنِ
 مُحْكَمَيْنِ. وَرَتَّبَ لَهُ الْغِلْمَانَ وَالْأَجْنَادَ وَالْبُؤْيُوتَ كَمَا أَرَادَ. وَأَمَرَ الطَّبَاخَ فِي

بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَنْ يَصْنَعَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَطْيَبِ الطَّعَامِ . وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَحَشَمَهُ .
 وَأَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ . لِيَأْكُلُوا عِنْدَهُ وَيَنَالُوا رِفْدَهُ . وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مَهْلِكِيهِ
 وَسَيَادَتِهِ . وَاتَّكَأَ عَلَى وَسَادَتِهِ . وَخَاطَبَ نَفْسَهُ وَقَالَ : يَا نَفْسُ . قَدْ جَمَعْتُ
 لَكَ نِعَمَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا . فَالآنَ تَفَرَّغِي وَكُلِي مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ مَهْنَةً يَا عَمْرُ
 الطَّوِيلِ . وَالتَّحْظُ الْجَزِيلِ : فَلَمْ يَفْرغْ مِمَّا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ . حَتَّى أَتَاهُ رَجُلٌ
 مِنْ ظَاهِرِ الْقَصْرِ . عَلَيْهِ ثِيَابُ رِنَّةٍ وَفِي عُنُقِهِ مَخْلَاةٌ مَعْلَقَةٌ عَلَى هَيْبَةٍ سَائِلِ
 لَيْنَالِ الطَّعَامِ . فَجَاءَ وَطَرَقَ حَلْفَةَ بَابِ الْقَصْرِ طَرْفَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً .
 كَادَتْ تُزَلُّهُ الْقَصْرَ وَتُزْعِجُ السَّرِيرَ . فَخَافَ الْعِلْمَانُ فَوَثَبُوا إِلَى الْبَابِ .
 وَصَاحُوا بِالطَّارِقِ وَقَالُوا لَهُ : وَبِحُكِّكَ . مَا هَذِهِ الْفَعْلَةُ وَسُوُّ الْأَدَبِ . أَصْبِرْ
 حَتَّى يَأْكُلَ الْمَلِكُ وَتُعْطِيَكَ مَا يَفْضُلُ : فَقَالَ لِلْعِلْمَانِ : قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ
 بِخُرْجِي إِلَيَّ حَتَّى يَكَلِّمَنِي . فَبَلَغَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَشُغْلٌ مَهْمٌ وَأَمْرٌ مُلِيمٌ : فَقَالُوا : تَخ
 أَيُّهَا الضَّعِيفُ . مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَأْمُرَ صَاحِبَنَا بِالْخُرُوجِ إِلَيْكَ : فَقَالَ لَهُمْ :
 عَرَفُوهُ ذَلِكَ : فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَعَرَفُوهُ . فَقَالَ : هَلَّا زَجَرْتُمُوهُ وَجَرَدْتُمْ عَلَيْهِ
 وَنَهَرْتُمُوهُ : ثُمَّ طَرَقَ الْبَابَ أَعْظَمَ مِنَ الطَّرْقَةِ الْأُولَى . فَنَهَضَ الْعِلْمَانُ إِلَيْهِ
 يَا عِصِيَّ وَالسَّلَاحَ وَقَصَدُوهُ لِيُجَارِبُوهُ . فَصَاحَ بِهِمْ صَبْحَةً . وَقَالَ : الزَّمُوا
 أَمَا كُنْتُمْ . فَأَنَا مَلِكُ الْمَوْتِ : فَرَعِبَتْ قُلُوبُهُمْ وَذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ . وَطَاشَتْ
 حُلُومُهُمْ . وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ وَبَطَلَتْ عَنِ الْحُرْكََةِ جَوَارِحُهُمْ . فَقَالَ لَهُمْ
 الْمَلِكُ : قُولُوا لَهُ يَا خُذْ بَدَلًا مِنِّي وَعِوَضًا عَنِّي : فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ : لَا أَخُذُ
 بَدَلًا . وَلَا آتَيْتُ إِلَّا مِنْ أَجْلِكَ لِأَفَرِّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النِّعَمِ الَّتِي جَمَعْتَهَا .
 وَالْأَمْوَالِ الَّتِي حَوَيْتَهَا وَخَزَنْتَهَا : فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ وَبَكَى وَقَالَ :

لَعَنَ اللَّهُ الْمَالَ الَّذِي غَرَّبَنِي وَأَضْرَبَنِي وَمَنَعَنِي عَنِ عِبَادَةِ رَبِّي. وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُنِي. فَبَقِيَ الْيَوْمَ حَسْرَةٌ عَلَيَّ وَوَبَالًا لَدَيْكَ. وَهَذَا أَنَا أَخْرَجُ صَفْرَ الْبَدَنِ مِنْهُ وَيَبْقَى لِأَعْدَائِي: قَالَ. فَأَنْطَقَ اللَّهُ الْمَالَ وَقَالَ: لِأَبِي سَبَبٌ تَلْعُنُنِي. الْعَنُ نَفْسَكَ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ تُرَابٍ وَجَعَلَنِي فِي يَدِكَ لِتَنْزُوَدَ مِنِّي لِأَخْرَجَكَ وَتَنْصَدَّقَ بِي عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالضُّعَفَاءِ. وَلِتَعْمُرَ بِي الْمَسَاجِدَ وَالْمَجُسُورَ وَالْفَنَاطِرَ. لِأَكُونَ عَوْنًا لَكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وَأَنْتَ جَمَعْتَنِي وَخَزَنْتَنِي وَفِي هَوَاكَ أَنْفَقْتَنِي وَلَمْ تَشْكُرْ لِحَقِّي بَلْ كَفَرْتَنِي. فَالآنَ تَرَكْتَنِي لِأَعْدَائِكَ وَأَنْتَ بِحَسْرَتِكَ وَنَدَامَتِكَ. فَأَبِي ذَنْبِي لِي حَتَّى تَسْبِيَنِي: ثُمَّ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَبَضَ رُوحَهُ. وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ الطَّعَامَ. فَحَرَّ مِتْمًا سَافِطًا مِنْ فَوْقِ سَرِيرِهِ كَقَوْلِهِ: حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِهَا أُوتُوا. أَخَذْنَا هُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ

الْحِكَايَةُ الثَّلَاثَةُ

حُكِيَ أَنَّ مَلِكًا جَبَّارًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ. فَرَأَى رَجُلًا قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ الدَّارِ. وَكَانَ صُورُهُ مُنْكَرًا وَهَيْئَتُهُ هَائِلَةً. فَاسْتَأْذَنَ مِنْهُ هُجُومِهِ عَلَيْهِ. وَفَزِعَ مِنْ هَيْئَتِهِ فَوَثَبَ فِي وَجْهِهِ. وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ. وَمَنْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ عَلَيَّ وَأَمْرِكَ بِالْحَيِّ إِلَى دَارِي: فَقَالَ: أَمْرِي صَاحِبُ الدَّارِ. وَأَنَا لَا بَعْجِي حَاجِبٌ وَلَا أَحْتَاجُ فِي دُخُولِ الْمُلُوكِ إِلَيَّ إِذْنًا. وَلَا أَرْهَبُ سِيَاسَةَ سُلْطَانٍ وَلَا كَثْرَةَ أَعْوَانٍ. أَنَا الَّذِي لَا يَقْرَعُنِي جَبَّارٌ. وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْضِي فِرَارٌ. أَنَا هَادِمُ اللَّذَاتِ وَمُفْرِقُ الْجَمَاعَاتِ: فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هَذَا

الْكَلَامَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَدَبَّتِ الرَّعْدَةُ فِي بَدَنِهِ وَوَقَعَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ
 قَالَ : أَنْتَ مَلِكُ الْمَوْتِ : قَالَ : نَعَمْ : قَالَ : أَفَسَمَّيْتُ عَلَيْكَ يَا اللَّهُ إِلَّا مَا
 أَهَلَّتَنِي يَوْمًا وَاحِدًا لِأَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِي . وَأَطْلُبَ الْعُذْرَ مِنْ رَبِّي وَارْتَدَّ
 الْأَمْوَالَ الَّتِي فِي خَزَائِنِي لِأَرْبَابِهَا . وَلَا أَتَحْمَلُ مَشَقَّةَ حِسَابِهَا . وَوَيْلَ عِقَابِهَا :
 فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ : هِيَ هِيَ . لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى ذَلِكَ . وَكَيْفَ
 أَهْلَكَ يَا يَوْمَ عُمْرِكَ مَحْسُوبَةٌ وَأَنْفَاسُكَ مَعْدُودَةٌ . وَأَوْقَاتُكَ مَثْبُوتَةٌ
 مَكْتُوبَةٌ : فَقَالَ : أَهْلَيْتَنِي سَاعَةٌ : فَقَالَ : إِنَّ السَّاعَةَ فِي الْحِسَابِ وَقَدْ مَضَتْ
 وَأَنْتَ غَافِلٌ . وَأَنْقَضَتْ وَأَنْتَ ذَاهِلٌ . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتَ أَنْفَاسَكَ . وَلَمْ
 يَبْقَ لَكَ إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ : فَقَالَ : مَنْ يَكُونُ عِنْدِي إِذَا نُقِلْتُ إِلَى لِحْدِي :
 قَالَ : لَا يَكُونُ عِنْدَكَ إِلَّا عَمَلُكَ : فَقَالَ : مَا لِي عَمَلٌ : قَالَ : لَا جَرَمَ إِنَّهُ
 يَكُونُ مَقِيلُكَ فِي النَّارِ وَمَصِيرُكَ إِلَى غَضَبِ الْجَبَّارِ : ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ فَخَرَّ
 سَافِطًا عَنْ سَرِيرِهِ . وَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ . فَحَصَلَ الصَّبْحُ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ .
 وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَعَلَا الصَّبَاحُ وَالْبُكَاءُ . وَلَوْ عَلِمُوا مَا بَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ
 سُخْطِ رَبِّهِ لَكَانَ بَكَوُهُمْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ وَعَوِيْلُهُمْ أَشَدَّ وَأَوْفَرَ

ذِكْرُ الْمَوْتِ الدَّائِمِ

حِكْمِي أَنْ إِسْكَنْدَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَجْنَزَ فِي سَفَرِهِ بِقَوْمٍ ضَعْفَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
 شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا . وَقَدْ حَفَرُوا قُبُورَ مَوْتَاهُمْ عَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ .
 وَكَانُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَعَهَّدُونَ تِلْكَ الْقُبُورَ . وَيَكْسُونَ التُّرَابَ عَنْهَا .
 وَيَنْظِفُونَهَا وَيُزَوِّرُونَهَا . وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا . وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا
 الْحَشِيشُ وَنَبَاتُ الْأَرْضِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ إِسْكَنْدَرُ ذَا الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا يَسْتَدْعِي

مَلِكُمْ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُجِبْهُ . وَقَالَ : مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ : فَسَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَيْهِ .
 وَقَالَ : كَيْفَ حَالِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ . فَأَيُّ لَأَ أَرَى لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَهَبٍ وَلَا مِنْ
 فِضَّةٍ وَلَا أَحَدٌ عِنْدَكُمْ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا : فَقَالَ لَهُ : إِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَا
 يَشْبَعُ مِنْهُ أَحَدٌ : فَقَالَ لَهُ إِسْكَندَرُ : لِمَ حَفَرْتُمُ الْقُبُورَ عَلَى أَبْوَابِكُمْ : فَقَالَ :
 لِيَكُونَ نُصَبَ أَعْيُنِنَا . فَتَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتُجَدِّدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَلَا تَنْسَى الْآخِرَةَ
 وَتَذْهَبُ حُبَّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِنَا . فَلَا نَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ عِبَادَةِ رَبِّنَا تَعَالَى : فَقَالَ
 إِسْكَندَرُ : كَيْفَ تَأْكُلُونَ الْحَشِيشَ : قَالَ : لِإِنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَجْعَلَ فِي بُطُونِنَا
 قُورَ الْحَيَوَانَاتِ . وَلِإِنَّ لَذَّةَ الطَّعَامِ لَا تَنْجَاوِزُ الْحَلْقَ : ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَخْرَجَ
 قِثْمًا مِنْ رَأْسِ آدَمِيِّ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ إِسْكَندَرَ . وَقَالَ لَهُ : يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ .
 أَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ مَنْ كَانَ صَاحِبُ هَذَا : قَالَ : لَا : قَالَ : كَانَ صَاحِبُهُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ
 الدُّنْيَا . فَكَانَ يَظْلُمُ رَعِيَّتَهُ وَيَجُورُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الضُّعْفَاءِ وَيَسْتَفْرِغُ زَمَانَهُ فِي
 تَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا . فَقَبِضَ اللَّهُ رُوحَهُ . وَجَعَلَ النَّارَ مَقَرَّهُ وَهَذَا رَأْسُهُ : ثُمَّ
 مَدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ قِثْمًا آخَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ لَهُ : أَعْرِفُ هَذَا : قَالَ : لَا : قَالَ
 هَذَا كَانَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَكَانَ عَادِلًا فِي رَعِيَّتِهِ . شَفِيقًا عَلَى أَهْلِ
 دَوْلَاتِهِ وَمُلِكًا . فَقَبِضَ اللَّهُ رُوحَهُ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ : وَوَضَعَ يَدَهُ
 عَلَى رَأْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَقَالَ : تَرَى أَنْتَ أَيُّ هَذَيْنِ الرَّاسَيْنِ : فَبَكَى ذُو
 الْقَرْنَيْنِ بَكَاءً شَدِيدًا وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لَهُ : إِنْ أَنْتَ رَغَبْتَ فِي صُحْبَتِي .
 سَلِّمْتُ إِلَيْكَ وَزَارْتِي وَقَاسَمْتُكَ فِي مَهْلِكِي : فَقَالَ الرَّجُلُ : هِيَ بَاتِ .
 هِيَ بَاتِ . مَا لِي رَغْبَةٌ فِي هَذَا : فَقَالَ لَهُ إِسْكَندَرُ : وَلِمَ ذَلِكَ : قَالَ : لِإِنَّ
 الْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَعْدَاؤُكَ بِسَبَبِ الْمَالِ وَالْمَلِكِ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ . وَجَمِيعُهُمْ أَصْدِقَائِي

فِي الْحَقِيقَةِ بِسَبَبِ الْقَنَاعَةِ وَالصَّعْلَكَةِ . لِأَنِّي لَيْسَ لِي مُلْكٌ وَلَا طَمَعٌ فِي
الدُّنْيَا . وَلَا لِي إِلَيْهَا طَلَبٌ . وَلَا فِيهَا أَرْبٌ . وَلَيْسَ لِي إِلَّا الْقَنَاعَةُ حَسْبُ .
فَضَمَهُ إِسْكَندَرُ إِلَى صَدْرِهِ . وَقَبْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَنْصَرَفَ

نَحْبُ

مَا كَتَبَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ
فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالْمُكَافَأَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

فِي طَلِبَتِي أَعْمِيْنِ

حِكْمِي أَنْ رَجَلَيْنِ أَعْمِيْنِ كَانَا يَجْلِسَانِ عَلَي طَرِيقِي أُمِّ جَعْفَرٍ . وَكَانَتْ
مَوْصُوفَةً بِالْكَرَمِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا ذَا عِيَالٍ وَأَهْلٍ وَكَانَ يَقُولُ : اَللّهُمَّ ارزُقْنِي
مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ . وَكَانَ الْآخَرُ عَزْبًا لَا أَهْلَ لَهُ وَكَانَ يَقُولُ : اَللّهُمَّ
ارزُقْنِي مِنْ فَضْلِ أُمِّ جَعْفَرٍ . فَصَارَتْ تُرْسِلُ لِلطَّالِبِ مِنْ فَضْلِ آلهِ
دِرْهَمَيْنِ وَتُرْسِلُ لِطَالِبِ فَضْلِهَا رَغِيْبَيْنِ بَيْنَهُمَا دَجَاجَةٌ مَشْوِيَّةٌ فِي بَطْنِنَا
عَشْرَةَ دِنَانِيْرٍ لَمْ تُعْلِمَهُ بِهَا . فَكَانَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَقُولُ لِالْآخَرِ : خُذْ هَذَيْنِ
الرَّغِيْبَيْنِ وَالدَّجَاجَةَ وَأَعْطِنِي الدِّرْهَمَيْنِ فَيَفْعَلُ ذَلِكَ . فَهَضَى عَلَى ذَلِكَ
شَهْرٌ . ثُمَّ أَرْسَلَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ يَقُولُ : قُولُوا لِطَالِبِ فَضْلِنَا أَمَا أَغْنَاكَ عَطَاؤُنَا .
فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا لَهَا مَاذَا أَعْطَيْتِهِ . فَقَالَتْ : ثَلَاثَاهَا دِينَارٌ . فَقَالَ : لَا
وَاللّهِ بَلْ كَانَتْ تُرْسِلُ لِي دَجَاجَةً وَرَغِيْبَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ . وَكُنْتُ أَيْعِمُّهَا
لِصَاحِبِي بَدْرْهَمَيْنِ . فَقَالَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ : صَدَقَ الرَّجُلُ . إِنَّهُ طَلَبَ مِنْ فَضْلي

اللَّهُ فَأَغْنَاهُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَلَمْ يَقْصِدْ غِنَاهُ . وَالْآخِرُ طَلَبَ مِنْ
فَضْلِنَا فَرَحِمَهُ اللَّهُ

(نوادر القليوبي)

فِي قِطْطٍ يَقُوتُ قِطًّا

حكى ابنُ خَلِّكَانَ وَغَيْرُهُ فِي تَرْجِمَةِ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَاشَادٍ
الْخَوِيِّ . أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عَلَى سَطْحِ جَامِعِ مِصْرَ يَأْكُلُ شَيْئًا وَعِنْدَهُ بَعْضُ
أَصْحَابِيهِ . فَحَضَرَهُمْ قِطْطٌ فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً فِي فِيهِ وَعَابَ عَنْهُمْ . ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ
فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً ثَانِيَةً فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ . ثُمَّ عَادَ فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ .
ثُمَّ عَادَ فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَهُمْ يَرْمُونَ لَهُ وَهُوَ يَأْخُذُ وَيَغِيبُ ثُمَّ
يُعُودُ مِنْ فُورِهِ فَتَعْجَبُوا مِنْهُ . فَتَبِعُوهُ فَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَيَدْخُلُ
بِهِ إِلَى خِرْبَةٍ فِيهَا شِبْهُ الْبَيْتِ الْخَرَابِ وَفِي سَطْحِ ذَلِكَ الْبَيْتِ قِطْطٌ أَعْمَى .
فَإِذَا هُوَ يَضَعُ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَعْجَبُوا مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ
بَاشَادٍ : إِذَا كَانَ هَذَا حَيوانًا آخِرَسَ قَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْقِطْطَ وَهُوَ يَقُومُ
بِكِفَايَتِهِ وَلَمْ يَجْرِمِهِ الرِّزْقَ فَكَيْفَ يَضِيعُ مِنْهُ . ثُمَّ قَطَعَ الشَّيْخُ عِلَاقَتَهُ وَتَرَكَ
خِدْمَةَ السُّلْطَانِ وَكَزِمَ بَيْتُهُ وَتَرَكَ جَمِيعَ أَشْغَالِهِ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَى
أَن مَاتَ

(حياة الحيوان للدمبري)

فِي جُودِ مَلِكٍ

قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ خِشْرُؤَ بْنَ بَرُوَيْزَ كَانَ يُحِبُّ أَكْلَ السَّمَكِ وَكَانَ يَوْمًا
جَالِسًا فِي الْمَنْظَرَةِ وَشِيرِينَ عِنْدَهُ فَجَاءَ صَيَادٌ وَمَعَهُ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ وَأَعْدَاهَا
لِخِشْرُؤَ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَقَالَتْ
شِيرِينَ : بَيْسَ مَا صَنَعْتَ . فَقَالَ الْمَلِكُ لِمَ . فَقَالَتْ : لِأَنَّكَ إِذَا أَعْطَيْتَ

بَعْدَ هَذَا لِأَحَدٍ مِنْ حَشِيكَ هَذَا الْقَدَرِ . قَالَ : قَدْ أَعْطَانِي مِنْهُ عَطِيَّةَ
 الصَّيَادِ . فَقَالَ : لَقَدْ صَدَقْتَ . وَلَكِنْ بَعْجُ بِالْمَلُوكِ أَنْ يَرْجِعُوا فِي هَيَاتِهِمْ
 وَقَدْ فَاتَ الْأَمْرُ . فَقَالَتْ شِيرِينُ : أَنَا أَدْبُرُ هَذَا الْحَالِ . فَقَالَ : وَكَيْفَ
 ذَلِكَ . فَقَالَتْ : تَدْعُو الصَّيَادَ وَتَقُولُ لَهُ : هَذِهِ السَّمَكَةُ ذَكَرْتُ هِيَ أُمُّ أُنْتِي .
 فَإِنْ قَالَ ذَكَرْتُ فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ أُنْتِي . وَإِنْ قَالَ أُنْتِي فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ
 ذَكَرًا . فَنُودِيَ الصَّيَادُ فَعَادَ . وَكَانَ الصَّيَادُ ذَا ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ . فَقَالَ لَهُ
 خِسْرُو : هَذِهِ السَّمَكَةُ ذَكَرْتُ أُمُّ أُنْتِي . فَقَبِلَ الصَّيَادُ الْأَرْضَ وَقَالَ لَهُ : هَذِهِ
 السَّمَكَةُ خُنْتِي لِأَذْكَرٍ وَلَا أُنْتِي . فَصَحَّكَ خِسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ
 آلَافِ دِرْهَمٍ . فَهَضَمَ الصَّيَادُ إِلَى الْحَازِنِ وَقَبَضَ مِنْهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ
 دِرْهَمٍ وَوَضَعَهَا فِي جِرَابٍ كَانَ مَعَهُ . وَحَمَلَهَا عَلَى عُنُقِهِ وَهُمْ بِالْخُرُوجِ فَوَقَعَ
 مِنَ الْجِرَابِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ . فَوَضَعَ الصَّيَادُ الْجِرَابَ عَنْ كَاهِلِهِ وَأَخْتَى عَلَى
 الدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَالْمَلِكُ وَشِيرِينُ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ شِيرِينُ لِحِسْرُو :
 أَرَأَيْتَ خِسَّةَ هَذَا الرَّجُلِ وَسَفَالَتَهُ . سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ فَأَلْقَى عَنْ
 كَاهِلِهِ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَأَخْتَى عَلَى الدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْهَلْ عَلَيْهِ
 أَنْ يَتْرُكَهُ لِأَخْذِهِ عِلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ الْمَلِكِ . فَخَرَّدَ خِسْرُو مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ :
 صَدَقْتَ يَا شِيرِينُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعَادَةِ الصَّيَادِ وَقَالَ لَهُ : يَا سَاقِطَ الْهَيْبَةِ
 لَسْتَ بِبِإِنْسَانٍ وَضَعْتَ هَذَا الْمَالَ عَنْ عُنُقِكَ لِأَجْلِ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ وَأَسْفَتَ
 أَنْ تَتْرُكَهُ فِي مَكَانِهِ . فَقَبِلَ الصَّيَادُ الْأَرْضَ وَقَالَ : أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ أَيُّهَا
 الْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَرْفَعْ ذَلِكَ الدِّرْهَمَ لِخَطَرِهِ عِنْدِي . وَإِنَّمَا رَفَعْتُهُ عَنِ الْأَرْضِ
 لِأَنَّ عَلَى وَجْهِهِ صُورَةَ الْمَلِكِ وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَخْرَ اسْمَ الْمَلِكِ . فَحَشِيبَتْ أَنْ

يَأْتِي أَحَدٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَضَعُ عَلَيْهِ قَدَمَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ اسْتِغْنَاءًا بِاسْمِ الْمَلِكِ
وَأَكُونُ أَنَا الْمُوَاحِدُ بِهَذَا. فَعَجِبَ خِسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَاسْتَحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ
فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ. فَعَادَ الصَّيَادُ وَمَعَهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.
وَأَمَرَ خِسْرُو مُنَادِيًا يُنَادِي لَا يَتَدَبَّرْ أَحَدٌ بِرَأْيِ النِّسَاءِ فَإِنَّهُ مَنْ تَدَبَّرَ
بِرَأْيِهِنَّ وَأَعْتَمَدَ بِأَمْرِهِنَّ خَسِرَ دِرْهَمَهُ (التبر المسبوك للغزالي)

في جُودِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا بُحِكِي فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ مَا حَكَاهُ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ
الشَّاعِرُ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُتَوَلِّ بِلَادِ الْبَيْتِ .
أَنَّ الْمَنْصُورَ وَجَّهَ فِي طَلْبِي وَجَعَلَ لِي بِحَيْلِي إِلَيْهِ مَا لَا. قَالَ: فَأَضْطَرَرْتُ
لِلشَّفَةِ الطَّلَبِ إِلَى أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ حَتَّى لَوَّحَتْ وَجْهِي وَخَفَّتْ
عَارِضِي وَلَيْسَتْ جَبَّةُ صُوفٍ وَرَكِبْتُ جَمَلًا وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَلَادِيَةِ
لِأَقِيمَ بِهَا. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادَ. تَبِعَنِي
أَسْوَدٌ مُقَلَّدٌ بِسَبْفٍ حَتَّى إِذَا غَبْتُ عَنِ الْحَرَسِ قَبِضَ عَلَيَّ خِطَامَ الْجَمَلِ
فَأَنَاخَهُ وَقَبِضَ عَلَيَّ يَدِي. فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا بِكَ. قَالَ: أَنْتَ طَلَبُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ. فَقُلْتُ: وَمَنْ أَنَا حَتَّى أُطَلَبَ. فَقَالَ: أَنْتَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ .
فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا أَنْتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَبْنُ أَنَا مِنْ مَعْنٍ. فَقَالَ: دَعُ هَذَا
فِيَّيْ لَأَعْرِفُ بِكَ مِنْكَ. فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ أَحَدًا قُلْتُ لَهُ: هَذَا عِقْدُ جَوْهَرٍ
فَقَدْ حَمَلْتُهُ مَعِيَ بِأَضْعَافٍ مَا جَعَلَهُ الْمَنْصُورُ لِي بِحَيْثُ لِي. فَخَذَهُ وَلَا تَكُنْ
سَبَبًا لِسَفْكَ دَمِي. قَالَ: هَاتِيهِ. فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ:
صَدَقْتَ فِي فِيمْتِهِ وَلَسْتُ قَابِلَهُ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي أَطْلُقْكَ.

فَقُلْتُ: قُلْ. قَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ. فَأَخْبِرْنِي هَلْ وَهَبْتَ
 مَالَكَ كُلَّهُ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَصْنَفَهُ. قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَثَلَّثَهُ. قُلْتُ: لَا. حَتَّى بَلَغَ
 الْعُشْرَ فَاسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ: أَظُنُّ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هَذَا. قَالَ: وَمَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ.
 أَنَا رَجُلٌ وَرِزْقِي مِنْ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ كُلِّ شَهْرٍ عِشْرُونَ دِرْهَمًا وَهَذَا
 الْجَوْهَرُ فِيمَتَهُ الْوُفُوقُ دَانَايِرٌ قَدْ وَهَبْتَهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَالْجُودُ
 الْمَأْثُورُ بَيْنَ النَّاسِ. وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجُودُ مِنْكَ فَلَا
 تُعْجِبُكَ نَفْسُكَ وَتُخْفِرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّ جُودٍ فَعَلْتَهُ وَلَا تَتَوَقَّفَ عَنِ مَكْرَمَةٍ.
 ثُمَّ رَمَى الْعِقْدَ فِي حُجْرِي وَتَرَكَ خِطَامَ الْجَمَلِ وَوَلَّى مُنْصَرِفًا. فَقُلْتُ: يَا هَذَا
 لَقَدْ فَضَحْتَنِي وَأَسْفَكَ دَمِي عَلَيَّ أَهْوَنُ مِمَّا فَعَلْتَ فَخُذْ مَا دَفَعْتَهُ لَكَ فَإِنِّي
 غَنِيٌّ عَنْهُ. فَضَحِكَ وَقَالَ: أَرَدْتُ أَنْ تُكْذِبَنِي فِي مَقَالِي هَذَا. وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُهُ
 وَلَا أَخَذْتُ بِمَعْرُوفٍ ثَمَنًا أَبَدًا. وَمَضَى لِسَبِيلِهِ. ثُمَّ طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ آمَنْتُ
 وَبَدَلْتُ لِيْنَ بِيحِي بِهِ مَا شَاءَ فَأَعْرَفْتُ لَهُ خَبْرًا (ثمرات الاوراق للحموي)

في المهكافاة

مَا جَاءَ فِي الْمَهْكَافَةِ مَا حُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا
 عِنْدَ بِيحِي بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ وَقَدْ خَلَا فِي مَجْلِسِهِ لِاحْكَامِ أَمْرِ مِنْ أُمُورِ
 الرَّشِيدِ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوَائِجِ
 فَفَضَّاهَا لَهُمْ. ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِشَأْنِهِمْ فَكَانَ آخِرُهُمْ قِيَامًا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدِ
 الْأَحْوَلِ. فَنَظَرَ بِيحِي إِلَيْهِ وَالتَفَتَ إِلَى الْفَضْلِ أَبِيهِ وَقَالَ: يَا بَنِيَّ إِنَّ
 لِأَبِيكَ مَعَ أَبِي هَذَا الْفَنَى حَدِيثًا. فَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ شُغْلِي هَذَا فَذَكِّرْنِي
 أَحَدِثْكَ. فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ شُغْلِهِ وَطَعِمَ قَالَ لَهُ أَبُو الْفَضْلِ: أَعَزَّكَ اللَّهُ يَا أَبِي

أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد الأحمول. قال: نعم يا بني. لهما قديم
أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيراً لا يملك شيئاً. فاشتد لي
الأمر إلى أن قال لي: من في منزلي إنا كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا
اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شيء نفقات به. قال: فبكت يا بني لذلك
بكاء شديداً. وبقيت ولها حيران مطرقاً مفكراً. ثم تذكرت مندبلاً
كان عندي فقلت لهم: ما حال الهنديل. فقالوا: هو باقٍ عندنا.
فقلت: أدفعوه إلي. فأخذته ودفعته إلى بعض أصحابي وقلت له: بعه بها
تيسر. فباعه بسبعة عشر درهماً. فدفعنها إلى أهلي وقلت: أنفقوها إلى
أن يزرق الله غيرها. ثم بكرت من الغد إلى باب أبي خالد وهو يومئذ
وزير المهدي. فإذا الناس ووقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم
راكباً. فلما رآني سلم علي وقال: كيف حالك. فقلت: يا أبا خالد ما
حال رجل يبيع من منزله بالأمس مندبلاً بسبعة عشر درهماً. فنظر
إلي نظراً شديداً وما أجابني جواباً. فرجعت إلى أهلي كسير القلب
وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد. فقالوا: يس والله ما فعلت. توجهت
إلى رجل كان يرتضيك لأمر جليل فكشفت له سرّك وأطلعتُه على
مكون أمرك. فأزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن
كنت عنده جليلاً. فأبراك بعد اليوم إلا بهذه العين. فقلت: قد قضى
الأمر الآن بما لا يهين أستدراكه. فلما كان من الغد بكرت إلى باب
الخليفة. فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال لي: قد ذكرت الساعة
بباب أمير المؤمنين. فلم ألتفت لقوله. فاستقبلني آخر فقال لي كقوله

الْأَوَّلِ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ فَقَالَ لِي : أَيْنَ تَكُونُ قَدْ أَمَرَنِي أَبُو
 خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَيَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسْتُ حَتَّى
 خَرَجَ . فَلَمَّا رَأَى دَعَانِي وَأَمَرَ لِي بِسُرْكَوبٍ فَرَكِبْتُ وَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى
 مَنْزِلِهِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : عَلِيٌّ بَيْلَانٌ وَفُلَانٌ الْحَنَاطِينِ فَأَحْضِرَا . فَقَالَ لَهُمَا : أَلَمْ
 تَشْتَرِيَا مِنِّي غَلَاتِ السَّوَادِ بِنَائِيَةِ عَشْرَ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ :
 أَلَمْ أَشْتَرِطْ عَلَيْكُمَا شِرْكَةَ رَجُلٍ مَعَكُمْ قَالَا : بَلَى . قَالَ : هُوَ هَذَا الرَّجُلُ
 الَّذِي أَشْتَرَطْتُ شِرْكَتَهُ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ مَعَهُمَا . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَا لِي :
 ادْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ الْمَسَاجِدِ حَتَّى نُكَلِّمَكَ فِي أَمْرٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ الرَّجْحُ
 أَلْهَنِي . فَدَخَلْنَا مَسْجِدًا فَقَالَا لِي : إِنَّكَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَيَّ وَكَلَاءًا
 وَأَمْنًا وَكِيَالِينَ وَأَعْوَانًا وَمُؤْنِينَ لَمْ نَقْدِرْ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ . فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا
 شِرْكَتَكَ بِهَالٍ نُعْجِلُهُ لَكَ فَتَنْتَفِعَ بِهِ وَبَسْفُطَ عَنْكَ التَّعَبُ وَالْكَدْفُ .
 فَقُلْتُ لَهُمَا : وَكَمْ تَبْدُلَانِ لِي . فَقَالَا : مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقُلْتُ : لَا أَفْعَلُ فَمَا
 زَالَا يَزِيدَانِي وَأَنَا لَا أَرْضَى إِلَيَّ أَنْ قَالَا لِي : ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَلَا زِيَادَةَ
 عِنْدَنَا عَلَى هَذَا . فَقُلْتُ : حَتَّى أَشَاوَرَ أَبَا خَالِدٍ . قَالَا : ذَلِكَ لَكَ . فَرَجَعْتُ
 إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا بِهِمَا وَقَالَ لَهُمَا : هَلْ وَافَقْتَاهُ عَلَى مَا ذَكَرَ . قَالَا : نَعَمْ .
 قَالَ : أَذْهَبَا فَبَيْضَاهُ الْمَالَ السَّاعَةَ . ثُمَّ قَالَ لِي : أَصْلِحْ أَمْرَكَ وَتَهَيَّأْ فَقَدْ
 قَلَدْتُكَ الْعَمَلَ . فَأَصْلَحْتُ شَأْنِي وَقَلَدْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي بِهِ . فَأَزَلْتُ فِي زِيَادَةِ
 حَتَّى صَارَ أَمْرِي إِلَى مَا صَارَ . ثُمَّ قَالَ لِي لَوْلِيهِ الْفَضْلُ : يَا بَنِيَّ فَمَا نَقُولُ فِي
 آيَاتِنَا مَنْ فَعَلَ بِأَيْدِيكَ هَذَا الْفِعْلَ وَمَا جَزَاؤُهُ . قَالَ : حَقُّ لَعْنَتِي وَجَبَّ
 عَلَيْكَ لَهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا وَدَيْ مَا أَجِدُ لَهُ مِثْلَ مَا غَيْرَ أَنِّي أَعْرَلْتُ نَفْسِي

وَأُولَئِهِ . فَفَعَلَ ذَلِكَ وَهَكَذَا تَكُونُ الْمَكَافَاةُ (للابشيبي)

الصَّانِعُ وَصَانِعُ الْخَلِيفَةِ

حَكِي أَنْ رَجُلًا مِنْ أُنْبَاءِ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ يَدٌ فِي صِنَاعَةِ الصِّبَاغَةِ وَكَانَ
 أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ . فَسَاءَ حَالُهُ وَأَفْتَقَرَ بَعْدَ غِنَاؤِهِ فَكَّرَ الْإِقَامَةَ فِي بَلَدِهِ
 فَأَنْتَقَلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ فَسَأَلَ عَنْ سُوقِ الصَّاعَةِ فَوَجَدَ دُكَّانًا لِلْمُعَلِّمِ
 السُّلْطَنِيَّةِ وَتَحْتَ يَدِهِ صُنَاعٌ كَثِيرٌ يَعْمَلُونَ الْأَشْغَالَ لِلْسُّلْطَنَةِ وَ لَهُ سَعَادَةٌ
 ظَاهِرَةٌ مَا بَيْنَ مَا يَلِكُ وَخَدَمٍ وَقَاشٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَتَوَصَّلَ الصَّانِعُ
 الْغَرِيبُ إِلَى أَنْ يَقِي مِنْ أَحَدِ الصَّنَاعِ الَّذِينَ فِي دُكَّانِ هَذَا الْمُعَلِّمِ . وَأَقَامَ
 يَعْمَلُ عِنْدَهُ مَدَّةً وَكُلَّمَا فَرَغَ النَّهَارُ دَفَعَ لَهُ دِرْهَمَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَتَكُونُ أُجْرُهُ
 عَلَيْهِ نُسَاوِي عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ فَيَكْسِبُ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ دَرَاهِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ .
 فَاتَّفَقَ أَنَّ الْمَلِيكَ طَلَبَ الْمُعَلِّمَ وَنَاوَلَهُ فَرْدَةً سِوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرْصَعَةً
 بِفُضُوصٍ فِي غَايَةِ مِنَ الْحُسْنِ قَدْ عَمِلَتْ فِي غَيْرِ بِلَادِهِ كَانَتْ فِي يَدِ إِحْدَى
 مَحَاطِبِهِ فَأَنْكَسَرَتْ . فَقَالَ لَهُ : أَلْحَمُّهَا . فَأَخَذَهَا الْمُعَلِّمُ وَقَدْ أَضْطَرَبَ
 عَلَيْهِ فِي عَمَلِهَا . فَلَمَّا أَخَذَهَا وَرَأَاهَا لِلصَّنَاعِ الَّذِينَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ فَأَ
 قَالَ لَهُ أَحَدٌ إِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى عَمَلِهَا . فَأَزْدَادَ الْمُعَلِّمُ لِذَلِكَ غَمًّا وَمَضَتْ
 مَدَّةٌ وَهِيَ عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ . فَاشْتَدَّ الْمَلِكُ عَلَى إِخْضَارِهَا وَقَالَ : هَذَا
 الْمُعَلِّمُ نَالَ مِنْ جِهَتِنَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يُلِمَّ سِوَارًا . فَلَمَّا
 رَأَى الصَّانِعُ الْغَرِيبُ شِدَّةَ مَا نَالَ الْمُعَلِّمُ قَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذَا وَقْتُ
 الْمُرُوتِ أَعْمَلُهَا وَلَا أُؤَاخِذُ بِبُخْلِهِ عَلَيَّ وَعَدَمِ إِنْصَافِهِ وَلَعَلَّهُ يُحْسِنُ إِلَيَّ
 بَعْدَ ذَلِكَ . فَحَطَّ يَدَهُ فِي دِرْجِ الْمُعَلِّمِ وَأَخَذَهَا وَفَكَ جَوَاهِرَهَا وَسَبَّكَهَا .

ثُمَّ صَاغَهَا كَمَا كَانَتْ وَنَظَّمَ عَلَيْهَا جَوَاهِرَهَا فَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ . فَلَمَّا
 رَأَاهَا الْمُعَلِّمُ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا . ثُمَّ مَضَى بِهَا إِلَى الْمَلِكِ فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَحْسَنَهَا
 وَأَدْعَى الْمُعَلِّمَ أَنَّهُمَا صَنَعْتَهُ . فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَيِّئَةً . فَجَاءَ
 وَجَلَسَ مَكَانَهُ فَبَنَى الصَّانِعُ يَرْجُو مَكَافَأَتَهُ عَمَّا عَامَلَهُ بِهِ فَإِذَا انْفَتَحَ إِلَيْهِ
 الْمُعَلِّمُ . وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ مَا زَادَهُ عَلَى الدَّرْثِ عَمَّيْنِ شَيْئًا . فَأَمَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ
 قَلِيلٌ وَإِذَا الْمَلِكُ اخْتَارَ أَنْ يَعْمَلَ زَوْجِي أَسَاوِرَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ
 فَطَلَبَ الْمُعَلِّمُ وَرَسَمَ لَهُ يَكُلُّ مَا يَجْتَنِجُ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الصِّفَةِ
 وَسُرْعَةِ الْعَمَلِ . فَجَاءَ إِلَى الصَّانِعِ وَأَخْبَرَهُ بِهَا قَالَ الْمَلِكُ . فَأَمْتَثَلْ مَرْسُومَهُ
 وَلَمْ يَزَلْ مُنْتَصِبًا إِلَى أَنْ عَمَلَ الزَّوْجَيْنِ وَهُوَ لَا يَزِيدُكَ شَيْئًا عَلَى الدَّرْثِ عَمَّيْنِ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَا يَشْكُرُ وَلَا يَبْعُدُ بِخَيْرٍ وَلَا يَجْهَلُ مَعَهُ . فَرَأَى الْمُصَلِّحَةَ
 أَنْ يَنْفُشَ عَلَى زَوْجٍ مِنْهَا أَيْبَانًا يَشْرَحُ فِيهَا حَالَهُ لِيَقِفَ عَلَيْهَا الْمَلِكُ .
 فَغَفَسَ فِي بَاطِنِ أَحَدِهَا هَذِهِ الْآيَاتِ نَفْسًا خَفِيًّا يَقُولُ :

مَصَائِبَ الدَّهْرِ كُنِّي إِنْ لَمْ تَكُنِّي فَعِنِّي
 خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِي وَجَدْتُ رِزْقِي تُوفِّي
 فَلَا يَرِزْقِي أَحْظَى وَلَا بِصَنْعَةِ كُنِّي
 كَمْ جَاهِلٍ فِي الثَّرِيَا وَعَالِمٍ مُخْفِي

قَالَ : وَعَزَمَ الصَّانِعُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ ظَهَرَتْ الْآيَاتُ لِلْمُعَلِّمِ شَرَحَ لَهُ مَا
 عِنْدَهُ وَإِنْ غَمَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرَهَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَوْصِيهِ إِلَى الْمَلِكِ . ثُمَّ لَفَّهَا
 فِي فُطْنٍ وَنَاوَلَهَا لِلْمُعَلِّمِ فَرَأَى ظَاهِرَهَا وَلَمْ يَرَ بَاطِنَهَا لِجَهْلِهِ بِالصَّنْعَةِ
 وَلَمَّا سَبَقَ لَهُ فِي الْقَضَاءِ . فَأَخَذَهَا الْمُعَلِّمُ وَمَضَى بِهَا فَرِحًا إِلَى الْمَلِكِ

وَقَدَّمَهَا إِلَيْهِ . فَلَمْ يَشْكُ فِي أَنْهَا صَنَعْتُهُ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَشَكَرُ . ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ
 مَكَانَهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الصَّانِعِ وَمَا زَادَهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ شَيْئًا عَلَى الدَّرْهَمَيْنِ .
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي خَلَا خَاطِرُ الْمَلِكِ فَاسْتَحْضَرَ الْحُظِيَّةَ الَّتِي عَمِلَ هُمَا
 السُّوَارَيْنِ الذَّهَبَ . فَحَضَرَتْ وَهَمَا فِي يَدَيْهَا فَأَخَذَهُمَا لِيُعِيدَ نَظْرَهُ فِيهِمَا
 وَفِي حُسْنِ صَنَعْتِهِمَا . فَفَرَأَ الْآيَاتَ فَتَعَجَّبَ وَقَالَ : هَذَا شَرْحُ حَالِ
 صَانِعِيهَا وَالْمُعَلِّمِ بِكَذِبٍ . فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمُعَلِّمِ . فَلَمَّا
 حَضَرَ قَالَ لَهُ : مَنْ عَمِلَ هَذَيْنِ السُّوَارَيْنِ . قَالَ : أَنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَ : فَمَا
 سَبَبُ نَفْسِ هَذِهِ الْآيَاتِ . قَالَ : لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمَا آيَاتٌ . قَالَ : كَذَبْتَ ثُمَّ أَرَاهُ
 النَّفْسَ وَقَالَ : إِنْ لَمْ تَصُدِّقْنِي الْحَقُّ لِأَضْرِبَنَّ عَنْقَكَ . فَأَصْدَقَهُ الْحَقُّ فَأَمَرَ
 الْمَلِكُ بِإِحْضَارِ الصَّانِعِ . فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . فَحَكَى لَهُ قِصَّتَهُ وَمَا
 جَرَى لَهُ مَعَ الْمُعَلِّمِ . فَرَسَمَ الْمَلِكُ يَعْزِلُ الْمُعَلِّمَ وَأَنْ تَسْلُبَ نِعْمَتَهُ وَتُعْطَى
 لِلصَّانِعِ وَأَنْ يَكُونَ عِوَضًا عَنْهُ فِي الْخِدْمَةِ . ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ خَالِعَةً سَنِيَّةً وَصَارَ
 مُنْذَرًا سَعِيدًا . فَلَمَّا نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ وَتَمَكَّنَ عِنْدَ الْمَلِكِ تَلَطَّفَ بِهِ حَتَّى
 رَضِيَ عَنِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَصَارَا شَرِيكَيْنِ وَمَكَّنَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ
 إِحْسَانٌ كَرِيمٌ إِلَى عَدُوِّهِ

حِكْمِي أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ غَسَّانِ بْنِ عَبَادٍ (وَبَيْنَ) عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عِدَاوَةً
 عَظِيمَةً وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى ضَامِنًا أَعْمَالَ خَرَّاجٍ كُضْبَاعٍ وَغَيْرِهِ فَنَقِيتَ
 عَلَيْهِ نَبِيَّةٌ مِقْدَارُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَأَلْحَمَّ عَلَيْهِ الْمَأْمُونُ بِطَلْبِهَا وَشَدَّدَ
 بِهَا إِلَى أَنْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ حَاجِبِهِ : أَمْرُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ أَحْضَرَ
 أَمَّالًا وَإِلَّا فَأَضْرِبْهُ بِالسِّيَاطِ حَتَّى يَدْفَعَ الْمَالَ أَوْ يَتَلَفَ . فَأَنْصَرَفَ عَلِيُّ

ابْنُ مُوسَى مِنْ دَارِ الْمَأْمُونِ وَقَدْ ارْتَاعَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ وَجْهًا يَنْجُو إِلَيْهِ .
 فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ : إِذَا عَرَّجْتَ عَلَى غَسَّانِ بْنِ عَبَّادٍ وَعَرَفْتَهُ خَبَرَكَ رَجَوْتُ
 أَنْ يُعِينَكَ عَلَى أَمْرِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ بَيَّنِّي وَيَبِّهْهُ مِنَ الْعِدَاوَةِ مَا عَرَفْتُ .
 فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ وَلَكِنَّ الرَّجُلَ أَرْبَعِي كَرِيمٌ لَا نَمْنَعُهُ الْعِدَاوَةَ الَّتِي بَيْنَكُمَا عَنْ
 فِعْلِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي هُوَ مِنْ شَيْمِ الْكِرَامِ . فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَمَضَى إِلَى
 أَنْ جَاءَ وَدَخَلَ مَعَ كَاتِبِهِ عَلَى غَسَّانِ بْنِ عَبَّادٍ . فَلَمَّا رَأَاهُ غَسَّانُ قَامَ إِلَيْهِ
 وَتَلَفَّاهُ جَمِيلًا وَوَقَّاهُ حَقَّهُ فِي الْخِدْمَةِ وَقَالَ لَهُ : دَعِ الْأَمْرَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 عَلَى حَالِهِ وَلَكِنْ دُخُولَكَ إِلَى دَارِي تُوجِبُ حُرْمَتَهُ بَلُوغَ مَا رَجَوْتَهُ مِنِّي
 فَأَذْكَرُ إِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ . فَفَصَّ كَاتِبُهُ عَلَيْهِ الْفِئْصَةَ . فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ :
 أَرْجُو أَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ تَعَالَى صُعُوبَةَ أَمْرِكَ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا . فَقَامَ
 عَلِيُّ بْنُ مُوسَى مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ نَادِمٌ عَلَى قِصْدِ غَسَّانِ وَيَسِسُ مِنْ أَمْرِهِ وَقَالَ
 لِكَاتِبِهِ : مَا أَفَدْتَنِي بِالْدُخُولِ عَلَى غَسَّانِ سِوَى تَعْجِيلِ الشَّمَاتَةِ وَالْهَوَانِ . فَلَمْ
 يَصِلْ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى إِلَى دَارِهِ أَنْ حَضَرَ إِلَيْهِ كَاتِبُ غَسَّانِ وَمَعَهُ الْبِغَالُ
 وَعَلَيْهَا الْمَالُ فَتَقَدَّمَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَتَسَلَّمَهُ وَبَاتَ فَرِحًا مَسْرُورًا . وَعِنْدَ
 الصَّبَاحِ بَكَرَ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُدْفَعَ الْمَالُ فَوَجَدَ غَسَّانَ قَدْ سَبَقَهُ
 هُنَاكَ وَدَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى
 بِحَضْرَتِكَ حُرْمَةٌ وَخِدْمَةٌ وَسَابِقُ أَصْلٍ وَقَدْ لَحِقَهُ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي ضَائِهِ
 مَا تَعَارَفَهُ النَّاسُ وَقَدْ تَوَعَّدْتَهُ مِنَ الضَّرْبِ بِالسَّيَاطِ مَا أَطَارَ عَقْلُهُ
 وَأَذْهَبَ لَبُّهُ . فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْزِيَنِي مِنْ حَسَنِ كَرَمِهِ بِبَعْضِ
 مَا عَلَيْهِ فَبِي صَنِيعَةٌ لِي مِنْ إِحْسَانِهِ . وَلَمْ يَزَلْ غَسَّانُ يَتَلَطَّفُ بِالْمَأْمُونِ

حَتَّى حَطَّ عَنْهُ نِصْفَ مَا عَلَيْهِ وَأَقْتَصَرَ مِنْهُ بِالنِّصْفِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .
 فَقَالَ غَسَّانُ لِلْمَأْمُونِ : سَمِعَا وَطَاعَةَ وَلَكِنْ عَلَى أَنْ يُجِدَّدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 لَهُ الضَّمَانُ وَيَخْلَعَ عَلَيْهِ لِكَيْ تَقْوَى نَفْسُهُ وَيَعْرِفَ بِهَا مَكَانَ الرِّضَا عَلَيْهِ مِنْ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبْقَاهُ اللَّهُ . فَأَجَابَ الْمَأْمُونُ إِلَى ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ :
 إِنْ شَاءَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَتَحْمَلِ الدَّوَاةَ إِلَى حَضْرَتِهِ لِتَوْفِيعِ مَا سَمِعَ بِهِ
 فِي مَا قَالَ . قَالَ : أَفْعَلُ . فَحَمَلْتُ الدَّوَاةَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَدَّمَهَا غَسَّانُ لَهُ
 فَوَفَّعَ حِينَئِذٍ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى . وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَانْخَلَعَ عَلَى كَنَفَيْهِ
 وَالتَّوَفَّيعُ بِيَدِهِ . فَلَمَّا حَضَرَ إِلَى دَارِهِ حَمَلَ مِنَ الْمَالِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 وَذَرَسَهَا إِلَى غَسَّانَ وَشَكَرَهُ عَلَى جَمِيلِ فِعْلِهِ . فَقَالَ غَسَّانُ لِكَاتِبِهِ : وَاللَّهِ
 مَا شَفَعْتُ بِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِتَنَوُّقَرَّ عَلَيْهِ الْعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ
 وَيَتَنَفَّعَ بِهَا هُوَ فَامْضُ بِهَا إِلَيْهِ وَرُدِّهَا لَهُ فَلَسْتُ وَاللَّهِ أَخِيذَهَا فَرِي لَهُ .
 فَلَمَّا رَجَعَ الْكَاتِبُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى مَوْلَاهُ وَبَلَّغَهُ مَا قَالَ عَرَفَ عِنْدَ ذَلِكَ
 قَدْرَ مَا فَعَلَهُ غَسَّانُ مِنَ الْجَمِيلِ . وَلَمْ يَنْزِلْ بِخِدْمَتِهِ وَيُوقِرُهُ إِلَى آخِرِ الْعَصْرِ
 الْأَصْمَعِيُّ وَرَجُلٌ سَخِيٌّ

حَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : فَصَدْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلًا كُنْتُ آتِيهِ
 أَحِبَّانًا كَثِيرَةً لِكَرَمِهِ وَجُودِهِ . فَلَمَّا أَتَيْتُ دَارَهُ وَجَدْتُ عَلَى بَابِهِ بَوَّابًا
 فَمَنَعَنِي مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ وَقَالَ لِي : وَاللَّهِ يَا أَصْمَعِيُّ مَا أَوْفَنِي عَلَى بَابِهِ لِأَمْنَعِ
 مِثْلَكَ إِلَّا لِرِقَّةِ حَالِهِ وَقُصُورِ يَدِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الضِّيْقِ . فَقُلْتُ لَهُ : أُرِيدُ
 أَنْ أَكْتُبَ لَهُ رُقْعَةً أَتُوصِلُهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ : سَمِعَا وَطَاعَةَ . فَأَحْضَرَ لِي قِرْطَاسًا
 وَقَلَمًا وَدَوَاةً فَأَخَذْتُ وَكَتَبْتُ لَهُ شِعْرًا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَأَفْضَلُ الْكَرِيمِ عَلَى اللَّئِيمِ
 ثُمَّ طَوَيْتُ الرُّقْعَةَ وَدَفَعْتُهَا إِلَى الْحَاجِبِ وَقُلْتُ لَهُ : أَوْصِلْ هَذِهِ الرُّقْعَةَ
 إِلَيْهِ . فَفَعَلَ وَمَضَى بِالرُّقْعَةِ قَلِيلًا . ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ بِالرُّقْعَةِ عَيْنَهَا وَقَدْ كَتَبَ
 تَحْتَ شِعْرِي جَوَابًا شِعْرًا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَلِيلَ مَالٍ تَحَجَّبَ بِالْحِجَابِ عَنِ الْغَرِيمِ
 وَمَعَ الرُّقْعَةَ صُرَّ فِيهَا خَمْسِمِائَةٌ دِينَارٍ . فَتَعَجَّبْتُ مِنْ سَخَائِهِ مَعَ قَلَّةِ
 مَا بِيَدِهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لَا تُحْفَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بِهَذَا الْخَبْرِ . فَأَنْطَلَقْتُ
 حَتَّى أَتَيْتُ قَصْرَ الْخِلَافَةِ فَاسْتَأْذَنْتُ وَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ .
 فَلَمَّا رَأَى قَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ يَا أَصْمَعِيُّ . قُلْتُ : مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ مِنْ أَكْرَمِ
 الْأَحْبَاءِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ . فَدَفَعْتُ لَهُ الرُّقْعَةَ وَالصُّرَّةَ
 وَسَرَدْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ . فَلَمَّا رَأَى الصُّرَّةَ قَالَ : هَذِهِ مِنْ بَيْتِ مَالِي وَلَا بَدَّ لِي
 مِنَ الرَّجُلِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي اسْتَحْيِي أَنْ أَكُونَ سَبَبَ
 رَوْعِهِ بِإِسْرَائِكَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : لَا يُغْمَكُ ذَلِكَ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى بَعْضِ
 خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ مَعَ الْأَصْمَعِيِّ فَإِذَا أَرَاكَ دَارًا فَأَدْخُلْ وَقُلْ
 لِصَاحِبِهِ : أَحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ دُعَاؤُكَ لَهُ بِلَطَافَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ
 تُرْعِيَهُ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَهَضِينَا وَدَعَوْنَا الرَّجُلَ فَجَاءَ وَدَخَلَ عَلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ لَهُ هَارُونَ الرَّشِيدُ أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي
 وَقَفْتَ لَنَا بِالْأَمْسِ وَشَكَوْتَ لَنَا رُقْعَةَ حَالِكَ وَقُلْتَ إِنَّكَ فِي ضَيْقٍ شَدِيدٍ
 مِنَ الْإِحْتِيَاجِ فَرَحِمْنَاكَ وَوَهَبْنَا لَكَ هَذِهِ الصُّرَّةَ لِتُصَلِّحَ بِهَا حَالَكَ وَقَدْ
 فَصَدَّكَ الْأَصْمَعِيُّ بِبَيْتٍ مِنَ الشُّعْرِ فَدَفَعْتُهَا لَهُ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

وَاللَّهِ مَا كَذَّبْتُ فِي مَا سَكُونُهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَّةٍ حَالِي وَشِدَّةِ
 أَحْبَابِي وَلِكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أُعِيدَ قَاصِدِي إِلَّا كَمَا أَعَادَنِي
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ : لِلَّهِ دَرُّ بَطْنِ أَتَاكَ فَأَوْلَدَتْ
 الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ . ثُمَّ بَالِغَ بِإِكْرَامِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ
 إِكْرَامُ ثَلَاثَةِ أَصْدِقَاءَ مُخْلِصِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

نَقَلَ عَنِ الْوَالِدِيِّ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقَانِ أَحَدُهُمَا هَاشِمِيٌّ وَكَانَا فِي
 الصَّدَاقَةِ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ . فَنَالَنِي ضَيْقَةٌ شَدِيدَةٌ وَقَدْ حَضَرَ الْعَيْدُ . فَقَالَتْ
 لِي أُمْرَأَتِي : يَا مَوْلَايَ أَمَا نَحْنُ فَقَدْ نَصَبْنَا عَلَى الْبُؤْسِ وَالشَّدَّةِ وَأَمَّا صِبْيَانُنَا
 هُوَلَاءُ فَقَدْ نَقَطَعَ قَلْبِي عَلَيْهِمْ حُزْنًا وَرَحْمَةً لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ صِبْيَانَ جِيرَانِنَا
 وَمَعَارِفِنَا وَقَدْ تَزَيَّنُوا فِي الْعَيْدِ وَهُمْ فَرِحُونَ . فَلَا بَأْسَ إِذَا أَحْنَلْنَا فِي مَا
 يَهْكُنَا أَنْ نَصْرِفَهُ فِي كُسْوَتِهِمْ . فَرَأَيْتُ كَلَامَهَا صَوَابًا وَقَدْ قَطَعْتُ فُؤَادِي
 مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ . فَفَكَّرْتُ فِي الْحِيلَةِ وَكَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيِّ أَسْأَلُهُ
 التَّوَسُّعَةَ عَلَيَّ بِهَا يُمْكِنُهُ وَيُحْضِرُهُ . فَوَجَّهَهُ إِلَيَّ كَيْسًا فِيهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ .
 فَمَا اسْتَفَرَّ فَرَارُهُ حَتَّى كَتَبَ لِي صَدِيقِي الْأَخْرُسِيُّ كَيْسًا مِثْلَهَا سَكُونَتْ أَنَا
 إِلَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيِّ . فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِالْكَيسِ عَلَى حَالِهِ وَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ
 وَأَنَا مُسْتَعْيٍ مِنْ أُمْرَأَتِي . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهَا وَقَدْ عَلِمْتُ بِهَا فَعَلْتُ لَمْ تَعْنِفَنِي
 فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ صَدِيقِي الْهَاشِمِيُّ وَرَعَهُ الْكَيسُ وَهُوَ بَاقٍ
 بِخَبْرِهِ فَقَالَ : أَصْدُقَنِي عَمَّا فَعَلْتَهُ بِهَا وَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ . فَأَخْبَرَنِي بِالْحِكَايَةِ
 عَلَى حَقِيقَتِهَا . فَقَالَ : إِنَّكَ أَرْسَلْتَ تَطْلُبُ مِنِّي التَّوَسُّعَةَ وَأَنَا وَاللَّهِ ثُمَّ وَاللَّهِ
 لَا أَمْلِكُ شَيْئًا سِوَى هَذَا الْكَيسِ الَّذِي بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ . ثُمَّ إِنِّي بَعْدَ مَا

أَرْسَلْتُهُ لَكَ كَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِنَا أَسْأَلُهُ الْهُوَ أَسَاءَةٌ إِنْ كَانَ يُمْكِنُهُ فَوَجَّهَ
إِلَى الْكَيْسِ بِذَاتِهِ وَهُوَ يَخْنِي وَهَذَا أَنَا ذَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْكَ. وَبِحَيْثُ إِنَّا كُنَّا
فِي ضَيْقٍ وَلَا يُوْجَدُ عِنْدَ أَحَدِنَا غَيْرُ هَذَا الْكَيْسِ فَهَلُمْ نَقْتَسِبْهُ. ثُمَّ إِنَّهُ فَتَحَهُ
وَأَخْرَجَ مِنْهُ مِئَةَ دِرْهَمٍ لِلْمَرْأَةِ وَفَرَّقَ عَلَى كُلِّ مِنَّا أَنَا وَصَدِيقِي ثَلَاثَ مِئَةِ
دِرْهَمٍ وَأَخَذَ هُوَ مِثْلَنَا ثَلَاثَ مِئَةِ. وَبَلَغَ الْمَأْمُونُ ذَلِكَ فَأَرْسَلَ اسْتَدْعَانِي
وَسَأَلَنِي عَنِ الْقِصَّةِ فَشَرَحْتُهَا لَهُ كَمَا هِيَ فَاسْتَدْعَى صَدِيقِي وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنَّا
بِالَّذِي دِينَارٍ وَلَا مَرَاتِي بِأَلْفِ دِينَارٍ

(لابن خلكان)

فِي تَقْدِيمِ الْإِكْرَامِ لِأَهْلِهِ

مِنْ غَزَاةِ حَفِظِ الْوِزَارَتَيْنِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُجِيدِ بْنُ عَبْدِ وَنَ مَا
حَدَّثَ الْوَزِيرُ الْأَجَلُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ
ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ زَهْرِي بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زَهْرِي. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا قَدْ مَاتَ
عَنْ سِنِّ عَالِيَةٍ نَبِيٍّ عَلَى الثَّمَانِينَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي دِهْلِيْزِ دَارِنَا
وَعِنْدِي رَجُلٌ نَاسِخٌ أَمْرُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ الْأَغَانِي. فَجَاءَ النَّاسِخُ
بِالْكَرَارِيسِ الَّتِي كَتَبَهَا. فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ الْأَصْلُ الَّذِي كَتَبْتَ مِنْهُ لِأَقَابِلِ
مَعَكَ بِهِ. قَالَ: مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعِي. فَبَيْنَا أَنَا مَعَهُ فِي ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ الدَّهْلِيْزُ
عَلَيْنَا رَجُلٌ يَدُ الْهَيْبَةِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ أَكْثَرُهَا صُوفٌ. وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ
قَدْ لَامَتْهَا مِنْ غَيْرِ إِنْقَانٍ لَهَا. فَحَسِبْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَسَلَّمَ
وَقَعَدَ وَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ اسْتَخِزْنِي لِي عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ. فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ
نَائِمٌ. هَذَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفْتُ جَوَابَهُ غَايَةَ التَّكْلِيفِ حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ نَزْوَةَ الصَّبِيِّ
وَمَا رَأَيْتُ مِنْ خُشُونَةٍ هَيْبَةِ الرَّجُلِ. ثُمَّ سَكَتَ عَنِّي سَاعَةً وَقَالَ: مَا هَذَا

الْكِتَابُ الَّذِي بِيَدَيْكُمَا. فَقُلْتُ لَهُ: مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ. قَالَ أَحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ
 اسْمَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ اسْمَاءَ الْكُتُبِ. فَقُلْتُ: هُوَ كِتَابُ الْأَعَانِي. فَقَالَ:
 إِلَى أَيْنَ بَلَغَ الْكِتَابُ مِنْهُ. قُلْتُ: بَلَغَ مَوْضِعَ كَذَا وَجَعَلْتُ أَمْحَدْتُ مَعَهُ عَلَى
 طَرِيقِ السُّخْرِيَّةِ بِهِ وَالضَّحِكِ عَلَى قَالِيهِ. فَقَالَ: وَمَا لِكِتَابِكَ لَا يَكْتُبُ.
 قُلْتُ: طَلَبْتُ مِنْهُ الْأَصْلَ الَّذِي يَكْتُبُ مِنْهُ لِإِعَارِضَ بِهِ هَذِهِ الْأَوْرَاقَ.
 فَقَالَ: لَمْ أَجِئْ بِهِ مَعِيَ. فَقَالَ: يَا بَنِي خُدَّ كَرَارِيْسَكَ وَعَارِضَ. قُلْتُ:
 بِمَاذَا وَأَيْنَ الْأَصْلُ. قَالَ: كُنْتُ أَحْفَظُ هَذَا الْكِتَابَ فِي مَدَّةِ صِبَايَ. قَالَ:
 فَتَبَسَّتُ مِنْ قَوْلِهِ فَلَمَّا رَأَى تَبَسُّمِي. قَالَ: يَا بَنِي أَمْسِكْ عَلَيَّ. قَالَ:
 فَأَمْسَكْتُ عَلَيْهِ وَجَعَلْتُ يَقْرَأُ. فَوَاللَّهِ إِنِّي أَخْطَأُ وَلَا وَأَوْلَا فَمَا قَرَأْتُ هَكَذَا نَحْوًا
 مِنْ كَرَّاسَتَيْنِ (كَرَّاسَتَيْنِ). ثُمَّ أَخَذْتُ لَهُ فِي وَسْطِ السَّفَرِ وَآخِرِهِ فَرَأَيْتُ
 حِفْظَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ سَوَاءً فَاسْتَدَّ عَجْبِي وَقَمْتُ مُسْرِعًا حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِي
 فَأَخْبَرْتُهُ بِأَخْبَرِهِ وَوَصَفْتُ لَهُ الرَّجُلَ. فَقَامَ كَمَا هُوَ مِنْ فَوْرِهِ وَكَانَ مُلْتَمًا
 بِرِداءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ فَمِصُّ. وَخَرَجَ حَاسِرَ الرَّاسِ حَافِيًا الْقَدَمَيْنِ لَا يَرْتَفِقُ عَلَى
 نَفْسِهِ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُوسِعُنِي لَوْ مَا حَتَّى تَرَامِي عَلَى الرَّجُلِ وَعَانَقَهُ
 وَجَعَلَ يَقِيلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ أَعْذِرْ نِي فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُنِي
 هَذَا الْخُلْفُ إِلَّا السَّاعَةَ وَجَعَلَ يَسُبُّنِي وَالرَّجُلُ يُخْفِضُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: مَا
 عَرَفْنِي. وَأَبِي يَقُولُ: هَبْ مَا عَرَفَكَ فَمَا عُدْرُهُ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ. ثُمَّ أَدْخَلَهُ
 الدَّارَ وَكَرَّمَ مَجْلِسَهُ وَخَلَا بِهِ فَتَحَدَّثَا طَوِيلًا. ثُمَّ خَرَجَ الرَّجُلُ وَأَبِي بَيْنَ
 يَدَيْهِ حَافِيًا حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ. وَأَمْرٌ يَدَاتِيهِ الَّتِي يَرَكُّهَا فَأُسْرِجَتْ وَحَلَفَ
 عَلَيْهِ لِيَرَكُبَهَا ثُمَّ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَبَدًا. فَلَمَّا انفصل قُلْتُ لِأَبِي: مَنْ هَذَا

الرَّجُلُ الَّذِي عَظَمْتَهُ هَذَا التَّعْظِيمَ . قَالَ لِي : أَسْكُتْ وَيَحْك . هَذَا أَحْيَبُ
 الْأَنْدَلُسِ وَأَمَامَهَا وَسَيِّدُهَا فِي عِلْمِ الْأَدَابِ . هَذَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُجِيدِ بْنِ
 عَبْدِ وَن . أَيْسَرُ مَحْفُوظَاتِهِ كِتَابُ الْأَغَانِيِّ وَمَا حَفِظَهُ فِي ذِكَاةِ خَاطِرِهِ
 وَجُودَةٍ قَرِيحِهِ (صحي الدين المراكشي)

فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ فِي مَوْضِعِهِ وَالْإِضْطِفَاءِ بَعْدَ الْخَبَرِ
 قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ أَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ الَّذِي
 يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ :
 أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا
 يَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمٍ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِمِخْنَاحَيْنِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ
 الْإِنْسَانِ . وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ . وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ
 وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَلَى حُرْمَتِهِ وَأَشْكُرُ
 لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْرَبُ بِهِ . وَحِينَئِذٍ يَجِبُ عَلَى ذَوِي الْعَقْلِ مِنَ الْهَلُوكِ وَغَيْرِهِمْ
 أَنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهُمْ مَوَاضِعَهُ وَلَا يَضِعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَبِلُهُ وَلَا يَقُومُ
 بِشُكْرِهِ وَلَا يَضْطَفُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرِ بِطَرَائِفِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ
 وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُوا بِذَلِكَ قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ إِذَا كَانَ
 غَيْرَ مُحْتَبَلٍ لِلصَّنِيعَةِ وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرِقْدَهُمْ لِلْبَعِيدِ إِذَا كَانَ
 يَفْقَهُمْ بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَارِفًا بِحَقِّ مَا أَصْطَنَعَ
 إِلَيْهِ مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ مَحْمُودًا يَا لِنُضْحِ مَعْرُوفًا يَا لِحَيْرِ صَدُوقًا عَارِفًا
 مُؤَثِّرًا لِحَمِيدِ الْفِعَالِ وَالْقَوْلِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالْخِصَالِ
 الْمَحْمُودَةِ وَوُثِقَ مِنْهُ بِهَا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا وَلِتَقْرِيبِهِ وَأَصْطِنَاعِهِ

أَهْلًا . فَإِنَّ الطَّيِّبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُدَاوَاةِ الْمَرِيضِ إِلَّا بَعْدَ
النَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْحَسْرَةِ لِعُرُوفِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عَلَيْهِ . فَإِذَا عَرَفَ
ذَلِكَ كُلَّهُ حَقًّا مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ عَلَى مُدَاوَاتِهِ . فَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ لَا يَنْبَغِي لَهُ
أَنْ يَصْطَفِيَ أَحَدًا وَلَا يَسْتَخْلِصَهُ إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرِ . فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى مَشْهُورِ
الْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ كَانَ مُحَاطِرًا فِي ذَلِكَ وَمُشْرِفًا مِنْهُ عَلَى هَلَاكِ
وَقَسَادٍ . وَمَعَ ذَلِكَ رُبَّمَا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ مَعَ الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ
يُجَرِّبْ شُكْرَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذَلِكَ وَيُكَافِيهِ
عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْمُكَافَاةِ . وَرُبَّمَا تَحَدَّرَ الْعَاقِلُ مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ
أَحَدًا مِنْهُمْ . وَقَدْ يَأْخُذُ ابْنُ عَرَسٍ فَيُدْخِلُهُ فِي كَهْمِهِ وَيُجْرِجُهُ مِنَ الْأُخْرَى
كَالَّذِي يَحْمِلُ الطَّائِرَ عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا أَنْتَفَعَ بِهِ وَأَطْعَمَهُ مِنْهُ .
وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِذِي الْعَقْلِ أَنْ يَحْتَفِرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ وَلَا
مِنَ الْبِهَائِمِ وَلَكِنَّهُ جَدِيدٌ بَانَ يَبْلُوهُمْ وَيَكُونُ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا
بَرَى مِنْهُمْ وَقَدْ مَضَتْ فِي ذَلِكَ أَمْثَالٌ ضَرَبَهَا الْمُحْكِمَاءُ (كَلِيلَةُ وَدَمْنَةُ)

الْحَيَّةُ وَالْإِنْسَانُ

ذِكْرُ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْأَكْبَاسِ طَلَبَ الْعِزْلَةَ عَنِ النَّاسِ وَلِأَنَّهُ
أَنْقَطَاعَهُ وَأَنْقَطَعَ عَنِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ . وَاشْتَغَلَ لِإِقَامَةِ أَوْجِهِ بِالزَّرَاعَةِ .
وَأَنْعَزَلَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ . وَصَاحَبَ حَيَّةً كَانَتْ تَأْتِيهِ بِكَلَامِهِ .
وَتَأْكُلُ مِنْ فَضْلَاتِ طَعَامِهِ . فَتَرَفَّتَ بَيْنَهُمَا الْمِعَاهَدَةُ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ إِلَى
الْمِعَاقِفَةِ . بِأَنَّ تَكُونَ صَادِقَةً خَالِيَةً عَنِ الْمَهَادِقَةِ . وَلَا تَكُونَ كَمُضْحَبَةِ
أَبْنَاءِ الزَّمَانِ . تَكْرَعُ مِنَ الْغَدْرِ فِي غُدْرَانٍ . وَلَا مَشُوبَةٌ بِبِنَاقٍ . وَلَا

مَدْخُولَةٌ بِرِثَاءِ وَشِقَاقِي . وَأَنْ تَعْفِدَ بَيْنَهَا الْمَوَدَّةَ وَالْإِخَاءَ . فِي حَالَتِي
 الشَّدِيدِ وَالرَّخَاءِ . فَمَرَّ عَلَى هَذَامَةَ وَكُلُّ حَافِظٍ عَهْدٍ مُرَاعٍ صُحْبَتُهُ وَوَدَّهَ .
 وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا عَنَتْ لَهُ فِضِيَّةٌ عَرَضَهَا عَلَى الْحَبِيَّةِ وَأَسْتَشَارَهَا وَأَخَذَ
 أَخْبَارَهَا . وَتَخْرُجُ هِيَ إِلَيْهِ . وَتَنَرَّأَى عَلَى رِجْلَيْهِ . فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . وَعَامٍ
 مِنَ الْأَعْوَامِ . وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ . وَتَلَّحَّ وَجَلِيدٌ . فَرَأَى الْحَبِيَّةَ وَقَدْ سَنَطَتْ
 قَوَاهَا . وَخَمَدَتْ أَعْضَاهَا . وَوَقَعَتْ فِي شَرِّ حَالٍ . وَبَرْدٍ وَوَبَالٍ . فَحَمَلَتْهُ
 الشَّفَقَةُ وَالصَّدَاقَةُ وَالْعَهْدُ الَّذِي أَحْكَمَا وَثَاقَهُ عَلَى أَنْ آوَاهَا وَحَمَلَهَا فِي مَخْلَاةِ
 حِمَارِهِ وَأَذْنَاهَا وَوَضَعَ الْخِيَلَةَ فِي رَأْسِ الْبِهِمِ . وَتَوَجَّهَ لِضُرُورَةٍ ذَلِكَ
 النَّهْمِ . فَحَسَّتِ الْحَبِيَّةُ بِنَفْسِ أَبِي زِيَادٍ . وَتَحَرَّكَ عِرْقُ الْعُدْوَانِ الْقَدِيمِ .
 وَعَادَ . وَقَعَلَ خُبْنُهَا خَاصِيَّتَهُ الْمَأْلُوفَةَ . وَلِعَبَ سُمُّهَا سُمِّيَّتَهُ الْمَعْرُوفَةَ . مَتَّبِعًا
 حَدِيثَهُ . حَرَامٌ عَلَى النَّفْسِ الْحَيِّثَةِ . أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تُسَيَّءَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ
 إِلَيْهَا . فَعَضَّتِ الْحَبِيَّةُ شَفَةَ الْحِمَارِ وَبَرَدَ مَكَانُهُ مِنْ حَرِّهَا . وَهَرَبَتِ الْحَبِيَّةُ
 إِلَى جُحْرِهَا . وَإِنَّمَا أُوْرِدَتْ هَذَا الْمَثَلُ لِتَعَلُّمُوا يَا ذَوِي الْأَفْضَالِ أَنَّ مَنْ
 صَحِبَ الْأَشْرَارَ . وَرَغِبَ فِي مَوَدَّةِ النُّجَّارِ . لَا يَأْمَنُ الْعِثَارَ . وَلَا يَسْلَمُ مِنَ
 الْأَنْكَادِ وَالْبَوَارِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

كِسْرَى وَالْمُنْحَارِكَانِ

حِكْمِي أَنْ الْمَلِيكَ كِسْرَى كَانَ أَعْدَلَ الْمُلُوكِ قَبِيلَ : إِنَّ رَجُلًا اشْتَرَى
 دَارًا مِنْ رَجُلٍ آخَرَ فَوَجَدَ الْمُشْتَرِي فِيهَا كَثْرًا فَمَضَى إِلَى الْبَائِعِ وَأَخْبَرَهُ
 بِهِ . فَقَالَ لَهُ الْبَائِعُ : إِنَّمَا بَعْتُكَ دَارًا لَا أَعْرِفُ فِيهَا كَثْرًا وَإِنْ كَانَ فِيهَا
 كَثْرٌ فَهُوَ لَكَ . فَقَالَ الْمُشْتَرِي : لَا بُدَّ أَنْ نَأْخُذَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيهَا

أَشْرَيْتُ . فَطَالَ الْجِدَالُ بَيْنَهُمَا فَفُتِحَا كَمَا إِلَى الْمَلِكِ كِسْرَى . فَلَمَّا وَقَفَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَا لَهُ أَمْرَ الْكَنْزِ أَطْرَقَ مَلِيئًا قَالَهُمَا : هَلْ لَكُمَا أَوْلَادٌ . فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ كِسْرَى لَهُمَا : أَنْفِقَا ذَلِكَ الْكَنْزَ فِي مَصَالِحِهِمْ . فَفَعَلَا ذَلِكَ (للقليوبي)

الْمُجُوسِيَّانِ وَالنَّارَ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ مُجُوسِيَّانِ يَعْبُدَانِ النَّارَ . فَقَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ الْأَكْبَرِ : أَيُّهَا الْأَخُ إِنَّكَ عَبَدتَ هَذِهِ النَّارَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَنَا عَبَدْتُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَتَعَالَ نَنْظُرُ هَلْ نُحْرِقُنَا كَمَا نُحْرِقُ غَيْرَنَا مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدْهَا . فَإِنْ لَمْ نُحْرِقْنَا عِبَدْنَا هَا وَالْأَقْلَابَ . فَأَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ قَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ : هَلْ تَضَعُ يَدَكَ قَبْلِي أَمْ أَنَا قَبْلَكَ . فَقَالَ لَهُ : ضَعِ أُنْتَ فَوْضِعَ الْأَصْغَرِ يَدَكَ فَحَرَقَتْ إِصْبَعُهُ فَزَرَعَ يَدَهُ وَقَالَ : أَيْ عِبْدُكَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَأَنْتَ تُؤْخِزِينِي ثُمَّ قَالَ : يَا أَخِي تَعَالَ نَعْبُدْ مَنْ لَوْ أَذْنَبْنَا وَتَرَكَنَاهُ خَمْسِينَ سَنَةً لَتَجَاوَزَ عَنَّا بِطَاعَةِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَسْتَغْفِرَ مَرَّةً وَاحِدَةً . فَاجَابَهُ أَخُوهُ إِلَى ذَلِكَ (للقليوبي)

فِي حِيلَةِ قَائِدِ جَيْشٍ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ السَّلَاطِينِ غَضِبَ عَلَى صَاحِبِ طَبْرِسْتَانَ . فَبَدَلَ الطَّبْرِيُّ جُهْدَهُ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ فَأَمَكَّنَهُ . فَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا . فَعَلِمَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ الْجَيْشَ لَا يَنْزِلُونَ إِلَّا بِغِيْضَةٍ مَعِينَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِ تِلْكَ الْبَغِيْضَةِ وَتَرْكِهَا كَمَا كَانَتْ قَائِمَةً . وَسَدَّ مَوْضِعَ الْقَطْعِ بِالتُّرَابِ . فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ وَنَزَلُوا بِهَا

كَمَنَّ الطَّبْرِيُّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ خَلْفَ ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَشَدَّ الْجَيْشُ دَوَابَّهُمْ
 فِي أَشْجَارِ تِلْكَ الْغُبْصَةِ وَكَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوعَةً . فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الطَّبْرِيُّ
 بِأَصْحَابِهِ وَصَاحَ بِهِمْ فَفَنَرَتِ الدَّوَابُّ وَتَسَافَطَتِ الْأَشْجَارُ لِأَنَّ الدَّوَابَّ
 جَرَّتْهَا . فَوَلَّى الْجُنْدُ هَارِبِينَ قَزَعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ وَتَبِعَهُمُ
 الطَّبْرِيُّ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فَجَاءَ أَقْلَهُمْ وَتَلَفَ أَكْثَرُهُمْ . فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى
 السُّلْطَانِ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِمْ فَقَالُوا : نَزَلْنَا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَنَا فِي خَنْجِ
 اللَّيْلِ جُنْدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ تَضْرِبُنَا بِالْأَشْجَارِ الطَّوِيلَةِ . فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ
 الْمُتَقَرِّبِينَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَشْيِ إِلَى طَبْرَسْتَانَ (للفزوي)

فِي الصَّبْرِ وَالْمُرُوءَةِ

يُرْوَى عَنْ بَعْضِ الْكِرْمَاءِ أَنَّهُ اسْتَدْعَى جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ . وَعَمِلَ
 لَهُمْ سَاعًا . وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَكَمَلِهِمْ ظَرْفًا وَأَتَمَّهُمْ
 أَدْبًا وَلُطْفًا . فَكَانَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ يَخْدُمُ الْجَمَاعَةَ وَيُؤَانِسُهُمْ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ
 طَلَعَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَ مِتْبًا . فَأَرَادَتْ أُمُّهُ وَجَوَارِيهِ أَنْ
 يُظْهِرْنَ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ . فَطَلَعَ وَالِدُ الْبَيْتِ . وَحَلَفَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُنَّ
 حَتَّى يَنْصَرِفَ الْقَوْمُ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْغِصُ عَلَيْهِمْ عُرْسَهُمْ وَلَدَتُهُ . فَامْتَثَلُوا
 مَا أَسَارَ بِهِ . وَعَادَ إِلَى الْقَوْمِ فَحَضَرَ السَّمَاعَ وَأَظْهَرَ الْمَسْرَةَ وَالْأُنْسَ بِهِمْ .
 فَجَعَلَ الْجَمَاعَةُ يَنْفَقِدُونَ الشَّابَّ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ . فَيَقُولُ وَالِدُهُ : لَعَلَّهُ قَدْ
 نَامَ . فَأَدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ . وَبَاتُوا فِي السَّمَاعِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا عَارَ مِنْ قِضَاءِ اللَّهِ .
 فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَدَّمَ لَهُمُ الْعَدَاءُ فَأَكَلُوا وَارْتَدُّوا إِلَى انْصِرَافٍ . فَقَالَ : لَعَلَّكُمْ
 تَحْضُرُونَ جِنَازَةَ وَلَدِي فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ الْبَارِحَةَ . وَقَصَّ عَلَيْهِمُ النِّصَةَ . فَلَمْ

يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا اسْتَعْظَمَ مَرُوءَتَهُ وَاسْتَأْنَى عَلَيْهِ بِجَبَلِ صَبْرِهِ وَعَظْمِ كَرَمِهِ (تزيين الاسواق)

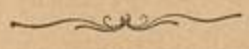
مَوْتُ الْمُهَنْبِيِّ

قِيلَ إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْمُهَنْبِيَّ كَانَ رَاجِعًا مِنْ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى بَغْدَادَ بِجَائِزٍ أَجْزَأَهُ بِهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرَسَانِ . فَخَرَجَ عَلَيْهِ فُطَاعُ الطَّرِيقِ فَهَرَبَ الْمُهَنْبِيُّ مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ : أَتَهْرَبُ وَأَنْتَ الْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ :

أَحْمِلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تُعْرِفُنِي وَالضَّرْبُ وَالْحَرْبُ وَالْفِرَاطُ وَالْقَلَمُ
فَكَرَّ رَاجِعًا فُقِتِلَ فِي سَنَةِ ٣٥٤ فَكَانَ ذَلِكَ أَلْبَيْتُ سَبَبًا لِقَتْلِهِ (للقلبي)

الْحَرَبِيُّ وَالْغُلَامُ

يُحْكِي عَنِ الْحَرَبِيِّ أَنَّهُ كَانَ بَشَعَ الْمَنْظَرِ رَثَّ أَهْبَتِهِ . فَجَلَسَ غُلَامُهُ يَوْمًا فِي خَلْوَةٍ وَأَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النِّظْمَ فَأَوَّلُ مَا نَظَّمَ نِصْفَ بَيْتٍ وَهُوَ : وَجْهُ الْحَرَبِيِّ وَجْهُ قَرْدٍ . فَسَمِعَهُ الْحَرَبِيُّ فَقَالَ : وَالضَّرُورَةُ أَحْوَجُنَا إِلَيْهِ . فَجَلَّ الْغُلَامُ مِنْ سَيْدِهِ وَسَكَتَ . ثُمَّ اجْتَمَعَ الْحَرَبِيُّ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ لِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ تَصْبِرْ حَتَّى يُكَيِّمَهُ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ افْتَتَحَنِي بِقَرْدٍ فَخَشِيتُ أَنْ يُكَيِّمَنِي بِكَلْبٍ فَكَيِّمْتُهُ لَهُ (للنواجي)



فهرسة

الجزء الاول

من امثال لقمان الحكيم

وجه

٢
٢
٢
٤
٤
٥
٥
٥
٥
٦
٦
٦
٧
٧
٨
٨
٨
٩
٩
١٠
١٠
١٠
١١اسد وثوران
غزال
اسد وتعلب
اسد وانسان
غزال واسد
غزال وتعلب
ارنب ولبوة
امراة ودجاجة
بعوضة وثور
بستاني
انسان وفرس
انسان وخنزير
سحفاة وارنب
ذيب
العوسج
صي
صي وعقرب
حمامة
حداد وكلب
البطن والرجلان
الشمس والريج
ديكان
ذباب

الوز والمخطف
بطلة وضوء كوكب

١١
١١

مخب

من الكتاب المعروف بالف ليلة ليلة

١٢	حكاية الملك جليعاد وابنه
١٤	حكاية السنور والفارس
١٩	حكاية الناسك وما جرى له
٢٢	حكاية العمك وما جرى له
٢٤	حكاية الغراب والحجة
٢٦	حكاية حمار الوحش والثعلب
٢٨	حكاية ابن الملك الصائح
٢١	حكاية الغراب
٢٤	حكاية الحايي واولاده وزوجته واهل بيته
٢٦	حكاية العنكبوت والريح
٤٩	حكاية الطيور والوحوش مع ابن ادم
٦٠	حكاية الطيور
٦٢	الدراج والسلاحف
٦٥	الثعالب والذئب
٦٧	السندباد الحمالي
٧٩	حكاية عابد
٨٠	حكاية الراعي والعابد

حكاية ملاك الموت

٨٢	الحكاية الاولى
٨٢	الحكاية الثانية
٨٥	الحكاية الثالثة
٨٦	ذكر الموت النائم

ما كتبه بعض العلماء في الجود والكرم والمكافأة وغير ذلك

٨٨	في طلبتي اعميين
٨٩	في قطب بقوت قطباً
٨٩	في جود ملك
٩١	في جود معن بن زائدة
٩٢	في المكافأة
٩٥	الصانع وصانع الخليفة
٩٧	احسان كرم الى عدو
٩٩	الاصمعي ورجل سخي
١٠١	اكرام ثلاثة اصدقاء مخلصين بعضهم بعضاً
١٠٢	في تقديم الاكرام لاهله
١٠٤	في وضع المعروف في موضعه والاصطفااء بعد الخيرة
١٠٥	الحجة والانسان
١٠٦	كسرى والمنحازكان
١٠٧	المجوسيان والنار
١٠٧	في حيلة قائد جيش
١٠٨	في الصبر والمرورة
١٠٩	موت المتني
١٠٩	الحزبي والغلام

مخبر الملح

جمعها الاب بوحنو بلو والاب اغوستينوس روده
من الرهينة اليسوعية

الجزء الاول

النسم الثاني

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَايَاتٍ أُدْبِيَّةٍ
وَنَوَادِرَ حِكْمِيَّةٍ وَحَوَادِثَ تَارِيخِيَّةٍ



طبعة سابعة في مطبعة المرسلين اليسوعيين

في بيروت ١٨٨٢

1870

1870
1871
1872
1873
1874
1875
1876
1877
1878
1879
1880
1881
1882
1883
1884
1885
1886
1887
1888
1889
1890
1891
1892
1893
1894
1895
1896
1897
1898
1899
1900

مِن مَّقْدِمَةِ بَهْنُودَ بْنِ سَحَوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ الشَّاهِ الْفَارِسِيِّ

ذَكَرَ فِيهَا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ

عَمِلَ بِبِدْيَا الْفِيلَسُوفِ الْهِنْدِيِّ رَأْسَ الْبِرَاهِمَةِ

لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَةَ الَّذِي سَاهَى

كَلِيلَهُ وَدَمَنَهُ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الشَّاهِ الْفَارِسِيُّ: كَانَ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ لِدَبْشَلِيمَ
مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةِ وَدَمَنَةَ أَنَّ الْإِسْكَندَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ الرَّومِيَّ لَمَّا
فَرَعَ مِنْ أَمْرِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا بِبِنَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ الْمَشْرِقِ
مِنَ الْفُرْسِ وَعَبْرِهِمْ. فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مِنْ نَازَعِهِ وَيُؤَافِقُ مِنْ وَاقِعِهِ
وَيُسَالِمُ مِنْ وَادِعِهِ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ وَهُمْ الطَّبَقَةُ الْأُولَى حَتَّى ظَفِرَ عَلَيْهِمْ
وَقَهَرَ مِنْ نَآوَاهُ وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ حَارَبَهُ. فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ وَتَمَزَّقُوا خَرَائِقَ.
فَتَوَجَّهَ بِالْجُنُودِ نَحْوَ بِلَادِ الصِّينِ فَبَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِهَيْلِكَ الْهِنْدِ لِيَدْعُوهُ إِلَى
طَاعَتِهِ وَالذُّخُولِ فِي مِلَّتِهِ وَوِلَايَتِهِ. وَكَانَ عَلَى الْهِنْدِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَلِكٌ
ذُو سَطْوَةٍ وَبَأْسٍ وَفُوقَةٍ مِرَاسٍ يُقَالُ لَهُ فُورٌ. فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي الْقَرْنَيْنِ
نَحْوَهُ تَاهَبَ لِحَارِبَتِهِ وَأَسْتَعَدَّ لِجَادَتِهِ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ وَجَدَّ النَّالِبَ
عَلَيْهِمْ وَجَمَعَ لَهُ الْعُدَّةَ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ مِنَ الْفَيْلَةِ الْمَعْدِيَةِ لِلْحُرُوبِ وَالسِّبَاعِ
الْمُضْرَاةِ لِلْوُثُوبِ مَعَ الْخُيُولِ الْمُسْرَجَةِ وَالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ وَالْحِرَابِ
الْقَوَامِعِ.

فَلَمَّا قَرَبَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ فُورِ الْهِنْدِيِّ وَبَلَغَهُ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ مِنَ
الْخَيْلِ الَّتِي كَانَتْهَا فِطْعُ اللَّيْلِ مِمَّا لَمْ يَلْقَهُ بِهَيْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ

كانوا في الآقاليم . فَتَخَوَّفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ تَقْصِيرِ بَعْعٍ بِهِ إِنْ عَجَلَ
 الْمُبَارَاةَ . وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا ذَا حَيْلٍ وَمَكَايِدَ مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرٍ وَتَجْرِبَةٍ
 فَرَأَى أَعْمَالَ الْحِجَلَةِ وَالْتِهْمَلِ وَأَخْتَفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسْكَرِهِ وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ
 لِاسْتِنْبَاطِ الْحِجَلَةِ وَالتَّدْبِيرِ فِي أَمْرِهِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى الْإِيقَاعِ
 بِهِ . فَاسْتَدْعَى يَا لَمْجِيهِينَ وَأَمْرَهُمْ بِالْإِخْتِيَارِ لِيَوْمٍ مُوَافِقٍ تَكُونُ فِيهِ لَهُ سَعَادَةٌ
 لِحَارَبَةِ مَلِكِ الْهِنْدِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْهِ . فَاسْتَعْلَوْا بِذَلِكَ وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ
 لَا يَهْرُ بِهَيْدِ بِنْتِهِ إِلَّا أَخَذَ الصَّنَاعَ الْمَشْهُورِينَ مِنْ صُنَاعِهَا بِالْحَدِيقِ مِنْ كُلِّ
 صِنْفٍ . فَاتَّجَتْ لَهُ هَيْبَتُهُ وَدَلَّتْهُ فِطْنَتُهُ أَنْ يُقَدِّمَ إِلَى الصَّنَاعِ الَّذِينَ مَعَهُ أَنْ
 يَصْنَعُوا خَبَلًا مِنْ نُحَاسٍ مُجَوَّفَةٍ عَلَيْهَا تَهَابِيلُ مِنَ الرُّجَالِ عَلَى بَكْرِ تَجْرِي إِذَا
 دُفِعَتْ مَرَّتَ سِرَاعًا . وَأَمْرًا إِذَا فَرَّغُوا مِنْهَا أَنْ نُحْشَى أَجْوَابُهَا بِالنَّفْطِ وَالْكِبْرِيْتِ
 وَتَلْبَسَ وَتُقَدِّمَ أَمَامَ الصَّفِّ فِي الْقَلْبِ . وَوَقْتَ مَا يَلْتَفِي الْجَمْعَانِ تُضْرَمُ
 فِيهَا النَّيْرَانُ . فَإِنَّ الْفَيْلَةَ إِذَا لَفَتْ خَرَّاطِهَا عَلَى الْفَرَسَانِ وَهِيَ حَامِيَةٌ وَلَتْ
 هَارِبَةٌ . وَلَوْ عَزَّ إِلَى الصَّنَاعِ بِالتَّشْبِيرِ وَالْإِنْكَاسِ وَالْفَرَاغِ مِنْهَا . فَجَدُّوا فِي
 ذَلِكَ وَعَجَّلُوا وَقَرَّبَ أَيْضًا وَقْتُ اخْتِيَارِ الْمُنْجِيهِينَ . فَأَعَادَ ذُو الْقَرْنَيْنِ
 رُسُلَهُ إِلَى فُورٍ بِهَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ طَاعِنِهِ وَالْإِذْعَانِ لِدَوْلَتِهِ . فَأَجَابَ
 جَوَابَ مُصِرٍّ عَلَى مُحَالَاتِهِ مُقِيمٍ عَلَى مُحَارَبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذُو الْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ
 سَارَ إِلَيْهِ بِأَهْبَتِهِ وَقَدَّمَ فُورَ الْفَيْلَةِ أَمَامَهُ وَدَفَعَتْ الرُّجَالُ تِلْكَ الْحَيْلَ
 وَتَهَابِيلَ الْفَرَسَانِ فَأَقْبَلَتِ الْفَيْلَةُ نَحْوَهَا وَلَفَتْ خَرَّاطِهَا عَلَيْهَا . فَلَمَّا أَحْسَتْ
 بِأَحْرَارَةِ الْفَتْ مَنِ كَانَ عَلَيْهَا وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا وَمَضَتْ مَهْرُومَةً هَارِبَةً
 لَا تُلْوِي عَلَى شَيْءٍ وَلَا تَهْرُ بِأَحَدٍ إِلَّا وَطِئَتْهُ . وَتَقَطَّعَ فُورٌ وَجَمَعَهُ وَتَبِعَهُمْ

أصحاب الإسكندر وأتخنوا فيهم الجراح

وصاح الإسكندر: يا ملك الهند أبرز إلينا وأبرز على عدتك وعبالك
ولا تحملهم إلى الفناء. فإنه ليس من الهروة أن يرمي الملك بعدته في
أهللك المبتلنة والمواضع الخجفة بل يفهم بهاله ويدفع عنهم بنفسه.
فأبرز إلي ودع أجند فأثينا فهر صاحبه فهو الأسعد: فلما سمع فور
من ذي القرنين ذلك الكلام دعتة نفسه لهلاقاته طمعا فيه وظن
ذلك فرصة. فبرز إليه الإسكندر فجادلا على ظهره فرسها
ساعات من النهار ليس يلقى أحدهما من صاحبه فرصة ولا حيلة ولم
يزالا يتعاركان. فلما أعيا الإسكندر أمره فلم يجد له فرصة أوقع
ذو القرنين بعسكره صيحة عظيمة ارتجت لها الأرض والعساكر.
فالتفت فور عند ما سمع الزعقة وظنها مكية في عساكره فعاجله ذو
القرنين بضربة أمالته عن سرجه فوقع إلى الأرض. فلما رأت الهند
ما نزل بهم وما صار إليه ملكهم حملوا على الإسكندر فقاتلوه قتالا أحموا
معه الموت فوعدهم من نفسه الإحسان ومغته الله أكتانهم. فاستولى على
بلادهم وملك عليهم رجلا من ثقاته وأقام بالهند حتى استوثق له ما
أراد من أمرهم واتفاق كلهم. ثم أنصرف عن الهند وخلف ذلك
الرجل عليهم ومضى متوجها نحو ما قصد

فلما بعد ذو القرنين عن الهند يخبوشه تغيرت الهند عما كانوا عليه من
طاعة الرجل الذي خلفه عليهم وقالوا: لا يصح للسياسة ولا نرضى الخاصة
ولا العامة أن يملكوا عليهم رجلا ليس هو منهم ولا من أهل يوتيم. فإنه

لَا يَزَالُ يَسْتَدِلُّهُمْ وَيَسْتَقِلُّهُمْ. وَاجْتَمَعُوا بِهَلِكُونِ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَوْلَادِ
 مُلُوكِهِمْ فَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ دَبْشَلِيمُ وَخَلَعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ
 خَلْفَهُ عَلَيْهِمُ الْإِسْكَندَرُ. فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ لَهُ الْأَمْرُ وَاسْتَقَرَّ لَهُ الْمَلِكُ طَغَى
 وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُلُوكِ. وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ
 مُؤَيِّدًا مُظْفِرًا مُنْصُورًا فَهَابَتْهُ الرَّعِيَّةُ. فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلِكِ
 وَالسُّطُورَةِ عَيْثُ بِالرَّعِيَّةِ وَاسْتَضَعَرَ أَمْرَهُمْ وَأَسَاءَ السِّيَرَةَ فِيهِمْ وَكَانَ لَا يَرْتَبِي
 حَالَهُ إِلَّا أَزْدَادًا عُنُوا

فَمَكَتَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ. وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ قَيْلَسُوفٌ مِنَ
 الْبَرَاهِمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ وَيُرْجَعُ فِي الْأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ. يُقَالُ لَهُ
 يَدْبَابًا. فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ لِلرَّعِيَّةِ فَكَّرَ فِي وَجْهِ الْحَيْلَةِ فِي
 صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَرَدَّهِ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ. فَجَمَعَ لِذَلِكَ
 تَلَامِيذَهُ وَقَالَ: أَتَعْلَمُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَشَاوِرُكُمْ فِيهِ. إِنْ عَلِمُوا أَنِّي أَطَلْتُ
 الْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمٍ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ وَلُزُومِ الشَّرِّ
 وَرَدَاةِ السِّيَرَةِ وَسُوءِ الْعِشْرَةِ مَعَ الرَّعِيَّةِ. وَنَحْنُ مَا نَرُوضُ أَنْفُسَنَا بِهَيْثُ هَذِهِ
 الْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَلُزُومِ الْعَدْلِ.
 وَمَتَى أَغْفَلْنَا ذَلِكَ وَأَهْمَلْنَا لَزْمَانًا مِنْ وُقُوعِ الْمَكْرُوهِ بِنَا وَبَلُوغِ الْخُدُورَاتِ
 الْبِنَاءِ إِذَا كُنَّا فِي أَنْفُسِ الْجَهَالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ وَفِي الْعِيُونِ عِنْدَهُمْ أَقْلَ مِنْهُمْ.
 وَلَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْخُلُوعَ عَنِ الْوَطَنِ وَلَا يَسْعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا
 هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَرَةِ وَفُجْعِ الطَّرِيقَةِ. وَلَا يُمْكِنُنَا مُجَاهَدَتُهُ بِغَيْرِ السِّنِّيْنَا
 لَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَنْهَيْنَا لَنَا مُعَانَدَتُهُ وَإِنْ أَحْسَسْنَا

بِخَالَفَةِ وَانْكَارِ نَاسِ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذَلِكَ بَوَارِنًا . وَقَدْ تَعْلَمُونَ إِنِّ
 مَجَاوِرَةَ السَّبْعِ وَالْكَلْبِ وَالْحَمِيَّةِ وَالثَّوْرِ عَلَى طَيْبِ الْوَطَنِ وَنَضَارَةِ الْعَيْشِ
 لَعَدْرٌ بِالنَّفْسِ . وَإِنَّ الْفَيْلَسُوفَ لِحَقِيقٌ أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ مَضْرُوقَةً إِلَى مَا يَحْصُنُ
 بِهِ نَفْسَهُ مِنْ تَوَازُلِ الْمَكْرُوهِ وَلَوَاحِيِ الْمَخْذُورِ وَيَدْفَعُ الْخَوْفَ لِاسْتِجْلَابِ
 أَحْبَابِهِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ فَيْلَسُوفًا كَتَبَ لِتَلْمِيذِهِ يَقُولُ : إِنِّ مَجَاوِرَةَ
 رِجَالِ السُّوءِ وَالْمُصَاحِبَةَ لَهُمْ كَرَاكِبِ الْبَحْرِ هُوَ إِنْ سَلِمَ مِنَ الْغَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ
 مِنَ الْخَوَافِ : فَإِذَا أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْمَهْلِكَاتِ وَمَصَادِرِ الْخَوْفَاتِ عُدَّ مِنَ
 الْحَبِيرِ الَّتِي لَا نَفْسَ لَهَا . لِأَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الْبَيْهِيَّةَ قَدْ خُصَّتْ فِي طَبَائِعِهَا
 بِمَعْرِفَةِ مَا تَكْتَسِبُ بِهِ النِّفْعَ وَتَتَوَقَّى الْمَكْرُوهَ لِذَلِكَ لَمْ تَرَهَا تُورِدُ أَنْفُسَهَا
 مَوَارِدَ فِيهِ هَلَكَتِهَا . وَإِنَّمَا مَتَى أَشْرَفَتْ عَلَى مَوَارِدِ مَهْلِكِ لَهَا مَا لَتْ بِطَبَائِعِهَا
 الَّتِي رَكِبَتْ فِيهَا شَخًّا بِأَنْفُسِهَا وَصِيَانَةَ لَهَا إِلَى النُّفُورِ وَالتَّبَاعُدِ عَنْهُ

وَقَدْ جَمَعْتُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ لِأَنَّكُمْ أُسْرِي وَمَكَانُ سِرِّي وَمَوْضِعُ مَعْرِفَتِي وَبِكُمْ
 أَعْنَضِدُ وَعَلَيْكُمْ أَعْنِيدُ . فَإِنَّ الْوَحِيدَ بِنَفْسِهِ وَالْمُنْفَرِدَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ
 ضَائِعٌ وَلَا نَاصِرٌ لَهُ . عَلَى أَنَّ الْعَاقِلَ قَدْ يَبْلُغُ بِحِيلَتِهِ مَا لَا يَبْلُغُ بِالْحَيْلِ وَالْجُنُودِ
 وَالْمِثْلُ فِي ذَلِكَ . أَنَّ قُنْبِرَةَ أَخَذَتْ أُذْحِيَّةَ وَبَاصَتْ فِيهَا عَلَى طَرِيْقِ الْفَيْلِ
 وَكَانَ لِلْفَيْلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . فَهَرَّذَاتَ يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مَوْرِدَهُ
 فَوَطِئَ عُشَّ الْقُنْبِرَةِ وَهَشَّمَ بِيضَهَا وَقَتَلَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ مَا سَاءَ مَا
 عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي نَالَهَا مِنَ الْفَيْلِ لَأَمِنْ غَيْرِهِ . فَطَارَتْ فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ
 بِأَكِيَّةٍ . ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . لِمَ هَشَّمْتَ بِيضِي وَقَتَلْتَ فِرَاحِي وَأَنَا فِي
 جِوَارِكَ أَفَعَلْتَ هَذَا اسْتِصْغَارًا مِنْكَ لِأَمْرِي وَأَحْنِقَارًا لِشَأْنِي قَالَ هُوَ

الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ: فَدَرَكْتُهُ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى جِمَاعَةِ الطَّيْرِ فَشَكَّتْ إِلَيْهَا مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ. فَقَالَتْ لَهَا: وَمَا عَسَى أَنْ نَبْلُغَ مِنْهُ وَنَحْنُ طُيُورٌ. فَقَالَتْ لِلْعَقَاعِقِ وَالْغُرَبَانِ: أَحِبُّ مِنْكُمْ أَنْ تَصْرَنَ مَعِيَ فَتَفْتَنَانِ عَيْنَيْهِ فَإِنِّي أَحْتَالُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِيلَةٍ أُخْرَى: فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ وَذَهَبُوا إِلَى الْفِيلِ فَلَمْ يَزَالُوا يَنْقُرُونَ عَيْنَيْهِ حَتَّى ذَهَبُوا بِهَا وَيَقْبَلُ لَهَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ. فَلَمَّا عَلِمَتْ ذَلِكَ مِنْهُ جَاءَتْ إِلَى غَدِيرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ كَثِيرَةٌ فَشَكَّتْ إِلَيْهَا مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ. قَالَتْ الضَّفَادِعُ: مَا حِيلَتْنَا نَحْنُ فِي عِظَمِ الْفِيلِ وَأَنْ نَبْلُغَ مِنْهُ: قَالَتْ: أَحِبُّ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ فَتَنْقُوا فِيهَا وَتُضْجُوا فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُمْ لَمْ يَشُكَّ فِي الْمَاءِ فَيَهْوِي فِيهَا: فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَاوِيَةِ. فَسَمِعَ الْفِيلُ نَقِيقَ الضَّفَادِعِ وَقَدْ جَهَدَ الْعَطَشُ فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْوَهْدَةِ فَأَعْظَمَ فِيهَا وَجَاءَتْ الْقَنْبَرَةُ تَرْفِرُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ: أَيُّهَا الطَّاغِبُ الْمُهَنْدِرُ بِقُوَّتِهِ الْمُخْتَفِرُ لِأَمْرِي كَيْفَ رَأَيْتَ عِظَمَ حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُنَّتِي عِنْدَ عِظَمِ جُنَّتِكَ وَصِغَرِ هَيْبَتِكَ

فَلْيُشِرْ كُلُّ مِنْكُمْ بِهَا بَسْخٌ لَهُ مِنَ الرَّأْيِ: قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: أَيُّهَا الْفَيْلُ سَوْفُ الْفَاضِلِ وَالْحَكِيمِ الْعَادِلِ أَنْتَ الْمُهْدَمُ فِينَا وَالْفَاضِلُ عَلَيْنَا وَمَا عَسَى أَنْ

^١ يقال للضفدع والعقرب والدجاجة والمهرنق أسبه صات وللأفعى فح والارنب ضغب والسنور ماء والكلب نبح والمختبر قبع واللبث زمر والسبع حجلج والذئب عوى والثعلب ضبع والظبي بنم والغراب نعب والبازي صرصر والنسر صفر والحمام هدر والبط بقيق والصقر فقق والذباب طن والعصفور شفتق والحجل هدر والفيل صامى والمعز يعر والشاة نعت والحجل خار والفرس سهل والبغل شحج والعفوق نبق

يَكُونُ مَبْلَغُ رَأْيِنَا عِنْدَ رَأْيِكَ وَفَمِنَّا عِنْدَ فَمِيكَ . غَيْرَ أَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ السِّيَاحَةَ
 فِي الْمَاءِ مَعَ النَّسَاجِ تَغْرِيبٌ وَالذَّنْبُ فِيهِ لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ . وَالَّذِي
 يَسْتَخْرِجُ السَّمَّ مِنْ نَابِ الْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ فَلَيْسَ الذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ . وَمَنْ دَخَلَ عَلَى
 الْأَسَدِ فِي غَابَتِهِ لَمْ يَأْمَنْ وَثَبْتُهُ . وَهَذَا الْمَلِكُ لَمْ تَفْرَعَهُ النَّوَائِبُ وَلَمْ تُؤَدِّبْهُ
 التَّجَارِبُ وَلَسْنَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَنْفُسِنَا سَطَوْتُهُ . وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ
 سَوْرَتِهِ وَمِبَادِرَتِهِ بِسُوءِ إِذَا لَقِيْتَهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ : فَقَالَ الْحَكِيمُ يَدْبَابًا لِعَبْرِي
 لَقَدْ فَلَنْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ لَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ الْحَازِمِ لَا يَدْعُ أَنْ يَشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ
 وَفَوْقَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ . وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يَكْتَفِي بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي
 الْعَامَّةِ . وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ وَتَبَيَّنَ لِي
 نَصِيحَتُكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ . غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيَا وَعَزَمْتُ عَزْمًا
 وَسَتَعْرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَبِحَاوِيَتِي إِيَّاهُ . فَإِذَا اتَّصَلَ خُرُوجِي مِنْ
 عِنْدِكِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ : وَصَرِّفْهُمْ وَهُمْ يَدْعُونَ لَهٗ بِالسَّلَامَةِ

ثُمَّ إِنَّ يَدْبَابًا اخْتَارَ يَوْمًا لِلدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ
 أَلْفَى عَلَيْهِ مُسُوْحَهُ وَهِيَ لِبَاسُ الْبَرَاهِمَةِ وَقَصَدَ بَابَ الْمَلِكِ وَسَأَلَ صَاحِبَ
 إِذْنِهِ وَأُرْشِدَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : إِنِّي رَجُلٌ قَصَدْتُ الْمَلِكَ فِي
 نَصِيحَةٍ فَدَخَلَ الْأَذْنَ عَلَى الْمَلِكِ فِي وَقْتِهِ وَقَالَ : بِالْبَابِ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ
 يُقَالُ لَهُ يَدْبَابٌ ذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَصِيحَةٌ : فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ وَوَقَفَ بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَكَفَّرَ وَسَجَدَ لَهُ وَاسْتَوَسَّ قَائِمًا وَسَكَتَ فَفَكَرَ دَبْشَلِيمُ فِي سُكُوتِهِ
 وَقَالَ : إِنْ هَذَا لَمْ يَفْضِدْنَا إِلَّا لِأَمْرَيْنِ . إِمَّا أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَّا شَيْئًا يُضِلُّ بِهِ
 حَالَهُ . أَوْ لِأَمْرِ لِحْفَةٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ طَاقَةٌ : ثُمَّ قَالَ : إِنْ كَانَ لِلْمَلُوكِ فَضْلٌ

فِي مَهْلِكِهَا فَإِنَّ لِلْحُكْمَاءِ فَضْلًا فِي حِكْمَتِهَا أَعْظَمَ . لِأَنَّ الْحُكْمَاءَ أَغْنِيَاءَ عَنِ
 الْمُلُوكِ بِالْعِلْمِ وَلَيْسَ الْمُلُوكُ بِأَغْنِيَاءَ عَنِ الْحُكْمَاءِ بِالْمَالِ . وَقَدْ وَجَدْتُ
 الْعِلْمَ وَالْحَيَاءَ الْفَيْنِ مَتَا لَفَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ مَتَى فُقِدَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُوجَدْ الْآخَرُ
 كَالْمَتَصَافِيَيْنِ إِنْ عُدِمَ مِنْهُمَا أَحَدٌ لَمْ يَبْطُ صَاحِبُهُ نَفْسًا بِالْبَقَاءِ بَعْدَ
 تَأْسُفًا عَلَيْهِ . وَمَنْ لَمْ يَسْتَعِجْ مِنَ الْحُكْمَاءِ وَيُكْرِمُهُمْ وَيَعْرِفْ فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ
 وَيَصْنَعُهُمْ عَنِ مَوَاقِفِ الْوَهْنَةِ وَيَنْزِلَهُمْ عَنِ الْمَوَاطِنِ الرَّذِيلَةِ كَانَ مِنْ
 حُرْمِ عَقْلِهِ وَخَسْرَ دُنْيَاهُ وَظَلَمَ الْحُكْمَاءَ حُقُوقَهُمْ وَعَدَّ مِنَ الْجُهَالِ . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ إِلَى يَدْبَابِهَا وَقَالَ لَهُ : نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَا يَدْبَابَا سَاكِنًا لَا تَعْرِضُ حَاجَتَكَ
 وَلَا تَذْكُرُ بُغْيَتَكَ فَقُلْتُ : إِنَّ الَّذِي أَسْكَنَهُ هَيْبَةُ سَوْرَتِهِ أَوْ حَيْرَةُ أَدْرَكْتَهُ
 وَتَأَمَّلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ طُولِ وَقُوفِكَ وَقُلْتُ : لَمْ يَكُنْ لِيَدْبَابًا أَنْ يَطْرُقَنَا
 عَلَى غَيْرِ عَادَةٍ إِلَّا لِأَمْرِ حَرَكَةٍ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ فَهَلَّا
 نَسَأَلُهُ عَنْ سَبَبِ دُخُولِهِ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ ضَيْمٍ نَالَهُ كُنْتُ أَوْلَى مَنْ أَخَذَ بِيَدِهِ
 وَسَارَعَ فِي تَشْرِيفِهِ وَتَقَدَّمَ فِي الْبُلُوغِ إِلَى مُرَادِهِ وَإِعْزَازِهِ . فَإِنْ كَانَتْ
 بُغْيَتُهُ عَرَضًا مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا أَمَرْتُ بِإِرْضَائِهِ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا أَحَبَّ وَإِنْ
 يَكُنْ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَمَا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَبْذُلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَنْقَادُوا
 إِلَيْهِ نَظَرْتُ فِي قَدْرِ عُقُوبَتِهِ . عَلَى أَنْ مِثْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِي عَلَى إِدْخَالِ نَفْسِهِ
 فِي بَابِ مَسْئَلَةِ الْمُلُوكِ . وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الرَّعِيَّةِ يُقْصَدُ فِيهِ إِلَى
 صَرْفِ عِنَابِي إِلَيْهِمْ نَظَرْتُ مَا هُوَ . فَإِنَّ الْحُكْمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِالْحَيْرِ
 وَالْجُهَالِ يُشِيرُونَ بِضِدِّهِ وَأَنَا قَدْ فَسَّخْتُ لَكَ بِالْكَلَامِ
 فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ يَدْبَابًا مِنَ الْمَلِكِ أَفْرَجَ عَنْهُ رَوْعَهُ وَسَرَى مَا كَانَ وَقَعَ فِي

نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ وَكَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ . ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : أَوَّلُ مَا أَقُولُ .
 أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بَقَاءَ الْمَلِكِ عَلَى الْأَبَدِ وَدَوَامَ مُلْكِهِ عَلَى الْأَمَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ
 مَنَحَنِي الْمَلِكُ فِي مَقَامِي هَذَا مَحَلًّا جَعَلَهُ شَرَفًا لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ
 الْعُلَمَاءِ . وَذَكَرًا بَأَفْيَأَ عَلَى الدَّهْرِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ بِوَجْهِهِ
 مُسْتَبْشِرًا بِهِ فَرِحًا بِهَا بَدَلًا لَهُ مِنْهُ وَقَالَ : قَدْ عَطَفَ الْمَلِكُ عَلَيَّ بِكَرَمِهِ
 وَإِحْسَانِهِ وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ وَحَمَلَنِي عَلَى التُّخَاطَرِ
 لِكَلَامِهِ وَالْإِقْدَامِ إِلَى الْمَلِكِ نَصِيحَةٌ أَخْضَعْتُهُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ وَسَيَعْلَمُ
 مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَقْصِرْ عَنْ غَايَةِ مَا يَجِبُ لِلْمَوْلَى عَلَى الْحُكَمَاءِ .
 فَإِنْ فَسَحَ فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ وَمَا بَرَأهُ وَإِنْ هُوَ الْفَاهُ
 فَقَدْ بَلَغَتْ مَا يَلْزُمُنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يَلْحَقُنِي : قَالَ الْمَلِكُ : يَا أَيَّدَا تَكَلَّمْ
 مَهْمَا شِئْتَ فَإِنِّي مُضِعٌ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَسَامِعٌ مِنْكَ حَتَّى اسْتَفْرَغَ مَا
 عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ وَأُجَازِيكَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

قَالَ يَدَبًا : إِنَّ الْأُمُورَ الَّتِي أَخْضَرَ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَ أَرْبَعَةٌ
 أَشْيَاءٌ وَهِيَ حِمَاةُ مَا فِي الْعَالَمِ وَهِيَ : الْحِكْمَةُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَقْلُ وَالْعَدْلُ . وَالْعِلْمُ
 وَالْأَدَبُ وَالرَّوِيَّةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْحِكْمَةِ . وَالْحِلْمُ وَالصَّبْرُ وَالْوَقَارُ دَاخِلَةٌ
 فِي بَابِ الْعَقْلِ . وَالْحَيَاءُ وَالْكَرَمُ وَالصَّبَاطَةُ وَالْأَنَفَةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعِفَّةِ .
 وَالصِّدْقُ وَالْإِحْسَانُ وَالْمِرَاقِبَةُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَدْلِ .
 وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَاسِنُ وَأَضْدَادُهَا هِيَ الْمَسَاوِي فِيهِ كَمَلَتْ هَذِهِ فِي وَاحِدٍ لَمْ
 تُخْرِجْهُ الزِّيَادَةُ فِي نِعْمَةٍ إِلَى سُوءٍ أَلْحَظُ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَا إِلَى نَقْصٍ وَلَمْ يَتَأَسَّفْ
 عَلَى مَا لَمْ يَبْعِنِ التَّوْفِيقُ بِبِقَائِهِ وَلَمْ يُحْزِنْهُ مَا تَجَرَّى بِهِ الْمَقَادِيرُ فِي مُلْكِهِ وَلَمْ

يَذْهَبُ عِنْدَ مَكْرُوهُ. فَأَلْحِكْمَةُ كَثْرَ لَا يَفْنَى عَلَى انْفَاقِي. وَذَخِيرَةٌ لَا بُضْرَبُ
 لَهَا بِالْإِمْلَاقِ وَحَلَّةٌ لَا تُخْلَقُ جِدَّتِهَا وَالدَّهْرُ لَا نُضْرَمُ مَدَّتِهَا وَلَيْسَ كُنْتُ
 عِنْدَ مُتَاعِي بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ أَمْسَكْتُ عَنْ أَيْدَائِهِ بِالْكَلامِ. فَإِنَّ ذَلِكَ
 لَمْ يَكُنْ مِنِّي إِلَّا لِهَيْبَتِهِ وَالْإِجْلَالِ لَهُ. وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمَلُوكَ لِأَهْلٍ أَنْ يَهَابُوا
 لِاسِيَّامَنْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي حَلَّ فِيهَا الْمَلِكُ عَنْ مَنَازِلِ الْمَلُوكِ قَبْلَهُ. وَقَدْ
 قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: أَلْزَمَ السُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةٌ وَتَجَنَّبَ الْكَلَامَ الْفَارِغَ
 فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ الدَّمَامَةُ

وَحِكْمِي أَنْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ضَمُّهُمْ مَجْلِسُ مَلِكٍ فَقَالَ لَهُمْ: لِيَتَكَلَّمُ كُلُّ
 وَاحِدٍ بِكَلَامٍ يَكُونُ أَصْلًا لِلْأَدَبِ: فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَفْضَلُ خَلَّةِ الْعِلْمِ
 السُّكُوتُ: وَقَالَ الثَّانِي: إِنَّ مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ
 مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ: وَقَالَ الثَّلَاثُ: أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِمَا
 لَا يَعْنِيهِ: قَالَ الرَّابِعُ: أَرْوَجُ الْأُمُورَ عَلَى الْإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ لِلْمَقَادِيرِ: وَاجْتَمَعَ
 فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مَلُوكُ الْأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَفَارِسَ وَالرُّومِ وَقَالُوا:
 يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكَلِمَةٍ تُدَوِّنُ عَنْهُ عَلَى غَايِرِ الدَّهْرِ: قَالَ
 مَلِكُ الصِّينِ: أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ: قَالَ مَلِكُ
 الْهِنْدِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعُهُ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ
 أَوْ بَقِيَتْهُ: قَالَ مَلِكُ فَارِسَ: أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ
 بِهَا مَلَكَتْهَا: قَالَ مَلِكُ الرُّومِ: مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ قَطُّ وَلَقَدْ نَدِمْتُ
 عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا. وَالسُّكُوتُ عِنْدَ الْمَلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الْهَدْرِ الَّذِي لَا
 يُرْجَعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعٍ وَأَفْضَلُ مَا بِهِ اسْتَظَلَّ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ

غَيْرَ أَنْ الْمَلِكَ أَطَالَ اللَّهُ مَدَّةَ لَهَا فَسَخَّ لِي فِي الْكَلَامِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ
 كَانَ أَوْلَى مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ يَكُونَ ثَمَرُهُ ذَلِكَ لَهُ
 دُونِي وَأَنَا أَخْنَصُهُ بِالْفَائِدَةِ قَبْلِي. عَلَى أَنْ الْعُقْبَى هِيَ مَا أَقْصَدُ فِي كَلَامِي لَهُ
 وَإِنَّمَا نَفَعُهُ وَشَرَّفَهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَكُونُ أَنَا قَضَيْتُ فَرَضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ:
 أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ مِنَ الْمُجَبَّارَةِ الَّذِينَ أَسَّسُوا
 الْمَلِكَ قَبْلَكَ وَشَيَّدُوهُ دُونَكَ وَبَنَوْا الْفِلاَعِ وَالْحُصُونِ وَمَهَّدُوا الْبِلَادَ
 وَقَادُوا الْجُبُوشَ وَاسْتَجَاشُوا الْعُدَّةَ وَطَالَتْ لَهُمُ الْمُدَّةُ وَاسْتَكْبَرُوا مِنَ السِّلَاحِ
 وَالْكَرَاعِ وَعَاشُوا الدُّهُورَ فِي الْغِبْطَةِ وَالسُّرُورِ. فَلَمْ يَمْنَعَهُمْ ذَلِكَ مِنْ
 اكْتِسَابِ جَمِيلِ الذِّكْرِ وَلَا قَطْعِهِمْ عَنِ أَرْزَاقِ الشُّكْرِ وَلَا اسْتِعْمَالِ
 الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ وَالْإِرْفَاقِ بَيْنَ وَلَوْهُ وَحُسْنِ السَّيْرِ فِيمَا نَقَلَدُوهُ
 مَعَ عِظَمِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غُرْحِ الْمَلِكِ وَسَكْرَةِ الْإِقْتِدَارِ
 وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ جَدُّ الطَّالِعِ كَوَكَبُ سَعْدِ قَدِ وَّرِثَتْ أَرْضَهُمْ
 وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ الَّتِي كَانَتْ عُدَّتَهُمْ فَأَقْبَتَ فِيهَا حَوْلَتَ مِنْ
 الْمَلِكِ وَوَرِثَتْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَجْنُودِ. فَلَمْ تُنْمِ بِذَلِكَ بِحَقِّ مَا يَجِبُ
 عَلَيْكَ بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَنَوْتَ وَعَلَوْتَ عَلَى الرَّعِيَّةِ وَأَسَأْتَ السَّيْرَةَ
 وَعَظَّمْتَ مِنْكَ الْبَلِيَّةَ. وَكَانَ الْأَوَّلَى وَالْأَشْبَهُ بِكَ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ
 أَسْلَافِكَ وَتَتَّبِعَ آثَارَ الْمُلُوكِ قَبْلَكَ وَتَقْفُو مَحَاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ وَتَقْلَعَ مَا
 عَارُهُ لَأَزِمَ لَكَ وَشَيْئُهُ وَاقِعٌ عَلَيْكَ. وَتُحْسِنَ النَّظَرَ بِرَعِيَّتِكَ وَتَسْنُ لَهُمْ سُنَنَ
 الْحَيْرِ الَّذِي يَنْفَعُ بَعْدَكَ ذِكْرُهُ وَبِعَقْبِكَ الْجَمِيلِ فَخَيْرٌ. وَيَكُونُ ذَلِكَ أُنْفَى
 عَلَى السَّلَامَةِ وَأَدْوَمَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ. فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمَغْتَرَّ مَنْ اسْتَعْمَلَ فِي

أُمُورِهِ الْبَطْرَ وَالْأَمْنِيَّةَ . وَاتَّحَازِمَ اللَّيِّبَ مَن سَاسَ الْمَلِكَ بِالْمَدَارَةِ
وَالرَّفِي . فَأَنْظَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ وَلَا يَنْفُلَنَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ فَلَمْ
أَتَكَلَّمْ أَبْتِغَاءَ غَرَضٍ نَجَازِي بِنِي وَلَا الْفِئَسَ مَعْرُوفٍ تُكَافِيُنِي فِيهِ وَلَكِنِّي أَتَيْتُكَ
نَاصِحًا مُشْفِقًا عَلَيْكَ

فَلَمَّا فَرَعَ يَدَبَا مِنْ مَقَالَتِهِ وَقَضَى مُنَاصِحَةَ الْمَلِكِ أَرَعَبَ قَلْبَ الْمَلِكِ
فَأَغْلَظَ لَهُ الْجَوَابَ اسْتِصْغَارًا لِأَمْرِهِ وَقَالَ : لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ مَا كُنْتُ
أُظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَهْلِكِي يَسْتَقْبِلُنِي بِهِنْهِ وَلَا يُقَدِّمُ عَلَيَّ مَا أَقَدَّمْتَ
عَلَيْهِ . فَكَيْفَ أَنْتَ مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ وَضَعْفِ بِنَيْتِكَ وَعَجْزِ قُوَّتِكَ . وَلَقَدْ
أَكْثَرْتَ إِعْجَابِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَيَّ وَتَسْلُطِكَ بِلِسَانِكَ فِيمَا جَاوَزْتَ فِيهِ
حَدَّكَ . وَمَا أَجِدُ شَيْئًا فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكَ . فَذَلِكَ
عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيُرُومَ مَا رُمْتَ أَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا
أَوْسَعُوا لَهْمُ فِي مَجَالِسِهِمْ : ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصَلَّبَ . فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيمَا
أَمَرَ فَكَّرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَحْجَمَ عَنْهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَبْسِهِ وَتَقْبِيهِ

فَلَمَّا حُيِسَ أَنْفَذَ يَطْلُبَ تَلَامِيذَتِهِ وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ
وَأَعْنَصُوا بِحِزَائِرِ الْحَارِ . فَهَكَذَا يَدَبَا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ
وَلَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ . حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي سَهَرَ
الْمَلِكُ سَهْرًا شَدِيدًا فَطَالَ سَهْرُهُ وَوَدَّ إِلَى الْفَلَكِ بَصْرَهُ وَتَفَكَّرَ فِي تَفَلُّكِ
الْفَلَكِ وَحَرَكَاتِ الْكُوكَبِ . فَأَغْرَقَ الْفِكْرَ فِيهِ فَسَلَكَ بِهِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ شَيْءٍ
عَرَّضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ الْفَلَكِ وَالْمَسْئَلَةِ عَنْهُ . فَذَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَبَا وَتَفَكَّرَ
فِيمَا كَلَّمَهُ بِهِ فَأَرَعَوَى لِذَلِكَ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَقَدْ أَسَأْتُ فِيمَا صَنَعْتُ يَهْدَا

الْفَيْلَسُوفِ وَضَبَعَتْ وَاجِبَ حَقِّهِ وَحَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ سُرْعَةَ الْغَضَبِ . فَقَدَتْ
 قَالَتْ الْحُكَمَاةُ : أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي الْمَلُوكِ . الْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ
 الْأَشْيَاءِ مَقْتًا . وَالْبُخْلُ فَإِنَّ صَاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْدُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ . وَالْكَذِبُ
 فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُجَاوِزَهُ . وَالرِّفْقُ فِي الْمُحَاوَرَةِ فَإِنَّ السَّفَهَ لَيْسَ مِنْ
 شَأْنِهَا . وَإِنِّي أَنَى إِلَيَّ رَجُلٌ نَصَحَ لِي وَلَمْ يَكُنْ بِلَاغًا فَعَامَلْتُهُ بِضِدِّ مَا يَسْتَحِقُّ
 وَكَفَأْتُهُ بِخِلَافِ مَا يَسْتَوْجِبُ . وَمَا كَانَ هَذَا جَزَاءَهُ مِنِّي بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ
 أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ وَأَنْفَادًا لِمَا يُشِيرُ بِهِ : ثُمَّ أَنْفَذَ فِي سَاعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ
 فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : يَا يَدْبَابَا أَلَسْتَ الَّذِي قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ
 هِمَّتِي وَعَجَزْتَ رَأْيِي فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَنْفَا : فَقَالَ لَهُ يَدْبَابَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ
 النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الصَّادِقُ الرَّفِيقُ إِنَّمَا نَبَأْتُكَ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَلِرَعِيَّتِكَ
 وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ : قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا يَدْبَابَا أَعِدْ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ وَلَا تَدْعُ
 مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا حِثَّ بِهِ : فَجَعَلَ يَدْبَابَا يَنْثُرُ كَلَامَهُ وَالْمَلِكُ مُضْغٌ إِلَيْهِ وَجَعَلَ
 دَبْشَلِيمُ كُلُّ مَا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِشَيْءٍ فِي يَدِهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ
 إِلَى يَدْبَابَا وَأَمْرَهُ بِالْجُلُوسِ وَقَالَ لَهُ : يَا يَدْبَابَا إِنِّي قَدِ اسْتَعْدَبْتُ كَلَامَكَ
 وَحَسَنَ مَوْعِدِهِ مِنْ قَلْبِي وَأَنَا نَاطِرٌ فِي الَّذِي أُشْرْتُ بِهِ وَعَامِلٌ بِهَا أَمْرًا :
 ثُمَّ أَمَرَ بِبُجُودِهِ فَحُلَّتْ وَالْفَى عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِهِ وَتَلْقَاهُ . فَقَالَ يَدْبَابَا : يَا أَيُّهَا
 الْمَلِكُ إِنَّ فِي دُونِ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ نَهَابَةً بِمِثْلِكَ : قَالَ : صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ
 الْفَاضِلُ وَقَدْ وَبَّئْتُكَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى جَمِيعِ أَقْصَى مَمْلَكَتِي : فَقَالَ لَهُ :
 أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْنِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَإِنِّي لَسْتُ مُضْطَّاعًا بِتَوْبِهِ : فَأَعْفَاهُ
 مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَنْصَرَفَ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْيِهِ فَبَعَثَ فَرَدَّهُ .

وَقَالَ إِنِّي فَكَّرْتُ فِي إِعْفَائِكَ فِيمَا عَرَضَتْ عَلَيْكَ فَوَجَدْتُهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِكَ وَلَا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ وَلَا يَضْطَلِعُ بِهِ سِوَاكَ فَلَا تُخَالِفْنِي فِيهِ: فَأَجَابَهُ بَيْدَبَا إِلَى ذَلِكَ

وَكَانَ عَادَةً ذَلِكَ الزَّمَانِ إِذَا اسْتَكْتَبُوا وَزِيْرًا أَنْ يَعْقِدُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا فِي أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِبَيْدَبَا. فَوُضِعَ التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ وَرَكِبَ فِي الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ وَجَلَسَ بِمَجْلِسِ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ يَأْخُذُ لِلدَّيْنِيِّ مِنَ الشَّرِيفِ وَيُسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ وَرَدَّ الْمَظَالِمَ وَوَضَعَ سُنَنَ الْعَدْلِ وَكَثَرَ مِنَ الْعَطَاءِ وَالْبَدْلِ. وَاتَّصَلَ أَخْبَرُ بِتِلَامِيذَتِهِ فَجَازَوْهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَرِحِينَ بِهَا قَدَّرَ اللَّهُ مِنْ جَدِيدٍ رَأْيِي الْمَلِكِ فِي بَيْدَبَا. وَشَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِي بَيْدَبَا فِي إِزَالَةِ دَبْشَلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيْرِ. وَاتَّخَذُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا يُعِيدُونَ فِيهِ قَوْمًا إِلَى الْيَوْمِ عِيدٌ عِنْدَهُمْ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا لَهَا خَلَا فِكْرَهُ مِنْ اشْتِغَالِهِ بِدَبْشَلِيمَ تَفَرَّغَ لِيُوضِعَ كُتُبَ السِّيَاسَةِ وَنَشِطَ لَهَا. فَعَمِلَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِيهَا مِنْ دَقِيقِ الْحَيْلِ وَمَضَى الْمَلِكُ عَلَى مَا رَسَمَ لَهُ بَيْدَبَا مِنْ حُسْنِ السَّيْرِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ. فَرَغِبَتْ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا فِي نَوَاحِيهِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ عَلَى اسْتِوَائِهَا. وَفَرِحَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ. ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تِلَامِيذَتَهُ وَأَحْسَنَ صَلَاتَهُمْ وَوَعَدَهُمْ وَعَدَا جَمِيلًا وَقَالَ لَهُمْ: لَسْتُ أَشْكُ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نَفْسِكُمْ وَقِيَّتَ دُخُولِي عَلَى الْمَلِكِ أَنْ قُلْتُمْ إِنَّ بَيْدَبَا قَدْ ضَاعَتْ حِكْمَتُهُ وَبَطَلَتْ فِكْرَتُهُ أَنْ عَزَمَ عَلَى الدُّخُولِ عَلَى هَذَا الْجَبَّارِ وَالطَّاعِي. فَتَدْعَلِيهِمْ تَبِيحَةً رَأْيِي وَصِحَّةَ

فِكْرِي وَأَنِّي لَمْ آتِهِ جَهْلًا بِهِ لِأَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ مِنَ الْحُكَمَاءِ قَبْلِي نَقُولُ: إِنَّ
 الْمُلُوكَ لَهَا سَكْرَةٌ وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ: قَالَ الْمُلُوكُ لَا تُفِيقُ مِنَ السَّكْرَةِ إِلَّا
 بِمَوَاعِظِ الْعُلَمَاءِ وَأَدَبِ الْحُكَمَاءِ. وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُلُوكِ أَنْ يَنْعَظُوا
 بِمَوَاعِظِ الْعُلَمَاءِ. وَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ تَقْوِيمُ الْمُلُوكِ بِالسِّنِّهَا وَتَأْدِيبُهَا
 بِحِكْمَتِهَا وَإِظْهَارُ الْحُجَّةِ الْبَيِّنَةِ الْإِلَازِمَةِ لَهُمْ لِئَلَّا يَتَدَبَّرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْوَجَاجِ
 وَالْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ. فَوَجَدْتُ مَا قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فَرَضًا وَاجِبًا عَلَى الْحُكَمَاءِ
 لِمُلُوكِهِمْ لِيُؤَفِّقُوهُمْ مِنْ سِنَةِ سَكْرَتِهِمْ كَالطَّيِّبِ الذِّي يَجِبُ عَلَيْهِ فِي
 صِنَاعَتِهِ حِفْظُ الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدُّهَا إِلَى الصِّحَّةِ. فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ
 أَوْ أَمُوتَ وَلَا يَفِيقَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ يَدَّبَابًا الْفَيْلَسُوفُ فِي
 زَمَانِ دَبْشَلِيمِ الطَّاعِي فَلَمْ يَرُدَّهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ لَمْ يُمَكِّنْهُ
 كَلَامُهُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ فَالْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جَوَارِهِ وَالْإِزْعَاجُ عَنِ الْوَطَنِ
 شَدِيدٌ. فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِجِبَاتِي فَأَكُونَ قَدَأْتَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُكَمَاءِ
 بَعْدِي عُدْرًا فَحَمَلْتَهَا عَلَى التَّغْرِيبِ وَالظَّنْفِرِ بِهَا أُرِيدُ. وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا
 أَنْتُمْ مُعَايِنُوهُ. فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ: إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةَ إِلَّا
 بِأَحَدِي ثَلَاثٍ. إِمَّا بِمَشَقَّةٍ تَنَالَهُ فِي نَفْسِهِ وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ وَكْسٍ
 فِي دِينِهِ: مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْبَلِ الرَّغَائِبَ. وَإِنَّ الْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ قَدْ
 بَسَطَ لِسَانِي فِي أَنْ أَصَعَ كِتَابًا فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ الْحِكْمَةِ. فَلْيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْكُمْ فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ مِقْدَارَ عَقْلِهِ وَأَيَّنَ بَلَغَ مِنْ
 الْحِكْمَةِ فَمِمَّةُ: قَالُوا: أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ وَاللَّيِّبُ الْعَاقِلُ وَالَّذِي وَهَبَ
 لَكَ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ وَالْفَضِيلَةِ مَا خَطَرَ هَذَا

يُتْلُو بِنَاقِطٍ وَأَنْتَ رَئِيسُنَا وَقَاضِلُنَا وَعَلَى يَدِكَ أَنْتَعَشْنَا وَلَكِنْ سَجَّهَدُ
أَنْفُسَنَا فِيمَا أَمَرْتَ

وَمَكَثَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السَّيْرِحِ زَمَانًا يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ يَدَبًا
وَيُقَوْمُ بِهِ . ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَبَّشَلِيمَ لَهَا اسْتَفَرَّ لَهُ الْمَلِكُ وَسَفَطَ عَنْهُ النَّظْرُ
فِي أُمُورِ الْأَعْدَاءِ بِهَا قَدْ كَفَاهُ ذَلِكَ يَدَبًا صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظْرِ فِي
الْكَتَبِ الَّتِي وَضَعَهَا فَلَاسِفَةُ الْهِنْدِ لِأَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ . فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ
يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يُنَسَبُ إِلَيْهِ تَذَكُّرٌ فِيهِ أَيَّامُهُ كَمَا ذَكَرَ آبَاؤُهُ
وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ . فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِذَلِكَ إِلَّا بِدَبَابِ
فَدَعَاهُ وَخَلَايِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا يَدَبَا إِنَّكَ حَكِيمُ الْهِنْدِ وَفَيْلَسُوفُهَا وَإِنِّي فَكَّرْتُ
وَنَظَرْتُ فِي خَزَائِنِ الْحِكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمَلُوكِ قَبْلِي فَلَمْ أَرْ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا
وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ وَيُنَبِّئُ عَنِ أَدْبِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ .
فِيهِ مَا وَضَعَهُ الْمَلُوكُ لِأَنْفُسِهِمَا وَذَلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا . وَمِنْهُ مَا وَضَعْتَهُ
حِكْمًا وَهِيَ . وَأَخَافُ أَنْ يُلْحِقَنِي مَا لِحِقَ أَوْلِيكَ مِمَّا لَا حِيلَةَ لِي فِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي
خَزَائِنِي كِتَابٌ أَذْكُرُ فِيهِ بَعْدِي وَأُنَسَبُ إِلَيْهِ كَمَا ذَكَرْتُ مِنْ كَانَ قَبْلِي يَكْتُبُهُمْ .
وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا يَلِغَا تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ . يَكُونُ ظَاهِرُهُ
سِيَاسَةَ الْعَامَّةِ وَتَأْدِيبَهَا وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقَ الْمَلُوكِ وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ عَلَى طَاعَةِ
الْمَلِكِ وَخِدْمَتِهِ فَيَسْقُطُ بِذَلِكَ عَنِّي وَعَنْهُمْ مَا مَخْتِاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ الْمَلِكِ .
وَأُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ لِي هَذَا الْكِتَابُ بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَايِرِ الدُّهُوسِ
فَلَمَّا سَمِعَ يَدَبًا كَلَامَهُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
السَّعِيدُ جَدُّ عَلَانَجْمِكَ وَغَابَ نَحْسُكَ وَدَامَتْ أَيَّامُكَ . إِنَّ الَّذِي قَدْ

طَبِعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ جُودَةِ التَّرِيحَةِ وَوُفُورِ الْعَقْلِ حَرَكَةُ لِعَالِي الْأُمُورِ
 وَسَمَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَهَمَّتُهُ إِلَى أَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ مَنَزَلَةً وَأَبْعَدَهَا غَايَةً . وَأَدَامَ
 اللَّهُ سَعَادَةَ الْمَلِكِ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا عَزَمَ مِنْ ذَلِكَ وَأَعَانَنِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ .
 فَلَبِأُمِرِ الْمَلِكُ بِهَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي صَائِرٌ إِلَى غَرَضِهِ مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي :
 قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا يَدْبَابُ مَا نَزَلَ مَوْصُوفًا بِحَسَنِ الرَّأْيِ وَطَاعَةِ الْمُلُوكِ فِي
 أُمُورِهِمْ . وَقَدْ أَخْبَرْتُ مِنْكَ ذَلِكَ وَأَخْبَرْتُ أَنَّ تَضَعُ هَذَا الْكِتَابَ
 وَتُعْمَلُ فِيهِ فِكْرُكَ وَتَجْهَدُ فِيهِ نَفْسَكَ بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَلَيْكُنْ
 مُشْتَهَلًا عَلَى أَيْدِي أَهْلِ الزَّلِّ وَاللَّهْوِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلَسَفَةِ : فَكَفَّرَ لَهُ يَدْبَابًا وَسَجَدَ
 وَقَالَ : قَدْ أَجَبْتُ الْمَلِكَ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ وَقَدْ جَعَلْتُ بَيْنِي
 وَبَيْنَهُ أَجَلًا : قَالَ : وَكَمْ هُوَ الْأَجَلُ : قَالَ : سَنَةٌ : قَالَ : قَدْ أَجَلْتُكَ : وَأَمَرَ لَهُ
 بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ يُعِينُهُ عَلَى عَمَلِ الْكِتَابِ

فَبَقِيَ يَدْبَابًا مُفَكِّرًا فِي الْأَخْذِ فِيهِ وَفِي أَيِّ صُورَةٍ يَبْتَدِئُ فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ .
 ثُمَّ إِنَّ يَدْبَابًا جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي لِأَمْرٍ فِيهِ فَخْرٌ بِي
 وَفَخْرٌكُمْ وَفَخْرٌ بِلَادِكُمْ وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ : ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ الْمَلِكُ
 مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ وَالْغَرَضِ الَّذِي قَصَدَ فِيهِ فَلَمْ يَقَعْ لَهُمُ الْفِكْرُ فِيهِ . فَلَمَّا لَمْ
 يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُهُ فَكَّرَ بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ يَنْبَغُ بِاسْتِفْرَاحِ
 الْعَقْلِ وَأَعْمَالِ الْفِكْرِ وَقَالَ : أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ إِلَّا بِالْمَلَّاحِينَ
 لِأَنَّهُمْ يُعَدُّونَهَا وَإِنَّمَا تَسْلُكُ اللَّجَّةَ بِهَدْيِهَا الَّذِي تَفَرَّدَ بِأَمْرِهَا . وَمَتَى
 سُحِبَتْ بِالرِّكَابِ الْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ مَلَا حُوهَا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْغَرَقِ : وَلَمْ
 يَزَلْ يَفَكِّرُ فِيهَا بِعَمَلِهِ فِي بَابِ الْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ مَعَ

رَجُلٍ مِنْ تَلَامِيذَتِهِ كَانَ يَثِقُ بِهِ فَخَلَا بِهِ مُنْفَرِدًا بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْوَرَقِ
 الَّذِي تَكْتُبُ الْهِنْدُ فِيهِ شَيْئًا وَمِنَ الْقَوْتِ مَا يَقُومُ بِهِ هُوَ وَتَلِيهِدُ تِلْكَ
 الْهِنْدُ. وَجَلَسَا فِي مَقْصُورَةٍ وَرَدَّا عَلَيْهَا الْبَابَ. ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظْمِ الْكِتَابِ
 وَتَصْنِيفِهِ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يَهْلِي وَتَلِيهِدُ يَكْتُبُ وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ حَتَّى اسْتَفْرَ
 الْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ الْإِنْقَانِ وَالْإِحْكَامِ. وَرَتَّبَ فِيهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَابًا كُلُّ
 بَابٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسْئَلَةٌ وَالْجَوَابُ عَنْهَا لِيَكُونَ لِمَنْ
 نَظَرَ فِيهِ حَظٌّ. وَضَمَّنَ تِلْكَ الْأَبْوَابَ كِتَابًا وَاحِدًا وَسَمَّاهُ كِتَابَ كَلِيلَةِ
 وَدِمْنَةَ. ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسِنِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ لِيَكُونَ
 ظَاهِرُهُ لِهَوَا لِلْحَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةً لِعُقُولِ الْخَاصَّةِ. وَضَمَّنَهُ أَيْضًا
 مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ بِحُضْرِهِ عَلَى
 حُسْنِ طَاعِنِهِ لِلْمُلُوكِ وَبِحُجْنِهِ مَا تَكُونُ مُجَانِبَتُهُ خَيْرًا لَهُ. ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا
 وَظَاهِرًا كَرَسَمِ سَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي يَرَسُمُ الْحِكْمَةَ. فَصَارَ الْحَيْوَانُ هَوَا وَمَا
 يَنْطِقُ بِهِ حِكْمًا وَأَدَبًا. فَلَمَّا أَتَدَأَ يَدَبًا بِذَلِكَ جَعَلَ أَوَّلَ الْكِتَابِ
 وَصَفَ الصِّدِّيقِ وَكَيْفَ يَكُونُ صَدِيقَانِ وَكَيْفَ تُقَطَعُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةِ ذِي
 النَّمِيمَةِ. وَأَمَرَ تَلِيهِدُ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى لِسَانِ يَدَبًا مِثْلَ مَا كَانَ الْمَلِكُ شَارِطَهُ
 فِي أَنْ يَجْعَلَهُ هَوَاً وَحِكْمَةً. فَذَكَرَ يَدَبًا أَنَّ الْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ
 الْغَفْلَةِ أَفْسَدَهَا وَاسْتَجْهَلَ حِكْمَتَهَا. فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتَلِيهِدُ يُعْمِلَانِ الْفِكْرَ فِيمَا
 سَأَلَهُ الْمَلِكُ حَتَّى فَتَقَ لَهَا الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُمَا عَلَى لِسَانِ بَهَيْمَتَيْنِ.
 فَوَقَعَ لَهَا مَوْضِعُ اللَّهْوِ وَأَهْزَلَ بِكَلَامِ الْبَهَائِمِ وَكَانَتْ الْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا بِهِ.
 فَاصْغَتِ الْحِكْمَاءُ إِلَى حِكْمَتِهِ وَتَرَكُوا الْبَهَائِمَ وَاللَّهُوَّ وَعَلِمُوا أَنَّهَا السَّبَبُ فِي

الَّذِي وَضَعَ لَهُمْ. وَمَالَتْ إِلَيْهِ الْجَهَالُ عَجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتَيْنِ وَلَمْ يَشْكُوا
 فِي ذَلِكَ وَاتَّخَذُوهُ هَوًا وَتَرَكُوا مَعْنَى الْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا الْغَرَضَ
 الَّذِي وَضَعَ لَهُ. لِأَنَّ الْفَيْلَسُوفَ إِذَا كَانَ غَرَضُهُ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ
 عَنِ تَوَاصُلِ الْإِخْوَانِ كَيْفَ تَنَاسَكَهُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ عَلَى التَّحْتَظُّ مِنْ أَهْلِ
 السَّعَايَةِ وَالْتَحَرُّزِ مِنْهُنَّ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْمُتَحَايِينَ لِيُجْرِيَ بِذَلِكَ نَفْعًا
 إِلَى نَفْسِهِ

فَلَمْ يَزَلْ يُدَبِّبًا وَتَلْبِيذًا فِي الْمَنصُورَةِ حَتَّى اسْتَمَّ عَمَلَ الْكِتَابِ فِي
 مَدَّةِ سَنَةٍ. فَلَمَّا تَمَّ الْحَوْلُ أَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ: أَنْ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ فَأَيَّامًا
 صَنَعَتْ: فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ يُدَبِّبًا: إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ الْمَلِكَ فَلْيَأْمُرْنِي بِجَمَلِهِ بَعْدَ أَنْ
 يَجْمَعَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ لِيَتَكُونَ قِرَاءَتِي هَذَا الْكِتَابِ بِحَضْرَتِهِمْ: فَلَمَّا رَجَعَ
 الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ سُرَّ بِذَلِكَ وَوَعَدَهُ يَوْمًا يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ.
 ثُمَّ نَادَى فِي أَقْصَى بِلَادِ الْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ الْكِتَابِ. فَلَمَّا كَانَ
 ذَلِكَ الْيَوْمَ أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِيُدَبِّبًا سَرِيحٌ مِثْلُ سَرِيحِ وَكَرَاسِيٍّ
 لِأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُ. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَامَ فَلَيْسَ
 الثِّيَابَ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ وَهِيَ الْمَسْوُوحُ السُّودُ وَحَمَلَ
 الْكِتَابَ تَلْبِيذًا. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَتَبَّ الْحَلَائِقُ بِأَجْمَعِهِمْ وَقَامَ الْمَلِكُ
 شَاكِرًا. فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ وَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ. قَالَ لَهُ الْمَلِكُ:
 يَا بُدْبَابُ أَرْفَعُ رَأْسَكَ فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ هُنَا وَقَرَحٍ وَسُرُورٍ: وَأَمْرٌ أَنْ يَجْلِسَ.
 فَحِينَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ. سَأَلَ لَهُ الْمَلِكُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ
 الْكِتَابِ وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ قَصَدَ فِيهِ. فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ. فَازْدَادَ

الْمَلِكُ مِنْهُ تَعْجِبًا وَسُرُورًا فَقَالَ لَهُ: يَا يَدَبًا مَا عَدَوْتَ الَّذِي فِي نَفْسِي وَهَذَا
 الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ فَأَطْلُبُ مَا شِئْتَ وَتَحَكَّمْ: فَدَعَا لَهُ يَدَبًا بِالسَّعَادَةِ وَطَوَّلَ
 التَّجَدُّدَ وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمَا الْمَالُ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. وَأَمَا الْكُسُوفُ فَلَا أَخْشَارُ
 عَلَيَّ لِبَاسِي هَذَا شَيْئًا وَلَسْتُ أُخْلِي الْمَلِكُ مِنْ حَاجَةٍ: قَالَ الْمَلِكُ: يَا يَدَبًا مَا
 حَاجَتُكَ. فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قَبْلَنَا مَقْضِيَةٌ. قَالَ: يَا مَرُ الْمَلِكُ أَنْ يُدَوِّنَ كِتَابِي
 هَذَا كَمَا دَوَّنَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ كُنْهِمُ وَيَأْمُرُ بِالْإِحْتِيَاظِ عَلَيْهِ. فَإِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُخْرِجَ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ فَيَتَنَاوَلَهُ أَهْلُ فَارِسَ إِذَا عَلِمُوا بِهِ. فَلْيَأْمُرِ الْمَلِكُ
 أَنْ لَا يُخْرِجَ مِنْ بَيْتِ الْحِكْمَةِ: ثُمَّ دَعَا الْمَلِكُ تَبْلَا مِدَّتِهِ وَأَحْسَنَ لَهُمُ الْجَوَائِزَ.
 ثُمَّ إِنَّهُ لَهَا مَلِكَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ وَكَانَ مُسْتَبْشِرًا بِالْكِتَابِ وَالْعِلْمِ
 وَالْأَدَبِ وَالنَّظَرِ فِي أَخْبَارِ الْأَوَائِلِ وَقَعَ لَهُ خَيْرُ الْكِتَابِ فَلَمْ يَقِرَّ فَرَارُهُ
 حَتَّى بَعَثَ بُرْزُويهَ الطَّيِّبَ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ فَأَقْرَبُ فِي
 خَزَائِنِ فَارِسَ



مِنْ كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدِيمَنَةَ

فِي بَعْتِهِ بُرْزُوبِهِ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ

وَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ الْمَلِكَ السَّعِيدَ أَنْوَشِرَوَانَ مِنَ الْعَقْلِ أَفْضَلَهُ وَمِنَ الْعِلْمِ
أَجْزَلَهُ وَمِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ أَصُوبَهَا وَسَدَّادَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ أَسَدَّهَا وَمِنَ
الْبَحْثِ عَنِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ أَنْفَعَهُ. وَبَلَغَهُ مِنْ فُنُونِ اخْتِلَافِ الْعِلْمِ
وَبُلُوغِ مَنَزِلَةِ الْفَلَسَفَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ. حَتَّى كَانَ فِي
مَا طَلَبَ وَبَحَثَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ بَلَغَهُ عَنِ كِتَابِ بِالْهِنْدِ عِلْمٌ أَنَّهُ أَصْلُ
كُلِّ آدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ وَالذَّلِيلُ عَلَى كُلِّ مَنَفَعَةٍ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ وَزِيرَهُ
بُرْزُوجَهْرَ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ آدِيبٍ عَاقِلٍ مِنْ أَهْلِ مَهْلِكْتِهِ بِصِيرٍ
بِلِسَانِ الْفَارَسِيَّةِ مَاهِرٍ فِي كَلَامِ الْهِنْدِ وَيَكُونُ بَلِيغًا بِاللِّسَانِ جَمِيعًا. حَرِيصًا
عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ مُجْتَهِدًا فِي اسْتِعْمَالِ الْآدَبِ مُبَادِرًا فِي الْعِلْمِ وَالْبَحْثِ عَنْ
كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ. فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ آدِيبٍ كَامِلٍ الْعَقْلِ وَالْآدَبِ مَعْرُوفٍ
بِصِنَاعَةِ الطِّبِّ مَاهِرٍ فِي الْفَارَسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ يُقَالُ لَهُ بُرْزُوبِهِ

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا بُرْزُوبِهِ إِنِّي
قَدْ اخْتَرْتُكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحَرِيصِكَ عَلَى طَلَبِ
الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ. وَقَدْ بَلَغَنِي عَنِ كِتَابِ بِالْهِنْدِ مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ: وَقَصَّ
عَلَيْهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: تَجَهَّزْ فَإِنِّي مُرِحُّكَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ فَتَلَطَّفْ
بِعَقْلِكَ وَحُسْنِ أَدَبِكَ وَنَاقِدِ رَأْيِكَ لِاسْتِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ
وَقَبْلِ عُلَمَائِهِمْ فَتَسْتَفِيدَ مِنْ ذَلِكَ وَتُفِيدَنَا. وَمَا قَدِرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ

الهند ما ليس في خزائنا منه شيء فأحمله معك وخذ معك من المال ما
 تحتاج إليه وعجل ذلك ولا تقصر في طلب العلوم . وإن أكثرت فيه
 النفقة فإن جميع ما في خزائني مبدول لك في طلب العلوم . وأمر يا حضار
 المنجيين فأخاروا له يوماً يسيراً فيه وساعةً صالحةً يخرج فيها
 وحمل معه من المال عشرين جراباً كل جراب فيه عشرة آلاف دينار
 فلما قدم برزويه بلاد الهند طاف بياب الملك ومجالس السوق وسأل
 عن خواص الملك والأشراف والعلماء والفلاسفة . فجعل يغشاهم في
 منازلهم ويتلقاهم بالتحية ويخبرهم بأنه رجل غريب قدم بلادهم لطلب
 العلوم والآداب . وأنه يحتاج إلى معاونتهم في ذلك . فلم يزل كذلك
 زماناً طويلاً يتأدب عن علماء الهند بها هو عالمٌ مجبوعه وكان لا يعلم
 منه شيئاً وهو فيما بين ذلك يسرُّ بغيته وحاجته . واتخذ في تلك الحالة
 لطول مقامه أصدقاءً كثيرين من الأشراف والعلماء والفلاسفة والسوق
 ومن أهل كل طبقة وصناعة . وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلاً
 واحداً قد اتخذ لسيده وما يجب مشاورته فيه للذبي ظهر له من فضله
 وأدبه واستبان له صحة إخائه وكان يشاوره في الأمور ويرتاج إليه في
 جميع ما أهمله إلا أنه كان يكتم منه الأمر الذي قدم من أجله لكي
 يسلوه ويخبروه وينظر هل هو أهل أن يطلع على سريه

فقال له يوماً وهما جالسان: يا أخي ما أريد أن أكتسبك من أمري فوق
 الذي كنتك . فأعلم أنني لأمر قد مت وهو غير الذي يظهر مني والعاقيل
 يكتفي من الرجل بالعلامات من نظيره حتى يعلم سر نفسه وما يضمير قلبه

عَلَيْهِ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِهَا حِثَّ لَهُ
وَأَبَاهُ تُرِيدُ وَأَنَّكَ تَكْتُمُ أَمْرًا تَطْلُبُهُ وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ . فَأَخْبَنِي عَلَى ذَلِكَ مِنْكَ
وَلَكِنِّي لِرَغْبَتِي فِي إِخَائِكَ كَرِهْتُ أَنْ أُوْجِهَكَ بِهِ وَأَنْتَ قَدْ اسْتَبَانَ مَا
تُخْفِيهِ مِنِّي . فَأَمَّا إِذْ قَدْ أَظْهَرْتَ ذَلِكَ وَأَفْصَحْتَ بِهِ وَبِالْكَلَامِ فِيهِ فَإِنِّي
مُخْبِرُكَ عَنِ نَفْسِكَ وَمُظْهِرُكَ لَكَ سِرِّكَ وَمُعْلِمُكَ بِحَالِكَ الَّتِي قَدِمْتَ
لَهَا بِأِلَادِنَا لِنَسْلُبْنَا كُنُوزَنَا النَّفِيسَةَ فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ وَتَسْرِبَهَا
مِلْكَكَ وَكَانَ قُدُومَكَ بِالْمَكْرِ وَالْحَدِيعَةِ . وَلَكِنِّي لَهَا رَأَيْتُ صَبْرَكَ
وَمُواظَبَتِكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ وَالتَّحْفُظَ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْكَ الْكَلَامُ مَعَ
طُولِ مُكْنِكَ عِنْدَنَا بِشَيْءٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سِرِّكَ وَأُمُورِكَ أزدَدْتُ
رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ وَثِقَةً بِعَقْلِكَ فَأَحْبَبْتُ مَوَدَّتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرِ فِي
الرِّجَالِ رَجُلًا هُوَ أَرْضَنُ مِنْكَ عَقْلًا وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا وَلَا أَصْبِرُ عَلَى طَلَبِ
الْعِلْمِ وَلَا أَكْتُمُ لِسِرِّهِ مِنْكَ وَلَا سِيَمًا فِي بِلَادِ غُرَبَاءٍ وَمَهْلِكَةٍ غَيْرِ مَهْلِكِكَ
وَعِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَنَهُمْ . وَإِنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ لَيَسِينُ فِي ثَمَانِي خِصَالٍ
الْأُولَى مِنْهَا الرِّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا . وَالثَّلَاثَةُ
طَاعَةُ الْمُلُوكِ وَالتَّخَرُّبُ لِمَا يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ
وَكَيفَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ . وَالخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ
الْمُلُوكِ أَدِيبًا مَلِيقَ اللِّسَانِ . وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسِرِّهِ وَسِرِّ غَيْرِهِ حَافِظًا .
وَالسَّابِعَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسَانِهِ قَادِرًا فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِهَا بِأَمْنٍ تَبِعْتَهُ . وَالثَّمَانِيَةُ
أَنْ يَكُونَ بِالْحِفْلِ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِهَا بِسَأْلِ عَنْهُ . فَهِنَّ أَجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ
الْمُحْصَالُ كَانَ هُوَ الدَّاعِي التَّخِيرَ إِلَى نَفْسِهِ وَهَذِهِ الْمُحْصَالُ كُلُّهَا قَدْ أَجْتَمَعَتْ

فِيكَ وَبَانَتْ لِي مِنْكَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بِحِفْظِكَ وَبِعَيْنِكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ
فَهَذَا فَتُكَ إِيَّايَ لَتَسْلُبْنِي كَثْرِي وَفَخْرِي وَعَلِي . فَإِنَّكَ أَهْلٌ لِأَنْ تُسْعَفَ
بِحَاجَتِكَ وَتُسْفَعَ بِطَلَبَتِكَ وَتُعْطَى سُؤْلَكَ

فَقَالَ لَهُ بَرْزُوبِيهِ : إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَبَاتُ كَلَامًا كَثِيرًا وَشَعَبْتُ لَهُ شُعُوبًا
وَأَنشَأْتُ لَهُ أَصُولًا وَطُرُقًا . فَلَمَّا أَنْهَيْتُ إِلَى مَا بَدَأْتَنِي بِهِ مِنْ إِطْلَاعِكَ عَلَى
أَمْرِي وَالَّذِي قَدِمْتُ لَهُ وَالْقَيْتَهُ عَلَيَّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ وَرَغْبَتِكَ فِي مَا أَلْقَيْتَ
مِنَ الْقَوْلِ أَكْتَفَيْتُ بِالسَّيْرِ مِنَ الْمُخْطَابِ مَعَكَ وَعَرَفْتُ الْكَبِيرَ مِنْ
أُمُورِي بِالصَّغِيرِ مِنَ الْكَلَامِ وَأَقْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى الْإِجْزَارِ وَرَأَيْتُ مِنْ
إِسْعَافِكَ إِيَّايَ بِحَاجَتِي مَا دَلَّنِي عَلَى كَرَمِكَ وَحُسْنِ وَقَائِكَ . فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا
أُلْفِيَ إِلَى الْفَيْلَسُوفِ وَالسِّرِّ إِذَا اسْتُودِعَ إِلَى اللَّيِّبِ الْحَافِظِ فَقَدْ حُصِّنَ
وَبَلَغَ بِهِ نِهَآيَةَ أَمَلِ صَاحِبِهِ كَمَا يُحْصَنُ الشَّيْءُ النَّفِيسُ فِي الْفِلَاحِ الْحَصِينَةِ :
قَالَ الْهِنْدِيُّ : لِأَشْيَاءٍ أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْدَّةِ وَمَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ كَانَ أَهْلًا
أَنْ يَخِطِلَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَذْخَرَ عَنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْتُمُهُ سِرًّا . فَإِنَّ حِفْظَ
السِّرِّ رَأْسُ الْأَدَبِ فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ الْكُتُومِ فَقَدْ اخْتَرِزَ مِنْ
التَّضْيِيعِ مَعَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِهِ وَلَا يَنْتَمِ سِرٌّ بَيْنَ اثْنَيْنِ قَدْ عَلِمَاهُ
وَتَفَاوَضَاهُ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالسِّرِّ اثْنَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ مِنْ جِهَةِ أَحَدِهِمَا أَوْ
مِنْ جِهَةِ الْآخَرِ فَإِذَا صَارَ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَدَاعَ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ
صَاحِبُهُ أَنْ يَخْبَهُ وَيَكَابِرَ عَنْهُ كَالنَّعِيمِ إِذَا كَانَ مَنْقُطَعًا فِي السَّمَاءِ . فَقَالَ
قَائِلٌ نَعِيمٌ مَنْقُوعٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْلِيبِهِ . وَأَنَا فَقَدْ يَدَاخِلُنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ
وَخُلُطَتِكَ سُورٌ لَا بَعْدَ لَهُ شَيْءٌ . وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ

مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا تُكْتَمُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشَوْ وَبِظَهْرٍ حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ .
فَإِذَا فَشَا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَاكِ هَلَاكِي هَلَاكَ لَا أَقْدِيرُ عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ
كَثُرَ . لِأَنَّ مَلِكَنَا فَظٌ غَلِيظٌ يُعَاقِبُ عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ
فَكَيْفَ مِثْلُ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَإِذَا حَمَلْتَنِي الْمَوَدَّةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ
فَأَسْعَفْتِكَ بِحَاجَتِكَ لَمْ يَرُدَّ عِقَابُهُ عَنِّي شَيْئًا

قَالَ بَرْزُوقِيهِ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتِ الصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ
وَأَعَانَهُ عَلَى الْفُوزِ وَهَذَا الْأَمْرُ الذِّي قَدِمْتُ لَهُ لِيَهْلِكَ ذَخْرَتُهُ وَبِكَ
أَرْجُو بُلُوغَهُ وَأَنَا وَاثِقٌ بِكْرَمِ طِبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْشَى
مِنِّي وَلَا تَخَافُ أَنْ أُبْدِيَهُ بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَيْتِكَ الطَّائِفِينَ بِكَ وَبِالْمَلِكِ أَنْ
يَسْعَوْا بِكَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنْ لَا يَشِيعَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لِأَنِّي أَنَا ظَالِمٌ
وَأَنْتَ مُقِيمٌ وَمَا أَقْبَتُ فَلَا تَأْتِكَ بَيْنَنَا . فَتَعَاهَدَا عَلَى هَذَا جَمِيعًا : فَاجَابَهُ
الْهِنْدِيُّ إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ وَالِي غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ فَأَكَبَّ عَلَى تَفْسِيرِهِ
وَنَقَلَهُ مِنَ اللِّسَانِ الْهِنْدِيِّ إِلَى اللِّسَانِ الْفَارِسِيِّ وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ وَأَنْصَبَ بَدَنَهُ
لَيْلًا وَنَهَارًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَجِلٌ وَفَزَعٌ مِنْ مَلِكِ الْهِنْدِ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ
مِنْ أَنْ يَذْكَرَ الْمَلِكُ الْكِتَابَ فِي وَقْتٍ وَلَا يُصَادِقُهُ فِي خِزَانَتِهِ

فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ أَنْتِسَاحِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ مَا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ كَتَبَ
إِلَى أُنُوشِيرَوَانَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ سُرَّ بِذَلِكَ سُورًا
شَدِيدًا . ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعَاجَلَةَ الْمَقَادِيرِ أَنْ تُنْقِصَ عَلَيْهِ فَرَحَهُ فَكَتَبَ إِلَى بَرْزُوقِيهِ
يَأْمُرُ بِتَعْجِيلِ الْقُدُومِ . فَسَارَ بَرْزُوقِيهِ مَتَوَجِّهًا نَحْوَ كِسْرَى . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ
مَا قَدَّمَسَهُ مِنَ الشُّحُوبِ وَالتَّعَبِ وَالتَّنْصِبِ قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْعَبْدُ النَّاصِحُ

الذبي ياكل ثمرة ما قد غرس ابشر وفر عينا فاني مشرفك بالنع بك
 افضل درجة: وامر ان يريح بدنه سبعة ايام
 فلما كان اليوم السابع امر الملك ان يجتمع اليه الامراء والعلماء فلما
 اجتمعوا امر برزويه بالحضور فحضر ومعه الكتب ففتحها وقرأها على من
 حضر من اهل المملكة فلما سمعوا ما فيها من العلم فرحوا فرحا شديدا
 وشكروا الله على ما رزقهم ومدحوا برزويه واثنوا عليه وامر الملك ان
 تفتح لبرزويه خزائن اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة وامر
 ان ياخذ من الخزائن ما شاء من مال وكسوة وقال: يا برزويه اني قد
 امرت ان تجلس على مثل سريري هذا وتلبس تاجا وتترأس على جميع
 الاشراف: فسجد برزويه للملك ودعا له وطلب من الله وقال: اكرم الله
 تعالى الملك كرامة الدنيا والاخرة واحسن عني ثوابه وجزاه. فاني بحمد
 الله مستغن عن المال بما رزقني الله على يد الملك السعيد الحمد العظيم
 الملك ولا حاجة لي بالمال. لكن لما كلفني ذلك وعلمت انه بسره ان
 امضي الى الخزائن فاخذ منها طلبا لمرضاته وامثالا لامرئ: ثم قصد
 خزانة الثياب فاخذ منها تحفا من ظرائف خراسان ومن ملابس الملوك
 فلما قبض برزويه ما اخناره ورضيه من الثياب قال: اكرم الله الملك
 ومد في عمره ابد الابد. ان الانسان اذا اكرم وجب عليه الشكر وان
 كان قد استوجه تعب ومشقة فقد كان فيها ارضاء الملك. واما انا فانا
 لقيته من عناء وتعب ومشقة لما اعلم ان لكم فيه الشرف يا اهل هذا
 البيت فاني لم ازل الى هذا اليوم تابع ارضاءكم ارى العسير فيه يسيرا

وَالشَّاقُّ هِينًا وَالنَّصَبُ وَالْأَذَى سُرُورًا وَوَلَدَةٌ لِمَا أَعْلَمُ أَنْ لَكُمْ فِيهِ رِضَى
 وَقُرْبَةٌ عِنْدَكُمْ. وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسَعِّفُنِي بِهَا وَتُعْطِينِي فِيهَا
 سُؤْلِي فَإِنَّ حَاجَتِي بَسِيرَةٌ وَفِي فَضَائِلِهَا فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ. قَالَ أُنُوشِرَوَانُ:
 فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ فِيمَلْنَا مَقْضِيَةٌ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارَ كُنْنَا فِي
 مُلْكِنَا لِنَفْعَلْنَا وَلَمْ نُرُدِّ طَلِبَتِكَ فَكَيْفَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَقُلْ وَلَا تَحْتَشِمُ فَإِنَّ
 الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْدُوءَةٌ لَكَ

قَالَ بَرْزُويَه: أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِبِي فِي رِضَاكَ وَأَنْكَاشِي فِي
 طَاعِنِكَ. فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزُمُنِي بَدَلُ مُهْجَتِي فِي رِضَاكَ وَلَوْ لَمْ تَجْزِي لِي لَمْ
 يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ. وَلَكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ
 مَنْصِبِهِ عَمَدًا إِلَى جُجَارَانِي وَخَصَنِي وَأَهْلَ بَيْتِي يُعْلَوُ الْمَرْتَبَةَ وَرَفَعُ الدَّرَجَةَ
 حَتَّى لَوْ قَدَّرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَفَعَلَ فَمَجْرَاهُ اللَّهُ عَنَّا
 أَفْضَلَ الْجَزَاءِ. قَالَ أُنُوشِرَوَانُ: أَذْكَرُ حَاجَتِكَ فَعَلَيْ مَا يَسُرُّكَ. فَقَالَ
 بَرْزُويَه: حَاجَتِي أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَزِينَهُ بَرْزُجَهْرَ بْنِ
 الْبُخْتِكَانَ وَيُقَسِّمَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمَلَ فِكْرُهُ وَيَجْمَعَ رَأْيُهُ وَيُجَهَّدَ طَاقَتُهُ وَيُفْرَغَ
 قَلْبُهُ فِي نَظْمِ تَأْلِيفِ كَلَامٍ مُتَعِنٍ مُحْكَمٍ وَيَجْعَلُهُ بَابًا يَذْكَرُ فِيهِ أَمْرِي وَيَصِفُ
 حَالِي وَلَا يَدْعُ مِنَ الْمَهَالِغَةِ فِي ذَلِكَ أَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَأْمُرُهُ إِذَا
 اسْتَمَّ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ الَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ وَالنُّورِ. فَإِنَّ
 الْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَبْنَى
 لَنَا مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى الْأَبَدِ حَيْثُمَا قُرِئَ هَذَا الْكِتَابُ
 فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أُنُوشِرَوَانُ وَالْعُظَمَاءُ مَقَالَتَهُ وَمَا سَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ

مَحَبَّةِ إِيْقَاءِ الذِّكْرِ وَاسْتَحْسِنُوا طَلِبَتَهُ وَآخِنِيَارَهُ قَالَ كِسْرَى: حُبًّا وَكَرَامَةً لَكَ
 يَا بُرْزُوبِيهِ إِنَّكَ لِأَهْلٌ أَنْ تُسَعَفَ بِمِحَاجِنِكَ فَإِذَا أَقَلَّ مَا قِنَعْتَ بِهِ وَأَيَسَّرُ
 عِنْدَنَا وَإِنْ كَانَ خَطَرُ عِنْدَكَ عَظِيمًا: ثُمَّ أَقْبَلَ أَنُوشِيرَوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ
 بُرْزُجْمَهَرَ. فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ مَنَاصِحَةَ بُرْزُوبِيهِ لَنَا وَتَجَسَّهَهُ الْخُخَاوِفَ
 وَالْمَهَالَكَ فِي مَا يَقْرَبُهُ مِنَّا وَإِنْعَابَهُ بَدَنَهُ فِي مَا يَسْرُنَا وَمَا آتَى بِهِ إِلَيْنَا مِن
 الْمَعْرُوفِ وَمَا أَفَادَنَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا فَخْرُهُ وَمَا
 عَرْضَنَا عَلَيْهِ مِن خَزَائِنِنَا لِنَجْزِيَهُ بِذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ. فَلَمْ تَهْلُ نَفْسُهُ إِلَى
 شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ بُغْيَتُهُ وَطَلِبَتُهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَأَاهُ هُوَ الثَّوَابَ مِنَّا لَهُ
 وَالْكَرَامَةَ الْجَلِيلَةَ عِنْدَهُ. فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ وَتُسَعِفَهُ بِمِحَاجِنِهِ
 وَطَلِبَتِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ مَا يَسْرُنِي وَلَا تَدْعُ شَيْئًا مِنَ الْأَجْنِهَادِ وَالْمِبَالِغَةِ
 إِلَّا بَلِغَتَهُ وَإِنْ نَالَكَ فِيهِ مَشَقَّةٌ وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا لِنَلِّكَ الْأَبْوَابَ
 الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَتَذَكَّرَ فِيهِ فَضْلَ بُرْزُوبِيهِ وَكَيْفَ كَانَ أَيْتِدَاكَ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ
 وَتَنَسَّبَهُ إِلَيْهِ وَإِلَى حَسَبِهِ وَصِنَاعَتِهِ وَتَذَكَّرَ فِيهِ بَعْثَتَهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي
 حَاجِنَا وَمَا أَفَدْنَا عَلَى يَدَيْهِ مِنْ هُنَاكَ وَشَرَّفْنَا بِهِ وَفَضَّلْنَا عَلَى غَيْرِنَا وَكَيْفَ
 كَانَ حَالُ بُرْزُوبِيهِ وَقُدُومُهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ. فَقُلْ مَا تَقْدِيرُ عَلَيْهِ مِنْ
 التَّقْرِيبِ وَالْإِطْنَابِ فِي مَدْحِهِ وَبَالِغِ فِي ذَلِكَ أَفْضَلَ الْمِبَالِغَةِ وَاجْتِهَادِ فِي
 ذَلِكَ أَجْنِهَادًا يَسْرُ بُرْزُوبِيهِ وَأَهْلَ الْمَمْلَكَةِ. فَإِنَّ بُرْزُوبِيهِ أَهْلٌ لِذَلِكَ
 مِنِّي وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَمِنْكَ أَيْضًا لِيَحْتِيكَ لِلْعُلُومِ. وَاجْتِهَادِ أَنْ
 يَكُونَ غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى بُرْزُوبِيهِ أَفْضَلَ مِنْ أَعْرَاضِ
 تِلْكَ الْأَبْوَابِ عِنْدَ الْمُخَاصِ وَالْعَامِّ وَأَشَدَّ مُشَاكَلَةً بِحَالِ هَذَا الْعِلْمِ. فَإِنَّكَ

أَسْعَدُ النَّاسِ كَلِمَةً بِذَلِكَ لِإِنْفِرَادِكَ بِهَذَا الْكِتَابِ وَأَجْعَلُهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْلِمْنِي لِأَجْمَعِ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ وَنَفَرَهُ
 عَلَيْهِمْ فَيُظْهِرَ فَضْلَكَ وَأَجْزَهُادَكَ فِي مَحَبَّتِنَا فَيَكُونَ لَكَ بِذَلِكَ فَخْرٌ

فَلَمَّا سَمِعَ بَرْزُجْمَهُرُ مَقَالَةَ الْمَلِكِ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ : أَدَامَ اللَّهُ لَكَ أَهْلًا
 الْمَلِكُ الْبَقَاءَ وَبَلَغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى لَقَدْ
 شَرَّفْتَنِي بِذَلِكَ شَرَفًا بَاقِيًا إِلَى الْأَبَدِ : ثُمَّ خَرَجَ بَرْزُجْمَهُرُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ
 فَوَصَفَ بَرْزُوبَهُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ أَبَوَاهُ إِلَى الْمَعْلَمِ وَمَضِيهِ إِلَى بِلَادِ
 الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْعُقَاقِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ وَكَيْفَ تَعَلَّمَ خُطُوطَهُمْ وَلَعْنَهُمْ إِلَى أَنْ
 بَعَثَهُ نُوشِيرَوَانُ إِلَى الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْكِتَابِ وَلَمْ يَدْعُ مِنْ فَضَائِلِ بَرْزُوبِهِ
 وَحِكْمَتِهِ وَخَلَاتِقِهِ وَمَدْهَبِهِ أَمْرًا إِلَّا وَنَسَقَهُ وَأَتَى بِهِ بِأَجْوَدِ مَا يَكُونُ مِنْ
 الشَّرْحِ . ثُمَّ أَعْلَمَ الْمَلِكُ بِفِرَاقِهِ مِنْهُ . فَجَمَعَ نُوشِيرَوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ
 مَمْلَكَتِهِ وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بَرْزُجْمَهُرَ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ وَبَرْزُوبِهِ فَأَتَمَّ إِلَى
 جَانِبِ بَرْزُجْمَهُرَ وَأَبْتَدَأَ يَوْصِفُ بَرْزُوبَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ . فَفَرِحَ
 الْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بَرْزُجْمَهُرُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ . ثُمَّ أَثْنَى الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ
 حَضَرَ عَلَى بَرْزُجْمَهُرَ وَشَكَرُوهُ وَمَدَّحُوهُ وَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِهَالٍ جَزِيلٍ وَكُسُوفَةٍ
 وَحُلِيِّ وَأَوَانٍ . فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسُوفَةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ
 الْمُلُوكِ . ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ بَرْزُوبَهُ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَأَقْبَلَ بَرْزُوبَهُ عَلَى
 الْمَلِكِ وَقَالَ : أَدَامَ اللَّهُ لَكَ الْمَلِكُ وَالسَّعَادَةَ فَفَدَى بَلَّغْتَ لِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ
 الشَّرَفِ بِمَا أَمَرْتَ بِهِ بَرْزُجْمَهُرَ مِنْ صَنْعَةِ الْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَإِبْقَاءِ ذِكْرِي

نُحْبَةُ

مِنْ تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَأَعْمَارِهِمْ
وَالْكَائِنِ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

تَأْلِيفِ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ الطَّبْرِيِّ

فِي افْتِتَاحِ الشَّامِ

مَعْرَكَةُ الْوَأْفُوصَةِ

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنِ سَعِيدٍ عَنِ سَيْفٍ عَنِ مَبِشْرِ وَسَهْلٍ وَأَبِي عَثْمَانَ عَنِ
خَالِدِ وَعُبَادَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ. قَالُوا وَأَوْعَبَ الْفُؤَادُ بِالنَّاسِ نَحْوَ الشَّامِ وَعِكْرَمَةُ
رَدَّ لِلنَّاسِ وَبَلَغَ الرُّومَ ذَلِكَ فَكُتِبُوا إِلَى هِرَقْلَ وَخَرَجَ هِرَقْلُ حَتَّى
يَنْزِلَ بِمِمْصَ فَأَعَدَّهُمْ الْجُنُودَ وَعَيَّى لَهُمُ الْعَسَاكِرَ وَأَرَادَ اسْتِغَالَ بَعْضِهِمْ
يَبْعُضٍ عَنِ بَعْضٍ لِكَثْرَةِ جُنْدِهِ وَفُضُولِ رِجَالِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى عَمْرِو أَخَاهُ
تَدَارِقَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. فَخَرَجَ نَحْوَهُمْ فِي تِسْعِينَ أَلْفًا وَبَعَثَ مَنْ يَسُوقُهُمْ حَتَّى
نَزَلَ صَاحِبُ السَّاقَةِ ثَنِيَةَ جِلْقِ بَاعَلَى فِلَسْطِينَ وَبَعَثَ جَرَجَةَ بْنَ نُوحْرَةَ
نَحْوَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفِينَةَ فَعَسَكَرَ بِإِزَائِهِ وَبَعَثَ الدَّرَافِصَ فَاسْتَقْبَلَ
شُرْحِبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ وَبَعَثَ الْقَيْقَارَ بْنَ نَسْطُوسَ فِي سِتِّينَ أَلْفًا نَحْوَ أَبِي
عَيْدَةَ. فَهَابَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَجَمِيعَ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدًا وَعِشْرُونَ أَلْفًا سِوَى
عِكْرَمَةَ فِي سِتِّينَ أَلْفٍ فَفَرَّغُوا جَمِيعًا بِالْكَتْبِ وَبِالرُّسْلِ إِلَى عَمْرِو أَنْ مَا
الرَّأْيُ وَكَاتِبُهُمْ وَرَأَسَلَهُمْ أَنْ الرَّأْيُ الْأَجْمَاعُ وَذَلِكَ أَنْ مِثْلَنَا إِذَا اجْتَمَعْنَا لَمْ
نُغْلَبْ مِنْ قَلْبِهِ وَإِذَا نَحْنُ تَفَرَّقْنَا لَمْ يَبْقَ الرَّجُلُ مَنَّا فِي عَدَدٍ يَفِرُّ فِيهِ لِأَحَدٍ

مِنْ أَسْتَفْبَلَهُ. وَأَعَدَّ لَنَا لِكُلِّ طَائِفَةٍ مَنَاجِدًا فَأَتَعَدُّوا الْيَرْمُوكَ لِيَجْتَمِعُوا
 بِهِ. وَقَدْ كُتِبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِبَيْتِلَ مَا كَاتَبُوا بِهِ عَمْرًا فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ كِتَابُهُ بِبَيْتِلَ
 رَأَى عَمْرُو وَبَلَغَ ذَلِكَ هِرْقَلَ فَكُتِبَ إِلَى بَطَارِقَتِهِ أَنْ اجْتَمِعُوا لَهُمْ فَأَنْزَلُوا
 بِالرُّومِ مَنَزِلًا وَاسِعَ الْعَطَنِ وَاسِعَ الْمَطَرِ ضَيْقَ الْمَهْرَبِ. وَعَلَى النَّاسِ
 التَّدَارِقُ وَعَلَى الْمَقْدِمَةِ جَرَجَةٌ وَعَلَى مَجْنِبَتَيْهِ بَاهَانُ وَالذَّرَاقِصُ وَعَلَى الْحَرْبِ
 قَبْقَارُ وَقَالَ أَبْشَرُوا فَإِنَّ بَاهَانَ فِي الْإِثْرِ مِثْدًا لَكُمْ. فَفَعَلُوا فَانزَلُوا الْوَاقُوصَةَ
 وَهُوَ عَلَى ضِفَّةِ الْيَرْمُوكِ وَصَارَ الْوَادِي خَنْدَقًا لَهُمْ وَهُوَ لَهْبٌ لَا يُدْرِكُ. وَإِنَّمَا
 أَرَادَ بَاهَانُ وَأَصْحَابُهُ أَنْ يَسْتَنْبِتَ الرُّومُ وَيَأْتُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَتَرْجِعَ إِلَيْهِمْ
 أَقْيَدُهُمْ عَنْ طَيْرَتَيْهَا. وَانْتَقَلَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ عَسْكَرِهِمُ الَّذِي اجْتَمَعُوا فِيهِ
 فَانزَلُوا عَلَيْهِمْ بِحَدَائِمِهِمْ عَلَى طَرِيفِهِمْ وَلَيْسَ لِلرُّومِ طَرِيفٌ إِلَّا عَلَيْهِمْ. فَقَالَ
 عَمْرُو: أَيُّهَا النَّاسُ أَبْشَرُوا حُصِرَتِ الرُّومُ وَاللَّهُ وَقَلَّ مَا جَاءَ مُحْصُورٌ
 بِحَيْرٍ. فَأَقَامُوا بِبِازَائِمِهِمْ وَعَلَى طَرِيفِهِمْ وَخَرَجِيمِ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ
 وَشَهْرِي رَبِيعٍ لَا يَقْدِرُونَ مِنَ الرُّومِ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِمْ. وَاللَّهْبُ
 وَهُوَ الْوَاقُوصَةُ مِنْ رَأَائِمِهِمْ وَالْخَنْدَقُ مِنْ أَمَا مِهِمْ. وَلَا يَخْرُجُونَ خَرَجَةً إِلَّا
 أُدْبِلَ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ. حَتَّى إِذَا اسْلَخُوا شَهْرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَقَدِ اسْتَمَدُّوا أَبَا
 بَكْرٍ وَأَعْلَمُوهُ الشَّانَ فِي صَفَرٍ. فَكُتِبَ إِلَى خَالِدٍ لِيَلْحَقَ بِهِمْ وَأَمْرُهُ أَنْ يَخْلِفَ
 عَلَى الْعِرَاقِ الْمَشْنَى قَوَافِلُهُمْ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ

كُتِبَ إِلَى الشَّرِيفِ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَعَمْرُو
 وَالْمُهَلَّبِ قَالُوا: وَلَمَّا نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَرْمُوكَ وَاسْتَمَدُّوا أَبَا بَكْرٍ قَالَ
 خَالِدٌ أَقْوَى لَهَا. فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْعِرَاقِ وَعَزَمَ عَلَيْهِ وَأَسْتَحْتَهُ فِي السَّيْرِ

فَنَفَدَ خَالِدٌ لِذَلِكَ فَطَاعَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ وَطَلَعَ بَاهَانُ عَلَى الرُّومِ وَقَدْ قَدَّمَ
 فِدَامَةَ الشَّامِ وَالرُّهْبَانَ وَالْقِسْبِيِّينَ يُغِيرُونَهُمْ وَيَحْضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ .
 وَوَافَقَ قُدُومُ خَالِدٍ قُدُومَ بَاهَانَ فَخَرَجَ بِهِمْ بَاهَانُ كَالْمَقْتَدِرِ فَوَلِيَ خَالِدٌ
 قِتَالَهُ وَقَاتَلَ الْأَمْرَاءَ مِنْ بِلَادِهِمْ فَهَزِمَ بَاهَانُ وَتَبَاعَ الرُّومُ عَلَى الْهَزِيمَةِ
 فَأَفْتَحُوا خَنْدَقَهُمْ . وَتَبِعَتِ الرُّومُ بِيَاهَانَ وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِخَالِدٍ وَحَرَدَ
 الْمُسْلِمُونَ وَحَرَدَ الرُّومُ وَهُمْ أَرْبَعُونَ وَمِائَتَا أَلْفٍ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ أَلْفًا
 مُقْبِدًا وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا مُسَلَّسًا لِلْمَوْتِ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا مُرَبِّطُونَ بِالْعِمَامِ
 وَثَمَانُونَ أَلْفًا رَاجِلٍ وَالْمُسْلِمُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ كَانَ مُقْبِدًا .
 إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ فِي تِسْعَةِ آلاَفٍ فَصَارُوا سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا . وَرَضَ
 أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جَادَى الْأُولَى وَتَوَتَّى لِلنِّصْفِ مِنْ جَادَى الْآخِرَةِ
 قَبْلَ الْفَتْحِ بِعَشْرِ لَيَالٍ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ سَمِيَ لِكُلِّ أَمِيرٍ مِنْ أَمْرَاءِ الشَّامِ كُورَةً .
 فَسَمِيَ لِأَبِي عَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجُرَّاحِ حِصًّا . وَلِيزِيدِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ
 دِمَشْقًا . وَلِشَرْحِبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ الْأُرْدُنِّ . وَلِعَبْرَةَ بْنِ الْعَاصِ وَلِعَلْفَةَ بْنَ
 مِحْصَانَ فَلِسْطِينَ . فَلَمَّا فَرَعَا مِنْهَا نَزَلَ عِلْفَةَ وَسَارَ إِلَى مِصْرَ . فَلَمَّا شَارَفُوا
 الشَّامَ دَهَمَ كُلُّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ قَوْمٌ كَثِيرٌ فَاجْتَمَعَ رَأْسُهُمْ عَلَى أَنْ يَجْتَبِعُوا بِمَكَانٍ
 وَاحِدٍ وَأَنْ يَلْقُوا جَمْعَ الرُّومِ بِجَمْعِ الْمُسْلِمِينَ

مُرُورُ خَالِدٍ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ

كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى خَالِدٍ وَهُوَ بِالْحَيْرَةِ بِأَمْرٍ أَنْ يَهْدِيَ أَهْلَ الشَّامِ بَيْنَ
 مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ وَيَخْرُجَ فِيهِمْ وَيَسْتَخْلِفَ عَلَى ضَعْفَةِ النَّاسِ رَجُلًا مِنْهُمْ .

قَالَمَا آتَى خَالِدًا كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ بِذَلِكَ قَالَ خَالِدٌ: هَذَا عَمَلُ الْأَعْمَسِ ابْنِ
 أُمِّ سَمَلَةَ بَعْنِي عُمَيْرِ بْنِ الْمُخَطَّابِ حَسَدَنِي أَنْ يَكُونَ فَخُّ الْعِرَاقِ عَلَى يَدَيْ.
 فَسَارَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْقُوَّةِ مِنَ النَّاسِ وَرَدَّ الضُّعْفَاءَ وَالنِّسَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ
 وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ وَاسْتَخْلَفَ خَالِدٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ
 بِالْعِرَاقِ مِنْ رِبِيعَةَ وَعَبِيدَ بْنِ الْحَمَثِيِّ بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ. ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ
 عَلَى عَيْنِ النَّمْرِ فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِهَا فَاصَابَ مِنْهُمْ وَرَابِطًا حِصْنًا بِهَا فِيهِ مُقَاتِلَةٌ
 كَانَتْ كَسْرَةً وَضَعَهُمْ فِيهِ حَتَّى اسْتَنْزَلَهُمْ. فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ وَسَبَى مِنْ عَيْنِ
 النَّمْرِ وَمِنْ أَبْنَاءِ تِلْكَ الْمُرَابِطَةِ سَبَايَا كَثِيرَةً فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ. فَكَانَ
 مِنْ تِلْكَ السَّبَايَا أَبُو عَمْرَةَ مَوْلَى شَبَانَ وَهُوَ أَبُو عَبْدِ الْأَعْلَى ابْنُ أَبِي عَمْرَةَ
 وَعَيْنَةُ مَوْلَى الْمُعَنَّى مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي زُرَيْبٍ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى زُهْرَةَ
 وَخَيْرٌ مَوْلَى أَبِي دَاوُدَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ وَيَسَارُ
 وَهُوَ جَدُّ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ مَوْلَى قَيْسِ بْنِ مِحْزَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ
 وَأَفْلَحُ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مَلِكِ بْنِ النَّجَّارِ وَحَمْرَانُ
 بْنُ أَبَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. وَقَتَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ هِلَالَ بْنَ عُقْبَةَ بْنِ
 بَشِيرِ الْفَيْرِيِّ وَصَلَبَهُ بِعَيْنِ النَّمْرِ. ثُمَّ أَرَادَ السَّيْرَ مُفَوِّرًا مِنْ قُرَافِرَ وَهُوَ مَاءٌ
 لِكَلْبٍ إِلَى سُوَّى وَهُوَ مَاءٌ لِبَهْرَاءَ بَيْنَهُمَا خَمْسُ لَيَالٍ. فَلَمْ يَهْتِدِ خَالِدُ
 الطَّرِيقَ فَاتَمَسَّ دَلِيلًا فُدِّلَ عَلَى رَافِعِ بْنِ عَمِيْرَةَ الطَّائِيِّ فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ:
 أَنْطَلِقْ بِالنَّاسِ: فَقَالَ لَهُ رَافِعٌ: إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ بِالتَّحْمِيلِ وَالْأَثْقَالِ
 وَاللَّهِ إِنَّ الرَّكَّابَ الْمَفْرَدَ لَيَخَافُهَا عَلَى نَفْسِهِ وَمَا يَسْلُكُهَا إِلَّا مَغْرِرًا. إِنَّهَا لِحَمْسُ
 لَيَالٍ حِيَادٍ لَا يَصَابُ فِيهَا مَاءٌ مَعَ مَضَلَّتِهَا. فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: وَيَحْكُ إِنَّهُ وَاللَّهِ

إِنَّ لِي بَدْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ قَدْ أَنْبَى مِنْ الْأَمِيرِ عَزْمَةً بِذَلِكَ فَهُوَ بِأَمْرِكَ. قَالَ
 اسْتَكَثَرُوا مِنَ الْمَاءِ. مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَصُرَّ أَذُنَ نَاقَتِهِ عَلَى مَاءٍ فَلْيَفْعَلْ
 فَإِنَّهَا الْمَهَالِكُ إِلَّا مَا دَفَعَ اللَّهُ. وَالْقَبِي عِشْرِينَ جَزُورًا عِظَامًا سِيمَانًا مَشَارِفًا.
 فَأَتَاهُ بَيْنَ خَالِدٍ فَعَمِدَ إِلَيْهِ رَافِعٌ فَظَمَّهَا مِنْ حَتَّى إِذَا أَجْهَدَهُنَّ عَطَشًا
 أَوْرَدَهُنَّ فَشَرِبْنَ حَتَّى إِذَا تَمَلَّاتْ عَمِدَ إِلَيْهِنَّ فَفَطَعَ مَشَافِرَهُنَّ ثُمَّ
 كَعَمَهُنَّ لَيْلًا يَجْتَرِرْنَ. ثُمَّ أَخْلَى أَذْبَارَهُنَّ. ثُمَّ قَالَ لِخَالِدٍ سِرِّ فَسَارَ خَالِدٌ مَعَهُ
 مُغِدًّا بِالنَّحْوِ وَالْأَثْقَالِ. فَكَلَّمَهَا نَزَلَ مِنْزِلًا أَرْبَعًا مِنْ تِلْكَ الشَّوَارِفِ
 فَأَخَذَ مَا فِي أَكْرَاسِهَا فَسَقَاهُ النَّحْلَ. ثُمَّ شَرِبَ النَّاسُ مَا حَمَلُوا مَعَهُمْ مِنَ
 الْمَاءِ. فَلَمَّا خَشِيَ خَالِدٌ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الْمَفَازَةِ قَالَ لِرَافِعِ
 بِنِ عَمِيْرَةَ وَهُوَ أَرْمَدٌ: وَيْحَكَ يَا رَافِعُ مَا عِنْدَكَ: قَالَ أَذْرَكْتُ الرَّبَّ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْعُلَمِيِّينَ قَالَ لِلنَّاسِ: أَنْظِرُوا هَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ
 عَوْسَجٍ كَفَعَدَةِ الرَّجُلِ: فَقَالُوا مَا نَرَاهَا: فَقَالَ: إِنْ أَلَّيْتُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
 هَلَكْتُمْ وَاللَّهِ إِذَا وَهَلَكْتُ. أَنْظِرُوا. فَطَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا فُطِعتُ وَبَقِيَتْ مِنْهَا
 بَقِيَّةٌ. فَلَمَّا رَأَاهَا الْمُسْلِمُونَ كَبَرُوا وَكَبَّرَ رَافِعُ بْنُ عَمِيْرَةَ ثُمَّ قَالَ: أَحْفِرُوا
 فِي أَصْلِهَا: فَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عَيْنًا فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَى النَّاسُ فَأَنْصَلَتْ بَعْدَ
 ذَلِكَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَنَازِلُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا وَرَدَتْ هَذَا الْمَاءَ قَطُّ
 إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً وَرَدَتْهُ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ. فَقَالَ شَاعِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 اللَّهُ عَيْنَ رَافِعٍ أَنِّي أَهْتَدِي فَوْزَ مِنْ قُرَاقِيرٍ إِلَى سُوَيْ
 خِمْسًا إِذَا مَا سَارَهُ النَّجِشُ بَغِي مَا سَارَهَا قَبْلَكَ إِنْ سِي بَرِي
 فَلَمَّا أَنْهَى خَالِدٌ إِلَى سُوَيْ أَغَارَ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ بِهَرَاءَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَنَاسٌ

مِنْهُمْ بَشْرُ بْنُ خَمْرَاهُمْ فِي جَفْنَةٍ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَيْهَا وَمَعْنِيهِمْ يَقُولُ
 أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَائِيَنَا قَرِيبٌ وَمَا نَذَرِي
 أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرَّرَا عَلَيَّ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
 أَلَا عَلَّلَانِي مِنْ سُلَاقَةِ فِهْرَةٍ نُسَلَى هُمُومَ النَّفْسِ مِنْ جِيدِ الْحَمْرِ
 أَظُنُّ خُبُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا سَطَرُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبَشْرِ
 فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ فِتْنَاهُمْ وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمَعْصِرَاتِ مِنَ الْخَيْدِ
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَعْنِيهِمْ ذَلِكَ قَتِلَ تَحْتَ الْعَارَةِ فَسَالَ دَمُهُ
 فِي تِلْكَ الْجَفْنَةِ . ثُمَّ سَارَ عَلَى وَجْهِهِ ذَلِكَ حَتَّى أَغَارَ عَلَى غَسَّانَ بِهَرَجِ رَاهِطٍ
 ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى قِتَاةَ بَصْرَى وَعَلَيْهَا أَبُو عَيْنَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَشُرْحَيْلُ
 بْنُ حَسَنَةَ وَبَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا فَرَابَطُوا حَتَّى صَاخَتْ
 بَصْرَةَ عَلَى الْحِزْبِيَّةِ وَفَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَكَانَتْ أَوَّلَ مَدِينَةٍ مِنْ
 مَدَائِنِ الشَّامِ فَتَحَتْ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ

مَعْرَكَةُ أَجْنَادِ بْنِ

ثُمَّ سَارُوا جَمِيعًا إِلَى فِلَسْطِينَ مَدَدًا الْعَبْرِيُّ بْنُ الْعَاصِ وَعَمْرُو مَقِيمٌ
 بِالْعَرَبَاتِ مِنْ غَوْرِ فِلَسْطِينَ وَسَمِعَتْ الرُّومُ بِهِمْ فَانْكَشَفُوا عَنْ جِلْقٍ إِلَى
 أَجْنَادِ بْنِ وَعَلَيْهِمْ تَذَارِقُ أَخُو هِرْقَلٍ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ . وَأَجْنَادِ بْنِ بَلَدٌ بَيْنَ الرَّمْلَةِ
 وَبَيْتِ حَبْرِينَ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ . وَسَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حِينَ سَمِعَ بِأَبِي
 عَيْنَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَشُرْحَيْلِ بْنِ حَسَنَةَ وَبَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ حَتَّى لَقِيَهُمْ
 فَاجْتَمَعُوا بِأَجْنَادِ بْنِ حَتَّى عَسَكُوا عَلَيْهِمْ
 حَدَّثَنَا أَبُو حَمِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ

بن جعفر يعني ابن الزبير عن عروة بن الزبير أنه قال: كان على الروم
 رجل منهم يقال له الفنقلار كان هرقل استخلفهم واستخلفه على أمر الشام
 حين سار إلى القسطنطينية وإليه أنصرف تدارق يهن معه من الروم.
 فأما علماء الشام فيزعمون أنما كان على الروم تدارق والله أعلم.
 حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر
 بن الزبير عن عروة قال: لما تدارقني العسكران بعث الفنقلار رجلاً غريباً
 فقال فحدثت أن ذلك الرجل رجل من فضاعة من يزيد بن حيدان
 يقال له ابن هزارق فقال: أدخل في هؤلاء القوم وأقم فيهم يوماً وليلة
 ثم أتيني بخبرهم. قال فدخل في الناس رجل عري لا ينكر وأقام فيهم
 يوماً وليلة ثم أتاه فقال: ما وراءك. قال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان
 ولو سرق ابن ملكهم قطعت يده ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم. قال
 الفنقلار: لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على
 ظهورها ولو ددت أن حظي من الله أن يجلي بيني وبينهم فلا ينصروني عليهم
 ولا ينصروهم علي. قال: ثم تزاحف الناس فاقفوا. فلما رأى الفنقلار ما
 رأى من قتال المسلمين قال للروم لئن رأيت في الدنيا أشد من هذا اليوم. قال:
 يوم اليبس لا أحب أن أراه فأرأيت في الدنيا أشد من هذا اليوم. قال:
 فاحتز المسلمون رأسه وإنه لهلف. وكانت وقعة أجنادين في سنة ثلث
 عشر للبتين بقتنا من جمادى الأولى وقتل يومئذ من المسلمين
 جماعة منهم سلمة بن هشام بن المغيرة وهبار بن الأسود بن عبد الأسد
 ونعيم بن عبد الله التمام وهشام بن العاص بن وائل وجماعة آخر من

فُرَيْشٍ . قَالَ : وَلَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدًا أُصِيبَ بِهَا . وَفِيهَا تُورِي
أَبُو بَكْرٍ لِثَمَانٍ لَيَالٍ يَفِينَ أَوْ سَبْعَ يَفِينٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ
فِي أَفْتِنَاحِ دِمَشْقَ

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْبٍ عَنْ أَبِي عُمَرَ عَنْ خَالِدٍ وَأَبِي عُبَادَةَ
قَالَا : وَلَمَّا جَاءَ عُمَرُ الْكِتَابُ تَنَزَّ أَبُو عِيْنَةَ بِالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ بِهِ
كَتَبَ إِلَيْهِ . أَمَا بَعْدُ فَأَبْدُوا بِدِمَشْقَ وَأَنْهَدُوا فَإِنَّهَا حِصْنُ الشَّامِ وَبَيْتُ
مَمْلَكَتِهِمْ وَأَشْغَلُوا عَنْكُمْ أَهْلَ فَحْلٍ بِخَيْلٍ تَكُونُ بِيَارِ أَعْيُنِهِمْ فِي حُورِهِمْ . وَأَهْلَ
فَلَسْطِينَ وَأَهْلَ حِمَصَ . فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ قَبْلَ دِمَشْقَ فَذَلِكَ الَّذِي يَجِبُ وَإِنْ
تَأَخَّرَ فَتَحَهَا حَتَّى يَفْعَ اللَّهُ دِمَشْقَ فَلْيَنْزِلْ بِدِمَشْقَ مَنْ يَسِيكُ بِهَا وَدَعُوهَا
وَأَنْطَلِقِ أَنْتَ وَسَائِرُ الْأُمَرَاءِ حَتَّى تُغَيِّرُوا عَلَى فَعْلِ . فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَأَنْصَرِفِ أَنْتَ وَخَالِدٌ إِلَى حِمَصَ وَدَعِ شُرْحَيْلَ وَعَمْرًا وَخَلِيهَا بِالْأَرْضَيْنِ
وَفَلَسْطِينَ . وَأَمِيرُ كُلِّ بَلَدٍ وَجُنْدٍ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ إِمَارَتِهِمْ .
فَسَرَحَ أَبُو عِيْنَةَ إِلَى فَحْلٍ أَحَدَ عَشَرَ فُوَادًا أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيِّ وَعَبْدَ
الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَامِرِ الْحَرَشِيِّ وَعَامِرَ بْنَ حَمْتَةَ وَعَمَرَ بْنَ كَلْبِ بْنِ
بِحْصَبَ وَعُمَارَةَ بْنَ الصَّعِقِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ وَصِيْفِيِّ بْنِ عَلِيَّةَ بْنِ شَامِلٍ . وَعَمَرَ
بْنَ فُلَانٍ وَالْحَبِيبَ بْنَ عَمْرٍو وَرَبْلَةَ بْنَ عَامِرِ بْنِ خَثْعَمَةَ وَبِشْرَ بْنَ عِصْمَةَ
وَعُمَارَةَ بْنَ مُخَشِيٍّ قَائِدَ النَّاسِ . وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ فُوَادٌ وَكَانَتِ الرُّؤُوسَاءُ
تَكُونُ مِنَ الصَّحَابَةِ حَتَّى لَا يَجِدُوا مَنْ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ . فَسَارُوا مِنَ الصُّفْرِ
حَتَّى نَزَلُوا قَرِيْبًا مِنْ فَحْلٍ . فَلَمَّا رَأَتْ الرُّومُ أَنَّ الْجُنُودَ تُرِيدُهُمْ بَثَقُوا إِلَيْهَا
حَوْلَ فَحْلٍ فَأَرْدَعَتْ الْأَرْضُ ثُمَّ وَحَلَّتْ وَأَغْتَمَّ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ

فَحَسْبُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَكَانَ أَوَّلَ مُحْصَرٍ بِالسَّلَامِ
أَهْلُ فِجَلٍ ثُمَّ أَهْلُ دِمَشْقَ

وَبِعَثُوا الْأَمْرَاءَ وَبَعَثَ أَبُو عَيْنَةَ ذَا الْكَلَاعِ حَتَّى كَانَ بَيْنَ دِمَشْقَ

وَحِمَصَ رِذَاءً. وَبَعَثَ عَلْقَمَةَ بْنَ حَكِيمٍ وَمَسْرُوقًا وَكَانَا بَيْنَ دِمَشْقَ

وَفِلَسْطِينَ وَالْأَمِيرَ بَزِيدَ فَفَصَلَ وَفَصَلَ بِأَبِي عَيْنَةَ مِنَ الْمَرْجِ وَقَدِمَ

خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَلَى مُجَنَّبَتَيْهِ عَمْرُو وَابْنُ عُبَيْدَةَ. وَعَلَى الْحَبْلِ عِيَّاضٌ وَعَلَى

الرَّجْلِ شُرْحَيْبِيلُ. فَقَدِمُوا عَلَى دِمَشْقَ وَعَلَيْهِمْ نَسْطَاسُ بْنُ نِسْطُوسَ فَحَصَرُوا

أَهْلَ دِمَشْقَ وَنَزَلُوا حَوْلَهَا. فَكَانَ أَبُو عَيْنَةَ عَلَى نَاحِيَةٍ وَعَمْرُو عَلَى نَاحِيَةٍ

وَبَزِيدُ عَلَى نَاحِيَةٍ وَهَرَقْلُ يَوْمَئِذٍ بِحِمَصَ وَمَدِينَةَ حِمَصَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ.

فَحَاصَرُوا أَهْلَ دِمَشْقَ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ لَيْلَةً حِصَارًا شَدِيدًا بِالزُّخُوفِ

وَالنَّرَامِيِّ وَالْمَجَانِيْقِ وَهُمْ مُعْتَصِمُونَ بِالْمَدِينَةِ بِرَجُونَ الْغِيَاثِ وَهَرَقْلُ مِنْهُمْ

قَرِيبٌ. وَقَدِ اسْتَمَدُّوهُ وَخُو الْكَلَاعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ حِمَصَ عَلَى رَأْسِ

لَيْلَةٍ مِنْ دِمَشْقَ كَأَنَّهُ بَرِيدُ حِمَصَ وَجَاءَتْ خُبُولُ هَرَقْلَ مُعِيْنَةً لِأَهْلِ دِمَشْقَ

فَأَشْجَنَهَا الْحُبُولُ الَّتِي مَعَ ذِي الْكَلَاعِ وَشَغَلْنَهَا عَنِ النَّاسِ. فَارْزَوْا وَنَزَلُوا

بِإِزَائِهِ وَأَهْلُ دِمَشْقَ عَلَى حَالِهِمْ. فَلَمَّا آيَنَ أَهْلُ دِمَشْقَ أَنَّ الْأَمْدَادَ

لَا يَبْصُلُ إِلَيْهِمْ فَشَلُّوا وَمَهَنُوا وَابْتَسَوْا وَازْدَادَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ طَمَعًا. وَقَدْ

كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا كَالْغَازِيَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ إِذَا هَجَمَ الْبَرْدُ فَقَالَ النَّاسُ فَسَقَطَ

النَّجْمُ وَالْقَوْمُ مُقِيمُونَ

فَعِنْدَ ذَلِكَ انْقَطَعَ رِجَالُهُمْ وَنَدِمُوا عَلَى دُخُولِ دِمَشْقَ وَوَلِدَ لِلْبَطْرِيْقِ

الَّذِي عَلَى أَهْلِ دِمَشْقَ مَوْلُودٌ فَصَنَعَ عَلَيْهِ فَكَّلَ الْقَوْمُ وَشَرِبُوا وَعَدَلُوا عَنْ

موافقهم ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد فإنه
 كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء. عيونه ذاكبة وهو
 معني بها بليبه. قد اتخذ جبلا كهية السلايم وأوهاقا. فلما أمسى من
 ذلك اليوم نهض ومن معه من جنده الذين قدِم بهم عليهم وتقدم هو
 والنقعاع بن عمرو ومدعور بن عدي وأمثلة من أصحابه في أول يوميه
 وقالوا: إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا وأنهدوا إلى الباب:
 فلما انتهى إلى الباب الذي بليبه هو وأصحابه المتقدمون رموا بالحبال
 الشرف وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها خندقهم. فلما ثبت لهم وهقان
 تسلق فيها النقعاع ومدعور. ثم لم يدعأ حبله إلا ثبتاها والوهاق
 بالشرف. وكان المكان الذي أفتحوا منه حصن مكان يمحيط بدمشق
 أكثر ماء وأشده مدخلا وتوافقوا لذلك فلم يبق ممن دخل معه إلا
 رقي أو دنا من الباب حتى إذا استوا على السور حذر عامة أصحابه وأحذر
 معهم وخلف من يحيي ذلك المكان لمن يرتقي. وأمرهم بالتكبير فكبر
 الذين على رأس السور. فنهذ المسلمون إلى الباب ومال إلى الجبال
 بشر كثير فوثبوا فيها وأنهى خالد إلى من يليه فأنامهم وأحذر إلى
 الباب فقتلوا البوابين ونار أهل المدينة وفرغ سائر الناس. فأخذوا
 موافقهم ولا يدرون ما الشأن وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم. وقطع
 خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيف وفتحوا للمسلمين
 وأقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقي ما يلي باب خالد مقاتل إلا أنهم
 ولما شد خالد على من يليه وبلغ منهم الذي أراد عنوة وأرز من

أَفَلَتَ إِلَى الْأَبْوَابِ الَّتِي تَلِي غَيْرَهُ . وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ دَعَوْهُمْ إِلَى
 الْمَنَاطِرِ فَأَبَوْا وَاتَّعَدُوا فَلَمْ تَنجَاهُمْ إِلَّا وَهُمْ يَبُوحُونَ لَهُمْ بِالضُّلْحِ . فَأَجَابُوهُمْ
 وَقَبِلُوا مِنْهُمْ وَفَتَحُوا لَهُمُ الْأَبْوَابَ وَقَالُوا : أَدْخُلُوا فَاذْهَبُوا مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ
 الْبَابِ : وَدَخَلَ أَهْلُ كُلِّ بَابٍ بِضُلْحٍ مِنْ بَيْلِهِمْ وَدَخَلَ خَالِدٌ مِمَّا يَلِيهِ عَنُودٌ .
 فَأَتَنَى خَالِدٌ وَالْقَوَادُ فِي وَسْطِهَا هَذَا اسْتِعْرَاضًا وَأَنْتَهَبَا وَهَذَا ضُحًا وَتَسْكِينًا
 فَأَجْرُوا نَاحِيَةَ خَالِدٍ مُجْرَى الضُّلْحِ . فَصَارَ ضُحٌ وَكَانَ ضُحٌ دِمَشْقَ عَلَى
 مِقَاسِمَةِ الدِّينَارِ وَالْعُقَارِ وَدِينَارٍ عَلَى كُلِّ رَأْسٍ . فَأَتَسَمَّوُا الْأَسْلَابَ
 فَكَانَ أَصْحَابُ خَالِدٍ فِيهَا كَأَصْحَابِ سَائِرِ الْقَوَادِ وَجَرَى عَلَى الدِّينَارِ مِنْ بَيْتِي
 فِي الضُّلْحِ جَرِيبٌ مِنْ كُلِّ جَرِيبٍ أَرْضٍ وَوَقَفَ مَا كَانَ لِلْمَلُوكِ وَمَنْ
 صَوَّبَ مَعَهُمْ فَيَتَأَوَّقُوا لِيَذِي الْكَلَاعِ وَمَنْ مَعَهُ وَلِيَّي الْأَعْمُورِ وَمَنْ مَعَهُ
 وَرِيشِيرٍ وَمَنْ مَعَهُ وَبَعَثُوا بِالْإِشَارَةِ إِلَى عُمَرُ

فِي افْتِنَاجِ بِلَادِ فَارِسَ

وَقَعَةُ الْفَرَفِيسِ

وَقَعَةُ الْفَرَفِيسِ وَيُقَالُ لَهَا الْفُسُّ فَسُّ النَّاطِقِ وَيُقَالُ لَهَا الْخِجْسُ وَيُقَالُ لَهَا
 الْمَرْوَحَةُ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ
 شُعَيْبٍ عَنِ سَيْفٍ عَنِ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بِإِسْنَادِهِمْ قَالُوا : وَلَمَّا رَجَعَ
 الْجَالِنُوسُ إِلَى رُسْتَمٍ وَمَنْ أَفَلَتَ مِنْ جُنُودِهِ قَالَ رُسْتَمٌ : أَبِئْسَ الْعَجْمِ أَشَدُّ
 عَلَى الْعَرَبِ فِيمَا تُرُونَ : قَالُوا : بَهْمَنْ جَادُوِيهِ . فَوَجَّهَهُ وَمَعَهُ فَيْلُهُ وَرَدَّ
 الْجَالِنُوسَ مَعَهُ : فَقَالَ لَهُ : قَدِيمُ الْجَالِنُوسِ فَإِنْ عَادَ لِيَهْلِكُهَا فَأَضْرِبْ عَنْقَهُ .
 فَأَقْبَلَ بَهْمَنْ جَادُوِيهِ وَمَعَهُ دِرْفَسُ كَايَانَ رَايَةَ كِسْرَى وَكَانَتْ مِنْ

جُلُودِ الثَّمْرِ عَرَضَ ثَمَانِي أذْرُعٍ فِي طُولِ اثْنَيْ عَشْرَةَ ذِرَاعًا. فَأَقْبَلَ أَبُو
 عَيْدٍ حَتَّى نَزَلَ الْمَرْوَحَةَ مَعَ الْبُرُوجِ وَالْعَاقُولِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهِمْ جَادُويَةً.
 إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَنَدْعَكُمْ وَالْعُبُورَ. وَإِمَّا أَنْ تَدْعُونَا نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ: فَقَالَ
 النَّاسُ: لَا تَعْبُرْ يَا أَبَا عَيْدٍ إِنَّا نَنْهَاكَ عَنِ الْعُبُورِ. قَالُوا لَهُ: قُلْ لِمَ فَلْيَعْبُرُوا
 وَكَانَ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ سَلِيطٌ. فَلَجَّ أَبُو عَيْدٍ وَتَرَكَ الرَّأْيَ وَقَالَ:
 لَا يَكُونُوا أَجْرًا عَلَى الْمَوْتِ مِنَّا بَلْ تَعْبُرُوا إِلَيْهِمْ. فَعَبَرُوا إِلَيْهِمْ فِي مَنْزِلِ ضَيْقِ
 الْمَطَرِ وَالْمَذْهَبِ فَأَقْتَنَلُوا يَوْمًا وَأَبُو عَيْدٍ فِيهَا بَيْنَ السِّتَةِ وَالْعَشْرِ حَتَّى
 إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ وَأَسْتَبْطَأَ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ الْفَتْحَ وَأَلْفَ بَيْنَ النَّاسِ
 تَصَافَحُوا بِالسُّيُوفِ

فَعَبَرُوا إِلَيْهِمْ وَعَضَلَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَأَلَمَ النَّاسُ الْحَرْبَ. فَلَمَّا
 نَظَرَتْ أَحْبُولُ إِلَى الْفَيْلَةِ عَلَيْهَا الشَّجْلُ وَالْحَيْلُ عَلَيْهَا التَّجَافِيفُ وَالْفُرْسَانُ
 عَلَيْهِمُ الشَّعْرُ رَأَتْ شَيْئًا مُنْكَرًا لَمْ تَكُنْ تَرَى مِثْلَهُ. فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا
 حَمَلُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يُقَدِّمُوا خَيْلَهُمْ. فَإِذَا حَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْفَيْلَةِ وَالْجَلَاجِلِ
 فَفَرَّقَتْ بَيْنَ كَرَادِيْسِهِمْ لَا تُقَوْمُ لَهَا الْحَيْلُ إِلَّا عَلَى نِفَارٍ وَخَرَقَتْهُمُ الْفُرْسُ
 بِالنُّشَابِ وَعَضَّ الْمُسْلِمِينَ الْأَلْمُ وَجَعَلُوا لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِمْ. فَتَرَجَّلَ
 أَبُو عَيْدٍ وَتَرَجَّلَ النَّاسُ. ثُمَّ مَشَوْا إِلَيْهِمْ فَصَافَحُوهُمْ بِالسُّيُوفِ. فَجَعَلَتْ
 الْفَيْلَةُ لَا تَحْمِلُ عَلَى جَاعَةٍ إِلَّا دَفَعَتْهُمْ. فَنَادَى أَبُو عَيْدٍ: أَخْتَرِشُوا الْفَيْلَةَ
 وَقَطَّعُوا بَطْنَهَا وَأَقْلَبُوا عَنْهَا أَهْلَهَا: وَوَأْتَبَ هُوَ الْفَيْلَ الْأَبْيَضَ. فَتَعَلَّقَ
 بِيْطَانِهِ فَقَطَّعَهُ وَقَطَّعَ الَّذِينَ عَلَيْهِ وَقَعَلَ الْقَوْمُ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَتَرَ كُوفِيًّا إِلَّا
 حَطُوا أَهْلَهُ وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ فَأَهْوَسَ الْفَيْلُ لِأَبِي عَيْدٍ فَفَنَعَجَ مِشْفَرُهُ بِالسُّيُوفِ

فَأَنقَاهُ الْفِيلُ بِيَدِهِ فَوَقَعَ فَخَبَطَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ النَّاسُ تَحَتَّ
 الْفِيلُ خَشَعَتْ أَنْفُسُهُمْ وَأَخَذَ اللَّوَاءُ الَّذِي كَانَ أَمْرُهُ بَعْدَهُ فَقَاتَلَ الْفِيلَ
 حَتَّى نَحَى عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ فَأَجْتَرَهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَحْرَزُوا وَسَلُّوهُ وَبَجَرَ
 ثُمَّ الْفِيلُ بِيَدِهِ ذَاتَ أَبِي عُبَيْدٍ وَخَبَطَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ وَتَبَاعَ سَبْعَةٌ مِنْ
 ثَقِيفٍ كُلُّهُمْ يَأْخُذُ اللَّوَاءَ وَيَقَاتِلُ حَتَّى يَمُوتَ . ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءُ الْمُهَنْتِي وَهَرَبَ
 النَّاسُ

فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَدٍ الثَّقَفِي مَا لَقِيَ أَبُو عُبَيْدٍ وَخَلْفَاؤُهُ وَمَا بَصَعَ
 النَّاسُ بِأَدْرَهُمُ الْجِسْرَ فَقَطَعَهُ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ مُوتُوا عَلَيَّ مَا مَاتَ عَلَيْهِ
 أُمْرَاؤُكُمْ أَوْ تَظْفَرُوا وَأَجَارَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجِسْرِ وَجَشِعَ نَاسٌ
 فَتَوَاثَبُوا فِي الْفُرَاتِ فَغَرِقَ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ وَأَسْرَعُوا فِيهِمْ صَبْرًا وَحَمَى الْمُهَنْتِي
 وَفُرْسَانٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ النَّاسَ وَنَادَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا ذُونَكُمْ فَأَعْبَرُوا
 عَلَى هَيْبَتِكُمْ وَلَا تَدْهَشُوا فَإِنَّا لَنْ نُزَايِلَ حَتَّى نَرَاكُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ وَلَا
 نَغْرِقُوا أَنْفُسَكُمْ : فَوَجَدُوا الْجِسْرَ وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَدٍ قَائِمٌ عَلَيْهِ يَمْنَعُ النَّاسَ
 مِنَ الْعُبُورِ . فَأَتَوَاهُ الْمُهَنْتِيُّ فَضْرَبَهُ وَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ : قَالَ
 لِيَقَاتِلُوا . وَنَادَى مِنْ عَبْرٍ . فَجَاؤُوا يُعْلُوجُ فَضَمُّوا إِلَى السَّفِينَةِ الَّتِي قَطَعُوا
 سَفَائِنَهَا وَعَبَرَ النَّاسُ . وَكَانَ آخِرَ مَنْ قُتِلَ عِنْدَ الْجِسْرِ سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ وَعَبَرَ
 الْمُهَنْتِيُّ وَحَمَى جَانِبَهُ فَأَضْطَرَبَ عَسْكَرُهُ وَرَأَاهُمْ ذُو الْحَاجِبِ فَلَمْ يَقْدِرْ
 عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا عَبَرَ الْمُهَنْتِيُّ وَحَمَى جَانِبَهُ أَرَفَضَ عَنْهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَبَقِيَ الْمُهَنْتِيُّ فِي
 فَلَيْهِ . كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي عُمَيْرٍ
 النَّهْدِيِّ قَالَ : هَلَكَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةُ أُلُوفٍ وَهَرَبَ أَلْفَانٍ وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ أُلُوفٍ

وَقَعَةُ الْبُؤَيْبِ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيَّةِ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ
 بِإِسْنَادِهِمْ قَالُوا: وَبِعَثَ الْهَثْنِيُّ بَعْدَ الْحِجْرِ فِيهِمْ يَلِيهِ مِنَ الْمُهَذَلِينَ
 فَتَوَافَوْا إِلَيْهِ فِي جَمْعٍ وَبَلَغَ رُسْمُ وَالْفَيْرُزَانَ ذَلِكَ وَأَتَتْهُمُ الْعَبُودُ بِهِ وَبِهَا
 يَنْتَظِرُونَ مِنَ الْإِمْدَادِ وَاجْتَمَعَا عَلَى أَنْ يَبْعَثَا مَهْرَانَ الْهَمْدَانِيَّ حَتَّى يَرِيَا مِنْ
 رَأْيِهَا. فَخَرَجَ مَهْرَانُ فِي الْخُبُولِ وَأَمْرَأُوهُ بِالْحَبِيرَةِ وَبَلَغَ الْهَثْنِيُّ الْخَبَرَ وَهُوَ
 مُعْسِكِرٌ بِهَرَجِ السَّبَاخِ بَيْنَ الْقَادِسِيَّةِ وَخَفَانَ فِي الَّذِينَ أَمَدُوهُ مِنَ
 الْعَرَبِ عَنْ خَبَرِ بَشِيرٍ وَكِنَانَةَ وَبَشِيرٌ يَوْمَئِذٍ بِالْحَبِيرَةِ. فَاسْتَبْطَنَ فِرَاتَ
 بَادِقِيٍّ وَأَرْسَلَ إِلَى جَرِيرٍ وَمَنْ مَعَهُ إِنَّا جَاءَنَا أَمْرٌ لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهُ الْفِيَامَ حَتَّى
 نَقْدُمُوا عَلَيْكَ فَعَجَلُوا اللَّحَاقَ بِنَا وَمَوْعِدُكُمْ الْبُؤَيْبُ وَكَانَ جَرِيرٌ مُهَذَلًا لَهُ.
 وَكَتَبَ إِلَى عِصْمَةَ وَمَنْ مَعَهُ وَكَانَ مُهَذَلًا لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَإِلَى كُلِّ قَائِدٍ أَظْلَهُ
 بِمِثْلِ ذَلِكَ وَخَدُّوا عَلَى الْجَوْفِ. فَسَلَكُوا عَلَى الْقَادِسِيَّةِ وَالْجَوْفِ وَمَنْ
 سَلَكَ مَعَهُ طَرِيقَهُ فَأَتَتْهُوَ إِلَى الْهَثْنِيِّ وَهُوَ عَلَى الْبُؤَيْبِ جَاءَ بِلِي مَوْضِعِ الْكُوفَةِ
 الْيَوْمَ وَعَلَيْهِمُ الْهَثْنِيُّ وَهُوَ بِإِزَاءِ مَهْرَانَ وَعَسْكَرِهِ. فَقَالَ الْهَثْنِيُّ لِرَجُلٍ مِنْ
 أَهْلِ السَّوَادِ. مَا يَقَالُ لِلرُّقْعَةِ الَّتِي فِيهَا مَهْرَانَ وَعَسْكَرُهُ: قَالَ بُسُوبًا. فَقَالَ
 أَكْدَى مَهْرَانَ وَهَلَكَ عَسْكَرُهُ نَزَلَ مَنْزِلًا هُوَ السُّوسُ. وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى
 كَاتَبَهُ مَهْرَانُ إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ. فَقَالَ الْهَثْنِيُّ: أَعْبُرُوا
 فَعَبَرَ مَهْرَانُ فَتَدَلَّ عَلَى شَاطِئِ الْفِرَاتِ مَعَهُمْ فِي الْهَلْطَاطِطِ. فَقَالَ الْهَثْنِيُّ:
 كَذَلِكَ لِلرَّجُلِ. مَا يَقَالُ لِهَذِهِ الرُّقْعَةِ الَّتِي نَزَلَهَا مَهْرَانُ وَأَصْحَابُهُ وَعَسْكَرُهُ
 قَالَ سُوبِيًا. وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ. فَتَدَايَ فِي النَّاسِ أَنْهَدُوا لِعَدُوِّكُمْ.

فَتَنَاهَدُوا وَقَدْ كَانَ الْمَثْنَى عَمَى الْجَيْشِ. فَجَعَلَ عَلَى مَجْنِبَتَيْهِ مَدْعُورًا وَالنَّسِيرَ
 وَعَلَى الْجُرْدَةِ عَاصِمًا وَعَلَى الطَّلَاعِ عِصْمَةً وَأَصْطَفَى الْفَرِيقَانَ وَقَامَ الْمَثْنَى
 فِيهِمْ خَطِيبًا فَقَالَ: إِنَّكُمْ صَوَامٌ وَالصَّوْمُ مَرْقَةٌ وَمَضْعَفَةٌ وَإِنِّي أَرَى مِنْ الرَّأْيِ
 أَنْ تَفْطِرُوا. ثُمَّ نَقَوْا بِالطَّعَامِ عَلَى فِتَالِ عَدُوِّكُمْ: قَالُوا نَعَمْ: فَأَفْطَرُوا
 فَأَبْصَرَ رَجُلًا يَسْتَوْفِزُ وَيَسْتَنْتِلُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ: مَا بَالُ هَذَا: فَقَالُوا:
 مِمَّنْ فَرَّ مِنَ الرَّحْفِ يَوْمَ الْحَسْرِ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَقْتِلَ فَرَعَهُ بِالرُّمْحِ وَقَالَ:
 لَا أَبَا لَكَ الزَّمْ مَوْفِقَكَ فَإِذَا أَتَاكَ فِرْنُكَ فَأَغْنِهِ عَنْ صَاحِبِكَ وَلَا
 تَسْتَقْتِلْ. قَالَ: إِنِّي بِذَلِكَ لَجْدِيرٌ فَاسْتَفَرَّ وَلَزِمَ الصَّفَّ. كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ
 عَنْ شُعَيْبٍ عَنِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ مِنْهُ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْصِنٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ
 النَّجْمَ لَهَا إِذِنْ لَمْ فِي الْعُبُورِ نَزَلُوا سُومِيًا مَوْضِعَ دَارِ الرَّزْقِ. فَتَعَبُوا لَهَا
 جَاؤُوا هُنَالِكَ. فَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي صُفُوفٍ ثَلَاثَةٍ مَعَ كُلِّ صَفٍ
 فِئِلٌ وَرَجُلٌ أَمَامَ فِئِلِهِمْ وَجَاؤُوا لَمْ زَجَلٌ. فَقَالَ الْمَثْنَى لِلْمُسْلِمِينَ: الَّذِي
 تَسْمَعُونَ فَشَرُّ فَالزُّمُوا الصَّمْتَ وَانْتَهَرُوا بَيْنَكُمْ هِمْسًا. فَدَا تَوَامِنَ الْمُسْلِمِينَ
 وَجَاؤُوا مِنْ قِبَلِ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ نَحْوَ مَوْضِعِ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمِ الْيَوْمِ. فَلَمَّا
 دَنَاوَزَحَفُوا وَصَفَّ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمِ الْيَوْمِ وَمَا وَرَاءَهُ

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنِ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ قَالَا نُو كَانَ عَلَى مَجْنِبَتَيْ
 الْمَثْنَى بَشِيرٌ وَبَشْرُ بْنُ أَبِي رَهْمٍ وَعَلَى جُرْدَتَيْهِ الْمَعْنَى وَعَلَى الرَّجْلِ مَسْعُودٌ
 وَعَلَى الطَّلَاعِ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ النَّسِيرُ وَعَلَى الرَّدِّ مَدْعُورٌ وَكَانَ عَلَى
 مَجْنِبَتَيْ مَهْرَانَ بْنِ الْأَرَاذِيِّ مَرْزَبَانُ الْحَبِيعِ وَمَرْدَانِشَاهُ. وَلَهَا خَرَجَ

الْمُهَنِّي طَافَ فِي صُفُوفِهِ بَعْدَ الْعَهْدِ الْبَيْتِ عَهْدَهُ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ الشَّمُوسِ وَكَانَ
يُدْعَى الشَّمُوسَ مِنْ لَيْلٍ عَرَبِيَّتِهِ وَلِهَآرَتِهِ . فَكَانَ إِذَا رَكِبَهُ قَاتِلٌ وَكَانَ
لَا يَرَكِبُهُ إِلَّا لِغِتَالِ يَوْمِهِ مَا لَمْ يَكُنْ قِتَالًا . فَوَقَفَ عَلَى الرَّايَاتِ رَايَةَ
رَايَةَ بَحْضِضِهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِأَمْرِهِ وَيَهْزُهُمْ بِمَا فِيهِمْ تَحْضِضًا لَهُمْ وَلِكَلِمِهِمْ يَقُولُ :
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تُوْتَى الْعَرَبُ مِنْ قَبْلِكُمْ الْيَوْمَ . وَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي الْيَوْمَ لِنَفْسِي
شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَسُرُّنِي لِعَامَتِكُمْ . فَيُحِبُّونَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَأَنْصَفَهُمُ الْمُهَنِّي فِي
الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَخَلَطَ النَّاسَ فِي الْمَكْرُوهِ وَالْمَحْبُوبِ . فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ
مِنْهُمْ أَنْ يُعِيبَ لَهُ قَوْلًا وَلَا عَمَلًا . ثُمَّ قَالَ : إِنِّي مُكَبِّرٌ ثَلَاثًا فَتَهَيَّؤُوا ثُمَّ أَجْمِلُوا
مَعَ الرَّابِعَةِ : فَلَمَّا كَبَّرَ أَوَّلَ تَكْبِيرِهِ رَكَدَتْ خَيْلُهُمْ وَحَرَّبَهُمْ مَلِيًّا . فَلَمَّا رَأَى
الْمُهَنِّي خَلَا فِي بَعْضِ صُفُوفِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا وَقَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ
يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَقُولُ : لَا تَفْضَحُوا الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ : فَقَالُوا نَعَمْ : وَأَعْدَلُوا
وَجَعَلُوا قَبْلَ ذَلِكَ بَرُونَهُ وَهُوَ يَهْدُ لِحَيْتِهِ لِمَا بَرَسَ مِنْهُمْ فَأَعْنَبُوا بِأَمْرِهِ لَمْ
يَجِيءْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فَرَمَقُوهُ فَرَأَوْهُ يَضْحَكُ فَرَحًا وَالْقَوْمُ بَيْنَ
عَجَلٍ وَمَا وَرَاءَهَا

فَلَمَّا طَالَ الْقِتَالُ وَاسْتَدَّ عَهْدَ الْمُهَنِّي إِلَى أَنَسِ بْنِ هِلَالٍ فَقَالَ : يَا أَنَسُ
إِنَّكَ أَمْرٌ عَرَبِيٌّ وَإِنْ لَمْ تَكُ عَلَى دِينِنَا . فَإِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ حَمَلْتُ عَلَى مِهْرَانَ
فَأَجْمِلْ مَعِي : وَقَالَ لِابْنِ ذِي السَّهْمِينَ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَجَابَهُ . فَحَمَلَ الْمُهَنِّي
عَلَى مِهْرَانَ فَزَالَهُ حَتَّى دَخَلَ فِي مَبْتَتِهِ . ثُمَّ خَالَطُوهُمْ فَأَجْمَعَ الْقُلُوبَانِ
وَأَرْتَعَ الْغُبَارُ وَالْمَجَنَّبَاتُ نَقَلُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْرُغُوا لِنَصْرِ أَمِيرِهِمْ
لَا الْهَشْرِكُونَ وَلَا الْمُسْلِمُونَ . وَأَرْتَتْ مَسْعُودٌ يَوْمَئِذٍ وَقُوَادٌ مِنْ قُوَادِ

المُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ قَالَ لَهُمْ: إِذَا رَأَيْتُمُونَا أَصْبْنَا فَلَا تَدْعُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ
فَإِنَّ أَحَدَ الْجَيْشِينَ يَنْكَشِفُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ وَأَعْنُوا غَنَاءَ مَنْ يَلِيكُمْ: وَأَوْجَعَ
قَلْبُ الْمُسْلِمِينَ فِي قَلْبِ الْمُشْرِكِينَ وَقَتَلَ غُلَامٌ مِنَ التَّغْلِبِيِّينَ نَصْرَانِيًّا
مِهْرَانَ فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ. فَجَعَلَ الْمُشْنَى سَلْبَةً لِصَاحِبِ خَيْلِهِ. وَكَذَلِكَ
إِذَا كَانَ الْمُشْرِكُ فِي خَيْلِ رَجُلٍ فَقَتَلَ وَسَلَبَ فَهُوَ لِلَّذِي هُوَ أَمِيرٌ عَلَى مَنْ
قَتَلَهُ وَكَانَ لَهُمْ قَائِدَانِ أَحَدُهُمَا جَرِيرٌ وَالْآخَرُ ابْنُ الْهُوَيْرِ فَأَقْتَسَمَا

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ عَنِ شُعَيْبٍ عَنِ سَيْفٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ
تَعْلَبَةَ قَالَ: جَلَبَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ أَفْرَاسًا. فَلَمَّا اتَّقَى الرَّحْقَانِ يَوْمَ
الْبُؤَيْبِ قَالُوا: لَا تُقَاتِلُ الْعَرَبَ مَعَ الْعَجْمِ فَأَصَابَ أَحَدُهُمْ مِهْرَانَ يَوْمَئِذٍ
وَمَهَّدَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ وَرَدَّ مُحْفَفٍ بِحُفَافٍ أَصْفَرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ هِلَالَ وَعَلَى ذَنْبِهِ
أَهْلَةٌ فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ ثُمَّ اتَّقَى فَقَالَ: أَنَا الْغُلَامُ التَّغْلِبِيُّ أَنَا قَتَلْتُ
الْمَرْزُبَانَ: فَأَتَاهُ جَرِيرٌ وَابْنُ الْهُوَيْرِ فِي قَوْمِهِمَا فَأَخَذَا بِرِجْلَيْهِ فَأَنْزَلَاهُ. كَتَبَ
إِلَى السَّرِيِّ عَنِ شُعَيْبٍ عَنِ سَيْفٍ عَنِ سَعِيدِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ أَنَّ جَرِيرًا
وَالْمُهَنْدِرَ اشْتَرَا فِيهِ فَأَخْتَصَمَا فِي سِلَاحِهِ فَتَقَضَّيَا إِلَى الْمُشْنَى. فَجَعَلَ سِلَاحَهُ
بَيْنَهُمَا وَالْمُهَنْدِرَ وَالسُّوَارِينَ بَيْنَهُمَا وَأَفْنَوْا قَلْبَ الْمُشْرِكِينَ. كَتَبَ إِلَى
السَّرِيِّ عَنِ شُعَيْبٍ عَنِ سَيْفٍ عَنِ أَبِي رَوْحٍ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَأْتِي
الْبُؤَيْبَ فَنَرَى فِيهَا بَيْنَ مَوَاضِعِ السُّكُونِ وَبَنِي سُلَيْمٍ عِظَامًا بِيضًا تَلُوحُ
مِنْ هَامِهِمْ وَلَوْصَالِهِمْ يُعْتَبَرُ بِهَا. قَالَ وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ شَهِدَهَا أَنَّهُمْ كَانُوا
يَجْزُرُونَهَا بِهَائِهِ أَلْفَ قَيْتِيلٍ مِنَ الْعَجْمِ وَمَا عُفِيَ عَلَيْهَا حَتَّى دَفَنَهَا أَذْفَانُ
الْبُؤَيْبِ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيَّةُ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ الْحَرِثِ
 قَالَ: لَهَا أَهْلَكَ اللَّهُ مَهْرَانَ اسْتَمَكَنَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْغَارَةِ عَلَى السَّوَادِ فِيمَا
 بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ دِجْلَةَ فَخَرُّوَهَا لَا يَخَافُونَ كَيْدًا وَلَا يَلْقَوْنَ فِيهِ مَا نِعَاءً. وَأَتَقَفْتُ
 مَسَاحُ الْعَجْرِ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ وَأَعْنَصُوا بِسَابِطٍ وَسَرَّهُمْ أَنْ يَتْرُكُوا مَا وَرَاءَهُ
 دِجْلَةَ. فَكَانَتْ وَقْعَةُ الْبُؤَيْبِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ قَتَلَ اللَّهُ مَهْرَانَ
 وَجَيْشَهُ وَأَفْعَمُوا جَنْبِي الْبُؤَيْبِ عِظَامًا حَتَّى اسْتَوَى وَمَا عَنَى عَلَيْهَا التُّرَابُ
 أَزْمَانَ الْفِتْنَةِ وَمَا يَثَارُ هُنَا لِكَ شَيْءٍ إِلَّا وَقَعُوا مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ. وَهُوَ مَا بَيْنَ
 السُّكُونِ وَمَرْهَبَةَ وَبَنِي سُلَيْمٍ وَكَانَ مَغِيضًا لِلْفُرَاتِ أَزْمَانَ الْأَكَا سِرِّعِ
 يَصُبُّ فِي الْجَوْفِ. وَقَالَ الْأَعْوَرُ الْعَبْدِيُّ الشَّيْءُ

هَاجَتْ لِأَعْوَرَ دَارُ الْحَيِّ إِحْنَانَا	وَاسْتَبَدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ الْفَيْسِ خَفَانَا
وَقَدَّ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ	إِذْ يَا لِحَيْلَةٍ قَتَلُ جُنْدِ مَهْرَانَا
أَزْمَانَ سَارَ الْمَثْنَى بِالْحَيُولِ لَهُمْ	فَقَتَلَ الزَّحْفَ مِنْ فُرْسٍ وَجِيْلَانَا
سَمَا لِيَهْرَانَ وَالْجَيْشِ الذِّبِ مَعَهُ	حَتَّى أَبَادَهُمْ مَثْنَى وَوَحْدَانَا



شعيب
 عن سيف
 عن عطية بن الحرث

• • •
مُحَبَّةٌ

مِنْ كِتَابِ الْفُجْرِيِّ فِي الْأَدَابِ السُّلْطَانِيَّةِ
وَالدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ
ذِكْرُ خِلَافَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ

بُويعَ بِأَخِيْلَافَةِ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَمِئَةٍ. كَانَ الرَّشِيدُ مِنْ أَفْضَلِ الْخُلَفَاءِ
وَفَصَحَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَكُرَمَائِهِمْ كَانَ يَخُجُّ سَنَةً وَيَغْزُو سَنَةً. كَذَلِكَ مَدَّةَ
خِلَافَتِهِ إِلَّا سِنِينَ قَلِيلَةً. قَالُوا: وَكَانَ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ رَكْعَةٍ. وَحَجَّ
مَاشِيًا. وَلَمْ يَخُجَّ خَلِيفَةً مَاشِيًا غَيْرُهُ. وَكَانَ إِذَا حَجَّ حَجَّ مَعَهُ مِئَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ
وَأَبْنَاءِهِمْ. وَإِذَا لَمْ يَخُجَّ أَحَدٌ تَلَمَّيْتُهُ رَجُلًا بِالنَّفَقَةِ السَّابِغَةِ. وَالْكُسُوفِ
الظَّاهِرَةِ. وَكَانَ يَتَشَبَّهُ فِي أَفْعَالِهِ بِالْمَنْصُورِ إِلَّا فِي بَدْلِ الْمَالِ. فَإِنَّهُ لَمْ يَرِ
خَلِيفَةً أَسْحَمَ مِنْهُ بِالْمَالِ. وَكَانَ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ إِحْسَانٌ مُحْسِنٍ وَلَا يُؤَخَّرُ.
وَكَانَ يُحِبُّ الشِّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ وَيَبِيلُ إِلَى أَهْلِ الْأَدَابِ وَالنِّقَمِ. وَيَكْرَهُ

أما هرون الرشيد احد الخلفاء العباسيين فقد ولد في سنة ٧٦٥ في ري من مبيدبا
وتوفي في سنة ٨٠٩ في طوس. وقد اشتهر هذا الخليفة بمهارته جيوش الملكة ايرينا في اسبا
الصغرى لما قام مقام اخيه موسى الهادي على السنة الملوكية في سنة ٧٨٦. فشق على موسى
فلاج اخيه هارون فنصد قتله. فلما رات والدتها ان لا بد من قتل احد ولديها اخذت
موت موسى على هارون الذي رفع شان دولة العباسيين الى اعلى ذرى العظمة والمجد.
ففتح الفتوحات الشهيرة في اسبا وحارب مرارا ايرينا ونيكفور الى ان اجبرها على اداء الجزية
واتسعت انصالياته حتى المغرب. ونحاه مع كارلوس الكبير ملك فرنسا. وما امتاز به
هذا الخليفة حسن التفاته الى العلوم والصنائع فازهرت في ايام دولته. فحظ العلماء والادباء
عصا الترحال عند بلاطه. غير انه كثيرا ما ابدى من التساوة المنكرة لاسما ضد البرامكة
الذين كانوا قد حازوا ملو انعامه

البراءة في الدين . وكان يُحِبُّ المديحَ لا سبَّاً من شاعرٍ فصيحٍ . ويُجِزِلُ
العطاءَ عليه

قال الأَصمعيُّ : صنع الرَّشيدُ طعاماً وزخرفَ مجالسَهُ وأحضرَ أبَا
العنابهيةَ وقالَ لَهُ : صِفْ لَنَا ما نَحْنُ فِيهِ مِنْ نعيمٍ هذِهِ الدُّنيا : فقالَ أَبُو
العنابهيةَ :

عِشْ ما بَدَأَ لَكَ سَالِهاً فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الفُصُورِ
فقالَ الرَّشيدُ : أَحسنتَ ثُمَّ ماذا : فقالَ :

يُسعى عَلَيْكَ بِها أَشْهَبَتَ لَدَى الرِّواحِ أَوِ البُكُورِ
فقالَ : حَسَنٌ ثُمَّ ماذا : فقالَ :

فإِذا النُّفُوسُ تُفَعِّعَتُ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فهُنَاكَ تَعَلَّمُ مَوْفِناً ما كُنْتَ إِلاَّ فِي غُرُورِ

فبِغَى الرَّشيدِ . فقالَ الفُضْلُ بنُ بَحيَّ : بَعَثَ إِلَيْكَ أَميرُ المُؤمِنينَ
لِيسَ بنُ فُحْرَنتَه : فقالَ الرَّشيدُ : دَعَهُ فَإِنَّهُ رَأانا فِي عَمِي فَكِرِهِ أَنْ يَزِيدَنا مِنْهُ
وَكانَ الرَّشيدُ يَتَواضَعُ لِلعُلَماءِ . قالَ أَبُو مَعُويَةَ الضَّريرُ : وَكانَ مِنْ
عُلَماءِ النَّاسِ . أَكَلْتُ مَعَ الرَّشيدِ يَوماً . فَصَبَّ عَلَيَّ يَدِي المِماءَ رَجُلٌ فقالَ
لِي : يا أبا مَعُويَةَ . أَتَدْرِي بِمَنْ صَبَّ المِماءَ عَلَيَّ يَدِكَ : فقلتُ لا يا أَميرَ
المُؤمِنينَ . قالَ أَنَا . فقلتُ : يا أَميرَ المُؤمِنينَ أَنْتَ تَفَعَّلُ هَذَا إِجْلالاً
لِلعِلْمِ . قالَ نَعَمْ

فِي أَيامِهِ خَرَجَ بَحيَّ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ حَسَنِ بنِ حَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي
طالِبٍ . شَرَحَ كَفيَّةَ اأَحْمالِ فِي ذَلِكَ

كَانَ بَيْحِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ خَافَ مَا جَرَسَ عَلَىٰ أَخُوهِ النَّفْسِ الرَّكْبَةَ
 وَابْرَاهِيمَ قَتِيلَ بَاخْمَرِي . فَمَضَىٰ إِلَى الدَّيْلَمِ . فَأَعْتَقَهُ وَفِيهِ اسْتِخْفَاقُ الْإِمَامَةِ
 وَبَابِعُوهُ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْأَمْصَارِ وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ . فَأَغْتَمَ الرَّشِيدُ
 لِذَلِكَ . وَنَدَبَ إِلَيْهِ الْفُضْلَ بْنَ بَيْحِي فِي خَمْسِينَ أَلْفًا وَوَلَّاهُ جُرْجَانَ
 وَطَبْرِسْتَانَ وَالرِّيَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ . فَتَوَجَّهَ الْفُضْلُ بِالْجُنُودِ . فَلَطَفَ بَيْحِي
 بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَحَدَّرَهُ وَخَوَّفَهُ وَرَغَّبَهُ . قَالَ بَيْحِي إِلَى الصُّلْحِ وَطَلَبَ أَمَانًا
 بِحِطِّ الرَّشِيدِ وَأَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ فِيهِ الْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَجِلَّةُ بَنِي هَاشِمٍ .
 فَأَجَابَهُ الرَّشِيدُ إِلَى ذَلِكَ وَسَرَّ بِهِ وَكَتَبَ لَهُ أَمَانًا يَلْبِغُ بِحِطِّهِ . وَشَهِدَ عَلَيْهِ
 فِيهِ الْقُضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَمَشَاحِجُ بَنِي هَاشِمٍ وَسَيَّرَ الْأَمَانَ مَعَ هَدَايَا وَنُحْفٍ .
 فَقَدِمَ بَيْحِي مَعَ الْفُضْلِ . فَلَقِيَهُ الرَّشِيدُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِكُلِّ مَا أَحَبَّ . ثُمَّ
 حَبَسَهُ عِنْدَهُ وَأَسْتَفْتَى الْفُقَهَاءَ فِي نَقْضِ الْأَمَانِ . فَمِنْهُمْ مَنْ أَفْتَى بِصِحِّهِ
 فَحَاجَهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْتَى بِبُطْلَانِهِ فَأَبْطَلَهُ . ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ظُهُورِ آيَةِ لَهُ عَظِيمَةٍ
 شَرَحُ الْآيَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي قِصَّةِ بَيْحِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

حَضَرَ رَجُلٌ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عِنْدَ الرَّشِيدِ وَسَعَى بَيْحِي وَقَالَ :
 إِنَّهُ بَعْدَ الْأَمَانِ فَعَلَ وَصَنَعَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ . فَأَخْضَرَ الرَّشِيدُ
 مِنْ مَحَبَّتِهِ وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزُّبَيْرِيِّ . وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْكَرَ . فَوَاقَفَهُ
 الزُّبَيْرِيُّ فَقَالَ لَهُ بَيْحِي : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَحْلِفْ : فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ : وَاللَّهِ
 الطَّالِبِ الْغَالِبِ وَأَرَادَ أَنْ يَتِمُّ الْبَيِّنَاتُ : فَقَالَ لَهُ بَيْحِي : دَعِ هَذِهِ الْبَيِّنَاتِ
 فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحْبَبَكَ الْعَبْدُ لَمْ يُعْمَلْ عَفْوَتَهُ . وَلَكِنْ أَحْلِفْ لِي بَيِّنَاتِ
 الْبَرَاءَةِ . وَهِيَ بَيِّنَاتُ عَظْمَى صُورَتَيْهَا أَنْ يَقُولَ عَنْ نَفْسِهِ : بَرِيٌّ مِنْ حَوْلِ

اللَّهُ وَقُوَّتِهِ . وَدَخَلَ فِي حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهَا إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا : فَلَمَّا سَمِعَ
 الزُّبَيْرِيُّ هَذِهِ الْيَمِينَ ارْتَاعَ لَهَا وَقَالَ : مَا هَذِهِ الْيَمِينُ الْغَرِيبَةُ وَأَمْتَنَعَ مِنْ
 الْحَلْفِ بِهَا : فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : مَا مَعْنَى امْتِنَاعِكَ . إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا نَقُولُ
 فَأَخْرَفَكَ مِنْ هَذِهِ الْيَمِينِ : فَحَلَفَ بِهَا . فَأَخْرَجَ مِنَ الْمَجْلِسِ حَتَّى ضَرَبَ
 بِرِجْلِهِ وَمَاتَ . وَقِيلَ مَا أَنْقَضَى النَّهَارُ حَتَّى مَاتَ . فَمَحَلُّهُ إِلَى الْقَبْرِ وَحَطُّهُ
 فِيهِ وَأَرَادُوا أَنْ يَطْمُؤُوا الْقَبْرَ بِالنُّرَابِ . فَكَانُوا كُلُّهُمْ جَعَلُوا النُّرَابَ فِيهِ
 ذَهَبَ النُّرَابُ وَلَا يَنْطُمُ الْقَبْرُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا آيَةٌ سَأْوِيَةٌ . فَسَقَفُوا الْقَبْرَ
 وَرَأَحُوا . وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ أَبُو فِرَاسٍ بْنُ حَمْدَانَ فِي مِيسْبَتِهِ يَقُولُ :
 يَا جَاهِدًا فِي مَسَاوِيهِمْ يُكْتَبُهَا غَدْرُ الرَّشِيدِ بِيَجِي كَيْفَ يَنْكُمُ
 ذَاقَ الزُّبَيْرِيِّ غِبَّ الْحِنْثِ وَأَنْكَشْتِ عَنِ ابْنِ فَاطِمَةَ الْأَقْوَالُ وَالنَّمَمُ
 وَمَعَ ظُهُورِ مِثْلِ هَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ قُتِلَ بِيَجِي فِي الْحُبْسِ شَرًّا قَتْلَةً
 وَكَانَتْ حَوْلَةَ الرَّشِيدِ مِنْ أَحْسَنِ الدُّوَلِ وَأَكْثَرِهَا وَقَارًا أَوْرُونَفًا وَخَيْرًا
 وَأَوْسَعَهَا رُفْعَةً مَمْلُوكِيَّةً . جِي الرَّشِيدُ مُعْظَمَ الدُّنْيَا . وَكَانَ أَحَدُ عَمَلِهِ
 صَاحِبَ مِصْرَ . وَلَمْ يَجْتَمِعْ عَلَى بَابِ خَلِيفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ
 وَالْفُرَّاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْكَتَّابِ وَالنُّدَمَاءِ وَالْمَغْنِينِ مَا اجْتَمَعَ عَلَى بَابِ الرَّشِيدِ .
 وَكَانَ يَصِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَجْزَلَ صِلَةٍ وَيَرْفَعُهُ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ . وَكَانَ
 فَاضِلًا شَاعِرًا رَاطِبَةً لِلْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ وَالْأَشْعَارِ . صَحِيحَ الذُّوقِ وَالنَّمِيذِ
 مَهِيْبًا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ . قَبِضَ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .
 وَأَخْضَرَهُ فِي قُبَّةٍ إِلَى بَغْدَادَ . فَجَبَسَهُ يَدَارِ السِّنْدِيِّ بْنِ شَاهَكَ . ثُمَّ قُتِلَ
 وَأُظْهِرَ أَنَّهُ مَاتَ حَنْفَ أَنْفِهِ

شَرَحُ كَيْفِيَّةِ الْحَالِ فِي ذَلِكَ . كَانَ بَعْضُ حُسَّادِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ مِنْ
 أَقَارِبِهِ قَدْ وَشَى بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ يَجْهَلُونَ إِلَى مُوسَى
 خُمْسَ أَمْوَالِهِمْ وَيَعْتَقِدُونَ إِمَامَتَهُ وَإِنَّهُ عَلَى عَزْمِ الْخُرُوجِ عَلَيْكَ . وَكَثُرَ فِي
 الْقَوْلِ فَوَقَعَ ذَلِكَ عِنْدَ الرَّشِيدِ بِمَوْفِعِ أَهْمِهِ وَأَقْلَفَهُ . ثُمَّ أُعْطِيَ الْوَأَشِيَّ مَا لَا
 أَحَالَه بِهِ عَلَى الْيَلَادِ . فَلَمْ يَسْتَمْتِعْ بِهِ وَمَا وَصَلَ الْمَالُ مِنْ الْيَلَادِ إِلَّا وَقَدْ
 مَرَضَ مَرَضَةً شَدِيدَةً وَمَاتَ فِيهَا . وَأَمَّا الرَّشِيدُ فَإِنَّهُ حَجَّ فِي نِثْلِكَ السَّنَةِ .
 فَلَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ قَبِضَ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَحَمَلَهُ فِي قُبَّةٍ إِلَى بَغْدَادَ .
 فَخَبَسَهُ عِنْدَ السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ وَكَانَ الرَّشِيدُ بِالرَّقِصَةِ . فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ فُقْتِلَ
 قَتْلًا خَفِيًّا . ثُمَّ أَذْخَلُوا عَلَيْهِ جَاعَةً مِنَ الْعُدُولِ بِالْكَرْخِ لِشَاهِدُوهُ إِظْهَارًا
 أَنَّهُ مَاتَ حَنَفًا أَنْفِهِ . صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ . وَمَاتَ الرَّشِيدُ بِطُوسَ .
 وَكَانَ خَرَجَ إِلَى خُرَّاسَانَ لِخُبَارِ بَةَ رَافِعِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارِ .
 وَكَانَ هَذَا رَافِعٌ قَدْ خَرَجَ وَخَلَعَ الطَّاعَةَ وَتَغَلَّبَ عَلَى سَمَرْقَنْدَ وَقَتَلَ عَامِلَهَا
 وَمَلِكَهَا وَقَوِيَّتْ شَوْكُنُهُ فَخَرَجَ الرَّشِيدُ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ . فَمَاتَ بِطُوسَ فِي سَنَةِ
 ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً

شَرَحُ حَالِ الْوِزَارَةِ فِي أَيَّامِهِ

لَهَا بُوَيْعَ بِالْخِلَافَةِ اسْتَوَزَرَ كَاتِبَهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ بِجَمِيِّ بْنِ خَالِدِ بْنِ
 بَرْمَكٍ وَظَهَرَتْ دَوْلَةُ نَبِيِّ بَرْمَكٍ مُدَّ حِينُنِهَا
 شَرَحُ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الْبَرْمَكِيَّةِ وَذَكَرُ مَبْدِئَهَا وَمَا لَهَا . كَانُوا قَدِيمًا عَلَى
 دِينِ الْجُوسِ . ثُمَّ اسْلَمَ مِنْ اسْلَمَ مِنْهُمْ وَحَسُنَ اسْلَامُهُمْ . وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ
 الْبَرْمَكِيَّةُ كَانَتْ غُرَّةً فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ وَتَاجًا عَلَى مَفْرِقِ الْعَصْرِ . ضُرِبَتْ

بِهَكَامِهَا الْأَمْثَالُ . وَشُدَّتْ إِلَيْهَا الرِّحَالُ . وَنَيْطَتْ بِهَا الْأَمَالُ . وَبَدَلَتْ
لَهَا الدُّنْيَا أَفْلاذَ أَكْبَادِهَا . وَمَخْتَهَا أَوْفَرَ إِسْعَادِهَا . فَكَانَ بَيْحِي وَبَنُوهُ
كَالنُّجُومِ زَاهِرَةٍ . وَاللُّجُورِ زَاخِرَةٍ . وَالسُّيُولِ دَافِعَةٍ . وَالغُبُوثِ مَاطِرَةٍ . أَسْوَاقُ
الْأَدَابِ عِنْدَهُمْ نَافِقَةٌ . وَمَرَاتِبُ ذَوِيهِ الْحُرْمَاتِ عِنْدَهُمْ عَالِيَةٌ . وَالدُّنْيَا
فِي أَيَّامِهِمْ عَامِرَةٌ . وَأَهْمَةُ الْمَمْلَكَةِ ظَاهِرَةٌ . وَهُمْ مُجَابِلُ اللَّيْفِ وَمُعْتَصِمُ الطَّرِيدِ .
وَهُمْ يَقُولُ أَبُو نُؤَاسٍ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قُدِّمْتُ
ذَكَرَ وَزَارَةَ بَيْحِي بِنِ خَالِدِ لِلرَّشِيدِ .
لَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ
أَسْتَوَزَرَ بَيْحِي بِنَ خَالِدِ بِنِ بَرْمَكِ . وَكَانَ كَاتِبُهُ وَنَائِبُهُ وَوَزِيرُهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ .
فَنَهَضَ بَيْحِي بِنُ خَالِدِ بِأَعْيَابِ الدَّوْلَةِ أَمَّ نَهْوِضِ . وَسَدَّ الثُّغُورَ . وَتَدَارَكَ
الْخُلَلَ . وَجَبَى الْأَمْوَالَ . وَعَمَرَ الْأَطْرَافَ . وَأَظْهَرَ رَوْنَقَ الْخِلَافَةِ . وَتَصَدَّى
لِهَيْبَاتِ الْمَمْلَكَةِ . وَكَانَ كَاتِبًا بَلِيغًا لَيْبِيًّا أَدِيبًا شَدِيدًا صَائِبًا الْآرَاءَ
حَسَنَ التَّنْذِيرِ . ضَاطِبًا يَلْمُخْتِ يَدِهِ . قَوِيًّا عَلَى الْأُمُورِ . جَوَادًا يُبَارِي
الرَّيْحَ كَرَمًا وَجُودًا . مَهْدَحًا يَكُلُّ لِسَانِ . حَلِيمًا عَفِيفًا وَقُورًا مَهِيبًا وَلَهُ
يَقُولُ الْقَائِلُ :

لَا تَرَانِي مُصَاحِمًا كَفَّ بَيْحِي
لَوْ يَمَسُّ الْبَيْخِيلُ رَاحَةَ بَيْحِي
وَإِنِّي إِنْ فَعَلْتُ ضَبَعْتُ مَالِي
لَسَخْتُ نَفْسُهُ يَبْدُلُ النَّوَالِ
وَمِنْ آرَاءِ بَيْحِي السَّدِيدِ مَا قَالَهُ لِلْهَادِي . وَقَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَجْلَعَ
أَخَاهُ هُرُونَ مِنَ الْخِلَافَةِ وَيُبَايِعَ لِابْنِهِ جَعْفَرَ بِنِ الْهَادِي . وَكَانَ بَيْحِي كَاتِبَ
الرَّشِيدِ وَهُوَ يَتَوَلَّى أَنْ يَتَوَلَّى هُرُونَ الْخِلَافَةَ فَبَصِيرَ هُوَ وَزِيرَ الدَّوْلَةِ .

فَحَلَا أَلْهَادِي بِبِحْيَى وَوَهَبَ لَهُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَحَادَثَهُ فِي حَلْعِ
 هُرُونَ أَخِيهِ وَالْمُبَابَعَةِ لِحُجَعْرِ ابْنِهِ . فَقَالَ لَهُ بِحْيَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ
 فَعَلْتَ حَمَلْتَ النَّاسَ عَلَى نَكْتِ الْأَيْهَانِ وَنَقَضِ الْهُودِ . وَنَجَرَ النَّاسُ عَلَى
 مِثْلِ ذَلِكَ . وَلَوْ تَرَكْتَ أَخَاكَ هُرُونَ عَلَى وِلَايَةِ الْعَهْدِ ثُمَّ بَايَعْتَ لِحُجَعْرِ
 بَعْدَهُ كَانَ ذَلِكَ أَوْكَدَ فِي بَيْعَتِهِ : فَتَرَكَ أَلْهَادِي ذَلِكَ مَدَّةً . ثُمَّ غَلَبَ
 عَلَيْهِ حُبُّ الْوَالِدِ . فَأَحْضَرَ بِحْيَى مَرَّةً ثَانِيَةً وَفَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ
 بِحْيَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . لَوْ حَدَّثَ بِكَ حَادِثُ الْمَوْتِ وَقَدْ خَلَعْتَ أَخَاكَ
 وَبَايَعْتَ لِابْنِكَ جَعْفَرٍ وَهُوَ صَغِيرٌ دُونَ الْبُلُوغِ . أَفَتَرَى كَانَتْ خِلَافَتُهُ
 نَصْحٌ . وَكَانَ مَشَاجِخُ بَنِي هَاشِمٍ يَرْضُونَ ذَلِكَ وَيُسَلِّمُونَ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ :
 قَالَ لَا . قَالَ بِحْيَى : فَدَعُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تَأْتِيَهُ عَفْوًا . وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ
 بَايِعَ لِهُرُونَ لَوْجَبَ أَنْ تُبَايَعَ أَنْتَ لَهُ لِيَلَّا تَخْرُجَ الْخِلَافَةُ مِنْ بَنِي أَبِيكَ :
 فَصَوَّبَ أَلْهَادِي رَأْيَهُ . وَكَانَ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ بَرَّهَ هُنَا مِنْ أَعْظَمِ
 أَيَادِي بِحْيَى بْنِ خَالِدٍ عِنْدَهُ

وَمِنْ مَكَارِمِهِ . فَبَلَغَ أَنَّ الرَّشِيدَ لَهَا نَكَبَ الْبَرَامِكَةَ وَأَسْتَأْصَلَ شَاقِمَهُمْ .
 حَرَّمَ عَلَى الشُّعْرَاءِ أَنْ يَرْتَوْهُمُ وَأَمَرَ بِالْمُؤَاخَذَةِ عَلَى ذَلِكَ . فَأَجْنَزَ بَعْضُ
 الْحُرْسِ بَعْضَ الْحُرْبَاتِ . فَرَأَى إِنْسَانًا وَاقِفًا وَفِي يَدِهِ رُفْعَةٌ فِيهَا شَعْرٌ
 يَتَضَمَّنُ رِثَاءَ الْبَرَامِكَةِ وَهُوَ يُنْشِدُ وَيَبْكِي . فَأَخَذَهُ الْحُرْسُ وَأَتَى بِهِ إِلَى
 الرَّشِيدِ وَقَصَّ عَلَيْهِ الصُّورَةَ . فَاسْتَحْضَرَهُ الرَّشِيدُ وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ .
 فَأَعْتَرَفَ بِهِ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَمَا سَمِعْتَ تَحْرِيبِي لِرِثَائِهِمْ . لِأَفَعَلَنَّ بِكَ
 وَلَا صَنَعَنَّ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَذِنْتَ لِي فِي حِكَايَةِ حَالِي حَكَمْتُهَا

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأَيْكَ . قَالَ قُل . قَالَ : إِنِّي كُنْتُ مِنْ أَصْغَرِ كُتَّابِ
 بَحْيِ بْنِ خَالِدٍ وَكَرِّمٍ حَالًا . فَقَالَ لِي يَوْمًا : أُرِيدُ أَنْ تُصِيفَنِي فِي دَارِكَ
 يَوْمًا فَقُلْتُ : يَا مَوْلَانَا أَنَا ذُونَ ذَلِكَ وَدَارِي لَا تَصْلُحُ لِهَذَا . قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ
 ذَلِكَ . قُلْتُ : فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَمْلِي مِدَّةً حَتَّى أُصْلِحَ شَأْنِي وَمَنْزِلِي . ثُمَّ بَعْدَ
 ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأَيْكَ . قَالَ : كَمْ أَمْرُكَ . قُلْتُ سَنَةً . قَالَ كَثِيرٌ . قُلْتُ فَشُهُورًا .
 قَالَ نَعَمْ . فَهَضِبْتُ وَشَرَعْتُ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْزِلِ وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ .
 فَلَمَّا تَهَيَّأَتِ الْأَسْبَابَ أَعْلَمْتُ الْوَزِيرَ بِذَلِكَ فَقَالَ : نَحْنُ غَدَا عِنْدَكَ .
 فَهَضِبْتُ وَتَهَيَّأْتُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يُجْنَأُ إِلَيْهِ . فَحَضَرَ الْوَزِيرُ بِي
 غَدًا وَمَعَهُ ابْنَاهُ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَعِدَّةٌ بِسِيرَةٍ مِنْ خَوَاصِّ أَتْبَاعِهِ . فَتَزَلَّ
 عَنْ دَابَّتِهِ وَتَزَلَّ وَلَدَاهُ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَمَنْ مَعَهُ وَقَالَ : يَا فُلَانُ أَنَا جَائِعٌ
 فَعِجِّلْ لِي بِشَيْءٍ . فَقَالَ لِي الْفَضْلُ ابْنُهُ : الْوَزِيرُ يُحِبُّ الْفَرَارِجَ الْمَشْوِيَّةَ .
 فَعِجِّلْ مِنْهَا مَا حَضَرَ . فَدَخَلْتُ وَأَحْضَرْتُ شَيْئًا . فَأَكَلَ الْوَزِيرُ ثُمَّ قَامَ
 بِتَمَشُّي فِي الدَّارِ وَقَالَ : يَا فُلَانُ فَرَجْنَا فِي دَارِكَ . قُلْتُ : يَا مَوْلَانَا هَذِهِ هِيَ
 دَارِي لَيْسَ لِي غَيْرُهَا . قَالَ بَلَى لَكَ غَيْرُهَا . قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ سِوَاهَا .
 فَقَالَ : هَاتُوا بَنَاءً . فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ : أَفْتَحْ فِي هَذَا الْحَائِطِ بَابًا . فَهَضِبْتُ
 لِيَفْتَحَ . قُلْتُ : يَا مَوْلَانَا كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُفْتَحَ بَابٌ إِلَى بُيُوتِ الْجَبْرَانِ وَاللَّهِ
 أَوْصَى بِحِفْظِ الْجَارِ . قَالَ : لَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ . فَقَامَ الْوَزِيرُ
 وَأَبْنَاؤُهُ فَدَخَلُوا فِيهِ وَأَنَا مَعَهُمْ فَخَرَجَ مِنْهُ إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنِ كَثِيرِ الْأَشْجَارِ
 وَالْمَاءِ يَتَدَفَّقُ فِيهِ وَبِهِ مِنَ الْمَقَاصِيرِ وَالْمَسَاكِينِ مَا يَرُوقُ كُلُّ نَاطِرٍ وَفِيهِ مِنَ
 الْأَلَاتِ وَالْفُرُشِ وَالْمُحْدَمِ وَالْجَوَارِي كُلِّ جَمِيلٍ بَدِيعٍ فَقَالَ : هَذَا الْمَنْزِلُ

وَجَمِيعُ مَا فِيهِ لَكَ . فَقبلتُ يَدَهُ وَدَعَوْتُ لَهُ وَتَحَقَّقْتُ القِصَّةَ . فَإِذَا هُوَ مِنْ
يَوْمِ حَدَّثَنِي فِي مَعْنَى الدَّعْوَةِ . قَدْ أَرْسَلَ وَأَشْرَى الأَمْلَاقَ البِجَاوِرَةَ
لِي . وَعَمَّرَهَا دارًا حَسَنَةً وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ وَكُنْتُ أَرَى
العِمَارَةَ وَأَحْسِبُهَا لِبَعْضِ البُحَيْرَانِ . فَقَالَ لِأَبْنِهِ جَعْفَرٍ : يَا بُنَيَّ هَذَا مَنْزِلُ
وَعِيَالُ . فَأَلْمَادَةٌ مِنْ أَيْنِ تَكُونُ لَهُ . قَالَ جَعْفَرٌ : قَدْ أَعْطَيْتُهُ الضَّبْعَةَ القَلْبَانِيَّةَ
بِهَا فِيهَا وَسَاكُنُ لَكَ بِذَلِكَ كِتَابًا . فَالتَفَتَ إِلَى ابْنِهِ القُضَلِ وَقَالَ لَهُ :
يَا بُنَيَّ . فَمِنَ الآنِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ دَخُلُ هَذِهِ الضَّبْعَةِ مَا الذَّبْعِي يُنْفِقُ . فَقَالَ
القُضَلُ : عَلَيَّ عَشْرَةُ الأَفِ دِينَارٍ أَحْمِلُهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ : فَجِئِلَا لَهُ مَا قُلْنَا .
فَكَتَبَ لِي جَعْفَرٌ بِالضَّبْعَةِ . وَحَمَلَ القُضَلُ إِلَى المَالِ فَأَتْرَيْتُ وَأَرْتَفَعْتُ
حَالِي وَكَسَبْتُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَهُ مَا لَطَائِلًا أَنَا أَنقَلَبُ فِيهِ إِلَى اليَوْمِ . قَوْلَ اللَّهِ
بِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مَا أَجِدُ فُرْصَةً أَتَمَكُنُ فِيهَا مِنْ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمُ وَالدُّعَاءِ
لَهُمْ إِلَّا أَتَمَّزَّتْ بِهَا مَكافَأَةٌ لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ وَلَنْ أَقْدِرَ عَلَى مَكافَأَتِهِ . فَإِنْ كُنْتُ
قَاتِلِي عَلَى ذَلِكَ . فَافْعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَرَقَّ الرَّشِيدُ لِذَلِكَ وَأَطْلَفَهُ وَأَذِنَ
لِجَمِيعِ النَّاسِ فِي رِثائِهِمْ

فِيلَ إِنَّ هُرُونَ الرَّشِيدَ حَجَّ . وَمَعَهُ بِيحِي بنُ خَالِدِ بنِ بَرْمَكٍ . وَمَعَهُ وَلَدَاهُ
القُضَلُ وَجَعْفَرٌ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى المَدِينَةِ جَلَسَ الرَّشِيدُ وَمَعَهُ بِيحِي . فَأَعْطَبَا
النَّاسَ . وَجَلَسَ الأَمِينُ وَمَعَهُ القُضَلُ بنُ بِيحِي فَأَعْطَبَا النَّاسَ . وَجَلَسَ
الهُامُونُ وَمَعَهُ جَعْفَرٌ فَأَعْطَبَا النَّاسَ . فَأَعْطُوا فِي تِلْكَ السَّنَةِ ثَلَاثَ
أَعْطِيَّاتٍ ضَرَبَتْ بِكثْرَتِهَا الأَمْثَالَ . وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ عَامَ الأَعْطِيَّاتِ الثَّلَاثِ
وَأَتْرَى النَّاسُ بِسَبَبِ ذَلِكَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ

أَتَانَا بَنُو الْأَمَالِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ فَيَاطِبُ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنْظَرٍ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَّةِ وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمَسْتَرِ
إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَفَتْ بِبِحْيٍ وَبِالْفَضْلِ بْنِ بِحْيٍ وَجَعْفَرِ
فَنُظِّمُ بَغْدَادًا وَتَجْلُو لَنَا الدُّجَى بِبِكَّةَ مَا تَعْمُو ثَلَاثَةَ أَقْمَرِ
فَمَا خَلِفَتْ إِلَّا لِجُودِ أَكْفُهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِإِعْوَادِ مَنِيرِ
إِذَا رَأَى بِحْيٍ الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ وَنَاهِيكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدِيرِ
كَانَ بِحْيٍ يَقُولُ: مَا خَاطَبَنِي أَحَدٌ إِلَّا هَيْبَتُهُ. حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِذَا تَكَلَّمَ كَانَ
بَيْنَ اثْنَيْنِ. إِمَّا أَنْ تَزِيدَ هَيْبَتَهُ أَوْ تَضْحِكُ. وَكَانَ يَقُولُ: الْمَوَاعِيدُ شِبَاكُ
الْكَرَامِ بِصِدْقٍ بِهَا تَحَامِدُ الْأَحْرَارِ. كَانَ بِحْيٍ إِذَا رَكِبَ يُعَدُّ صُرَرَانِي
كُلِّ صُرْعٍ مَسَادِرَهُمْ يَدْفَعُهَا إِلَى الْمُنْعَرِضِينَ لَهُ
سِيرَةٌ وَلَيْهِ الْفَضْلُ بْنُ بِحْيٍ

كَانَ الْفَضْلُ مِنْ كِرَامِ الدُّنْيَا وَأَجْوَادِ أَهْلِ عَصْرِهِ. وَكَانَ قَدَّارَ ضَعْفُهُ
أُمُّ هُرُونَ الرَّشِيدِ. وَأَرْضَعَتْ أُمَّهُ الرَّشِيدَ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مَرْوَانُ بْنُ
أَبِي حَفْصَةَ

كَفَى لَكَ فخرًا أَنْ أَكْرَمَ حُرْقٍ غَدَتِكَ بِنْدِيهِ وَالْحَلِيفَةَ وَاحِدِ
لَقَدْ زِنْتَ بِبِحْيٍ فِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا كَمَا زَانَ بِحْيٍ خَالِدًا فِي الْمَشَاهِدِ
وَلَاهُ الرَّشِيدُ خُرَاسَانَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْهَوَلِ الشَّاعِرُ مَا دِحًا مُعْتَذِرًا
مِنْ شِعْرِ كَانَ هِجَاهُ بِهِ فَأَنْشَدُ

سَرَى نَحْوَهُ مِنْ غَضَبِ الْفَضْلِ عَارِضٌ لَهُ لُجَّةٌ فِيهَا الْبَوَارِقُ وَالرَّعْدُ
وَكَيفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مُلْقٍ فِرَاشَهُ عَلَى مَدْرَجٍ يَعْتَادُهُ الْأَسَدُ الْوَرْدُ

وَمَا لِي إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ بْنِ خَالِدٍ مِنَ الْجَزْمِ مَا بَخَشِي عَلَى مِثْلِهِ أَحْمَدُ
 فَحَدُّ بِالرِّضَى لَا أَبْتَغِي مِنْكَ غَيْرَهُ وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ
 فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: لَا أَحْنِلُ تَفْرِيقَكَ بَيْنَ رِضَائِي وَإِحْسَانِي. وَهَذَا
 مَقْرُونَانِ فَإِنْ أَرَدْتَهُمَا مَعًا وَإِلَّا فَدَعَهُمَا مَعًا. ثُمَّ وَصَلَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ
 حَدَّثَ إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ: كُنْتُ قَدَرِيَّةً جَارِيَةً وَتَفَقَّهْتُهَا
 وَعَلَّمْتُهَا حَتَّى بَرَعَتْ. ثُمَّ أَهْدَيْتُهَا إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ. فَقَالَ لِي يَا إِسْحَقُ:
 إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ مِصْرَ قَدْ وَرَدَ إِلَيَّ بِسَأَلِي حَاجَةً أَقْتَرِحُهَا عَلَيْكَ.
 فَدَعُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ عِنْدَكَ فَإِنِّي سَأَطْلُبُهَا وَأُعَلِّمُهُ أَنِّي أُرِيدُهَا. فَإِنَّهُ سَوَّفَ
 بِحُضْرِي إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ فِيهَا. فَلَا تَأْخُذْ فِيهَا أَقْلًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.
 قَالَ إِسْحَقُ: فَهَمَّضْتُ بِالْجَارِيَةَ إِلَى مَنَزِلِي. فَجَاءَ إِلَيَّ رَسُولُ صَاحِبِ
 مِصْرَ وَسَأَلَنِي عَنِ الْجَارِيَةِ فَأَخْرَجْتُهَا إِلَيْهِ. فَبَدَّلَ فِيهَا عَشْرَةَ أَلْفِ
 دِينَارٍ فَامْتَنَعْتُ. فَصَعِدَ إِلَى عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَامْتَنَعْتُ. فَصَعِدَ
 إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَامْلَكْتُ نَفْسِي حَتَّى قُلْتُ لَهُ بَعْتُكَ. وَسَلَّمْتُ الْجَارِيَةَ
 إِلَيْهِ وَقَبِضْتُ مِنْهُ أَمْلًا. ثُمَّ إِنِّي أَتَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ فَقَالَ:
 يَا إِسْحَقُ بِكُمْ بَعْتُ الْجَارِيَةَ. قُلْتُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ
 لَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقْلًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا. قُلْتُ فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا مَلَكَتُ
 نَفْسِي مِنْذُ سَمِعْتُ لَفْظَةَ ثَلَاثِينَ. فَتَبَسَّمْتُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ
 الرُّومِ قَدْ سَأَلَنِي أَيْضًا حَاجَةً وَسَأَقْتَرِحُ عَلَيْكَ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَأَدُلُّهُ عَلَيْكَ
 فَحَدُّ جَارِيَتِكَ وَأَنْصَرِفَ إِلَى مَنَزِلِكَ. فَإِذَا سَأَلْتُكَ فِيهَا فَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ
 أَقْلًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ

فَأَخَذْتُ الْجَارِيَةَ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي . فَأَتَانِي رَسُولُ صَاحِبِ الرُّومِ
وَسَأَوْنِي فِي الْجَارِيَةِ . فَطَلَبْتُ خَمْسِينَ أَلْفًا فَقَالَ : هَذَا كَثِيرٌ وَلَكِنْ
تَأْخُذُ مِنِّي ثَلَاثِينَ أَلْفًا : فَوَاللَّهِ مَا مَلَكَتُ نَفْسِي مُنْذُ سَمِعْتُ لَفْظَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا
حَتَّى قُلْتُ لَهُ . بِعْتِكَ . ثُمَّ قَبَضْتُ أَمْوَالَ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ .
وَمَضَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْفُضْلِ بْنِ يَحْيَى فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ وَبِكَمْ بَعْتَ
الْجَارِيَةَ يَا إِسْحَقُ . قُلْتُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا . قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَوْصَيْتَكَ أَنْ
لَا تَأْخُذَ فِيهَا أَقْلٌ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا . قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَمَّا
سَمِعْتُ قَوْلَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا اسْتَرْخَتْ جَمِيعُ أَعْضَائِي . فَصَحِيحٌ وَقَالَ : خُذْ
جَارِيَتَكَ وَأَذْهَبْ إِلَى مَنْزِلِكَ . فَنِي غَدِ يَحْيَى إِلَيْكَ رَسُولُ صَاحِبِ
خُرَاسَانَ . فَتَقْوِ نَفْسَكَ وَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقْلٌ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا . قَالَ إِسْحَقُ :
فَأَخَذْتُ الْجَارِيَةَ وَمَضَيْتُ إِلَى مَنْزِلِي . فَجَاءَنِي رَسُولُ صَاحِبِ خُرَاسَانَ
وَسَأَوْنِي فِيهَا . فَطَلَبْتُ خَمْسِينَ أَلْفًا فَقَالَ لِي : هَذَا كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَأْخُذُ
ثَلَاثِينَ أَلْفًا . فَتَقْوَيْتُ نَفْسِي وَأَمْتَنْتُ . فَصَعِدَ مَعِيَ إِلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ
دِينَارٍ . فَكَادَ عَقْلِي يَذْهَبُ مِنَ الْفَرَحِ . وَلَمْ أَتَمَّا لِكَ أَنْ أَقُولَ لَهُ بِعْتِكَ :
فَأَحْضَرَ أَمْوَالَ وَأَقْبَضْنِيهِ وَسَلَّمْتُ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ . وَمَضَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى
الْفُضْلِ فَقَالَ لِي : بِكَمْ بَعْتَ الْجَارِيَةَ : قُلْتُ : بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا . وَوَاللَّهِ لَمَّا
سَمِعْتُهَا مِنْهُ كَادَ عَقْلِي يَذْهَبُ . وَقَدْ حَصَلَ عِنْدِي جُعِلْتُ فِدَاكَ مِثَّةُ
أَلْفِ دِينَارٍ . وَلَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ . فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ . فَأَمَرَ بِالْجَارِيَةِ
فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ وَقَالَ : يَا إِسْحَقُ خُذْ جَارِيَتَكَ وَأَنْصَرِفْ . قَالَ إِسْحَقُ :
فَقُلْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةُ وَاللَّهِ أَعْظَمُ النَّاسِ بَرَكَةً فَأَعْتَقْتُهَا وَتَزَوَّجْتُهَا فَوَلَدَتْ

لي أولادي

قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ ابْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْعَبَّاسِ حَضَرَ يَوْمًا عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَمَعَهُ سَفْطٌ فِيهِ جَوْهَرٌ وَقَالَ
 لَهُ: إِنَّ حَاصِلِي قَدْ قَصَرَ عَمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَقَدْ عَلَانِي دَبْنٌ مَبْلُغُهُ أَلْفُ
 أَلْفِ دِرْهَمٍ وَإِنِّي أَسْتَجِي أَنْ أُعْلِمَ أَحَدًا بِذَلِكَ وَأَنْفُ أَنْ أَسْأَلَ أَحَدًا مِنْ
 التُّجَّارِ أَنْ يُقْرِضَنِي ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مَعِيَ رَهْنٌ بِنَفْسِي بِالْقَيْمَةِ. وَأَنْتَ
 أَبْقَاكَ اللَّهُ لَكَ تُجَّارٌ يُعَامِلُونَكَ. وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تُقْرِضَ لِي مِنْ أَحَدِهِمْ
 هَذَا الْهَبْلُغَ وَتُعْطِيَهُ هَذَا الرَّهْنَ: فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَلَكِنَّ
 يُحْتَاجُ هَذِهِ الْحَاجَةَ أَنْ نُقِيمَ عِنْدِي هَذَا الْيَوْمَ. فَأَقَامَ عِنْدَهُ. ثُمَّ إِنَّ الْفَضْلَ
 أَخَذَ السَّفْطَ مِنْهُ وَهُوَ مَحْتَمٌ بِمَنْجِيهِ. وَأَرْسَلَ مَعَهُ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَنَفَذَ
 الدَّرَاهِمَ وَالسَّفْطَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَخَذَ خَطًّا وَكَبَلَهُ بِقَبْضِهِ. فَأَقَامَ مُحَمَّدٌ فِي
 دَارِ الْفَضْلِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ. ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ السَّفْطَ وَمَعَهُ
 أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَسَرَّ بِذَلِكَ سُرورًا عَظِيمًا. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَكَرَ
 إِلَى الْفَضْلِ لِيَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ. فَوَجَدَهُ قَدْ بَكَرَ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ. فَهَضَى
 مُحَمَّدٌ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ. فَلَمَّا عَلِمَ الْفَضْلُ بِهِ خَرَجَ مِنْ بَابِ آخَرٍ وَهَضَى إِلَى
 دَارِ أَبِيهِ. فَهَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ. فَحِينَ عَلِمَ بِهِ خَرَجَ بِبَابِ آخَرٍ وَهَضَى إِلَى
 مَنْزِلِهِ. فَهَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ وَاجْتَمَعَ بِهِ وَشَكَرَهُ عَلَى فِعْلِهِ وَقَالَ: إِنِّي بَكَرْتُ
 إِلَيْكَ لِأَشْكُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ: فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ
 فَرَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَ أَلْفًا الَّتِي حَمَلْتَهَا أَمْسَ إِلَيْكَ نَفْسِي بِهَا دَيْنَكَ.
 ثُمَّ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَتَقْرِضُ. فَبَعْدَ قَلِيلٍ بَعُوكَ مِثْلَهَا. فَبَكَرْتُ الْيَوْمَ إِلَى

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَالِكَ وَأَخَذْتُ لَكَ مِنْهُ أَلْفَ أَلْفِ
 دِرْهَمٍ أُخْرَى. فَلَمَّا حَضَرَتْ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَرَجْتُ أَنَا بِبَابِ
 آخَرَ وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ لَهَا حَضَرْتُ إِلَى بَابِ أَبِي لِأَنِّي مَا كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ
 أَلْقَاكَ حَتَّى يُجْمَلَ أَمَالُ إِلَى مَنْزِلِكَ وَقَدْ جُمِلَ: فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: يَا أَيُّ شَيْءٍ
 أُجَازِيكَ عَلَى هَذَا الْإِحْسَانِ مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُجَازِيكَ بِهِ إِلَّا أَنِّي أَلْتَزِمُ
 بِالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ وَالْبَطْلَانِ وَالْعَتَاقِ وَأَنْجِي أَنِّي مَا أَقِفُ عَلَى بَابِ غَيْرِكَ
 وَلَا أَسْأَلُ سِوَاكَ: قَالُوا. وَحَلَفَ مُحَمَّدٌ أَيْمَانًا مُؤَكَّدَةً وَكَتَبَ بِهَا خَطَّهُ
 وَأَشْهَدَ بِهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَقِفُ بِبَابِ غَيْرِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى. فَلَمَّا ذَهَبَتْ حَوْلَةُ
 الْبَرَامِكَةَ وَتَوَلَّى الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ الْوِزَارَةَ بَعْدَهُمْ أَحْتَاجُ مُحَمَّدٌ فَقَالُوا
 لَهُ: لَوْ رَكِبْتَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ... فَلَمْ يَفْعَلْ وَالْتَزَمَ بِالْبَيْتَيْنِ فَلَمْ
 يَرْكَبْ إِلَى أَحَدٍ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى بَابِ أَحَدٍ حَتَّى مَاتَ

سِبْرَةَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرَمَكِيِّ

كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فَصِيحًا لَبِيبًا ذَكِيًّا فَطِنًا كَرِيمًا حَلِيمًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ
 يَأْنَسُ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْسِهِ بِأَخِيهِ الْفَضْلِ لِسَهُولَةِ أَخْلَاقِ جَعْفَرٍ وَشَرَاسَةِ
 أَخْلَاقِ الْفَضْلِ. قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِيَحْيَى: يَا أَبِي مَا بَالُ النَّاسِ يُسَمُّونَ
 الْفَضْلَ الْوَزِيرَ الصَّغِيرَ وَلَا يُسَمُّونَ جَعْفَرًا بِذَلِكَ: فَقَالَ يَحْيَى: لِأَنَّ الْفَضْلَ
 يُخْلِفُنِي. قَالَ: فَضَمُّهُ إِلَى جَعْفَرٍ أَعْمَالًا كَأَعْمَالِ الْفَضْلِ. فَقَالَ يَحْيَى: إِنَّ
 خِدْمَتَكَ وَمُنَادِمَتَكَ تَشْغَلَانِي عَنْ ذَلِكَ. فَجَعَلَ إِلَيْهِ أَمْرَ دَارِ الرَّشِيدِ.
 وَسُمِّيَ بِالْوَزِيرِ الصَّغِيرِ أَيْضًا

قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِيَحْيَى: قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَنْقُلَ دِيْوَانَ الْحُكْمِ مِنَ الْفَضْلِ

إِلَى جَعْفَرٍ. وَقَدْ اسْتَبَيَّتْ مِنْ مَكَاتِبِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَارْتَبَتْ أَنْتَ إِلَيْهِ.
فَكُتِبَ بِحُجَّتِي إِلَى الْفَضْلِ: قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى اللَّهُ أَمْرًا أَنْ يُحَوَّلَ
الْحَاتِمَ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ. فَأَجَابَهُ الْفَضْلُ: قَدْ سَمِعْتُ لِمَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِي وَمَا أَنْتَقَلْتُ عَنِّي نِعْمَةً صَارَتْ إِلَيْهِ وَلَا غَرَبَتْ عَنِّي
رُبَّةٌ طَلَعَتْ عَلَيْهِ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: لِلَّهِ دَرُّ أَخِي مَا أَكْبَسَ نَفْسَهُ وَأَظْهَرَ
دَلَائِلَ الْفَضْلِ عَلَيْهِ وَأَفْوَى مِنَّةَ الْعَقْلِ عِنْدَهُ وَأَوْسَعَ فِي الْبَلَاغَةِ دَرْعَهُ
فَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ بَحْجَى الْبَرْمَكِيَّ. جَلَسَ يَوْمًا لِلشَّرْبِ وَأَحَبَّ الْخُلُوةَ.
فَأَحْضَرَ نُدَمَاءَهُ الَّذِينَ يَأْتِسُ بِهِمْ. وَجَلَسَ مَعَهُمْ وَقَدْ هُمِّيَ الْمَجْلِسُ وَلَيْسُوا
الْتِيَابَ الْمَصْبُغَةَ وَكَانُوا إِذَا جَلَسُوا فِي مَجْلِسِ الشَّرَابِ وَاللَّهْوِ. لَيْسُوا الْتِيَابَ
الْحُمْرَ وَالصُّفْرَ وَالْأَحْضَرَ. ثُمَّ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ بَحْجَى تَقَدَّمَ إِلَى الْحَاجِبِ أَنْ
لَا يَأْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى سِوَى رَجُلٍ مِنَ النَّدَمَاءِ كَانَ قَدْ
تَأَخَّرَ عَنْهُمْ اسْمُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ. ثُمَّ جَلَسُوا يَشْرَبُونَ. وَدَارَتْ
الْكَلِمَاتُ. وَخَفَقَتِ الْعِيدَانُ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَقْرَابِ الْحُلَيْفَةِ يُقَالُ لَهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. وَكَانَتْ شَدِيدَةً
الْوَقَارِ وَالذَّبِينِ وَالْحِشْمَةِ. وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ التَمَسَ مِنْهُ أَنْ يُنَادِمَهُ
وَيَشْرَبَ مَعَهُ وَبَدَّلَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ أَمْوَالًا جَلِيلَةً فَلَمْ يَفْعَلْ. فَاتَّفَقَ أَنْ هَذَا
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ حَضَرَ إِلَى بَابِ جَعْفَرِ بْنِ بَحْجَى لِيُخَاطِبَهُ فِي حَوَائِجِ
لَهُ. فَظَنَّ الْحَاجِبُ أَنَّهُ هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الَّذِي تَقَدَّمَ جَعْفَرُ بْنُ
بَحْجَى بِالْإِذْنِ لَهُ وَأَنْ لَا يُدْخَلَ غَيْرَهُ. فَإِذْنِ الْحَاجِبِ لَهُ. فَدَخَلَ عَبْدُ
الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْعَبَّاسِيُّ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ بَحْجَى. فَلَمَّا رَأَاهُ جَعْفَرٌ كَادَ عَقَلَهُ

يَذْهَبُ مِنَ الْحَبَاءِ وَقَطَنَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ قَدِ اسْتَبَهَتْ عَلَى الْحَاجِبِ بِطَرِيقِ
اسْتِنْبَاهِ الْأَسْمِ . وَقَطَنَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ أَيْضًا لِلْقَضِيَّةِ وَظَهَرَ لَهُ
الْمُحَلُّ فِي وَجْهِ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحَى . فَأَنْبَسَطَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ
أَحْضِرُوا لَنَا مِنْ هَذِهِ الثِّيَابِ الْمُصْبَغَةِ شَيْئًا . فَأَحْضَرَ لَهُ قَبِيصٌ مَصْبُوعٌ
فَلَيْسَهُ وَجَلَسَ بِيَسِطُ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحَى وَيُبَارِزُهُ وَقَالَ : اسْتَفُونَا مِنْ شَرَابِكُمْ
فَسَقَوْهُ رِطْلًا وَقَالَ : أَرَفْتُمَا بِنَا فَلَيْسَ لَنَا عَادَةٌ بِهَذَا . ثُمَّ بَاسَطَهُمْ وَمَا زَحَمَ
وَمَا زَالَ حَتَّى أَنْبَسَطَ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى وَزَالَ انْتِبَاضُهُ وَحَيَاؤُهُ . فَفَرِحَ جَعْفَرُ
بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتِكَ . قَالَ حَيْثُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ فِي
ثَلَاثِ حَوَاجٍ . أُرِيدُ أَنْ نُخَاطِبَ الْخَلِيفَةَ فِيهَا . أَوْلَاهَا أَنْ عَلَيَّ دَيْنًا مَبْلُغُهُ
أَلْفُ دِرْهَمٍ أُرِيدُ قَضَاءَهُ . ثَانِيهَا أُرِيدُ وِلَايَةَ لِأَبْنِي بِشَرْفٍ بِهَا
قَدْرُهُ . وَثَالِثُهَا أُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَ وَوَلَدِي بِابْنَةِ الْخَلِيفَةِ فَإِنَّهَا بِنْتُ عَمِّهِ وَهُوَ
كَنُوءُهَا . فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحَى : قَدْ قَضَى اللَّهُ هَذِهِ الْحَوَاجِ الثَّلَاثَ . أَمَّا
الْمَالُ فَنَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ يُجْمَلُ إِلَى مَنْزِلِكَ . وَأَمَّا الْوِلَايَةُ فَقَدْ وَلَّيْتُ ابْنَكَ
مِصْرَ . وَأَمَّا الزَّوْجُ فَقَدْ زَوَّجْتُهُ فُلَانَةَ ابْنَةَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
صِدَاقٍ مَبْلُغُهُ كَذَا وَكَذَا . فَأَنْصَرَفَ فِي أَمَانِ اللَّهِ . فَرَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى
مَنْزِلِهِ . فَرَأَى الْمَالَ قَدْ سَبَقَهُ . وَلَهَا كَانَ مِنَ الْعَدِّ حَضَرَ جَعْفَرُ عِنْدَ
الرَّشِيدِ وَعَرَفَهُ مَا جَرَى وَأَنَّهُ قَدْ وُلَّاهُ مِصْرَ وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ . فَعَجِبَ الرَّشِيدُ مِنْ
ذَلِكَ وَأَمَضَى الْعَقْدَ وَالْوِلَايَةَ . فَأَخْرَجَ جَعْفَرُ مِنْ دَارِ الرَّشِيدِ حَتَّى كَتَبَ
لَهُ التَّقْلِيدَ بِمِصْرَ وَأَحْضَرَ الْقَضَاةَ وَالشُّهُودَ وَعَقَدَ الْعَقْدَ

وَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرُ بْنَ بَيْحَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ عِدَاوَةٌ وَوَحْشَةٌ

وكان كل منهما مجانياً للآخر. فزور بعض الناس كتاباً عن لسان جعفر بن يحيى إلى صاحب مصر مضمونه. أن حامل هذا الكتاب من أخص أصحابنا. وقد أثار التفرج في الديار البصرية فأريد أن تحسن الإلتفات إليه وبالغ في الوصية. ثم أخذ الكتاب ومضى إلى مصر وعرضه على صاحبها. فلما وقف عليه تعجب منه وفرح به. إلا أنه حصل عنده أرتياب وشك في الكتاب. فأكرم الرجل وأنزله في دار حسنة وأقام له ما يحتاج إليه وأخذ الكتاب منه وأرسله إلى وكيله ببغداد وقال له: قد وصل شخص من أصحاب الوزير بهذا الكتاب وقد أرتيت به. فأريد أن نتفحص لي عن حقيقة الحال في ذلك. وهل هذا خطأ الوزير أم لا: وأرسل كتاب الوزير صحيفة مكنويه إلى وكيله. فجاء الوكيل إلى وكيل الوزير وحدثه بالقيصة وأراه الكتاب. فأخذ وكيل الوزير ودخل إلى الوزير وعرفه الحال. فلما وقف جعفر بن يحيى على الكتاب علم أنه مزور عليه. وكان عنده جماعة من ندمائه ونوابه. فرمى الكتاب عليهم وقال لهم: أهدأ خطي. فتأملوه وأنكروا كلمهم وقالوا: هذا مزور على الوزير. فعرفهم صورة الحال وأن الذي زور هذا الكتاب موجود ببصر عند صاحبها وأنه ينتظر عود الأجواب بتحقيق حاله وقال لهم: ما ترون وكيف ينبغي أن نفعل في هذا. فقال بعضهم: ينبغي أن يقتل هذا الرجل حتى تحسم هذه المادة ولا يرجع أحدٌ يجرأ على مثل هذا الفعل. وقال آخر: ينبغي أن نقطع يمينه التي زور بها هذا الخطأ. وقال آخر: ينبغي أن يوجع ضرباً ويطلق حال سبيله.

وَكَانَ أَحْسَنَهُمْ مُحَضَّرًا مَنْ قَالَ: يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَفْوِيَّتُهُ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ
 حِرْمَانَهُ وَأَنْ يُعْرِفَ صَاحِبُ مِصْرَ بِجَالِهِ لِيُحْرِمَهُ فَيَكْفِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ أَنَّهُ قَدْ
 قَطَعَ هَذِهِ الْمَسَافَةَ الْبُعِيدَةَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ يَرْجِعُ خَائِبًا. فَلَمَّا فَرَعُوا
 مِنْ حَدِيثِهِمْ. قَالَ جَعْفَرٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَيْسَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ. قَدْ عَلِمْتُمْ
 مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالنَّجَابَةِ وَأَنْ كُلَّ وَاحِدٍ
 مِنَّا كَانَتْ تَمْنَعُهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَنْ يَفْتَحَ بَابَ الصُّلْحِ. فَقَدْ قَبِضَ اللَّهُ لَنَا
 رَجُلًا فَتَحَ بَيْنَنَا بَابَ الْمَصَاحَةِ وَالْمَكَاتِبَةِ وَأَزَالَ بَيْنَنَا تِلْكَ الْعَدَاوَةَ.
 فَكَيْفَ يَكُونُ جَزَاؤُهُ مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْإِسَاءَةِ: ثُمَّ أَخَذَ الْقَلَمَ وَكَتَبَ عَلَى
 ظَاهِرِ الْكِتَابِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ حَصَلَ لَكَ الشُّكُّ فِي
 خَطِّي. هَذَا خَطُّ يَدِي وَالرَّجُلُ مِنْ أَعَزِّ أَصْحَابِي وَأُرِيدُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ
 وَتُعْبَدَ إِلَيَّ سَرِيعًا فَإِنِّي مُشْتَقٌّ إِلَيْهِ مُخْتِاجٌ إِلَى حُضُورِهِ: فَلَمَّا وَصَلَ
 الْكِتَابُ وَفِي ظَاهِرِهِ خَطُّ الْوَزِيرِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ كَادَ يَطِيرُ مِنَ الْفَرَحِ
 وَأَحْسَنَ إِلَى الرَّجُلِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ وَوَاصَلَهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ وَنَحْفٍ جَمِيلَةٍ. ثُمَّ
 إِنَّ الرَّجُلَ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا. فَحَضَرَ إِلَى مَجْلِسِ
 جَعْفَرٍ وَوَقَعَ بِقِبَلِ الْأَرْضِ وَيَبْكِي. فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: مَنْ أَنْتَ أَخِي قَالَ:
 يَا مَوْلَانَا أَنَا عَبْدُكَ وَصَنِيعَتُكَ الْمَزُورُ الْكَذَّابُ الْمُنْجَرِي. فَعَرَفَهُ جَعْفَرٌ
 وَبَشَّرَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَقَالَ لَهُ: كَمْ وَصَلَ إِلَيْكَ
 مِنْهُ. فَقَالَ: مِئَةُ أَلْفِ دِينَارٍ. فَاسْتَفْلَهَا جَعْفَرٌ وَقَالَ: لَا زِمْنَا حَتَّى نَضَاعِفَهَا
 لَكَ. فَلَا زِمَهُ مَدَّةً فَكَسَبَ مَعَهُ مِثْلَهَا

وَمَا زَالَتْ حَوْلَةُ الْبَرَامِكَةِ فِي عُلُوِّ وَارْتِفَاعِ وَتَزَايُدِ حَتَّى انْتَحَرَتْ عَنْهُمْ

الدُّنْيَا. أَمَارَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْحِرَافِ حَوَلَتِهِمْ
 حَدَّثَ بَخَيْشُوغُ الطَّيِّبُ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي
 قَصْرِ الْمُخَلَّدِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ. وَكَانَ الْبَرَامِكَةُ يَسْكُنُونَ بِحِذَائِهِ مِنَ الْجَنَابِ
 الْآخِرِ وَيَسْتَمُّ وَيَسْتُهُ عَرْضُ دِجْلَةَ. قَالَ: فَظَنَرَ الرَّشِيدُ فَرَأَى أَعْتِرَاكَ
 الْخَبُولِ وَأَزْدِحَامِ النَّاسِ عَلَى بَابِ بَحْيِ بْنِ خَالِدٍ فَقَالَ: جَزَى اللَّهُ بِحْيِي
 خَيْرًا تَصَدَّى لِلْأُمُورِ وَأَرَا حِي مِنْ الْكُدِّ وَوَقَّرَ أَوْقَانِي عَلَى اللَّذَّةِ. ثُمَّ
 دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَوْقَاتٍ. وَقَدْ شَرَعَ يَتَغَيَّرُ عَلَيْهِمْ. فَظَنَرَ فَرَأَى الْخَبُولَ كَمَا
 رَأَاهَا تِلْكَ الْمَرَّةَ. فَقَالَ اسْتَبَدَّ بِحْيِي بِالْأُمُورِ دُونِي. فَأَخْلَافَةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ
 لَهُ وَلَيْسَ لِي مِنْهَا إِلَّا اسْمُهَا. قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّهَا سَبَنُكُمْ ثُمَّ نَكَبْتُمْ عَنِيبَ ذَلِكَ
 شَرَحُ السَّبَبِ فِي نَكْبَةِ الْبَرَامِكَةِ وَكَيْفِيَةِ الْحَالِ

فِي ذَلِكَ

اِخْتَلَفَ أَصْحَابُ السَّيْرِ وَالْتَوَارِيخِ فِي ذَلِكَ. فَقِيلَ كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ
 أَنَّ الرَّشِيدَ كَلَّفَ جَعْفَرَ بْنَ بَحْيِي قَتْلَ رَجُلٍ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ. فَتَخَرَّجَ
 جَعْفَرٌ مِنْ ذَلِكَ. وَأَطْلَقَ الطَّالِبِيُّ وَسُعْيِي إِلَى الرَّشِيدِ بِجَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ: مَا
 فَعَلَ الطَّالِبِيُّ قَالَ: هُوَ فِي الْحُبْسِ. قَالَ الرَّشِيدُ: بِحَيَاتِي. فَفَطِنَ جَعْفَرٌ
 فَقَالَ: لَا وَحَيَاتِكَ وَلَكِنْ أَطْلَقْتَهُ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكَ مَكْرُوهٌ. فَقَالَ
 لَهُ الرَّشِيدُ: نَعَمْ مَا فَعَلْتَ. فَلَمَّا قَامَ جَعْفَرٌ قَالَ الرَّشِيدُ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ
 أَقْتُلْكَ ثُمَّ نَكَبْتُمْ

وَقِيلَ إِنَّ أَعْدَاءَ الْبَرَامِكَةِ مِثْلَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ. مَا زَالُوا يَسْعَوْنَ
 بِهِمْ إِلَى الرَّشِيدِ وَيَدْكُرُونَ لَهُ اسْتِبْدَادَهُمْ بِالْمَلِكِ وَأَحْجَانَهُمْ لِلْأَمْوَالِ

حَتَّى أَوْغَرُوا صَدْرَهُ فَأَوْقَعَ بِهِمْ
وَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرَ وَالْفَضْلَ ابْنَيْ بَيْحِي ظَهَرَ مِنْهُمَا مِنَ الْإِذْلَالِ مَا لَا يَجْنِبُهُ
نُفُوسُ الْمَلُوكِ. فَنَكَّبَهُمْ لِذَلِكَ

وَقِيلَ إِنَّ بَيْحِي بْنَ خَالِدِ بْنِ رُبَيْعٍ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَطُوفُ حَوْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِضَاكَ فِي أَنْ تَسْلُبَنِي أَهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي. فَاسْلُبْنِي إِلَّا الْفَضْلَ
وَلَدِي. ثُمَّ وُلِيَ فَلَمَّا مَشَى قَلِيلًا عَادَ وَقَالَ: يَا رَبُّ إِنَّهُ سَمِعْتُ يَهْتَلِي أَنْ
يَسْتَنِي عَلَيْكَ اللَّهُمَّ وَالْفَضْلَ. فَنَكَّبَهُمُ الرَّشِيدُ بَعْدَ قَلِيلٍ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ

شرح مقتل جعفر بن بَيْحِي

وَالْقَبْضِ عَلَى أَهْلِهِ

كَانَ الرَّشِيدُ قَدْ حَجَّ. فَلَمَّا عَادَ مِنَ الْحَجِّ سَارَ مِنَ الْمِحْبَةِ إِلَى الْأَنْبَارِ
فِي السُّفُنِ وَجَعَلَ يَشْرَبُ وَرَكِبَ جَعْفَرَ بْنَ بَيْحِي إِلَى الصَّيْدِ وَجَعَلَ يَشْرَبُ
تَارَةً وَيَلْهُو أُخْرَى وَنَحْفُ الرَّشِيدِ وَهَدَايَاهُ تَأْتِيهِ وَعِنْدَهُ مَجْنِشُوعُ الطَّيِّبُ
وَأَبُو زَكَرِيَّا الْأَعْمَى يُغْنِيهِ. فَلَمَّا أَظْلَمَ الْمَسَاءُ دَعَا الرَّشِيدُ مَسْرُورًا الْخَادِمَ.
وَكَانَ مُبْغِضًا لَجَعْفَرَ وَقَالَ: أَذْهَبُ فِجْنِي بِرَأْسِ جَعْفَرَ وَلَا تُرَاجِعْنِي. فَوَافَاهُ
مَسْرُورٌ يَغِيرُ إِذْنَ وَهَمَّ عَلَيْهِ وَأَبُو زَكَرِيَّا يُغْنِيهِ

فَلَا تَبْعُدُ فَكُلُّ فَنِي سَيَاتِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغَادِي

فَلَمَّا دَخَلَ مَسْرُورٌ قَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ بَيْحِي: لَقَدْ سَرَرْتَنِي بِعَجَبِكَ
وَسُوءَتِي بِدُخُولِكَ عَلَيَّ يَغِيرُ إِذْنَ. فَقَالَ الَّذِي جِئْتُ بِهِ أَعْظَمُ أَحِبُّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا بَرِيْدُ بِكَ. فَوَقَعَ عَلَى رِجْلَيْهِ فَتَقَبَّلَهَا وَقَالَ لَهُ: عَاوِدْ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الشَّرَابَ قَدْ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ: دَعْنِي أَذْخُلُ

دَارِي فَأَوْصِي . فَقَالَ : الدُّخُولُ لَأَسْبِيلَ إِلَيْهِ . وَأَمَّا الْوَصِيَّةُ فَأَوْصِي بِهَا
 بَدَا لَكَ فَأَوْصِي . ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِ الرَّشِيدِ وَعَدَلَ بِهِ إِلَى قَبِيَّةٍ وَضَرَبَ
 عُنُقَهُ وَأَلَى بِرَأْسِهِ عَلَى تَرْسٍ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَدَنِهِ فِي نَطْعٍ . وَوَجَّهَ الرَّشِيدُ
 فَقَبِضَ عَلَى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَبَسَهُمْ بِالرَّقِيقَةِ وَأَسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ .
 وَمِنْ ظَرِيفٍ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْعِمْرَانِيُّ الْمُؤَرِّخُ قَالَ : حَدَّثَ
 فُلَانٌ قَالَ : دَخَلْتُ الدِّيَّوَانَ فَنظَرْتُ فِي بَعْضِ تَدَاكِرِ النُّوَابِ فَرَأَيْتُ
 فِيهَا أَرْبَعُ مِئَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ثَمَنُ خِلْعَةٍ لِحُجَيْرِ بْنِ بَيْحِي الْوَزِيرِ . ثُمَّ دَخَلْتُ
 بَعْدَ أَيَّامٍ فَرَأَيْتُ تَحْتَ ذَلِكَ عَشْرَةَ فَرَارِيطَ ثَمَنُ نَفْطٍ وَبَوَارِي لِإِخْرَاقِ
 جَنَّةِ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحِي فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ اسْتَوَزَرَ الرَّشِيدُ بَعْدَ الْبَرَامِكَةِ
 الْفَضْلَ بْنَ الرَّيِّعِ وَكَانَ حَاجِبَهُ

وَزَارَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ

فَكَانَ حَاجِبًا لِلْمَنْصُورِ وَالْمُهَدَّبِيِّ وَالْمَهَادِي وَالرَّشِيدِ . فَلَمَّا نَكَبَ الرَّشِيدُ
 الْبَرَامِكَةَ اسْتَوَزَرَهُ بَعْدَهُمْ . كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ شَهْمًا خَيْرًا بِأَحْوَالِ
 الْمُلُوكِ وَأَدَابِهِمْ . وَلَمَّا وَلى الْوِزَارَةَ تَهَوَّسَ بِالْأَدَبِ وَجَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلَ
 الْعِلْمِ فَحَصَلَ مِنْهُ مَا أَرَادَ فِي مَدَقِ بَيْسِيَّةٍ . وَكَانَ أَبُو نُؤَاسٍ مِنْ شُعْرَائِهِ
 الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ فَمِنْ شِعْرِهِ فِي آلِ الرَّيِّعِ

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا اضْطَرَمَّ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلُ وَالرَّيِّعُ رَيْعُ
 وَمَا زَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ عَلَى وِزَارَتِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ الرَّشِيدُ بِطُوسَ .
 فَجَمَعَ الْفَضْلُ الْعُسْكَرَ وَمَا فِيهِ وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . أَنْتَهَى ذِكْرُ خِلَافَةِ
 هُرُونَ الرَّشِيدِ

ذِكْرُ خِلَافَةِ أَبِي أَحْمَدَ عَبْدِ اللَّهِ

الْمُسْتَعَصِمِ بِاللَّهِ

بُويعَ لَهُ بِاخْتِلَافَةٍ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِئَةٍ هُوَ آخِرُ اخْتِلَافٍ. كَانَ
الْمُسْتَعَصِمُ رَجُلًا خَيْرًا مَتَدِينًا لَيْنَ الْجَانِبِ سَهْلَ الْعَرِيكَةِ عَفِيفَ اللِّسَانِ
وَالْفَرَجِ حَمَلَ الْكِتَابَ وَكَتَبَ خَطًّا مَلِيحًا وَكَانَ سَهْلَ الْأَخْلَاقِ وَكَانَ
خَفِيفَ الْوَطْأَةِ. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُسْتَضْعَفَ الرَّأْيِ ضَعِيفَ الْبَطْشِ قَلِيلَ الْحَبْرَةِ
يَأْمُورِ الْمَمْلُوكَةَ مَطْمُوعًا فِيهِ غَيْرَ مَهِيبٍ فِي النُّفُوسِ وَلَا مُطَّلِعَ عَلَى حَقَائِقِ
الْأُمُورِ. وَكَانَ زَمَانُهُ يَنْقُضِي أَكْثَرَ بَسْمَاعِ الْأَعْيَانِ وَالْتَفَرُّجِ عَلَى الْمَسَاخِرَةِ.
وَفِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ يَجْلِسُ يَخْزَانَةَ الْكُتُبِ جُلُوسًا لَيْسَ فِيهِ كَبِيرٌ فَائِدَةٌ.
وَكَانَ أَصْحَابُهُ مُسْتَوِينَ عَلَيْهِ وَكُلُّهُمْ جُهَالٌ مِنْ أَرْذَالِ الْعَوَامِّ إِلَّا وَزِيرَهُ
مُؤَيَّدَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَلْقَمِيِّ. فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْيَانِ النَّاسِ وَعَقْلَاءِ
الرِّجَالِ. وَكَانَ مَكْفُوفَ الْيَدِ مَرْدُودَ الْقَوْلِ يَتَرَقَّبُ الْعَزْلَ وَالْقَبْضَ

١ الخلفاء هم الذين خلفوا محمد بن عبد الله نبي الاسلام وتولوا الامر من بعده بين العرب وكان
في يدهم امر السياسة والدين معاً. وهم اولاً خلفاء المشرق وكانت دار خلافتهم مكة الى وفاة الامام علي
بن ابي طالب. ثم الشام في دولة بني امية. ثم بغداد في دولة بني العباس. وكانت مدنتهم جميعاً ٦٢٢ سنة
وذلك من سنة ٦٢٦ لئيلاد الى سنة ١٢٥٨ •

ثانياً خلفاء الاندلس واول من ولي الخلافة هنالك عبد الرحمن الاموي من ملوك الشام وذلك
سنة ٦٥٧ وكانت مدنتهم ٣٧٤ سنة اي من التاريخ المذكور الى سنة ١٠٣١ •
ثالثاً خلفاء مصر وهم الفاطميون واول من ولي الخلافة منهم عبيد الله من سلالة فاطمة بنت محمد
وذلك سنة ٩٠٩ واستمرت خلافتهم ٢٦٢ سنة حتى اضمحلت سنة ١١٧١ على يد الملك صلاح
الدين الايوبي •

وكان تقليد الخلافة في صدر الاسلام بالمبايعه الى ان جاء معاوية بن ابي سفيان الأموي في آخر
القرن الاول ففسخ المبايعه وقرر الخلافة في صلوه واستمر الحال على ذلك الى سنة ٩٣٥ حيث خلعه
امير الامراء عن امر السياسة. وبقيت الخلافة منطوقه بين العرب الى ظهور السلطان سليم العثماني
فاستلم الخلافة من المنوكل آخر خلفاء بني العباس وذلك سنة ١٥١٦ فكانت مدة جميعهم ٨٨٠ سنة
(بولهي)

صَبَاحَ مَسَاءَ . وَكَانَتْ عَادَةُ الْخُلَفَاءِ أَكْثَرَهُمْ أَنْ يَجِيسُوا أَوْلَادَهُمْ وَأَقَارِبَهُمْ
 وَبِذَلِكَ جَرَتْ سُنَّتُهُمْ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَعَصِمِ . فَلَمَّا وَجَّى الْمُسْتَعَصِمُ
 أَطْلَقَ أَوْلَادَهُ الثَّلَاثَةَ وَلَمْ يَجِيسْهُمْ وَهُمْ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ
 وَالْعَامَةُ نُسَمِيهِ أَبَا بَكْرٍ لَيْسَ بِصَبِيحٍ وَإِنَّمَا سَمَّوهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا نَهَبَ الْكَرْخُ
 نُسِبَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَقِيلَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَشَارَ بِذَلِكَ وَالْأَمِيرُ
 الْأَوْسَطُ وَهُوَ أَبُو الْفَضَائِلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ كَانَ شَهْمًا خَرَجَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْ
 السُّلْطَانِ هُوَ لَا كُوُوفَ وَوَقَعَ كَلَامُهُ بِمَوْضِعِ الْإِسْتِحْسَانِ فِي الْحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ
 وَالْأَمِيرِ الْأَصْغَرِ أَبُو الْمَنَاقِبِ

حَدَّثَنِي صَفِيُّ الدِّينِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ فَاخِرِ الْأُرْمُوِيُّ وَكَانَ قَدْ صَارَ
 فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَعَصِمِ مُفْرَبًا عِنْدَكَ وَمِنْ خَوَاصِهِ . وَكَانَ قَدْ اسْتَجَدَّ فِي
 آخِرِ أَيَّامِهِ خِزَانَةَ كُتُبٍ وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ نَفَائِسِ الْكُتُبِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا
 إِلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ . فَصَارَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ يَجْلِسُ بِيَابِ الْخِزَانَةِ يَنْسُخُ لَهُ مَا
 يُرِيدُ . وَإِذَا خَطَرَ لِخَلِيفَةِ الْجُلُوسِ فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ جَاءَ إِلَيْهَا وَعَدَلَ عَنِ
 الْخِزَانَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ مُسَلَّمَةً إِلَى الشَّيْخِ صَدْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ النَّبَارِ .
 قَالَ . أَعْنِي عَبْدُ الْمُؤْمِنِ : كُنْتُ مَرَّةً جَالِسًا فِي حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ وَأَنَا أَنْسُخُ
 وَهَنَاكَ مَرْتَبَةً بِرِسْمِ الْخَلِيفَةِ إِذَا جَاءَ إِلَى هُنَاكَ جَلَسَ عَلَيْهَا . وَقَدْ بَسَطْتُ
 عَلَيْهَا مِلْحَفَةً لِتُرَدَّ عَنْهَا الْعُبَارُ . فَجَاءَ حُوَيْدِمٌ صَغِيرٌ وَنَامَ قَرِيبًا مِنَ الْمَرْتَبَةِ
 الْمَذْكُورَةِ وَأَسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ فَتَقَلَّبَ حَتَّى تَلَفَّفَ فِي تِلْكَ الْمِلْحَفَةِ
 الْمَبْسُوطَةِ عَلَى الْمَرْتَبَةِ ثُمَّ تَقَلَّبَ حَتَّى صَارَتْ رِجْلَاهُ عَلَى الْمُسْنَدِ . قَالَ وَأَنَا
 مَشْغُولٌ بِالنَّسْخِ فَأَحْسَسْتُ بِوُطْءٍ فِي الدَّهْلِيْزِ فَانْظَرْتُ فَإِذَا هُوَ الْخَلِيفَةُ

وَهُوَ يَسْتَدِينِي بِالْإِشَارَةِ وَيُخَيِّفُ وَطَاءَهُ. فُقِمْتُ إِلَيْهِ مُتَرَجِّحًا وَقَبِلْتُ
 الْأَرْضَ فَقَالَ لِي: هَذَا الْخَوِيدِمُ الَّذِي قَدْ نَامَ حَتَّى تَلَفَّ فِي هَذِهِ الْحَلِيفَةِ
 وَصَارَتْ رِجْلَاهُ عَلَى الْمَسْنَدِ مَتَى هَجَمْتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتَيْفِظَ وَيَعْلَمَ أَنِّي قَدْ
 شَاهَدْتُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَنْفِطُرُ مَرَارَتُهُ مِنَ الْخَوْفِ. فَأَيُّفِظُهُ أَنْتَ بِرِفْقِي
 فَإِنِّي سَأَخْرُجُ إِلَى الْبُسْتَانِ ثُمَّ أَعُودُ. قَالَ وَخَرَجَ الْحَلِيفَةُ فَدَخَلْتُ إِلَى
 الْخَوِيدِمِ وَأَيُّفِظْتُهُ فَانْتَبَهَ ثُمَّ أَصْلَحْنَا الْمَرْتَبَةَ ثُمَّ دَخَلَ الْحَلِيفَةَ

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ بَغْدَادَ حَدِيثُ أَنَّ الشَّيْخَ صَدْرَ الدِّينِ بْنِ النَّبَارِ
 شَيْخَ الْحَلِيفَةِ قَالَ: دَخَلْتُ مَرَّةً إِلَى خِزَانَةِ الْكُتُبِ عَلَى عَادَتِي وَفِي كُفِّي
 مِندِيلٌ فِيهِ رِقَاعٌ كَثِيرَةٌ لِحَمَاعَةٍ مِنْ أَرْبَابِ الْحَوَائِجِ فَطَرَحْتُ الْمِندِيلَ
 وَفِيهِ الرِّقَاعُ فِي مَوْضِعِي ثُمَّ قُمْتُ لِبَعْضِ شَأْنِي. فَلَمَّا عُدْتُ إِلَى الْخِزَانَةِ
 بَعْدَ سَاعَةٍ حَلَلْتُ الرِّقَاعَ مِنَ الْمِندِيلِ حَتَّى أَتَانَا مَلَهَا وَأُقَدِمَ مِنْهَا الْمُهَمَّ
 فَرَأَيْتُهَا جَمِيعًا وَعَلَيْهَا تَوْفِيعُ الْحَلِيفَةِ بِالْإِجَابَةِ إِلَى جَمِيعِ مَا فِيهَا. فَعَلِمْتُ
 أَنَّ الْحَلِيفَةَ قَدْ جَاءَتْ إِلَى الْخِزَانَةِ عِنْدَ قِيَامِي فَرَأَيْتُ الرِّقَاعَ
 فَفَتَحَهَا وَوَقَعَ عَلَى جَمِيعِهَا

وَالْمُسْتَعَصِمُ هُوَ آخِرُ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِبَغْدَادَ وَلَمْ يَجْرِ فِي أَيَّامِ
 الْمُسْتَعَصِمِ شَيْءٌ يُؤْتَرُ سِوَى نَهْبِ الْكُرْخِ وَبَيْسِ الْأَثَرِ ذَلِكَ. وَفِي آخِرِ
 أَيَّامِهِ قَوِيَتْ الْأَرَجِيفُ بِوُضُولِ عَسْكَرِ الْبُغُولِ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ هُوَلَا كُو
 فَلَمْ يَجْرُكْ ذَلِكَ مِنْهُ عَزْمًا وَلَا نَبَهَ مِنْهُ هِمَّةً وَلَا أَحَدٌ عِنْدَهُ هَمًّا. وَكَانَ
 كُلَّمَا سَمِعَ عَنِ السُّلْطَانِ مِنَ الْإِحْبَابِ وَالْإِسْتِعْدَادِ شَيْءٌ ظَهَرَ مِنَ الْحَلِيفَةِ
 يَفِضُّهُ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالْإِهْمَالِ. وَلَمْ يَكُنْ يَتَصَوَّرُ حَقِيقَةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ

وَلَا يَعْرِفُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ بِسَرِّ اللَّهِ إِحْسَانَهَا وَأَعْلَى شَأْنِهَا حَقَّ الْمَعْرِفَةِ. وَكَانَ
 وَزِيرٌ مُؤَيَّدٌ الدِّينِ بِنِ الْهَلْفِيِّ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ وَيَكْتَابُهُ
 بِالْتَّخْدِيرِ وَالْتَّنْبِيهِ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِالتَّبْقِظِ وَالْإِسْتِعْدَادِ وَهُوَ لَا يَزِدَادُ إِلَّا غُفُولًا.
 وَكَانَ خَوَاصُّهُ يُوْهَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا كَبِيرُ خَطَرٍ وَلَا هُنَاكَ مَحْذُورٌ وَأَنَّ
 الْوَزِيرَ إِنَّمَا يَعْظُمُ هَذَا لِيَنْفَقَ سُوقُهُ وَلِيَتَبَرَّزَ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ لِيُحْنِدَ بِهَا الْعَسَاكِرَ
 فَيَنْتَضِعَ مِنْهَا لِنَفْسِهِ. وَمَا زَالَتْ غَفْلَةُ الْخَلِيفَةِ تَنْبِيهِ وَيَقْظَةُ الْجَانِبِ الْآخِرِ
 تَضَاعَفُ حَتَّى وَصَلَ الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِيُّ إِلَى هَبْدَانَ وَأَقَامَ بِهَا مُدِينَةً.
 ثُمَّ تَوَاتَرَتْ الرُّسُلُ السُّلْطَانِيَّةُ إِلَى الدِّيَّوَانِ الْمُسْتَعْصِمِيِّ فَوَقَعَ التَّعْيِينَ
 مِنْ دِيَّوَانِ الْخَلِيفَةِ عَلَى وَلَدِ أَسْتَاذِ الدَّارِ وَهُوَ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْجُوزِيِّ فَبِعَثَ رَسُولًا إِلَى خِدْمَةِ الدَّرْكَاهِ السُّلْطَانِيَّةِ بِهَبْدَانَ. فَلَمَّا وَصَلَ
 وَسُمِعَ جَوَابَهُ عُلِمَ أَنَّهُ جَوَابٌ مُغَالَطَةٌ وَمُدَافَعَةٌ

فَجَبْنِيذٍ وَقَعَ الشَّرُوعُ فِي قَصْدِ بَغْدَادَ وَبَثَّ الْعَسَاكِرَ إِلَيْهَا. فَتَوَجَّهَ
 عَسْكَرٌ كَثِيفٌ مِنَ الْهَغُولِ وَالْمَقْدَمِ عَلَيْهِمْ بَاجُوعٌ إِلَى تِكْرِيْتٍ لِيَعْبُرُوا مِنْ
 هُنَاكَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَيَقْصِدُوا بَغْدَادَ مِنْ غَرْبِهَا وَيَقْصِدَهَا
 الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِيُّ مِنْ شَرْقِهَا. فَلَمَّا عَبَرَ عَسْكَرُ بَاجُوعٍ تِكْرِيْتًا وَأَخْبَرَ
 إِلَى أَعْمَالِ بَغْدَادَ أَجْفَلَ النَّاسُ مِنْ دُجَيْلٍ وَالْإِنْخَافِي وَنَهْرِ مَلِكٍ وَنَهْرِ
 عَيْسَى وَدَخَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ بَيْنَسَائِمِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ أَوْ الْمَرْأَةُ
 يَقْدِفُ بِنَفْسِهِ فِي الْمَاءِ وَكَانَ الْمَلَّاحُ إِذَا عَبَرَ أَحَدًا فِي سَفِينَةٍ مِنْ جَانِبِ
 إِلَى جَانِبٍ يَأْخُذُ أُجْرَتَهُ سَوَارًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ طِرَازًا مِنْ زَرْكَشٍ أَوْ عِدَّةٍ
 مِنَ الدَّنَانِيرِ. فَلَمَّا وَصَلَ الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِيُّ إِلَى دُجَيْلٍ وَهُوَ يَزِيدُ عَلَى

ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ خَرَجَ إِلَيْهِ عَسْكَرُ الْخَلِيفَةِ صُحْبَةً مَقْدَمِ الْجَبُوشِ
 مُجَاهِدِ الدِّينِ إِيَّاكَ الدَّوَيْدَارِ وَكَانَ عَسْكَرًا فِي غَايَةِ النِّلَّةِ فَالْتَقَوْا بِأَتْحَانِبِ
 الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ فَكَانَتْ الْغَلْبَةُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِعَسْكَرِ
 الْخَلِيفَةِ ثُمَّ كَانَتْ الْكُرَّةُ لِلْعَسْكَرِ السُّلْطَانِيِّ فَأَبَادُوهُمْ قَتَلًا وَأَسْرًا وَأَعَانَهُمْ
 عَلَى ذَلِكَ نَهْرٌ فَخَوَّهُ فِي طُولِ اللَّيْلِ فَكَثُرَتْ الْوُحُولُ فِي طَرِيقِ الْمُنْهَزِمِينَ
 فَلَمْ يَبْجُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَمَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ أَوْ مِنْ دَخَلَ الْبَرِّيَّةَ وَمَضَى عَلَى
 وَجْهِهِ إِلَى الشَّامِ. وَبَجَا الدَّوَيْدَارُ فِي جُمُعَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ
 وَسَاقَ بَاجُوحًا حَتَّى دَخَلَ الْبَلَدَ مِنْ جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ وَوَقَفَ بِعَسَاكِرِهِ مُحَاذِي
 النَّجَاحِ وَجَاسَتْ عَسَاكِرُهُ خِلَالَ الدِّيَارِ وَأَقَامَ مُحَاذِي النَّجَاحِ أَيَّامًا
 أَمَا حَالُ الْعَسْكَرِ السُّلْطَانِيِّ فَإِنَّهُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ مُحَرَّمٍ مِنْ سَنَةِ
 سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِئَةٍ نَارَتْ غَبْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَرَفِي بَغْدَادَ عَلَى دَرْبِ يَعْقُوبَ
 مَحِيثُ عَمَتِ الْبَلَدِ فَأَنْزَعَجَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَصَعِدُوا إِلَى أَعَالِي السُّطُوحِ
 وَالْمَنَابِرِ يَتَشَوَّفُونَ. فَأُنْكَشِفَتِ الْغَبْرَةُ عَنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ وَخَبُوهُ وَلَفِيفُهُ
 وَكُرَاعِهِ وَقَدْ طَبَّقَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَأَحَاطَ بِبَغْدَادَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا. ثُمَّ
 شَرَعُوا فِي اسْتِعْمَالِ أَسْبَابِ الْحِصَارِ وَشَرَعَ الْعَسْكَرُ الْخَلِيفِيِّ فِي الْمُدَافَعَةِ
 وَالْمُقَاوَمَةِ إِلَى يَوْمِ تَاسِعِ وَعِشْرِي مُحَرَّمٍ. فَلَمْ يَشْعُرِ النَّاسُ إِلَّا وَرَايَاتُ
 الْمَغُولِ ظَاهِرَةً عَلَى سُورِ بَغْدَادَ مِنْ بُرْجٍ يُسَمَّى بُرْجَ الْعَجَمِيِّ مِنْ نَاحِيَةِ
 بَابِ مِنَ أَبْوَابِ بَغْدَادَ يُقَالُ لَهُ بَابُ كَلْوَاذِءِ. وَكَانَ هَذَا الْبُرْجُ أَقْصَرَ
 أَبْرَاجِ السُّورِ. وَتَقَعَّمَ الْعَسْكَرُ السُّلْطَانِيُّ هُجُومًا وَدُخُولًا فَجَرَى مِنَ الْقَتْلِ
 الذَّرِيعِ وَالنَّهْبِ الْعَظِيمِ وَالْتِهْتِكِ الْبَلِغِ مَا يُعْظَمُ سَمَاعُهُ جُمْلَةً. فَأَلْظَنُ

بِتَفَاصِيلِهِ وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكَرُ فَظَنَّ ظَنًّا وَلَا نَسَأَلَ عَنِ الْخَبَرِ .
 وَأَمْرَ السُّلْطَانِ بِخُرُوجِ الْخَلِيفَةِ وَوَلَدِهِ وَنِسَائِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجُوا فَحَضَرَ الْخَلِيفَةُ
 بَيْنَ يَدَيْ الدَّرْكَاهِ . فَيُقَالُ إِنَّهُ عَوْتَبٌ وَوُجَّحٌ بِهَا مَعْنَاهُ نِسْبَةُ الْعَجْزِ وَالتَّفْرِيطِ
 وَالغُفُولِ إِلَيْهِ . ثُمَّ أُوصِلَ إِلَى الْبِلَاسِ وَوَلَدَاهُ الْأَكْبَرُ وَالْأَوْسَطُ . وَأَمَّا
 بَنَاتُهُ فَأَسْرَنَ ثُمَّ اسْتَشْهَدَ الْمُسْتَعِصِمُ فِي رَابِعِ صَفَرٍ مَنَّةَ سِتِّ وَخَمْسِينَ
 وَسِتِّ مِائَةٍ

إِنْتَهَى ذِكْرُ خِلَافَةِ الْمُسْتَعِصِمِ بِاللَّهِ

البلاس في قانون الجنابات في دولة المغول

مِنْ كِتَابِ
المَوَاعِظِ وَالْإِعْتِبَارِ فِي ذِكْرِ الْخَطِّ وَالْأَثَارِ

لِنَفِيِّ الدِّينِ الْمَقْرِزِيِّ
ذِكْرُ خِلَافَةِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ

الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو عَلِيٍّ مَنصُورُ بْنُ الْعَزِيزِ نِزَارِ بْنِ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ
أَبِي تَيْبِيمٍ مَعْدِيٍّ وَوُلِدَ بِالْقَصْرِ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمُعِزِّيَّةِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الثَّلَاثِ
وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَعِيبِينَ وَثَلَاثِينَ فِي السَّاعَةِ
الْتَّاسِعَةِ وَالطَّلُوعِ مِنْ بُرْجِ السَّرَطَانِ سَبْعَ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً. وَسُئِمَ عَلَيْهِ
بِالْخِلَافَةِ فِي مَدِينَةِ بَلْبَيسَ بَعْدَ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَامِنِ وَعِشْرِي شَهْرِ
رَمَضَانَ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ. وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ
بِسَائِرِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَالْعَزِيزُ فِي قُبَّةٍ عَلَى نَاقَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَعَلَى الْحَاكِمِ دُرَاعَةٌ
مُصَمَّمَةٌ وَعِمَامَةٌ فِيهَا الْجَوْهَرُ وَبِيَدِهِ رُحْمٌ وَقَدْ تَقَلَّدَ السِّيفَ وَلَمْ يُفْقَدِ مِنْ
جَمِيعِ مَا كَانَ مَعَ الْعَسَاكِرِ شَيْءٌ وَدَخَلَ الْقَصْرَ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ. وَأَخَذَ
فِي جِهَازِ أَبِيهِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَدَفَنَهُ. ثُمَّ بَكَرَ سَائِرُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْقَصْرِ
يَوْمَ الْخَمِيسِ وَقَدْ نَصَبَ لِلْحَاكِمِ سَرِيرٌ مِنْ دَهَبٍ عَلَيْهِ مَرْتَبَةٌ مَدَّهَبَةٌ فِي
الْإِيوَانِ الْكَبِيرِ. وَخَرَجَ مِنْ قَصْرِ رَاكِبًا وَعَلَيْهِ مَعْمَمَةٌ الْجَوْهَرِ وَالنَّاسُ

الحاكم بامر الله هو احد الخلفاء الفاطميين بمصر ولي العهد بعد ابيه سنة ٩٩٦ وكان شرسا
جائرا سفاك دماء واضطهد اليهود والنصارى وامر بقلع الكرم. وكانت وفاته سنة ١٠٢١
قتلا بيد فتى من المسلمين. وكان يدعي انه من سلالة علي ابن ابي طالب ويدعو نفسه امير
المؤمنين والفاطم مقام الله وعدل عن دين محمد واقام ديننا جديدا وهو دين الدروز المتقين
الآن في سورية ومصر واصحابه يزعمون انه نقل الى السماء (بولبي)

وَوُفِّدَ فِي صَحْنِ الْإِيوَانِ. فَقَبِلُوا لَهُ الْأَرْضَ وَمَشُوا بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى جَلَسَ
 عَلَى السَّرِيرِ. فَوَقَفَ مِنْ رَسْمِهِ الْوُفُوفُ وَجَلَسَ مِنْ لَهُ عَادَةٌ أَنْ يَجْلِسَ
 وَسَلَّمَ الْجَمِيعُ عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ وَاللَّقَبِ الَّذِي أَخْبِرَ لَهُ وَهُوَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ
 وَكَانَ سَنُهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ
 فَجَعَلَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَمَّارٍ الْكِنَانِيَّ وَاسِطَةً وَلَقَّبَهُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ
 وَأَسْفَطَ مَكُوسًا كَانَتْ بِالسَّاحِلِ وَرَدَّ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ جَوْهَرِ الْقَائِدِ
 الْبَرِيدِ وَالْإِنشَاءِ. فَكَانَ يَخْلُفُهُ أَبُو سُوْرِبِنْ وَأَقْرَبُ عَيْسَى بْنِ نَسْطُورُسَ
 عَلَى دِيْوَانِ الْخَاصِّ وَقَلَدَ سُلَيْمَانَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحِ الشَّامِ. فَخَرَجَ
 بِنَجْوَتِكَيْنِ بِدِمَشْقَ وَسَارَ مِنْهَا لِهِدَافِعَةَ سُلَيْمَانَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحِ. فَبَلَغَ
 الرَّمْلَةَ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ أَبُو الْجُرَّاحِ الطَّائِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ وَوَاقَعَ أَبُو
 فَلَاحِ قَانَهْرَمَ وَقَرَّبَهُمْ أُسْرًا وَجُمِلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَأَكْرَمَ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ
 عَلَى أَبِي عَمَّارٍ وَوَقَعَتْ حُرُوبٌ آتَتْ إِلَى صَرْفِهِ عَنِ الْوَسَاطَةِ وَلَهُ فِي
 النَّظَرِ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا غَيْرَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ. فَلَزِمَ دَارَهُ وَأُطْلِقَتْ لَهُ رُسُومٌ
 وَجَرَائِبٌ. وَأَقِيمَ الطَّوَائِي بِرَجْوَانَ الصَّفَلِيِّ مَكَانَهُ فِي الْوَسَاطَةِ لِثَلَاثِ
 بَعْدِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ. فَجَعَلَ كَاتِبَهُ فَهْدَ بْنَ
 إِبْرَاهِيمَ يُوقِعُ عَنْهُ وَلَقَّبَهُ بِالرَّئِيسِ وَصَرَفَ سُلَيْمَانَ بْنَ فَلَاحِ عَنِ الشَّامِ
 بِجَيْشِ بْنِ الصَّمْصَامَةِ. وَقَلَدَ فَحْلَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْكِنَانِيَّ مَدِينَةَ صُورَ. وَقَلَدَ
 يَانَسَ الْخَادِمَ بَرْقَةَ وَمِسُورًا الْخَادِمَ طَرَابُلُسَ وَيَمْنًا الْخَادِمَ عَنَّةَ
 وَعَسْفَلَانَ. فَوَاقَعَ جَيْشُ الرُّومِ عَلَى فَامِيَةَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافٍ رَجُلًا وَعَزَا
 إِلَى أَنْ دَخَلَ مَرَعَشَ. وَقَلَدَ وَظِيْفَةَ قِضَاءِ الْقِضَاءِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ

علي بن النعمان في صفر سنة تسع وثمانين بعد موت قاضي القضاة محمد بن النعمان. وقتل الأستاذ برجان لأربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وله في النظر ستان وثمانية أشهر غير يوم واحد ورد النظر في أمور الناس وتديير المملكة والتوقيعات إلى الحسين بن جوهر ولقب بقائد القواد خلفه الرئيس قهد. واتخذ الحاكم مجلسا في الليل بحضور فيه عدة من أعيان الدولة ثم أبطله ومات جيش بن الصمصامة في ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة. فوصل ابنه بتركته إلى القاهرة ومعه درج مخطأ أبيه فيه وصيبته وثبت بها خلفه مفصلا. وأن ذلك جميعه لأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله لا يستحق أحد من أولاده منه درهما. وكان مبلغ ذلك جميعه نحو المائتين ألف دينار ما بين عين ومتاع ودواب. قد أوقف جميع ذلك تحت الفصر فأخذ الحاكم الدرج ونظر ثم أعاده إلى أولاد جيش وخلع عليهم وقال لهم بحضور وجوه الدولة: قد وقفت على وصية أبيكم رحمه الله وما وصى به من عين ومتاع فخذوه هنيئا مباركا لكم فيه فأنصرفوا بجميع التركة.....

ومنع الناس كافة من مخاطبته أحد ومكاتبته بسيدنا ومولانا إلا أمير المؤمنين وحده. وأبج دم من خالف ذلك. وفي شوال قتل ابن عمار وفي سنة إحدى وتسعين واصل الحاكم الزكوب في الليل كل ليلة. وكان يشق الشوارع والأزقة وبالغ الناس في الوفيد والزينة وأنفقوا الأموال الكثيرة على المأكيل والمشارب والغناء واللهو وكثر تفرجهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد فمنع النساء من الخروج في الليل.

ثُمَّ مَنَعَ الرِّجَالَ مِنَ التَّجْلُوسِ فِي الْحَوَانِيتِ
 وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ أَمَرَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ بِشِدِّ الزَّنَائِيرِ وَلبَسِ
 الْغِيَارِ . وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ أَكْلِ الْمَلُوحِيَا وَأَنْجُرِ جَبْرِ وَالْمَتَوَكِّلِيَّةِ وَالِدَّالِيْنِسِ
 وَدَخَّجِ الْأَبْقَارِ السَّلِيمَةِ مِنَ الْعَاهَةِ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْأَضْحِيَّةِ . وَمَنَعَ مِنْ بَيْعِ
 النَّفَّاعِ وَعَمَلِهِ الْبُنَّةِ وَأَنْ لَا يَدْخُلَ أَحَدٌ أَنْحَامَ إِلَّا بِمِزْرٍ وَأَنْ لَا تَكْشِفَ
 امْرَأَةٌ وَجْهَهَا فِي طَرِيفٍ وَلَا خَلْفَ جَنَازَةٍ وَلَا تَبْرَجَ وَلَا يَبَاعَ شَيْءٌ مِنْ
 السَّمَكِ بِغَيْرِ فِشْرٍ وَلَا بَصْطَادَةٍ أَحَدٌ مِنَ الصَّيَادِيْنَ . وَتَنَبَّحَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ
 كَلْبُهُ وَتَشَدَّدَ فِيهِ وَضُرِبَ جَمَاعَةٌ بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِمْ مَا أُمِرُوا بِهِ وَنَهُوا عَنْهُ
 مَا ذَكَرَ . وَخَرَجَتِ الْعَسَاكِرُ لِقِتَالِ بَنِي قُرَّةَ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَةِ . وَكُتِبَ عَلَى
 أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ وَعَلَى الْجَمَاعِ بِبَهْضِ وَعَلَى أَبْوَابِ الْحَوَانِيتِ وَالْأَنْجُرِ
 وَالْمَقَابِرِ سَبُّ السَّلَفِ ^١ وَلَعْنُهُمْ وَأَكْرَهُ النَّاسَ عَلَى نَقْشِ ذَلِكَ وَكِتَابَتِهِ
 بِالْأَضْبَاعِ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ . وَأَقْبَلَ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ النَّوَاحِي فَدَخَلُوا
 فِي الدَّعْوَةِ وَجُعِلَ لَهُمْ يَوْمَانِ فِي الْأُسْبُوعِ وَكَثُرَ الْإِزْدِحَامُ عَلَى ذَلِكَ
 وَمَاتَ فِيهِ جَمَاعَةٌ

وَمَنَعَ النَّاسَ مِنَ الْخُرُوجِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فِي الطَّرْفَاتِ وَأَنْ لَا يَظْهَرَ أَحَدٌ
 بِهَا لِبَيْعٍ وَلَا شِرَاءٍ . فَخَلَّتِ الطَّرِيقُ مِنَ الْمَارَّةِ وَكُسِرَتْ أَوْ فِي الْخُمْرِ وَأَرِيَقَتْ
 مِنْ سَائِرِ الْأَمَاكِينِ . وَاشْتَدَّ خَوْفُ النَّاسِ بِأَسْرِهِمْ وَقَوِيَّتِ الشَّنَاعَاتُ وَزَادَ
 الْأَضْطِرَابُ فَاجْتَمَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ تَحْتَ الْقَصْرِ وَضَجُّوا بِسَأْلُونَ

^١ اسم السلف يُطلق على ما ذهب إليه الائمة على عابشة زوجة محمد وابي بكر وعمر
 وثشان وطلحة وابن الزبير ومعاوية وعمرو بن العاص

الْعَفْوِ فَكُتِبَتْ عِدَّةُ أَمَانَاتٍ لِجَمِيعِ الطَّوَائِفِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ
 الْبَاعَةِ وَالرَّعِيَّةِ. وَأَمْرٌ يَقْتُلِ الْكِلَابَ فَقُتِلَ مِنْهَا مَا لَا يَحْصَى حَتَّى فُقِدَتْ.
 وَفُتِحَتْ دَارُ الْحِكْمَةِ بِالْقَاهِرَةِ وَحُمِلَ إِلَيْهَا الْكُتُبُ وَدَخَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ
 وَأَشَدَّ الطَّلَبُ عَلَى الرِّكَابِيَّةِ الْمُسْتَحْدِمِينَ فِي الرِّكَابِ وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا.
 ثُمَّ عَفَا عَنْهُمْ وَكُتِبَ لَهُمْ أَمَانَاتٌ وَمَنَعَ النَّاسَ كَافَّةً مِنَ الدُّخُولِ مِنْ بَابِ
 الْقَاهِرَةِ وَهُمْ رُكَّابٌ. وَمَنَعَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْ يَدْخُلُوا بِحِمِيرِهِمْ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَنَعَ
 النَّاسَ مِنَ الْمَشِيِّ مُلَاصِقَ الْقَصْرِ. وَقُتِلَ قَاضِي الْقَضَاةِ حُسَيْنُ بْنُ النُّعْمَانِ
 وَأُخْرِقَ بِالنَّارِ. وَقُتِلَ عِدَّةٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ
 وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ خَرَجَ أَبُو رَكْوَةَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ وَادَّعَى أَنَّهُ
 مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ. فَقَامَ بِأَمْرِ بَنِي قُرَّةٍ لِكَثْرَةِ مَا أَوْقَعَ بِهِمُ الْحَاكِمُ وَبَابِعُوهُ
 وَأَسْتَجَابَ لَهُ لَوَاتِهِ وَمَزَانَتِهِ وَزَنَانَتِهِ وَأَخَذَ بَرْقَةً وَهَزَمَ جِيُوشَ الْحَاكِمِ غَيْرَ
 مَرَّةٍ وَغَنِمَ مَا مَعَهُمْ. فَخَرَجَ لِقِتَالِهِ الْقَائِدُ فَضْلُ بْنُ صَالِحٍ فِي رَيْبِ الْأَوَّلِ
 وَوَأَقَعَهُ فَأَهْزَمَ مِنْهُ فَضْلٌ وَأَشَدَّ الْأَضْطِرَابُ بِبَهْضِ وَتَزَايَدَتْ الْأَسْعَارُ.
 وَأَشَدَّ الْإِسْتِعْدَادُ لِحَارِبَةِ أَبِي رَكْوَةَ وَنَزَلَتْ الْعَسَاكِرُ بِالْحِجِينَ. وَسَارَ أَبُو
 رَكْوَةَ فَوَاقَعَهُ الْقَائِدُ فَضْلٌ وَقُتِلَ عِدَّةٌ مِنْ مَعَهُ. فَعَظُمَ الْأَمْرُ وَأَشَدَّ الْخَوْفُ
 وَخَرَجَ النَّاسُ فَبَاتُوا فِي الشُّوَارِعِ خَوْفًا مِنْ هُجُومِ عَسَاكِرِ أَبِي رَكْوَةَ.
 وَأَسْتَمْرَبَتِ الْحُرُوبُ فَأَهْزَمَ أَبُو رَكْوَةَ فِي ثَالِثِ ذِي الْحِجَّةِ عَلَى الْفَيْوَمِ.
 وَتَبِعَهُ الْقَائِدُ فَضْلٌ بَعْدَ أَنْ بَعَثَ إِلَى الْقَاهِرَةِ سِتَّةَ آلَافِ رَأْسٍ وَمَاءً
 أَسِيرًا إِلَى أَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ فِي بِلَادِ النُّوبَةِ. وَأُخْضِرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَقُتِلَ بِهَا
 وَخُلِعَ عَلَى الْقَائِدِ فَضْلٍ وَسِيرَتِ الْبَشَائِرُ بِقِتَالِهِ فِي الْأَعْمَالِ

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِينَ أَمَرَ بِمَحْوِ سَبِّ السَّلَفِ فَمَجِي سَائِرُ
مَا كُتِبَ مِنْ ذَلِكَ وَغَلَّتِ الْأَسْعَارُ لِنَقْصِ النَّيْلِ. فَإِنَّهُ بَلَغَ سِتَّةَ عَشَرَ
أَصْبَعًا مِنْ سَبْعِ عَشْرَةِ ذِرَاعًا ثُمَّ نَقَصَ وَمَاتَ بِمَجُونِ كَيْنَ فِي ذِي الْحِجَّةِ
وَأَشْتَدَّ الْغَلَاءُ فِي ثَمَانَ وَتِسْعِينَ وَوَلَّى عَلِيٌّ ابْنَ فَلَاحِ دِمَشْقَ. وَفِيضَ جَمِيعُ
مَا هُوَ مُحْبَسٌ عَلَى الْكِنَانِيِّ. وَجُعِلَ فِي الدِّيَّانِ وَأُحْرَقَ عِدَّةُ صُلْبَانٍ عَلَى بَابِ
الْجَامِعِ بِبَصْرَ وَكُتِبَ إِلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ بِذَلِكَ. وَفِي سَادِسِ عَشَرَ
رَجَبٍ قُرِرَ مَالِكُ بْنُ سَعِيدٍ الْفَارِسِيُّ فِي وَظِيفَةِ قَضَاءِ الْقَضَاةِ وَتَسَلَّمَ كُتِبَ
الدَّعْوَةَ الَّتِي تُقْرَأُ بِالْقَصْرِ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ وَصَرَفَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ النُّعْمَانِ
عَنْ ذَلِكَ.....

وَتَوَقَّفَتْ زِيَادَةُ النَّيْلِ وَاسْتَسْقَى النَّاسُ مَرَّتَيْنِ وَأَمْرًا بِبَطَالِ عِدَّةِ
مُكُوسٍ وَتَعَدَّرَ وَجُودُ الْخُبْزِ لِغَلَائِهِ وَقَلَّتْهُ. وَفُتِحَ الْحَلِجُّ فِي رَابِعِ ثَوْتٍ
وَالْمَاءُ عَلَى خَمْسِ عَشْرَةِ ذِرَاعًا فَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ. وَفِي تَاسِعِ مُحْرَمٍ وَهُوَ نِصْفُ
ثَوْتٍ نَقَصَ مَاءُ النَّيْلِ وَلَمْ يُوفِ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا. فَمَنَعَ النَّاسُ كَافَّةً مِنْ
التَّظَاهِرِ بِالْغِنَاءِ وَمِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ لِلتَّنْفِجِ. وَمَنَعَ مِنْ بَيْعِ الْمُسْكِرَاتِ
وَمَنَعَ كَافَّةً مِنَ الْخُرُوجِ قَبْلَ الْبَجْرِ وَبَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى الطَّرْفَاتِ. وَأَشْتَدَّ
الْأَمْرُ عَلَى الْكَافَّةِ لِشِدَّةِ مَا دَاخَلَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ مَعَ شِدَّةِ الْغَلَاءِ وَتَزَايُدِ
الْأَمْرَاضِ فِي النَّاسِ وَالْمَوْتِ.....

وَتَزَايَدَتْ الْأَمْرَاضُ وَكَثُرَ الْمَوْتُ وَعَزَّتِ الْأَدْوِيَةُ وَأُعِيدَتْ الْمُكُوسُ
الَّتِي رُفِعَتْ وَهَدِمَتْ كِنَانِيُّ كَانَتْ بِطَرِيفِ الْمَنَسِ. وَهَدِمَتْ كَيْبَسَةُ
بِحَارَةَ الرُّومِ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَنَهَبَ مَا فِيهَا وَقَتِلَ كَثِيرٌ مِنْ الْأَخْدَامِ وَالْكَتَّابِ

وَمِنَ الصَّنَائِلِ بَعْدَ مَا قُطِعَتْ أَيْدِي بَعْضِهِمْ مِنَ الْكُتَّابِ بِالسَّاطُورِ عَلَى
 خَشْبَةٍ مِنْ وَسْطِ الذِّرَاعِ وَقُتِلَ الْقَائِدُ فَضْلُ بْنُ صَالِحٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ .
 وَفِي حَادِي عَشَرَ صَفْرٍ صَرَفَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّوَدْبَارِيُّ وَقُرِّرَ مَكَانَهُ
 ابْنُ عَبْدِوَانَ النَّصْرَانِيُّ الْكَاتِبُ وَلَقِبَ بِالْكَافِي . فَوَقَعَ عَنِ الْحَاكِمِ وَنَظَرَ .
 وَكُتِبَ بِهِمْ كَيْسَةَ الْقَامَةِ وَجَدَّ دِيوانًا يُقَالُ لَهُ الدِّيوانُ الْمَفْرُودُ بِرَسْمِ
 مَنْ يُقْبَضُ مَالُهُ مِنَ الْمُقْتُولِينَ وَغَيْرِهِمْ . وَكَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ وَعَزَّتْ
 الْأَنْوِيَّةُ وَشَهْرَ جَمَاعَةٍ وَجَدَ عِنْدَهُمْ فُقَاعٌ وَمُلُوحِيَاوَدَ لَيْسَ وَتُرْمَسٌ وَضُرِبُوا
 وَهَدِمَ دَيْرُ الْفَصْرِ وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّصْرَانِيِّ وَالْيَهُودِ فِي الزَّمَانِ لَيْسَ
 الْغِيَارِ . وَكُتِبَ بِإِبْطَالِ أَخِي الْخُمْسِ وَالنَّجَاوِيِّ وَالْفِطْرَةِ وَقُرِّئَ الْحُسَيْنُ بْنُ
 جَوْهَرَ وَأَوْلَادُهُ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الثُّعْمَانِ . وَقُرِّئَ أَبُو الْقَسَمِ الْحُسَيْنُ بْنُ
 الْمَغْرِبِيِّ . وَكُتِبَتْ عِدَّةُ أَمَانَاتٍ لِعِدَّةِ طَوَائِفٍ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ وَقُطِعَتْ
 قِرَاءَةُ مَجَالِسِ الْحِكْمَةِ بِالْفَصْرِ . وَوَقَعَ التَّشْدِيدُ فِي الْمَنَعِ مِنَ الْمُسْكِرَاتِ
 وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَالْخُدَّامِ وَالْفَرَّاشِينَ وَقُتِلَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ
 الرَّوَدْبَارِيُّ فِي سَوَالِ

وَفِي رَابِعِ الْحَرَمِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ صَرَفَ الْكَافِي بْنُ عَبْدِوَانَ
 عَنِ النَّظَرِ وَالتَّوْفِيعِ وَقُرِّرَ بَدَلَهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَشُورِيُّ الْكَاتِبُ فِي
 الْوَسَاطَةِ وَالسَّفَارَةِ . وَحَضَرَ حُسَيْنُ بْنُ جَوْهَرَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الثُّعْمَانِ إِلَى
 الْقَاهِرَةِ فَأَكْرَمَهُمْ ثُمَّ صَرَفَ ابْنُ الْقَشُورِيِّ بَعْدَ عَشْرِ أَيَّامٍ مِنْ اسْتِقْرَارِهِ
 وَضُرِبَ عُنُقُهُ وَقُرِّرَ بَدَلَهُ زَرْعَةُ بْنُ عَيْسَى بْنِ نَسْطُورَسَ الْكَاتِبِ النَّصْرَانِيِّ
 وَلَقِبَ بِالشَّافِي . وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ رُكُوبِ الْمَرَاكِبِ فِي الْحَلِجِ وَسَدَّتْ

أَبْوَابِ الدُّورِ الَّتِي عَلَى الْخَلِيجِ وَالطَّاقَاتِ. وَأُضِيفَ إِلَى قَاضِي النُّصَاةِ مَالِكِ
 بْنِ سَعِيدِ النَّظَرِيِّ فِي الْمَظَالِمِ. وَأُعِيدَتْ مَجَالِسُ الْحِكْمَةِ وَأُخِذَ مَالُ التَّجْوَى
 وَقُتِلَ ابْنُ عَبْدِ وَنٍ وَقِيضَ مَالُهُ. وَضُرِبَ جَمَاعَةٌ وَسُهِرُوا مِنْ أَجْلِ بَيْعِهِمْ
 الْمَلُوحِيَا وَالسَّمَكِ الَّذِي لَا فِشْرَ لَهُ وَبِسَبَبِ بَيْعِ النَّبِيدِ. وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ
 بْنُ جَوْهَرٍ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ النُّعْمَانِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي سَنَةِ إِحْدَسَ
 وَأَرْبَعِيئَةٍ وَأُحْبِطَ بِأَمْوَالِهَا وَأُبْطِلَتْ عِدَّةُ مَكُوسٍ. وَمُنِعَ النَّاسُ مِنْ
 الْغِنَاءِ وَاللَّهُوِ وَمِنْ بَيْعِ الْمُهْنِيَّاتِ وَمِنْ الْإِجْتِمَاعِ بِالصَّحْرَاءِ. وَفِي هَذِهِ
 السَّنَةِ خَلَعَ حَسَّانُ بْنُ مُفَرَّجٍ بْنُ دَغْفَلٍ بْنِ الْحَجْرَاجِ طَاعَةَ الْحَاكِمِ وَأَقَامَ أَبَا
 الْفَتْوحِ حُسَيْنَ ابْنَ جَعْفَرِ الْحُسَيْنِيِّ أَمِيرَ مَكَّةَ خَلِيفَةً وَبَابِعُوهُ وَدَعَا النَّاسَ
 إِلَى مُبَايَعَتِهِ وَقَاتَلَ عَسَاكِرَ الْحَاكِمِ

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِيئَةٍ مُنِعَ مِنْ بَيْعِ الزَّرْبِيبِ وَكُتِبَ بِالْمَنْعِ مِنْ
 حَمَلِهِ وَالَّتِي فِي بَحْرِ النَّيْلِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَأُحْرِقَ مِنْهُ كَثِيرٌ. وَمُنِعَ النِّسَاءَ مِنْ
 زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَلَمْ يَرِ فِي الْأَعْيَادِ بِالْمَقَابِرِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ. وَمُنِعَ مِنَ الْإِجْتِمَاعِ
 عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ لِلتَّفَرُّجِ وَمُنِعَ مِنْ بَيْعِ الْعَنْبِ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ فَأُدُونَهَا.
 وَمُنِعَ مِنْ عَصِيرِهِ وَطَرِحَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَدَيْسَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَغُرِقَ كَثِيرٌ مِنْهُ
 فِي النَّيْلِ. وَمُنِعَ مِنْ حَمَلِهِ وَقُطِعَتْ كُرُومُ الْحَيْبَةِ كُلِّهَا وَسِيرَ إِلَى الْجِهَاتِ
 بِذَلِكَ

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِ وَأَرْبَعِيئَةٍ غَلَا السَّعْرُ وَأَزْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى الْخُبْزِ وَفِي ثَلَاثِي
 رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا هَلَكَ عَيْسَى بْنُ نَسْطُورَسَ. فَأَمَرَ النَّصَارَى بِلُبْسِ
 السَّوَادِ وَتَعْلِيْقِ الصُّلْبَانِ الْخَشَبِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَنْ يَكُونَ الصَّلِيبُ ذِرَاعًا فِي

مِثْلَهَا وَزِنْتُهُ خَمْسَةَ أَرْطَالٍ وَأَنْ يَكُونَ مَكْشُوفًا بِحَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ. وَمِنَعُوا
 مِنْ رُكُوبِ التَّحْمِيلِ وَأَنْ يَكُونَ رُكُوبُهُمُ الْبِغَالُ وَالْحَبِيرُ بِالسُّرُجِ الْخَشْبِ
 وَالسُّيُورِ السُّودِ بِغَيْرِ حَلِيَةٍ وَأَنْ يَشُدُّوا الزَّنَانِيرَ وَلَا يَسْتَحْدِمُوا مُسْلِمًا وَلَا
 يَشْتَرُوا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً وَتُبِعَتْ آثَارُهُمْ فِي ذَلِكَ فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ عِدَّةٌ. وَقُرِئَ
 حُسَيْنُ بْنُ طَاهِرِ الزَّوَّانِ فِي الْوَسَاطَةِ وَالتَّوْفِيعِ عَنِ الْحَاكِمِ فِي تَالِيعِ
 وَعَشْرِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا وَلَقِبَ بِأَمِينِ الْأَمْنَاءِ. وَنَفَسَ الْحَاكِمُ عَلَى خَاتِمِهِ
 يَنْصُرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْوَلِيَّ يَنْصُرُ الْإِمَامَ أَبُو عَلِيٍّ. وَضُرِبَ جَمَاعَةٌ بِسَبَبِ
 اللَّعِبِ بِالشُّطْرَنْجِ وَهُدِمَتِ الْكُنَائِسُ وَأُخِذَ جَمِيعُ مَا فِيهَا وَمَالَهَا مِنْ
 الرَّبَاعِ. وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَعْمَالِ فَهُدِمَتِ بِهَا وَفِيهَا لِحْفَ أَبُو الْفَتْوحِ
 يَهْكَةً وَدَعَا لِلْحَاكِمِ وَضُرِبَ السِّكَّةَ بِاسْمِهِ. وَأَمَرَ الْحَاكِمُ أَنْ لَا يُقِيلَ أَحَدٌ لَهُ
 الْأَرْضَ وَلَا يُقِيلَ رِكَابَهُ وَلَا يَدُهُ عِنْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الْمَوَاقِبِ. فَإِنَّ
 الْأَنْحِنَاءَ إِلَى الْأَرْضِ لِخُلُوقٍ مِنْ صَنِيعِ الرُّومِ. وَأَنْ لَا يُزَادَ عَلَى قَوْلِهِمْ
 السَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَلَا يُصَلِّيَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي
 مَكَاتِبِهِ وَلَا مَخَاطِبَتِهِ وَيُقْتَصَرُ فِي مَكَاتِبَتِهِ عَلَى سَلَامِ اللَّهِ وَتَحِيَّاتِهِ وَتَوَاجِبِ
 بَرَكَاتِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُدْعَى لَهُ بِهَا يَتَفَقُّ مِنْ الدُّعَاءِ فَقَطْ لَا غَيْرُ.
 قَلَّمَ يَقُولُ الْخُطْبَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سِوَى اللَّهِ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَسَلَّمَ
 عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ الْمُرْتَضَى. اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَفْضَلَ سَلَامِكَ عَلَى عَبْدِكَ وَخَلِيفَتِكَ. وَمَنْعَ
 مِنْ ضَرْبِ الطُّبُولِ وَالْأَبْوَابِ حَوْلَ الْقَصْرِ. فَصَارُوا يَطُوفُونَ بِغَيْرِ طَبْلِ
 وَلَا بُوقِ وَكَثُرَتْ إِنْعَامَاتُ الْحَاكِمِ. فَتَوَقَّفَ أَمِينُ الْأَمْنَاءِ حُسَيْنُ بْنُ

طَاهِرِ الْوِزَانُ فِي إِمضَائِهَا فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَاكِمُ بِمُخِطِهِ بَعْدَ التَّبَسُّلَةِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ

أَصْبَحْتُ لَا أَرْجُو وَلَا أَتَقِي إِلَّا إِلَهِي وَلَهُ الْفَضْلُ

جَدِّ بَيْ نَيْبِي وَإِمَامِي أَبِي وَدِينِي الْإِخْلَاصُ وَالْعَدْلُ V. De Sacy, I, 70

الْمَالُ مَا لُ اللَّهُ وَالْمَخْلُوقُ عِبَادُ اللَّهِ وَنَحْنُ أُمَّتُهُ فِي الْأَرْضِ أَطْلُقُ أَرْزَاقَ
 النَّاسِ وَلَا نَقْطَعُهَا وَالسَّلَامُ. وَرَكِبَ الْحَاكِمُ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ إِلَى
 الْمَصَلِيِّ بِغَيْرِ زِينَةٍ وَلَا جَنَائِبَ وَلَا أَهْبَةِ سِوَى عَشْرَةِ أَفْرَاسٍ تُقَادُ بِسُرُوجٍ
 وَخُمْرٍ مُخَلَّاةٍ بِفِضَّةٍ خَفِيفَةٍ وَبُنُودٍ سَادِجَةٍ وَمِظَلَّةٍ بِيضَاءَ بَغِيرِ ذَهَبٍ وَعَلَيْهِ
 بِيَاضٌ بِغَيْرِ طِرَازٍ وَلَا ذَهَبٍ وَلَا جَوْهَرٍ فِي عِمَامَتِهِ وَلَمْ يُفْرَشِ الْمَنْبَرُ. وَمَنَّعَ
 النَّاسَ مِنْ سَبِّ السَّلَفِ وَضَرْبِ فِي ذَلِكَ وَشَهْرَ وَصَلَّى صَلَاةَ عِيدِ النَّخْرِ
 كَمَا صَلَّى صَلَاةَ الْفِطْرِ مِنْ غَيْرِ أَهْبَةٍ وَنَحَرَ عَنْهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْيَاسِ بْنِ
 أَحْمَدَ الْمَهَلَّبِيِّ وَكَثُرَ الْحَاكِمُ مِنَ الرُّكُوبِ إِلَى الصَّخْرَاءِ بِحِذَائِهِ فِي رِجْلَيْهِ
 وَفُوطَةٍ عَلَى رَأْسِهِ

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْزَمَ الْيَهُودَ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْنَاقِهِمْ جَرَسٌ
 إِذَا دَخَلُوا إِلَى الْحَمَّامِ وَأَنْ يَكُونَ فِي عُنُقِ النَّصَارَى صُلبَانٌ وَمَنَّعَ النَّاسَ
 مِنْ الْكَلَامِ فِي النُّجُومِ وَأُفِي السَّجَّحُونَ مِنَ الطَّرْفَاتِ وَطَلَبُوا فَتَغَيَّبُوا
 وَنُفُوا. وَكَثُرَتْ هِيَاتُ الْحَاكِمِ وَصَدَقَاتُهُ وَعِنْفُهُ. وَأَمَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ
 بِالنُّجُومِ مِنَ مِصْرَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَغَيْرِهَا. وَأُفِي عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْيَاسِ
 وَوَلِيَّ الْعَهْدِ وَأَمْرَانِ يُقَالُ فِي السَّلَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ابْنِ عَمِّ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَصَارَ يَجْلِسُ بِمَكَانٍ فِي الْقَصْرِ. وَصَارَ

الْحَاكِمُ بَرَكَبُ بَدْرَاعَةَ صُوفٍ بِيضَاءَ وَيَتَعَمَّرُ بِفُوطَةٍ وَفِي رِجْلِهِ حِدَاءَةٌ
 عَرَبِيٌّ بِقِبَالَيْنِ وَعَبْدُ الرَّحِيمِ يَتَوَلَّى النَّظَرَ فِي أُمُورِ الدَّوْلَةِ كُلِّهَا وَأَفْرَطَ
 الْحَاكِمُ فِي الْعَطَاءِ وَرَدَّ مَا كَانَ أَخَذَ مِنَ الصِّبَاعِ وَالْأَمْلَاكِ لِأَرْبَابِهَا
 وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ أَمْرٌ بِقَطْعِ يَدَيْ أَبِي الْقَسِيمِ الْحُجْرَانِيِّ. وَكَانَ يَكْتُبُ
 لِلْقَائِدِ عَيْنٍ. ثُمَّ قُطِعَتْ يَدُ عَيْنٍ فَصَارَ مَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ
 الْحَاكِمُ بَعْدَ قَطْعِ يَدَيْهِ بِأَلْفٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالنِّيَابِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرٌ
 بِقَطْعِ لِسَانِهِ فَقُطِعَ وَأَبْطُلَ عِدَّةٌ مَكُوسٍ وَقَتْلُ الْكِلَابِ كُلِّهَا وَأَكْثَرُ مِنَ
 الرُّكُوبِ فِي اللَّيْلِ وَمَنْعُ النِّسَاءِ مِنَ الْمَشِيِّ فِي الطَّرِيقَاتِ. فَلَمْ تَرَ امْرَأَةً فِي
 طَرِيقِ الْبَيْتَةِ وَأُغْلِقَتْ حَمَامَتُهُنَّ وَمَنْعَ الْأَسَاكِفَةَ مِنْ عَمَلِ خِيفَاهُنَّ وَتَعَطَّلَتْ
 حَوَائِثُهُمْ وَأَشَدَّتْ الْإِشَاعَةُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ فِي النَّاسِ فَتَهَارَبُوا وَغُلِقَتْ
 الْأَسْوَاقُ فَلَمْ يَبِعْ شَيْءٌ وَدُعِيَ لِعَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْيَاسِ عَلَى الْمَنَابِرِ وَضُرِبَتْ
 السِّكَّةُ بِاسْمِهِ بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قُتِلَ مَالِكُ بْنُ سَعِيدِ الْفَارِسِيِّ فِي رَبِيعِ
 الْآخِرِ وَكَانَتْ مُدَّةُ نَظَرِهِ فِي قِضَاءِ الْقُضَاةِ سِتِّ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ
 أَيَّامٍ وَبَلَغَ إِقْطَاعُهُ فِي السَّنَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَتَزَايَدَ رُكُوبُ
 الْحَاكِمِ حَتَّى كَانَ بَرَكَبَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِدَّةَ مَرَارٍ. وَأَشْتَرَى الْحَمِيرَ وَرَكِبَهَا
 بَدَلَ الْخَيْلِ وَفِي جَادَى الْآخِرَةِ مِنْهَا قَتْلُ الْحُسَيْنِ بْنِ طَاهِرِ الْوَزَائِنِ.
 فَكَانَتْ مُدَّةُ نَظَرِهِ فِي الْوَسَاطَةِ سِتِّينَ وَشَهْرَيْنِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا. فَأَمَرَ
 أَصْحَابَ الدَّوَابِّ بِلُزُومِ دَوَابِّهِمْ وَصَارَ الْحَاكِمُ بَرَكَبُ جَارًا بِشَاشِيَةٍ
 مَكْشُوفَةٍ بِغَيْرِ عِيَامَةٍ. ثُمَّ أَقَامَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنِ أَبِي السَّيِّدِ الْكَاتِبَ وَأَخَاهُ

أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُحْسِنِ فِي الْوَسَاطَةِ وَالسَّفَارَةِ وَأَقْرَبَ فِي وَظِيفَةِ قَضَاءِ الْقَضَاةِ
 أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْعَوَامِ. وَخَرَجَ الْحَاكِمُ عَنِ التَّحَدِّيِّ فِي الْعَطَاءِ حَتَّى
 أَقْطَعَ نَوَاتِيَةَ الْمَرَائِبِ وَالْمَشَاعِلِيَّةِ وَبَنِي قُرَّةَ فِيمَا أَقْطَعَ الْإِسْكَندَرِيَّةَ وَالْبُحَيْنَةَ
 وَنَوَاحِيهَا. ثُمَّ قَتَلَ ابْنَ أَبِي السَّيِّدِ. وَكَانَتْ مَدَّةَ نَظَرِهَا اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا
 وَقَلَّدَ الْوَسَاطَةَ فَضْلَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْفَرَاتِ. ثُمَّ قَتَلَهُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ
 مِنْ وِلَايَتِهِ وَعَلَبَ بَنُو قُرَّةَ عَلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا. وَكَانَتْ الْحَاكِمُ مِنَ
 الرُّكُوبِ فِي يَوْمٍ سِتِّ مَرَّاتٍ مَرَّةً عَلَى فَرَسٍ وَمَرَّةً عَلَى حِمَارٍ وَمَرَّةً فِي
 مِحْفَةٍ تُحْمَلُ عَلَى الْأَعْنَاقِ وَمَرَّةً فِي عَشَارِيٍّ عَلَى النَّيْلِ بِغَيْرِ عِمَامَةٍ. وَكَانَتْ
 مِنْ إِقْطَاعِ الْجُنْدِ وَالْعَبِيدِ الْإِقْطَاعَاتِ. وَأَقَامَ ذَا الرَّئِاسَتَيْنِ قُطْبَ الدَّوَلَةِ
 أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ فِي الْوَسَاطَةِ وَالسَّفَارَةِ وَوَلَّى عَبْدَ
 الرَّحِيمِ بْنَ الْيَاسِ دِمَشْقَ. فَسَارَ إِلَيْهَا فِي جَادِي الْأَخْرَجِ سَنَةَ تِسْعٍ
 وَأَرْبَعِينَ فَأَقَامَ فِيهَا شَهْرَيْنِ. ثُمَّ هَجَمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْهُمْ عِنْدَهُ
 وَأَخَذُوهُ فِي صُنْدُوقٍ وَحَمَلُوهُ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ أَعْبَدُوهُ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى
 لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا

وَلَمَّا كَانَ لِلْبَلْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ شَوَالِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ فُقِدَ
 الْحَاكِمُ وَقِيلَ أَنَّ أُخْتَهُ قَتَلَتْهُ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ. وَكَانَ عُمُرُهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً
 وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَكَانَتْ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا. وَكَانَ جَوَادًا
 سَفَاكَ قَتَلَ عَدَدًا لَا يُحْصُونَ. وَكَانَتْ سِيرَتُهُ مِنْ أَعْجَابِ السَّيْرِ وَخُطْبَ
 لَهُ عَلَى مَنَابِرِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَأَفْرِيقِيَّةِ وَالْحِجَازِ. وَكَانَ يَشْتَغِلُ بِعُلُومِ
 الْأَوَائِلِ وَيَنْظُرُ فِي النُّجُومِ وَعَمِلَ رَصْدًا وَأَتَّخَذَ بَيْتًا فِي الْهَيْطِ بِمِصْرَ

فِيهِ عَنِ النَّاسِ لِذَلِكَ وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بَعْرِيهِ جَفَافٌ فِي دِمَاغِهِ
فَلِذَلِكَ كَثُرَ تَنَافُضُهُ وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ فِيهِ بَعْضُهُمْ كَانَتْ أَفْعَالُهُ
لَا تَعْلَلُ وَأَحْلَامُ وَسَاوِسِيهِ لَا تُؤَوَّلُ

وَقَالَ الْمَسْبُوحِيُّ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَارْبَعِينَ قُبِضَ عَلَى رَجُلٍ
مِنْ بَنِي حُسَيْنٍ ثَارَ بِالصَّعِيدِ الْأَعْلَى فَأَقْرَأَهُ أَنَّهُ قَتَلَ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ فِي جُمَلَةٍ
أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ تَرَفُّوا فِي الْبِلَادِ وَأَظْهَرَ فِطْعَةً مِنْ جِلْدِ رَأْسِ الْحَاكِمِ
وَقِطْعَةً مِنَ الْفُوطِيَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ. فَقِيلَ لَهُ لِمَ قَتَلْتَهُ: فَقَالَ غَيْرَ اللَّهِ
وَاللِّسْلَامِ: فَقِيلَ كَيْفَ قَتَلْتَهُ. فَأَخْرَجَ سِكِّينًا ضَرَبَ بِهَا فُؤَادَهُ وَقَتَلَ
نَفْسَهُ وَقَالَ هَكَذَا قَتَلْتَهُ. وَقُطِعَ رَأْسُهُ وَأُنْفِذَ بِهِ إِلَى الْحَضْرَةِ مَعَ مَا وَجَدَ مَعَهُ.
وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي خَبَرِ قَتْلِ الْحَاكِمِ لَا مَا يَجْعَلُهُ الْمَشَارِقَةُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ أَنَّ
أَخْتَهُ قَتَلْتَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

*This is de Sacy's Chrestoma-
thy, vol. II, fo.*

مِنْ ذِكْرِ الْحَارَاتِ

عِبَارَةٌ تَتَعَلَّقُ بِفُتُوحَاتِ هَفْتِكِينَ وَأَنْكِسَارِهِ

حَارَةُ الدَّيْلَمِ عُرِفَتْ بِذَلِكَ لِتُرُودِ الدَّيْلَمِ الْوَاصِلِينَ مَعَ هَفْتِكِينَ
الشَّرَائِيَّ حِينَ قَدِيمٍ وَمَعَهُ أَوْلَادُ مَوْلَاهُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ الْبُوهِيِّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ
الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ وَسَكَنُوا بِهَا فَعُرِفَتْ بِهِمْ
هَفْتِكِينَ وَيُقَالُ لَهُ الْفُنْجِكِيُّ الْتُرْكِيُّ الشَّرَائِيُّ غُلَامُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَحْمَدَ بْنِ
بُوهِ تَرَفَّى فِي الْخُدَمِ حَتَّى غَلَبَ فِي بَغْدَادَ عَلَى عِزِّ الدَّوْلَةِ بَجَنْبَارِ بْنِ مُعِزِّ
الدَّوْلَةِ. وَكَانَ فِيهِ سَجَاعَةٌ وَثَبَاتٌ فِي الْحَرْبِ. فَلَمَّا سَارَتْ الْأَتْرَاكِ مِنْ
بَغْدَادَ لِحَرْبِ الدَّيْلَمِ جَرَى بَيْنَهُمْ فِتْنَالٌ عَظِيمٌ أَشْهَرَ فِيهِ هَفْتِكِينَ إِلَّا أَنَّ

أصحابه أنهزموا عنه وصار في طائفة قليلة فولى يمين معه من الأتراك وهم نحو الأربعمائة. فسار على الرحبة وأخذ منها على البر إلى أن قرب من جوسية إحدى قرى الشام. وقد وقع في قلوب العربان منه مهابة. فخرج إليه ظالم بن مرهوب العقبلي من بعلبك وبعث إلى أبي محمود أبراهيم بن جعفر أمير دمشق من قبل الخليفة المعز لدين الله يعلمه بقدوم هفتكين من بغداد لإقامة الخطبة العباسية وخوفه منه. فأنفذ إليه عسكراً وسار إلى ناحية جوسية يريد هفتكين. وسار بشارة الخادم من قبل أبي المعالي بن حمدان عوناً لهفتكين فرد ظالم إلى بعلبك من غير حرب

وسار بشارة هفتكين إلى حمص فحمل إليه أبو المعالي وتلقاه وأكرمه وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل الدعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد أمرهم وكان كبيرهم يعرف بابن الماوردي. فلما بلغهم خبر هفتكين بعثوا إليه من دمشق إلى حمص يستدعونه ووعدوه بالقيام معه على عساكر المعز وإخراجهم من دمشق ليلى عليهم فوقع ذلك منه بالموافقة. وسار حتى نزل ثنية العقاب لأيام بقيت من شعبان سنة أربع وستين وثلاثمائة. فبلغ عسكر المعز خبر الفرنج وأنهم قد قصدوا طرابلس فساروا بإجمعهم إلى لقاء العدو. ونزل هفتكين على دمشق من غير حرب فأقام أياماً. ثم سار يريد محاربة ظالم ففر منه ودخل هفتكين بعلبك فطرقه العدو من الروم والفرنج وأنهبوا بعلبك وأحرقوا وذلك في شهر رمضان. وانتشروا في أعمال بعلبك والبقاع

يقتلون ويأسرون ويحرقون وقصدوا دمشق وقد اتخف بها هفتكين
 فخرج إليهم أهل دمشق وسألوهم الكف عن البلد والنزوم بها. فخرج
 إليهم هفتكين وأهدى إليهم وتكلم معهم في أنه لا يستطيع جباية المال لقوة
 ابن المأورد وأصحابه وأغرى ملك الروم فقبض عليه وقيد وعاد فجي
 المال من دمشق بالعنف وحمل إلى ملك الروم ثلثين ألف دينار
 ورحل إلى يروت ثم إلى طرابلس

فتمكن هفتكين من دمشق وأقام بها الدعوة لآبي بكر عبد الكريم
 الطائع بن المطيع العباسي وسير إلى العرب سرايا فظفرت وعادت
 إليه بعد مهن أسرته من رجال العرب وقتلهم صبأ. وكان تخوف من
 المعز. فكتب القرامطة يستدعيهم من الأحساء للقدوم عليه لمحاربة
 عساكر المعز وما زال بهم حتى أقوا دمشق في سنة خمس وستين ونزلوا
 على ظاهرها ومعهم كثير من أصحاب هفتكين كانوا قد تشتتوا في البلاد
 فقوي بهم ولقي القرامطة وحمل إليهم وسر بهم. فأقاموا على دمشق أياما
 ثم رحلوا نحو الرملة وبها أبو محمود فلحق يافا ونزل القرامطة الرملة
 ونصبوا القتال على يافا حتى كمل الفريقان وسبوا جميعا من طول الحرب
 وسار هفتكين على الساحل ونزل صيدا وبها ظالم بن مرهوب العفيلي
 وابن الشيخ من قبل المعز. فقاتلهم فتالاً شديداً انهزم منه ظالم إلى
 صور وقتل بين الفريقين نحو أربعة آلاف رجل. فقطع أيدي القتلى
 من عساكر المعز وسيرها إلى دمشق فطيف بها. ثم سار عن صيدا
 يريد عكا وبها عسكر المعز

وَكَانَ قَدَمَاتِ الْمِعْرُ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ
 وَسِيرَ جَوْهَرًا الْقَائِدَ فِي عَسْكَرِ عَظِيمٍ إِلَى قِتَالِ هَفْتِكِينَ وَالْفَرَامِطَةَ .
 فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَامِطَةَ وَهُمْ عَلَى الرَّمْلَةِ وَوَصَلَ الْحَبْرُ بِمَسِيرِهِ إِلَى هَفْتِكِينَ
 وَهُوَ عَلَى عَكَا فَخَافَ الْفَرَامِطَةَ وَقَرُّوا عَنْهَا فَتَزَلَّهَا جَوْهَرٌ وَسَارَ مِنَ الْفَرَامِطَةَ
 إِلَى الْأَحْسَاءِ الَّتِي هِيَ بِلَادُهُمْ جَمَاعَةٌ وَتَأَخَّرَ عِدَّةٌ وَسَارَ هَفْتِكِينَ مِنْ عَكَا
 إِلَى طَبْرِبَةَ وَقَدْ عَلِمَ بِمَسِيرِ الْفَرَامِطَةَ وَتَأَخَّرَ بَعْضُهُمْ فَأَجْتَمَعَ بِهِمْ فِي
 طَبْرِبَةَ وَاسْتَعَدَّ لِلْفَاءِ جَوْهَرٌ وَجَمَعَ الْأَقْوَاتِ مِنْ بِلَادِ حَوْرَانَ وَالْبَلْتِيبَةَ
 وَأَدْخَلَهَا إِلَى دِمَشْقَ وَسَارَ إِلَيْهَا فَتَخَصَّنَ بِهَا . وَنَزَلَ جَوْهَرٌ عَلَى ظَاهِرِ
 دِمَشْقَ لِثَمَانِ بَقِينَ مِنْ ذِي الْفَعْدِ وَبَنَى عَلَى مَسْكِنِهِ سُورًا وَحَفَرَ خَنْدَقًا
 عَظِيمًا وَجَعَلَ لَهُ أَبْوَابًا وَجَمَعَ هَفْتِكِينَ النَّاسَ لِلْقِتَالِ . وَكَانَ قَدْ تَعَيَّنَ بَعْدَ
 ابْنِ الْمَأُورِدِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِقَسَامِ الشَّرَابِ وَصَارَ فِي عِدَّةٍ وَافِرَةٍ مِنَ
 الدُّعَارِ فَأَعَانَهُ هَفْتِكِينَ وَقَوَّاهُ وَأَمَدَّهُ بِالسَّلَاحِ وَغَيْرِهِ . وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ
 وَبَيْنَ جَوْهَرِ حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ طَوِيلَةٌ إِلَى يَوْمِ الْاِحَادِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ
 رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ

فَاخْتَلَّ أَمْرُ هَفْتِكِينَ وَهُمْ بِالْفِرَارِ . ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَظْهَرَ وَوَرَدَتِ الْأَخْبَارُ
 بِقُدُومِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدِ الْقَرْمَطِيِّ إِلَى دِمَشْقَ وَطَلَبَ جَوْهَرُ الصُّلْحَ عَلَى
 أَنْ يَرَحَلَ عَنْ دِمَشْقَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَّبِعَهُ أَحَدٌ . وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى أَمْوَالَهُ قَدْ
 قَلَّتْ وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِمَّا كَانَ فِي عَسْكَرِهِ حَتَّى صَارَ أَكْثَرَ عَسْكَرِهِ رَجَالَةً
 وَأَعْوَزَهُمُ الْعَلْفُ وَخَشِيَ قُدُومَ الْفَرَامِطَةَ . فَاجَابَهُ هَفْتِكِينَ وَقَدْ عَظُمَ
 فَرَحُهُ وَأَشَدَّ سُورُهُ . فَرَحَلَ فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْأُولَى وَجَدَّ فِي السَّيْرِ وَقَدْ

قَرُبَ الْفَرَمَطِيُّ فَأَنَاخَ بِطَبْرِيَّةَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَمَطِيُّ فَفَصَدَّ وَقَدَّ سَارَ عَنْهَا
 إِلَى الرَّمْلَةِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَرِيَّةٍ كَانَتْ لَهَا مَعَ جَوْهَرٍ وَفَعَةٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ
 مِنَ الْعَرَبِ وَأَذْرَكَهُ الْفَرَمَطِيُّ وَسَارَ فِي أُنْبُوعِ هَنْتِكِينَ . فَاتَى الْحَسَنُ بْنُ
 أَحْمَدَ الْفَرَمَطِيَّ بِالرَّمْلَةِ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الْفَرَامِطَةِ ابْنُ عَيْبَةَ جَعْفَرُ .
 فَفَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَنْتِكِينَ وَرَجَعَ عَنِ الرَّمْلَةِ إِلَى الْأَحْسَاءِ وَنَاصَبَ هَنْتِكِينَ
 الْقِتَالَ وَأَلْحَ فِيهِ عَلَى جَوْهَرٍ حَتَّى أَنهَزَمَ مِنْهُ وَصَارَ إِلَى عَسْفَلَانَ . وَقَدَّ غَيْمَ
 هَنْتِكِينَ مِمَّا كَانَ مَعَهُ شَيْئًا يَحْمِلُ عَنِ الْوَصْفِ وَنَزَلَ عَلَى الْبَلَدِ مُحَاصِرًا لَهُ .
 وَبَلَغَ ذَلِكَ الْعَزِيزَ فَاسْتَعَدَّ لِلْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ .

فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ عَلَى جَوْهَرٍ رَأَسَلَ هَنْتِكِينَ حَتَّى تَفَرَّ الصُّخْرُ عَلَى مَالٍ
 يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ سَيْفِ هَنْتِكِينَ . فَعَلَّقَ سَيْفَهُ عَلَى بَابِ
 عَسْفَلَانَ وَخَرَجَ جَوْهَرٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ تَحْتِهِ وَسَارُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ فَوَجَدَ
 الْعَزِيزُ قَدْ بَرَزَ بَرِيدُ السَّيْرِ فَسَارَ مَعَهُ . وَكَانَ مَدَّةُ قِتَالِ هَنْتِكِينَ لِجَوْهَرٍ
 عَلَى ظَاهِرِ الرَّمْلَةِ وَفِي عَسْفَلَانَ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا . وَسَارَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ حَتَّى
 نَزَلَ الرَّمْلَةَ . وَكَانَ هَنْتِكِينَ بِطَبْرِيَّةَ فَسَارَ إِلَى لِقَاءِ الْعَزِيزِ وَمَعَهُ أَبُو
 إِسْحَاقَ وَأَبُو طَاهِرٍ أَخُو عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهٍ وَأَبُو كَالِبِ الْجَارِ
 مَرْزُبَانَ بْنَ عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ بْنَ مِعْزِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ وَحَارْبُوهُ . فَلَمَّا
 تَكُنَّ غَيْرَ سَاعَةٍ حَتَّى هَزَمَتْ عَسَاكِرُ الْعَزِيزِ عَسَاكِرَ هَنْتِكِينَ وَمَلَكُوهُ فِي
 يَوْمِ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ . وَأَسْتَأْمَنَ
 أَبُو إِسْحَاقَ وَمَرْزُبَانَ بْنَ بَخْتِيَارَ وَقُتِلَ أَبُو طَاهِرٍ أَخُو عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتِيَارَ
 وَأُخِذَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ أَسْرَى وَطُلِبَ هَنْتِكِينَ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُوجَدْ وَكَانَ

قَدَّرَ وَفَتَّ أَهْلِيهِ عَلَى فَرَسٍ بِمُفَرَّدِهِ فَأَخَذَهُ بَعْضُ الْعَرَبِ أَسِيرًا وَقَدِمَ
 بِهِ عَلَى مُفَرِّجِ بْنِ دَعْنَلِ بْنِ الْحَرَّاجِ الطَّائِيِّ وَعِمَامَتُهُ فِي عُنُقِهِ . فَبَعَثَ بِهِ
 إِلَى الْعَزِيزِ فَأَمَرَ بِهِ فَشُهِرَ فِي الْعَسْكَرِ وَطِيفَ بِهِ فَأَخَذَ النَّاسُ يَلْطَمُونَهُ
 وَيَهْرُونَ لِحَيْتِهِ حَتَّى رَأَى فِي نَفْسِهِ الْعِبرَ

ثُمَّ سَارَ الْعَزِيزُ يَهْفَتِكِينَ وَالْأَسْرَى إِلَى الْقَاهِرَةِ فَأَصْطَنَعَهُ وَمَنْ مَعَهُ
 وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ وَأَنْزَلَهُ فِي دَارٍ وَوَأَصَلَهُ بِالْعَطَاءِ وَالْمِخْلَعِ حَتَّى
 قَالَ : لَقَدْ أَحْشَشْتُ مِنْ رُكُوبِي مَعَ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَنَظَرِي إِلَيْهِ بِهَا
 عَمَرَنِي بِهِ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ : فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ قَالَ لِعَبِيهِ حَيْدَرَةَ :
 يَا عَمُّ وَاللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَرَى النِّعَمَ عَلَى النَّاسِ ظَاهِرَةً وَأَرَى عَلَيْهِمُ الدَّهَبَ
 وَالنِّصَّةَ وَالْجَوْهَرَ وَهُمْ أَحْمِلُ وَاللِّبَاسَ وَالضِّيَاعَ وَالْعَقَارَ وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
 كُلُّهُ مِنْ عِنْدِي : وَبَلَغَ الْعَزِيزُ أَنَّ النَّاسَ مِنَ الْعَامَّةِ يَقُولُونَ مَا هَذَا
 الثَّرِيكِيُّ فَأَمَرَ بِهِ وَشُهِرَ فِي أَجْمَلِ حَالٍ . وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ تَطَوُّفِهِ وَهَبَ لَهُ مَا لَا
 جَزِيلًا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ سَائِرَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى دُورِهِمْ فَأَمِنَهُمْ إِلَّا
 مَنْ عَمِلَ لَهُ دَعْوَةٌ وَقَدِمَ إِلَيْهِ وَقَادَ يَنْبِيءُ الْحَبُولِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَزِيزَ قَالَ
 لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ : كَيْفَ رَأَيْتَ دَعْوَةَ أَصْحَابِنَا . فَقَالَ : يَا مَوْلَانَا حَسَنَةٌ فِي
 الْغَايَةِ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ أَنْعَمَ وَأَكْرَمَ : فَصَارَ يَرْكَبُ لِلصَّيْدِ وَالنَّفْرِجِ وَجَمَعَ
 إِلَيْهِ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ أَصْحَابَهُ مِنَ الْأَنْزَاكِ وَالِدَّيْلَمِ وَالسُّجَّيْبَةِ وَأَخْصَصَ بِهِ . وَمَا
 زَالَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ فَأَتَمَّ الْعَزِيزُ
 وَزَيْدُ يَعْقُوبَ بْنِ كِلْسٍ أَنَّهُ سَمِعَهُ لِأَنَّ هَفْتِكِينَ كَانَ يَرْفَعُ عَلَيْهِ فَأَعْنَقَهُ
 مَدَّةً ثُمَّ أَخْرَجَهُ

حَارَةُ الْأَنْرَاكِ. هَذِهِ أَمْحَارَةٌ مَجْمَعَةُ الْأَزْهَرِ وَتُعْرَفُ الْيَوْمَ بِدَرْبِ
 الْأَنْرَاكِ. وَكَانَ نَافِذًا إِلَى حَارَةِ الدَّيْلَمِ وَالْوَرَّاقُونَ الْقُدَمَاةُ تَارَةً يُفْرِدُونَهَا
 مِنَ الدَّيْلَمِ وَتَارَةً يُضَيِّفُونَهَا إِلَيْهَا وَيَجْعَلُونَهَا مِنْ حُقُوقِهَا فَيَقُولُونَ حَارَةُ
 الدَّيْلَمِ وَالْأَنْرَاكِ. وَتَارَةً يَقُولُونَ حَارَتِي الدَّيْلَمِ وَالْأَنْرَاكِ. وَقِيلَ لَهَا حَارَةُ
 الْأَنْرَاكِ لِأَنَّ هَفْتِكِينَ لَهَا غَلَبَ يَبْغَدَادَ سَارَ مَعَهُ مِنْ جِنْسِهِ أَرَبُعِيَّةٌ مِنْ
 الْأَنْرَاكِ وَتَلَاخَقَ بِهِ عِنْدَ وُرُودِ الْفَرَامِطَةِ عَلَيْهِ بِدِمَشْقَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ .
 فَلَمَّا جَمَعَ الْحَرْبِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ كَانَ أَصْحَابُهُ مَا بَيْنَ تَرْكِ وَدَيْلَمِ . فَلَمَّا قَبِضَ عَلَيْهِ
 الْعَزِيزُ وَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ بِهِ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ
 سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ كَمَا تَقَدَّمَ نَزَلَ الدَّيْلَمُ مَعَ أَصْحَابِهِمْ فِي مَوْضِعِ
 حَارَةِ الدَّيْلَمِ وَنَزَلَ هَفْتِكِينَ بِأَنْرَاكِ فِي هَذَا الْمَكَانِ . فَصَارَ يُعْرَفُ
 بِمَجَارَةِ الْأَنْرَاكِ وَكَانَتْ مُخْتَلِطَةً بِمَجَارَةِ الدَّيْلَمِ لِأَنَّهَا أَهْلُ دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ
 إِلَّا أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ عَلَى حِدَةٍ لِيُخَالَفَهَا فِي الْجِنْسِيَّةِ ثُمَّ قِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ
 دَرْبُ الْأَنْرَاكِ



مِنْ سَيْفِ السُّلْطَانِ الْمَالِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ
لِبِهَاءِ الدِّينِ الشَّدَادِيِّ
ذَكَرُ مَسِيرِ الْأَفْرَنْجِ الصَّلِيبِيِّينَ مِنْ عَكَا إِلَى عَسْفَلَانَ وَانْتِقَالِهِمْ
إِلَى طَرَفِ الْبَحْرِ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ

وَلَمَّا كَانَ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ
مِئَةٍ رَكِبَ الْأَفْرَنْجُ بِأَسْرِهِمْ . وَقَلَعُوا خِيَامَهُمْ . وَحَمَلُوهَا عَلَى دَوَابِّهِمْ .
وَسَارُوا حَتَّى قَطَعُوا النَّهْرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ . وَضَرَبُوا الْأَخْيَامَ عَلَى طَرِيقِ
عَسْفَلَانَ . وَأَظْهَرُوا الْعَزْمَ عَلَى الْمَسِيرِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ . وَأَمَرَ الْأَنْكَارُ
(يُرِيدُ بِهِ رِيكْرُدُوسَ مَلِكَ الْأَنْكَلِيزِ) بِأَقْبِي النَّاسِ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَى الْبَلَدِ .
وَكَانُوا قَدْ سَدُّوا نَعْرَهُ وَثَلَمَهُ . وَأَصْلَحُوا مَا اسْتَهْدَمَ مِنْهُ . وَكَانَ مَقْدَمُ

أما صلاح الدين فهو أول ملوك الأيوبيين في مصر ولد في تكريت ما بين النهرين
وكان ولدًا لأيوب الكردي. فاشتهر منذ شبابه بمجارية المسيحيين فذهب إلى مصر حيث تفيد
بخدمته نور الدين في سنة ١١٦٤ فاصبح وزيراً لآخر الفاطميين. وبعد وفاة نور الدين انتهت فرصة
حادثه ولده صلاح اسماعيل. فاقام نفسه وصيتاً عليه واستولى على سورية في سنة ١١٧٥. ثم
استغل في مصر والحج بملكه جانباً عظيماً من بين النهرين. فحاربه المسيحيون فاستظهروا عليه في
رملة (١١٧٨) لكنه استظهر في باناس وطبرية على قوي دي لوزينيان ملك القدس واستأسره
(١١٧٨) وفيها استولى على القدس وقبض على زمام مملكتها فكان سقوط مملكة القدس سبباً
لحرب الصليبيين الثالثة. فاضطر صلاح الدين ان يقاسي مشقات عظيمة أولاً فاخذت منه
عكا وقبصرية ويافا. لكنه قهر عن بسالة المسيحيين لاسيما ريكردوس قلب الاسد ظفر وساد.
وتوفي سنة ١١٩٢ وله اخ يدعى مالك عادل و١٧ ولداً تقاسموا ملكه. فحاز صلاح الدين
الاعتبار حتى لدى المسيحيين ايضاً لحسن سياسته ونشاطه وكرمه وشجاعته (بولبي)

الْعَسْكَرِ الْخَارِجِ السَّائِرِ الْأَنْكَارِ. وَجَمَعَ عَظِيمٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالْحَيَالِ.
 وَلَمَّا كَانَ مُسْتَهْلٌ شَعْبَانَ اسْتَعَلَّتْ نِيرَانُ الْعَدُوِّ فِي سُحُورِ ذَلِكَ الْيَوْمِ
 وَعَادَتْهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا الرَّحِيلَ أَشْعَلُوا نِيرَانَهُمْ. وَأَخْبَرَ الْبَيْزُكَ بِحَرْكِهِمْ
 فَأَمَرَ السُّلْطَانَ بِالثَّقَلِ أَنْ يُرْفَعَ حَتَّى يَبْقَى النَّاسُ عَلَى ظَهْرِ. فَفَعَلَ النَّاسُ
 ذَلِكَ. وَهَلَكَ مِنَ النَّاسِ فُهَاشُ كَثِيرٌ. وَحَوَاجُ كَثِيرٌ مِنَ السُّوقَةِ لَمْ
 يَكُنْ مَعَهُمْ خَبْلٌ وَلَا ظَهْرٌ بِحَيْلٍ جَمِيعٌ مَا عِنْدَهُمْ. لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ كَانَ
 يُحْصِلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَشْهُرٍ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ السُّوقَةِ عِنْدَهُ مَا يَنْفَعُ مِنْ
 مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ فِي مِرَارٍ مُتَعَدِّدَةٍ. لَكِنَّ هَذَا الْمَنْزِلَ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَخْلَفَ
 فِيهِ أَحَدٌ لِقُرْبِهِ مِنَ الْإِفْرَاجِ الَّذِينَ بَعُكَا وَخَوَّفَ مِنْهُمُ

وَلَمَّا أَنْ عَلَا النَّهَارُ. شَرَعَ الْعَدُوُّ فِي السَّيْرِ عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ. وَتَفَرَّقُوا
 قِطْعًا كَثِيرَةً. كُلُّ قِطْعَةٍ تَحْمِي عَنْ نَفْسِهَا. وَقَوَى السُّلْطَانُ (أَيَّ صِلَاحُ
 الدِّينِ) الْبَيْزُكَ. وَأَنْفَذَ مُعْظَمَ الْعَسَاكِرِ قِبَالَتَهُمْ. فَهَضَمُوا وَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا. وَأَنْفَذَ وَلَدُ الْمَلِكِ الْأَفْضَلُ يُخْبِرُ أَنَّهُ قَطَعَ طَائِفَةً مِنْهُمْ عَنْ
 الْمُؤَافَقَةِ. وَلَقَدْ لَزَبْنَاهُمْ بِالْقِتَالِ. وَلَوْ قَوِينَا لَأَخَذْنَاهُمْ. فَسِيرَ السُّلْطَانُ
 خَلْفًا عَظِيمًا مِنَ الْعَسْكَرِ. وَسَارَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَأَنَا بِخِذْمَتِهِ. حَتَّى آتَى أَوَائِلَ
 الرَّمْلِ. فَلَقِينَا الْمَلِكَ الْعَادِلَ أَخُوهُ: إِنَّ تِلْكَ الطَّائِفَةَ قَدْ أَلْتَجَتْ بِالطَّائِفَةِ
 الْأُولَى. وَمُعْظَمُ الْقَوْمِ قَدْ عَبَّرَ وَانْهَرَ حَيْفًا وَقَدْ نَزَلُوا. وَالْبَاقُونَ قَدْ حَفُوا
 بِهِمْ. وَلَيْسَ لِلْمَسِيرِ وَرَاءَهُمْ حَاصِلٌ إِلَّا انْعَابُ الْعَسْكَرِ وَصِبَاغُ الشُّبَابِ
 لَا غَيْرَ

فَتَرَجَعَ السُّلْطَانُ عَنِ الْقَوْمِ لَمَّا تَحَقَّقَ ذَلِكَ وَأَمَرَ طَائِفَةً مِنَ الْعَسْكَرِ

أَنْ تَسِيرَ وَرَاءَ الثَّقَلِ يَلْحَقُ ضَعِيفُهُمْ بِقَوِيَّتِهِمْ. وَيَكْفُ عَنْهُمْ مَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ مِنَ
 الْعَدُوِّ وَالطَّمَاعَةِ وَسَارَ هُوَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْقَيْسُونَ عَصَرَ ذَلِكَ النَّهَارِ
 فَتَزَلَّ وَضُرِبَ لَهُ الدَّهْلِيْزُ وَشَقَّةٌ دَائِرَةٌ حَوْلَهُ لِأَغْيَرٍ. وَاسْتَحْضَرَ الْجَمَاعَةَ
 وَآكَلُوا شَيْئًا وَاسْتَشَارَهُمْ فِي مَا يَفْعَلُ

الْمَنْزِلُ الثَّانِي: اتَّفَقَ رَأْيُ جَمَاعَةٍ عَلَى أَنَّهُمْ يَرْحَلُونَ بِكُرَّةٍ عَدِيدَةٍ. هَذَا وَقَدْ
 رَتَّبَ حَوْلَ الْأَفْرَنْجِ بَرَكَاتِيَّاتُونَ حَوْلَهُ وَيَرْقُبُونَ أَمْرَهُ. وَلَمَّا كَانَ
 صَبَاحُ ثَانِي شَعْبَانَ رَحَلَ السُّلْطَانُ الثَّقَلُ وَأَقَامَ هُوَ يَتَرَصَّدُ أَخْبَارَ الْعَدُوِّ
 فَلَمْ يَصِلْ مِنْهُمْ شَيْءٌ إِلَى أَنْ عَلَا النَّهَارُ. فَسَارَ فِي أَثَرِ الثَّقَلِ حَتَّى آتَى قَرْيَةَ
 يُقَالُ لَهَا قَرْيَةُ الصَّبَاغِينَ. فَجَلَسَ يَتَرَقَّبُ أَخْبَارَ الْعَدُوِّ وَكَانَ قَدْ خَلَّفَ
 جُرْدِيكَ قَرِيبَ الْعَدُوِّ فَلَمْ يَصِلْهُ خَبْرٌ أَصْلًا. فَسَارَ حَتَّى آتَى الثَّقَلَ فِي
 مَنْزِلَةٍ يُقَالُ لَهَا عَمُونَ الْأَسَاوِدِ وَلَمَّا بَلَّغْنَا الْمَنْزِلَةَ رَأَى خِيَامًا فَسَأَلَ عَنْهَا
 فَيَقِيلُ فِيهَا خَيْمُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ. فَعَدَلَ لِيَنْزِلَ عِنْدَكَ فَأَقَامَ عِنْدَكَ سَاعَةً.
 ثُمَّ آتَى خَيْمَتَهُ. وَفِيهِ الْخُبْرُ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ بِالْكَلْبِيَّةِ وَعَلَا الشَّعِيرُ حَتَّى بَلَغَ
 دِرْهَمًا وَبَلَغَ الْبَقْسِمَاطُ الرَّطْلُ دِرْهَمَيْنِ. ثُمَّ أَقَامَ السُّلْطَانُ حَتَّى عَبَرَ
 وَقْتُ الظُّهْرِ. وَرَكِبَ وَسَارَ إِلَى مَوْضِعٍ يُسَمَّى الْمَلَاخَةَ تَكُونُ مَنْزِلًا لِلْعَدُوِّ
 إِذَا رَحَلَ مِنْ حَيْفَا. وَكَانَ قَدْ سَبَقَ لِيَتَفَقَّدَ الْمَكَانَ هَلْ يَصْلُحُ لِلْمَصَافِ
 أَمْ لَا. وَبِتَفَقُّدِ أَرْضِي فَيَسَارِيَةَ بِأَسْرِيهَا إِلَى الشَّعْرَاءِ. وَعَادَ إِلَى الْمَنْزِلِ
 بَعْدَ دُخُولِ وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرِ. وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ التَّعَبُ. وَسَأَلْتُهُ عَمَّا
 بَلَغَهُ مِنْ خَبَرِ الْعَدُوِّ فَقَالَ: وَصَلَ إِلَيْنَا مَنْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ مَا رَحَلَ مِنْ حَيْفَا
 إِلَى عَصْرِ يَوْمِنَا هَذَا يَعْنِي ثَانِي شَعْبَانَ وَهَذَا نَحْنُ مُقِيمُونَ مُرْتَقِبُونَ أَخْبَارَهُمْ

وَيَكُونُ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا. وَبَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَصْبَحَ مُقْبِلًا بِنَلِ الزَّلْزَلَةِ
 يَتَنَظَّرُ الْعَدُوَّ وَنَادَى الْجَاوِشُ بِالْعَسْكَرِ لِلْعَرْضِ. فَرَكِبَ النَّاسُ عَلَى
 تَرْتِيبِ الْمَصَافِ وَأَهْبَتِهِ. وَلَمَّا عَلَا النَّهَارُ نَزَلَ السُّلْطَانُ فِي خَيْمَتِهِ وَأَخَذَ
 نَصِيبًا مِنَ الرَّاحَةِ بَعْدَ الْغَدَاءِ وَمَثُولَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَى خِدْمَتِهِ
 وَأَخَذِرَأَ بِهِمْ فِي مَا يَصْنَعُونَ. ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ وَجَلَسَ يُطَلِّقُ أَثْمَانَ الْخُبُولِ
 الْحُجْرُوحَةَ وَغَيْرَهَا إِلَى الْعِشَاءِ الْأَخْرَجَ مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ إِلَى مِئَةِ وَخَمْسِينَ دِينَارًا
 وَزَائِدًا وَنَاقِصًا. فَهَارَأَيْتُ أَفْسَحَ صَدْرًا مِنْهُ وَلَا أَبْسَطَ وَجْهًا فِي الْعَطَاءِ
 وَأَتَّفَقَ الرَّأْيُ عَلَى رَجِيلِ الثَّقَلِ فِي عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مَجْدَلِ يَافَا
 الْمَنْزِلُ الثَّلَاثُ: وَأَقَامَ هُوَ جَرِيدَةً بِالْمَنْزِلِ إِلَى الصَّبَاحِ رَابِعَ الشَّهْرِ.
 وَرَكِبَ وَسَارَ فِي رَأْسِ النَّهْرِ الْجَارِي إِلَى قِيسَارِيَّةَ وَنَزَلَ هُنَاكَ. وَبَلَغَ
 الْبِفِصْمَاطِ الرَّطْلُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمٍ. وَالشَّعِيرُ الرَّبْعُ دِرْهَمَيْنِ وَنُصْفٍ.
 وَالْخُبْزُ لَمْ يُوْجَدْ أَصْلًا. وَنَزَلَ فِي خَيْمَةٍ وَكَلَّ خُبْزًا وَصَلَّى الظُّهْرَ. وَرَكِبَ
 إِلَى طَرِيقِ الْعَدُوِّ لِتَجْدِيدِ إِرْسَادِهِ فِي ضَرْبِ الْمَصَافِ. وَلَمْ يَبْدُ إِلَى أَنْ
 دَخَلَ وَقْتُ الْعَصْرِ فَجَلَسَ سَاعَةً وَأَخَذَ جُزْءًا مِنَ الرَّاحَةِ. ثُمَّ عَادَ وَرَكِبَ
 وَأَمَرَ النَّاسَ بِالرَّجِيلِ وَرَمَى خَيْمَتَهُ وَرَمَى النَّاسُ خِيَامَهُمْ فِي آخِرِ النَّهَارِ
 الْمَنْزِلُ الرَّابِعُ: وَكَانَ الرَّجِيلُ إِلَى رَابِعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْ تِلْكَ الرَّابِعَةِ. وَفِي
 ذَلِكَ الْمَنْزِلِ أَبِي يَأْتِينَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ قَدْ مَخَطَطَهُمُ الْبِرْكُ. فَأَمَرَ بِضَرْبِ
 رِقَابِهَا فُقِتِلَا. وَتَكَاتَرَ النَّاسُ عَلَيْهَا بِالسُّيُوفِ تَشْفِيًا. ثُمَّ بَاتَ هُنَاكَ وَأَصْبَحَ
 مُقْبِلًا بِالْمَنْزِلَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْصَحْ عَنِ الْعَدُوِّ رَجِيلًا وَأَنْفَذَ إِلَى الثَّقَلِ حَتَّى يَبْعُدَ إِلَيْهِ
 فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِائًا طَرَأَ عَلَى النَّاسِ مِنَ الضُّبُقِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْفَضْمِ. وَرَكِبَ

فِي وَقْتِ عَادَتِهِ إِلَى جِهَةِ الْعَدُوِّ . وَأَشْرَفَ عَلَى فَيْسَارِيَّةَ . وَعَادَ إِلَى الْقَنْبَلِ
 قَرِيبَ الظُّهْرِ وَقَدْ وَصَلَ الْحَبْرُ أَنَّ الْعَدُوَّ لَمْ يَرْحَلْ بَعْدُ مِنَ الْمَلَا حَةِ .
 وَأَحْضَرَ عِنْدَهُ اثْنَانِ أَيْضًا قَدْ أَخِذَا مِنْ أَطْرَافِ الْعَدُوِّ وَقُبَيْلَا شَرِّ قِتْلَةٍ .
 وَكَانَ فِي حِيَّةِ الضِّيْفَةِ لَهَا جَرَى عَلَى أَسْرَى عَكَا . ثُمَّ أَخَذَ جُزْءًا مِنَ الرَّاحَةِ
 وَجَلَسَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ . وَحَضَرَتْ عِنْدَهُ وَقَدْ أَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
 الْعَدُوِّ فَارِسٍ مَذْكُورٍ هَبَيْتُهُ نُخْبِرُ عَنْ أَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ فِيهِمْ . فَأَحْضَرَ تَرْجُمَانًا
 وَبَحَثَ عَنْ أَحْوَالِ الْقَوْمِ وَسَأَلَهُ كَيْفَ يَسُوءِ الطَّعَامُ عِنْدَكُمْ فَقَالَ : أَوَّلَ
 يَوْمٍ رَحَلْنَا مِنْ عَكَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَشْبَعُ بِسِتَّةِ قَرَاتِيسٍ فَلَمْ يَزَلِ
 السَّعْرُ يَغْلُو حَتَّى صَارَ يَشْبَعُ بِثَمَانِيَةِ قَرَاتِيسٍ . وَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ
 تَأَخُّرِهِمْ فِي الْمَنَازِلِ فَقَالَ : لِإِنْتِظَارِ وُصُولِ الْمَرَاكِبِ بِالرَّجَالِ وَالْمِيرَةِ .
 فَسَأَلَ عَنِ الْقَنْبَلِ وَالْجُرْحَى فِي يَوْمِ رَحِيلِهِمْ فَقَالَ : كَثِيرٌ . فَسَأَلَ عَنِ
 الْحَبْلِ الَّذِي هَلَكْتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَالَ : مِقْدَارُ أَرْبَعِ مِئَةِ فَرَسٍ . فَأَمَرَ
 يَضْرِبُ عُنُقَهُ . وَنَهَى عَنِ التَّمَثُّلِ بِهِ . فَسَأَلَ التَّرْجَمَانَ عَمَّا قَالَ السُّلْطَانُ
 فَأَخْبَرَهُ بِهَا قَالَ : فَتَغَيَّرَ تَغْيِيرًا عَظِيمًا وَقَالَ : أَنَا أَخْلِصُ لَكُمْ أَسِيرًا مِنْ عَكَا .
 فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَلْ أَمِيرًا . فَقَالَ : لَا أَقْدِرُ عَلَى خَلَاصِ أَمِيرٍ . فَشَفَعَ الطَّبَعُ
 فِيهِ وَحَسَنُ خِلْفَتِهِ . فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ أُمَّةً خَلَفَتْهُ مِنْهُ مَعَ تَرْفٍ فِي الْأَطْرَافِ
 وَرَفَاهِيَةِ . فَأَمَرَ أَنْ يُنْرَكَ الْآنَ وَيُؤَخَّرَ أَمْرُهُ . فَصَدَفَهُ وَعَاتَبَهُ عَلَى مَا بَدَأَ
 مِنْهُ مِنَ الْغَدْرِ وَقَتْلِ الْأَسْرَى . فَأَعْتَرَفَ بِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَأَنَّهُ لَمْ يُجْرِ إِلَّا بِرِضَى
 الْمَلِكِ وَحَدُّ . وَرَكِبَ السُّلْطَانُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى عَادَتِهِ . وَبَعْدَ أَنْ
 نَزَلَ أَمْرَ يَقْتُلِ الْفَارِسِ الْمَذْكُورِ . وَأُتِيَ بَعْدَهُ بِأَثْنَيْنِ فَأَمَرَ يَقْتُلَهُمَا . وَبَاتَ

فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَذَكَرَ لَهُ فِي السَّحْرِ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ تَحَرَّكَ نَحْوَ فَيْسَارِيَّةَ .
 وَقَارِبَ أَوَائِلِهِمُ الْبَلَدَ . فَرَأَى أَنَّ يَتَأَخَّرُ مِنْ طَرِيقِ الْعَدُوِّ مَنْزِلًا آخَرَ
 الْمَنْزِلُ الْخَامِسُ : فَرَحَلَ وَرَحَلَ النَّاسُ إِلَى قَرِيبِ النَّوْلِ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ
 فَزَلَّ النَّاسُ وَضُرِبَتِ الْخِيَامُ . وَمَضَى هُوَ بِرَنَادُ الْأَرَاضِيِّ الْكَاثِنَةَ فِي
 طَرِيقِ الْعَدُوِّ لِيَنْظُرُ أَيُّهَا أَصْلَحُ لِلْمَصَافِ وَنَزَلَ قَرِيبَ الظُّهْرِ . وَاسْتَدْعَى
 أَخَاهُ الْمَلِكَ الْعَادِلَ . وَعَلَّمَ الدِّينَ سُلَيْمَانَ . وَأَخَذَ رَأْيَهُمَا فِي مَا يَصْنَعُ .
 وَأَخَذَ جُزْءًا مِنَ الرَّاحَةِ وَأَذِنَ الظُّهْرَ . فَصَلَّى وَرَكِبَ لِيُشْرِفَ وَلِيَكْشِفَ
 عَنِ الْعَدُوِّ وَيَتَنَسَّمَ أَخْبَارَهُ . وَأَتَاهُ اثْنَانِ مِنَ الْإِفْرَنْجِ قَدْ نُبِّهَا وَأَمَرَ بِقَتْلِهَا
 فُقْتِلَا . ثُمَّ أُتِيَ بِاثْنَيْنِ آخَرَيْنِ فُقْتِلَا أَيْضًا . وَجِيءَ أَوَاخِرَ النَّهَارِ بِاثْنَيْنِ
 فُقْتِلَا أَيْضًا . وَعَادَ مِنَ الرُّكُوبِ وَصَلَّى صَلَاةَ الْمَغْرِبِ . وَجَلَسَ عَلَى عَادَتِهِ
 وَاسْتَدْعَى أَخَاهُ وَصَرَفَ النَّاسَ . وَخَلَا بِهِ إِلَى هَوِيِّ مِنَ اللَّيْلِ . ثُمَّ بَاتَ
 وَأَصْبَحَ وَنَادَى الْجَوَائِشَ لِعَرْضِ الْحَلْفَةِ لَا غَيْرُ . وَرَكِبَ إِلَى جِهَةِ الْعَدُوِّ
 وَوَقَفَ عَلَى تُلُوكِ مُشْرِفَةٍ عَلَى فَيْسَارِيَّةَ . وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهَا نَهَارَ
 الْجُمُعَةِ سَادِسَ شَعْبَانَ . وَلَمْ يَزَلْ يَعْزُضُ هُنَاكَ إِلَى أَنْ عَلَا النَّهَارُ . ثُمَّ
 نَزَلَ وَكَلَّ الطَّعَامَ . وَرَكِبَ إِلَى أَخِيهِ وَعَادَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ . وَأَخَذَ
 جُزْءًا مِنَ الرَّاحَةِ . وَأُتِيَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ وَأَمْرَأَةٍ إِفْرَنْجِيَّةٍ بَيْنَهُمْ
 أَسِيرَةٍ . وَهِيَ بِنْتُ الْفَارِسِ الْمَذْكُورِ . وَمَعَهَا أَسِيرَةٌ مُسْلِمَةٌ قَدْ أَخَذَتْهَا .
 فَأُطْلِقَتِ الْمُسْلِمَةُ . وَرُفِعَ الْبَاقُونَ إِلَى الزَّرْدَخَانَةِ وَهُوَ لَأَنَّ أُتِيَ بِهِمْ مِنْ
 يَبْرُوتَ أُخِذُوا فِي مَرْكَبٍ مِنْ جُمَّلَةٍ عَدَّةٍ كَثِيرَةٍ فُقْتِلُوا . كُلُّ ذَلِكَ فِي نَهَارِ
 السَّبْتِ سَابِعِ الشَّهْرِ . وَهُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ يَنْتَظِرُ رَجِيلَ الْعَدُوِّ . مُجْبِعًا عَلَى

لِقَائِهِ إِذَا رَحَلَ

الْمَنْزِلُ السَّادِسُ: وَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةَ الثَّامِنِ رَكِبَ السُّلْطَانُ عَلَى عَادَتِهِ
ثُمَّ نَزَلَ. وَوَصَلَ مِنْ أُخِيهِ أَنَّ الْعَدُوَّ عَلَى حَرَكَةٍ. وَكَانَتْ الْأَطْلَابُ
قَدْ بَاتَتْ حَوْلَ فِيسَارِيَّةٍ فِي مَوَاضِعِهَا. فَأَمَرَ بِهَذَا الطَّعَامِ وَأَطْعَمَ النَّاسَ
فَوَصَلَ ثَانٍ وَأَخْبَرَ: أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ سَارُوا. فَأَمَرَ بِالْكُوسِ فَدُقَّ وَرَكِبَ
وَرَكِبَ النَّاسُ وَسَارَ وَسِرْتُ فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى آتَى عَسْكَرَ الْعَدُوِّ وَصَفَّ
الْأَطْلَابَ حَوْلَهُ وَأَمَرَهُمْ بِفِتْنَالِهِمْ وَأَخْرَجَ الْجَالِيشَ. فَكَانَ النَّشَابُ بَيْنَهُمْ
كَالْمَطَرِ وَكَانَ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ قَدْ وَثَبَ. فَكَانَتْ الرَّجَالَةُ حَوْلَهُ كَالسُّورِ
وَعَلَيْهِمُ اللَّبُودُ النَّخِينَةُ وَالزَّرْدِيَّاتُ السَّابِغَةُ الْمُحْكَمَةُ مِثْلَ يَفْعٍ فِيهِمُ النَّشَابُ
وَلَا يَتَأَخَّرُونَ وَهُمْ يَرْمُونَ بِالزَّرْدِيَّاتِ فَيُجْرَحُ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْالَتُهُمْ.
وَلَقَدْ شَاهَدْتُهُمْ وَيَتَغَرَّزُ فِي ظَهْرِ الْوَاحِدِ مِنْهُمُ الْوَاحِدُ وَالْعَشْرَةُ وَهُوَ
يَسِيرُ عَلَى هَيْئَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْزِعَاجٍ. وَتَمَّ قِسْمُ آخَرٍ مِنَ الرَّجَالَةِ مُسْتَرِجٍ
يَمْشُونَ عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ وَلَا فِتْنَالُ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا نَعَبَ هُوَ لِأَنَّ الْهَقَاتِلُونَ
أَوْ أَنْخَنَهُمُ الْجِرَاحُ قَامَ مَقَامَهُمُ الْمُسْتَرِجُ وَأَسْرَاحُ الْقِسْمِ الْعِبَالُ. هَذَا
وَالْحِبَالَةُ فِي وَسْطِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنِ الرَّجَالَةِ إِلَّا فِي وَقْتِ الْحَمَلَةِ لَا غَيْرُ.
وَقَدْ أَنْفَسُوا أَيْضًا ثَلَاثَةَ أَقْسَامِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ الْمَلِكُ الْعَتِيفُ جُفْرَى
وَجَاعَةُ السَّاحِلِيَّةِ مَعَهُ فِي الْمَهْدَمَةِ وَالْأَنْكَتَارُ وَالْفَرَنْسِيْسُ مَعَهُ فِي
الْوَسْطِ وَأَوْلَادُ الْبِسْتِ أَصْحَابُ طَبْرِيَّةٍ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى فِي السَّاقَةِ. وَفِي
وَسْطِ الْقَوْمِ بَرْجٌ عَلَى عَجَلَةٍ وَعَلَيْهِ كَالْمَنَارَةِ الْعَظِيمَةِ. هَذَا تَرْتِيبُ الْقَوْمِ
عَلَى مَا شَاهَدْتُهُ. وَأَخْبَرَ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَسْرَى وَالْمُسْتَأْمِنِينَ.

وَسَارُوا عَلَى الْبِئَالِ وَسُقُوا الْحَرْبَ فَائِمَةً وَالْمُسْلِمُونَ يَرْمُونَهُمْ بِالنَّشَابِ
 مِنْ جَوَانِبِهِمْ وَيَجْرُونَ عَزَائِهِمْ حَتَّى يَجْرُوا . وَهُمْ يَحْفَظُونَ نَفْسَهُمْ
 حِفْظًا عَظِيمًا وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ وَيَسِيرُونَ سِرًّا
 رَفِيقًا وَمَرَاجِبَهُمْ تَسِيرُ فِي مَقَابِلَتِهِمْ فِي الْبَعْرِ إِلَى أَنْ أَتُوا الْمَنْزِلَ . وَكَانَتْ
 مَنَازِلُهُمْ قَرِيبَةً لِأَجْلِ الرَّجَالَةِ . فَإِنَّ الْمُسْتَرِيحِينَ مِنْهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ
 أَثْقَالَهُمْ وَخَيْبَهُمْ لِقَلْبَةِ الظَّهْرِ عَلَيْهِمْ . فَأَنْظَرُ إِلَى صَبْرِهِ هُوَ لَاءُ الْقَوْمِ عَلَى
 الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ . وَكَانَ مَنَزِلَتُهُمْ قَاطِعَ نَهْرِ فِيسَارِيَّةِ

الْمَنْزِلِ السَّابِعِ . وَلَمَّا كَانَتْ صَبِيحَةُ التَّاسِعِ وَصَلَ مِنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَدُوَّ
 قَدْ رَكِبَ سَائِرًا فَرَكِبَ السُّلْطَانُ أَوَّلَ الضُّحَى وَطَلَبَ الْأَطْلَابَ وَأَخْرَجَ
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ جَالِشًا . فَسَارَ يَطْلُبُ الْقَوْمَ وَطَافَ الْجَالِشُ حَوْلَهُمْ مِنْ
 كُلِّ جَانِبٍ وَتَزَوَّهُمْ بِالنَّشَابِ . وَهُمْ سَائِرُونَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ عَلَى الْبِئَالِ
 الَّذِي حَكَيْتُهُ . وَكُلُّهَا ضَعْفٌ قِسْمٌ عَاوَنَهُ الَّذِي يَلِيهِ . وَهُمْ يَحْفَظُونَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا . وَالْمُسْلِمُونَ مُحْدِقُونَ بِهِمْ مِنْ ثَلَاثَةِ جَوَانِبٍ وَالْقِتَالُ عَلَيْهِمْ شَدِيدٌ
 وَالسُّلْطَانُ يُقَرِّبُ الْأَطْلَابَ . وَرَأَيْتُهُ هُوَ يَسِيرُ نَفْسَهُ بَيْنَ الْجَالِشِينَ .
 وَنَشَابُ الْقَوْمِ يُجَاوِزُهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا صَبِيانٌ مَجْنُونِينَ لَا غَيْرَ . وَهُوَ يَسِيرُ
 مِنْ طَلَبٍ إِلَى طَلَبٍ يَحْتُمُّ عَلَى التَّقَدُّمِ وَيَأْمُرُهُمْ بِمُضَابَقَةِ الْقَوْمِ وَمُقَاتَلَتِهِمْ
 وَالْكُوسَاتُ تَخْفِقُ وَالْبُوقَاتُ تَنْعَرُ وَالصَّبَاحُ بِالنَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرُ يَرْتَفِعُ . هَذَا
 وَالْقَوْمُ عَلَى أَيْمٍ ثَبَاتٍ عَلَى تَرْتِيبِهِمْ لَا يَتَغَيَّرُونَ وَلَا يَتَزَعْجُونَ . وَجَرَتْ
 حَالَاتٌ كَثِيرَةٌ وَرَجَّالَتُهُمْ يَجْرَحُ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْبُهُمْ بِالزَّرْتُبُوكِ وَالنَّشَابِ .
 وَلَمْ تَنْزَلْ حَوْلَهُمْ نَفَاتِلُهُمْ وَنَحُولُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَكْرَهُونَ بَيْنَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ

ثُمَّ يَعْتَكِرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَتَوْا نَهْرًا يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْقَصَبِ نَزَلُوا عَلَيْهِ .
 وَقَدْ قَامَتِ الظُّهَيْرَةُ وَضَرَبُوا خِيَامَهُمْ . وَتَرَاجَعَ النَّاسُ عَنْهُمْ فَأَتَهُمْ إِذَا
 كَانُوا نَزَلُوا أَيْسَ النَّاسُ مِنْ أَنْ يَنْتَمَّ مَعَهُمْ وَرَجَعُوا عَنْ فِتْنَالِهِمْ . وَفِي
 ذَلِكَ الْيَوْمِ قُتِلَ مِنْ فُرْسَانِ الْإِسْلَامِ شُجَاعٌ كُنِبَتُهُ إِبَارُ الطَّوِيلُ بَعْضُ
 مَمَالِكِ السُّلْطَانِ . وَكَانَ قَدْ قُتِلَ فِيهِمْ وَقُتِلَ خَلْقًا مِنْ خِيَابَتِهِمْ وَشُجَاعَتِهِمْ
 وَكَانَتْ قَدْ اسْتَفَاضَتْ شُجَاعَتُهُ بَيْنَ الْعَسْكَرِ بِنِ مَجِيئِ أَتُهُ جَرَتْ لَهُ وَقَعَاتٌ
 كَثِيرَةٌ وَصَدَقَتْ أَخْبَارُ الْأَوَائِلِ . وَصَارَ بِحَيْثُ إِذَا عَرَفَهُ الْإِفْرَنْجِيُّ فِي
 مَوْضِعٍ يَخَافُونَهُ وَتَنْظُرُ بِهِ فَرَسُهُ وَأَسْتَشْهَدُ وَحَزِنَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ حُزْنًا
 عَظِيمًا وَدُفِنَ عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَى الْبِرْكَةِ . وَنَزَلَ السُّلْطَانُ بِالثَّقَلِ عَلَى
 الْبِرْكَةِ وَهِيَ مَوْضِعٌ يَجْنُبُ فِيهِ مِيَاهُ كَثِيرَةٌ وَأَقَامَ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ إِلَى
 بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَأَطْعَمَ النَّاسَ خُبْزًا وَأَسْتَرَا حُوا سَاعَةً . ثُمَّ رَحَلَ وَأَتَى
 نَهْرَ الْقَصَبِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ أَيْضًا فَشَرِبَ مِنْهُ قَلِيلًا مِنْ أَعْلَاهُ وَالْعُدُوُّ بِشَرِبَ
 مِنْ أَسْفَلِهِ . لَيْسَ بَيْنَنَا إِلَّا مَسَافَةٌ بَسِيرَةٌ وَبَلَغَ الشَّعِيرُ الرَّبْعَ أَرْبَعَةَ دِرَاهِمٍ
 وَالْحُبُّ مَوْجُودٌ كَثِيرٌ وَسَعْنُ رَطْلٌ يَنْصَبُ دِرْهَمٌ . وَأَقَامَ يَنْتَظِرُ رَجُلَ
 الْإِفْرَنْجِيِّ حَتَّى يَرَحَلَ فِي مَقَابِلِهِمْ . وَبَاتُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ هُنَاكَ وَبِتْنَا أَيْضًا

ذِكْرُ وَقَعَةٍ جَرَتْ

وَذَلِكَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ كَانُوا مُشْرِفِينَ عَلَى الْعَدُوِّ
 فَصَادَفُوا جَمَاعَةً مِنْهُمْ يَتَشَوَّفُونَ أَيْضًا عَلَى الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ فَظَفَرُوا بِهِمْ
 وَهَجَمُوا عَلَيْهِمْ وَجَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ عَظِيمٌ فَقُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ جَمَاعَةٌ وَأَحْسَنُ
 بِهِمْ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ . فَتَارَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَأَتَصَلَ الْحَرْبُ وَقُتِلَ أَيْضًا

مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَفَرَانِ وَأَسْرَ مِنَ الْعَدُوِّ ثَلَاثَةٌ وَمَثَلُوا بِمُخْدَمَةِ السُّلْطَانِ
 فَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَحْوَالِ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْمَلِكَ أَنْكَرَ أَنَّ كَانَ قَدْ حَضَرَ عِنْدَهُ
 بَعْدًا اثْنَانِ بَدَوِيَّانِ وَأَنَّهُمَا أَخْبَرَاهُ بِقِيْلَةِ الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ وَذَلِكَ الَّذِي
 أَطْعَمَهُ حَتَّى خَرَجَ ، وَأَنَّهُ لَهَا كَانَ بِالْأَمْسِ بَعْنِي الْإِثْنَيْنِ رَأَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 قِتَالًا عَظِيمًا وَأَسْتَكْتَرَ الْأَطْلَابَ وَأَنَّهُ جَرِحَ زُهَاهُ أَلْفَ نَفَرٍ وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ
 وَأَنَّ ذَاكَ الَّذِي أُوجِبَ إِفَاتَمَتُهُ الْيَوْمَ حَتَّى يَسْتَرْجِعَ عَسْكَرَهُ ، وَأَنَّهُ لَهَا رَأَى
 مَا أَصَابَهُ مِنَ الْقِتَالِ الْعَظِيمِ وَكَثُرَ الْمُسْلِمِينَ أَحْضَرَ الْبَدَوِيِّينَ عِنْدَهُ
 وَأَوْفَقَهُمَا وَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمَا ، وَأَقَمْنَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ لِإِقَامَةِ
 الْعَدُوِّ وَهُوَ الثَّلَاثَةُ الْعَاشِرُ مِنْ شَعْبَانَ

الْمَنْزِلِ الثَّانِي: وَلَمَّا كَانَ ظَهْرُ الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ رَأَى السُّلْطَانُ عَلَى
 الرَّجُلِ وَالْتَقَدَّمَ إِلَى قُدَامِ الْعَدُوِّ فَدُقَّ الْكُوسُ وَرَحَلَ النَّاسُ وَدَخَلَ
 فِي شَعْرَاءِ أَرْسُوفٍ حَتَّى تَوَسَّطَهَا إِلَى تَلٍّ عِنْدَ قَرْيَةٍ تُسَمَّى دَبْرَ الرَّاهِبِ
 فَتَزَلَّ هُنَاكَ وَدَهَمَ النَّاسَ اللَّيْلُ وَهُمْ يَقْطَعُونَ فِي الشَّعْرَاءِ وَأَصْبَحَ مِنْهَا
 يَنْتَظِرُ بَقِيَّةَ الْعَسَاكِرِ إِلَى صَبَاحِ الْأَرْبَعَاءِ الْحَادِيَةِ عَشْرَ ، وَتَلَاَحَفَتِ
 الْعَسَاكِرُ وَرَكِبَ بَرْتَانًا مَوْضِعًا بَصُحُ لِقِتَالِ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ ، وَأَقَامَ ذَلِكَ
 الْيَوْمَ أَجْمَعَ هُنَاكَ ، وَمِنْ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ فِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ أَنَّهُ أَقَامَ عَلَى نَهْرِ
 الْقَصَبِ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَيْضًا ، وَأَنَّهُ لِحَفْنِهِ نَجْدَةً مِنْ عَكَا فِي ثَمَانِ بَطْسِي
 كِبَارٍ وَبَزَكَ الْإِسْلَامَ حَوْلَهُ يُوَصِّلُونَ بِالْأَخْبَارِ الْمُسْتَجِيبَةِ بِهِمْ
 ذِكْرُ مُرَاسَلَةٍ جَرَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدُوَّ طَلَبَ مِنَ الْبَزِكِ مَنْ يَحْدُثُ مَعَهُ ، وَكَانَ مُنْذَمًا

الْبِرِّكَ عِلْمَ الدِّينِ سُلَيْمَانَ فَإِنَّهَا كَانَتْ نَوْبَتَهُ . فَلَمَّا مَضَى الْيَوْمَ مِنْ سَمْعِ
 كَلَامِهِمْ كَانَ كَلَامُهُمْ طَلَبَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ حَتَّى يَتَخَدُّوا مَعَهُ . فَاسْتَأْذَنَ
 وَمَضَى وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْبِرِّكَ وَيَتَخَدُّونَ مَعَهُ . وَكَانَ حَاصِلُ حَدِيثِهِمْ
 أَنَا قَدْ طَالَ بَيْنَنَا الْقِتَالُ وَأَنَّهُ قَدْ قُتِلَ مِنَ الْمُجَانِبِينَ الرَّجَالُ الْأَبْطَالُ
 وَأَنَا نَحْنُ جِسْنَا فِي نَصْرِهِ إِفْرَنْجِ السَّاحِلِ . فَأَصْطَلِحُوا أَنْتُمْ وَهُمْ وَكُلُّ مِنَّا يَرْجِعُ
 إِلَى مَكَانِهِ . وَكَتَبَ السُّلْطَانُ إِلَى أَخِيهِ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّانِي
 وَالْعَشْرَ رُفْعَةً يَقُولُ لَهُ فِيهَا : إِنْ قَدَّرْتَ أَنْ تُطَوِّلَ الْإِفْرَنْجِ فَلَعَلَّهُمْ يُقِيمُونَ
 الْيَوْمَ حَتَّى يَلْحَقَنَا التُّرُكُانُ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَرُبُوا مِنَّا

ذِكْرُ أَجْمَاعِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَالْأَنْكَنَارِ

وَلَمَّا عَرَفَ الْأَنْكَنَارُ وَصُولَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ إِلَى الْبِرِّكَ طَلَبَ الْأَجْمَاعَ
 بِهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ . فَأَجْتَمَعَا بِخَوْفٍ مِنْ أَصْحَابِهَا وَكَانَ يُنَزِّجُ بَيْنَهُمَا ابْنُ
 الْهَنْفَرِيِّ وَهُوَ مِنْ إِفْرَنْجِ السَّاحِلِ مِنْ كِبَارِهِمْ وَرَأَيْتُهُ يَوْمَ الصُّلْحِ وَهُوَ
 شَابٌ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّهُ مَخْلُوقٌ اللَّحْيَةِ عَلَى مَا هُوَ شِعَارُهُمْ . وَكَانَ الْحَدِيثُ
 بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَنْكَنَارَ شَرَعَ فِي ذِكْرِ الصُّلْحِ وَأَنَّ الْمَلِكَ الْعَادِلَ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ
 تَطْلُبُونَ الصُّلْحَ وَلَا تَذْكُرُونَ مَطْلُوبَكُمْ فِيهِ حَتَّى أَتَوْسَطَ أَنَا الْحَالَ مَعَ
 السُّلْطَانِ . فَقَالَ الْأَنْكَنَارُ : الْقَاعِدَةُ أَنْ تَعُودَ الْبِلَادُ كُلُّهَا إِلَيْنَا وَتَنْصَرِفُوا
 إِلَى بِلَادِكُمْ فَأَخْشَنَ لَهُ الْجَوَابَ وَجَرَّتْ مُنَاقَرَةٌ أَقْتَضَتْ أَنَّهُمْ رَحَلُوا بَعْدَ
 أَنْفِصَالِهِمْ . وَلَمَّا أَحَسَّ السُّلْطَانُ بِرَحِيلِهِمْ أَمَرَ الثَّقَلُ بِالرَّحِيلِ وَوَقَفَ هُوَ
 وَعَبَّى النَّاسَ تَعْيِيَةَ الْقِتَالِ . وَسَارَ الثَّقَلُ الصَّغِيرُ أَيْضًا حَتَّى قَارَبَ الثَّقَلُ
 الْكَبِيرَ . ثُمَّ وَدَّ أَمْرَاءُ السُّلْطَانِ بِعُودِهِمْ إِلَيْهِ . فَعَادُوا وَوَصَلُوا وَقَدْ دَخَلَ

اللَّيْلُ وَتَحَبَّطَ النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ تَحَبُّطًا عَظِيمًا وَاسْتَدْعَى أَخَاهُ لِيُعْرِفَهُ مَا
 جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَلِكِ . وَخَلَايِهِ لِذَلِكَ وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ثَالِثَ
 عَشَرَ . وَأَمَّا الْعَدُوُّ فَإِنَّهُ سَارَ وَنَزَلَ عَلَى مَوْضِعٍ يُسَمَّى الْبِرْكَةَ أَيْضًا يُشْرِفُ
 عَلَى الْبَحْرِ وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُتَطَلِّعًا إِلَى أَخْبَارِ الْعَدُوِّ .
 فَأَحْضَرَ عِنْدَهُ اثْنَانِ مِنَ الْإِفْرَنْجِ قَدْ نَخَطَفَهَا الْبِرْكُ . فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهَا
 وَوَصَلَ مِنْ أَخْبَرِ أَنَّ الْعَدُوَّ لَمْ يَرْحَلِ الْيَوْمَ مِنْ مَنْزِلَتِهِ تِلْكَ . فَتَزَلَّ
 السُّلْطَانُ وَاجْتَمَعَ بِأَخِيهِ بَعْدَ ثَانِ يَهَذَا الْأَمْرِ وَمَا بَصْنَعُ مَعَ الْعَدُوِّ . وَبَاتَ
 تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ

ذَكَرُوهَا أَرْسُوفَ وَهِيَ أَنْكَتَ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ

وَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ رَابِعَ عَشَرَ بَلَغَ السُّلْطَانُ أَنَّ الْعَدُوَّ حَرَّكَ الرَّحِيلَ
 نَحْوَ أَرْسُوفَ . فَرَكِبَ وَرَتَّبَ الْأَطْلَابَ لِلْقِتَالِ وَعَزَمَ عَلَى مُضَافَتِهِمْ فِي
 ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمُضَادَّتِهِمْ . وَأَخْرَجَ الْجَالِيشَ مِنْ كُلِّ طَلَبٍ . وَسَارَ الْعَدُوُّ
 حَتَّى قَارَبَ شَعْرَاءَ أَرْسُوفَ وَبَسَاتِينَهَا وَأَطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْجَالِيشُ النُّشَابَ
 وَلَزِبَتْهُمُ الْأَطْلَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَالسُّلْطَانُ يُقْرِبُ بَعْضَهَا وَيُوقِفُ
 بَعْضَهَا وَيَضَاقُ الْعَدُوَّ مُضَافَةً عَظِيمَةً وَالنَّحْمُ الْقِتَالُ وَأَضْطَرَمَّتْ نَارُهُ
 مِنَ الْجَالِيشِ وَقُتِلَ مِنْهُمْ وَجُرِحَ . فَاسْتَدُّوا فِي السَّيْرِ عَسَاكِمُ يَبْلُغُونَ
 الْمَنْزِلَةَ فَيَنْزِلُونَ وَأَشْتَدَّ بِهِمُ الْأَمْرُ وَضَاقَ بِهِمُ الْخِنَاقُ وَالسُّلْطَانُ يَطُوفُ
 مِنَ الْمَيْمَنَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ يَبْحَثُ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ وَلَقِيَتْهُ مِرَارًا الْبَيْسَ مَعَهُ إِلَّا
 صِبْيَانًا بِحَبِيبِينَ لَا غَيْرَ وَلَقِيَتْ أَخَاهُ وَهُوَ عَلَى مِثْلِ الْحَالِ وَالنُّشَابُ يُجَاوِزُهَا
 وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ يَشْتَدُّ بِالطَّمَعِ لِلْعَدُوِّ وَطَمَعِ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ طَمَعًا عَظِيمًا

حَتَّى وَصَلَ أَوَائِلُ رَاجِلِهِمْ إِلَى بَسَاتِينِ أَرْضِ سَوْفَ . ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْجَمَالَةُ
 وَتَوَاصَوْا عَلَى الْحَمَلَةِ خَشِيَةَ عَلَى الْقَوْمِ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يُنَجِّهِمُ إِلَّا الْحَمَلَةُ .
 وَلَقَدْ رَأَوْهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعُوا فِي وَسْطِ الرَّجَالَةِ وَأَخَذُوا رِمَاحَهُمْ وَصَاحُوا صَوْتَهُ
 الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَفَرَجَ لَهُمْ رَجَالُهُمْ وَحَمَلُوا حَمَلَةً وَاحِدَةً مِنَ الْجَوَانِبِ كُلِّهَا
 فَحَمَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَطَائِفَةٌ عَلَى الْمُسْرَعِ وَطَائِفَةٌ عَلَى الْقَلْبِ . فَأَنْدَقَ
 النَّاسُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَاتَّفَقَ أَنِّي كُنْتُ فِي الْقَلْبِ فَفَرَّ الْقَلْبُ فِرَارًا عَظِيمًا
 فَتَوَيْتُ التَّخَيُّزَ إِلَى الْمُسْرَعِ وَكَانَتْ أَقْرَبَ إِلَيَّ وَوَصَلْتُهَا وَقَدْ أَنْكَسَرَتْ
 كَسْرَةَ عَظِيمَةً وَفَرَّتْ أَشَدَّ فِرَارًا مِنَ الْكَلْبِ . فَتَوَيْتُ التَّخَيُّزَ إِلَى طَلَبِ
 السُّلْطَانِ وَكَانَ رِدَاءُ الْأَطْلَابِ كُلِّهَا كَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ وَلَمْ يَبْقَ لِلْسُّلْطَانِ
 فِيهِ إِلَّا سَبْعَةٌ عَشْرَ مَقَانِلًا لَا غَيْرُ وَأَخَذَ الْبَاقِينَ إِلَى الْبَيْتِ . لَكِنَّ الْأَعْلَامَ
 كُلَّهَا بَاقِيَةٌ ثَابِتَةٌ وَالْكُوسُ يَدُقُّ لَا يَفْتُرُ . وَأَمَّا السُّلْطَانُ فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَى مَا
 نَزَلَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ النَّازِلَةِ . سَارَ حَتَّى أَتَى طَلِبَهُ فَوَجَدَ فِيهِ هَذَا النَّفَرِ
 الْقَلِيلَ . فَوَقَفَ فِيهِ وَالنَّاسُ يَفْرُونَ مِنَ الْجَوَانِبِ وَهُوَ يَأْمُرُ أَصْحَابَ
 الْكُوسِ بِالذَّقِ بِحَيْثُ لَا يَفْتُرُونَ وَكُلَّمَا رَأَى فَارًّا يَأْمُرُ مَنْ يَحْضُرُهُ عِنْدَهُ
 وَفِي الْجَمَلَةِ مَا أَقْصَرَ النَّاسُ فِي فِرَارِهِمْ . فَإِنَّ الْعَدُوَّ حَمَلَ حَمَلَةً فَفَرُّوا . ثُمَّ
 وَقَفَ خَوْفًا مِنَ الْكَبِيرِينَ فَوَقَفُوا وَقَاتَلُوا . ثُمَّ حَمَلَ حَمَلَةً ثَانِيَةً . فَفَرُّوا وَهُمْ
 يَفَاتِلُونَ فِي فِرَارِهِمْ ثُمَّ وَقَفَ فَوَقَفُوا . ثُمَّ حَمَلَ حَمَلَةً ثَالِثَةً حَتَّى بَلَغَ إِلَى رُؤْسِ
 رَوَابِي هُنَاكَ وَأَعَالِي تُلُولِ . فَفَرُّوا إِلَى أَنْ وَقَفَ الْعَدُوُّ وَوَقَفُوا . وَكَانَ
 كُلُّ مَنْ رَأَى طَلِبَ السُّلْطَانِ وَاقِفًا وَالْكُوسُ يَدُقُّ بَسْجِي أَنْ يُجَاوِزَهُ
 وَيَخَافُ غَائِلَةَ ذَلِكَ فَيَعُودُ إِلَى الطَّلَبِ . فَاجْتَمَعَ فِي الْقَلْبِ خَلْقٌ عَظِيمٌ

وَوَقَفَ الْعَدُوُّ قُبَاثَتَهُمْ عَلَى رُؤْسِ التَّلُولِ وَالرَّوَابِي وَالسُّلْطَانَ وَاقِفًا فِي
 طَلَبِهِ وَالنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ حَتَّى آتَتْ الْعَسَاكِرُ بِأَسْرِهَا وَخَافَ الْعَدُوُّ أَنْ
 يَكُونَ فِي الشُّعْرَاءِ الْكَبِيرِينَ . فَتَرَا جَعُوا يَطْلُبُونَ الْمَنْزِلَةَ وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى
 تَلِي فِي أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ فِي خَيْبَتِهِ . وَلَقَدْ كُنْتُ فِي خِدْمَتِهِ أُسْلِبِيهِ
 وَهُوَ لَا يَقْبَلُ السُّلُوكَ وَظَلَّلَ عَلَيْهِ بِيَنْدِيلٍ وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَطْعَمَ شَيْئًا فَأَحْضَرَ
 لَهُ شَيْءًا لَطِيفًا فَتَنَاوَلَ مِنْهُ شَيْئًا بَسِيرًا وَبَعَثَ النَّاسُ خِيْلَهُمْ لِلسَّقِيِّ فَإِنَّ
 الْمَكَانَ كَانَ بَعِيدًا وَجَلَسَ يَنْتَظِرُ النَّاسَ مِنَ الْعَوْدِ مِنَ السَّقِيِّ وَالتَّجْرَحِي
 يَحْضُرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ بِهَذَا وَآخِرِهِمْ وَحَمَلَهُمْ وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
 رَجَالٌ كَثِيرَةٌ وَجُرِحَ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ . وَكَانَ مِنْ ثَبَتِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ
 وَالطَّوَّاشِي قَابِهَازُ النَّجْبِيُّ وَالْمَلِكُ الْأَفْضَلُ وَلَهُ وَصِدْمٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
 وَانْفَجَحَ دُمْلُ كَانَ فِي وَجْهِهِ وَسَالَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ صَابِرٌ
 مُحْتَسِبٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ . وَثَبَتَ أَيْضًا طَلَبُ الْمُوصِلِيِّ وَمَقْدَمُهُ عَلَاءُ الدِّينِ
 وَشَكَرَهُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ وَتَفَقَّدَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَوَجَدُوا قَدِ
 اسْتَشْهَدَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ عُرِفَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ كَبِيرٌ مُوسَى . وَكَانَ شُجَاعًا
 مَعْرُوفًا وَقَابِهَازُ الْعَادِلِيُّ وَكَانَ مَذْكَورًا وَابْنُ غُوشٍ وَكَانَ شُجَاعًا . وَجُرِحَ
 خَلْقٌ كَثِيرٌ وَخِيُولٌ كَثِيرَةٌ . وَقُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ جَمَاعَةٌ وَأُسِرَ وَاحِدٌ فَأَحْضَرَ
 فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ وَأُخِذَتْ مِنْهُمْ خِيُولٌ أَرْبَعَةٌ . وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ رَحِمَهُ
 اللَّهُ إِلَى الثَّقَلِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْعَوْجَاءِ فَاسْتَأْذَنَتْهُ وَتَقَدَّمَتْهُ إِلَى الْمَنْزِلِ وَجَلَسَ
 هُوَ يَنْتَظِرُ أَجْمَاعَ الْعَسَاكِرِ وَمَا بَرِدُ مِنْ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ . وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ
 نَزَلَ عَلَى أَرْسُوفٍ

الْمَنْزِلُ التَّاسِعُ: وَسِرْتُ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ حَتَّى أَتَيْتُ الثَّقَلَ وَقَدْ نَزَلَ
 قَاطِعَ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْعُوجَاءِ فِي مَنْزِلَةِ خَضْرَاءَ طَبِيبَةٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ
 وَوَصَلَ السُّلْطَانَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ أَوْ آخِرِ النَّهَارِ. وَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى الْقَنْطَرَةِ.
 فَتَزَلَّ عَلَى نَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَى النَّهْرِ وَلَمْ يَبْغُضْ إِلَى الْخَيْمَةِ وَأَمَرَ الْجَاوِشَ أَنْ
 يُنَادِيَ فِي الْعَسْكَرِ بِالْعُبُورِ إِلَيْهِ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْوَقْعَةِ أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ
 إِلَّا اللَّهُ وَالنَّاسُ بَيْنَ جَرِيحِ الْجَسَدِ وَجَرِيحِ الْقَلْبِ. وَأَقَامَ السُّلْطَانُ إِلَى
 سَحْرِ الْخَامِسِ عَشَرَ وَحُقَّ الْكُوسُ وَرَكِبَ النَّاسُ وَسَارَ رَاجِعًا إِلَى جِهَةِ
 الْعَدُوِّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَرِيبِ أَرْسُوفَ وَصَفَّ الْأَطْلَابَ لِلْفِتَالِ رَجَاءً
 خُرُوجِ الْعَدُوِّ وَمَسِيرِهِ حَتَّى يُصَادِفَهُ. فَلَمْ يَرْحَلِ الْعَدُوُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
 لِمَا نَالَهُمْ مِنَ التَّعَبِ وَأَقَامَ فُبَالنَّهْمِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ وَعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّتِي بَاتَ
 بِهَا. وَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةَ السَّادِسِ عَشَرَ دَقَّ الْكُوسُ وَرَكِبَ النَّاسُ
 وَسَارَ نَحْوَهُمْ وَوَصَلَ خَبَرَ الْعَدُوِّ أَنَّهُ قَدْ رَحَلَ طَالِبًا جِهَةَ يَافَا فَفَارَهُمْ
 مُقَارَبَةً عَظِيمَةً وَرَتَّبَ الْأَطْلَابَ تَرْتِيبَ الْفِتَالِ وَأَخْرَجَ الْجَالِيشَ وَأَحْدَقَ
 الْعَسْكَرَ الْإِسْلَامِيَّ بِالْقَوْمِ وَالْقَوْمُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّشَابِ مَا كَادَ يَسُدُّ الْأَفُقَ
 وَقَاتَلَهُمْ فَلُوِبَهُمْ فِتَالِ الْحَنْقِ وَقَصَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَحْرِيكَ عَزَائِمِهِمْ عَلَى الْحَمَلَةِ
 حَتَّى إِذَا حَمَلُوا أَلْفَى النَّاسَ عَلَيْهِمْ وَيُعْطِي اللَّهُ النَّصْرَ لِمَنْ يَشَاءُ. فَلَمْ يَجْمَعُوا
 وَحَفِظُوا نَفْسَهُمْ وَسَارُوا مُصْطَفِينَ عَلَى عَادَتِهِمْ حَتَّى أَتَوْا نَهْرَ الْعُوجَاءِ وَهُوَ
 النَّهْرُ الَّذِي مَنْزِلَتُنَا أَعْلَاهُ. فَتَزَلَّ فِي أَسْفَلِهِ وَعَبَّرَ بَعْضُهُمْ إِلَى غَرْبِيِّ النَّهْرِ
 وَأَقَامَ الْبَاقُونَ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ. فَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ يَنْزُولِهِمْ تَرَجَعَ النَّاسُ
 عَنْهُمْ وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى الثَّقَلِ وَنَزَلَ فِي خَيْمَتِهِ وَأُطِيعَ الطَّعَامَ وَأُتِيَ

بَارْبَعَةَ مِنْ الْأَفْرَاجِ قَدْ أَخَذَتْهُمُ الْعَرَبُ وَمَعَهُمْ أَمْرَةٌ فَرَفِعُوا إِلَى
 الزَّرْدَخَانَةِ وَأَقَامَ بَقِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكْتُبُ الْكُتُبَ إِلَى الْأَطْرَافِ بِاسْتِحْضَارِ
 بَقِيَّةِ الْعَسَاكِرِ وَحَضَرَ مَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ يَوْمَ أَرْسُوفَ خَيْلٌ
 كَثِيرَةٌ وَأَنَّهُ تَسَبَّحَ الْعَرَبُ وَعَدُّوْهَا وَزَادَتْ عَلَى مِئَةِ وَأَمَرَ السُّلْطَانُ أَنْ
 تَرْحَلَ الْحِجَالُ وَتَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّمْلَةِ وَبَاتَ هُوَ يَتَلَكَّ الْمُنْزِلَةَ

الْمُنْزِلُ الْعَاشِرُ: وَلَمَّا كَانَ سَاعَ عَشْرَ صَلَّى الصُّبْحَ وَرَحَلَ وَرَحَلَ مَعَهُ
 الثَّقَلُ الصَّغِيرُ وَسَارَ يُرِيدُ الرَّمْلَةَ وَأَبَى بِأَثْنَيْنِ مِنَ الْأَفْرَاجِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ
 أَعْنَاقِهَا. وَوَصَلَ مِنَ الْبَيْزِكِ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَدُوَّ رَحَلَ مِنْ بَافَا. وَسَارَ
 السُّلْطَانُ إِلَى أَنْ أَتَى الرَّمْلَةَ وَأَبَى بِأَثْنَيْنِ مِنَ الْأَفْرَاجِ أَيْضًا. فَسَأَلَهَا عَنْ
 أَحْوَالِهِمْ. فَذَكَرَ أَنَّهُمْ رَبَّهَا أَقَامُوا بِبَافَا أَيَّامًا وَفِي أَنْفُسِهِمْ عَارِزَتَهَا وَاشْتَاهَا
 بِالرِّجَالِ وَالْعُدَدِ. وَأَحْضَرَ السُّلْطَانُ أَرْبَابَ مَشُورَتِهِ وَشَاوَرَهُمْ فِي أَمْرِ
 عَسْفَلَانَ وَهَلْ يُنْجَرُ مِنْهَا تَحْرِبُ أَوْ تَبْقَى. وَاتَّفَقَ الرَّأْيُ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّفَ الْمَلِكُ
 الْعَادِلُ وَمَعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَسْكَرِ مُقَارِبَ الْعَدُوِّ لِيَعْرِفَ أَحْوَالَهُمْ وَاتِّصَالَهَا
 وَأَنْ يَسِيرَ هُوَ وَيُجْرِبَ عَسْفَلَانَ خَشِيَةً أَنْ يَسْتَوِيَّ عَلَيْهَا الْأَفْرَاجُ وَهِيَ
 عَامِرَةٌ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَأْخُذُوا بِهَا الْقُدْسَ الشَّرِيفَ
 وَيَقْطَعُونَ بِهَا طَرِيقَ مِصْرَ وَخَشِيَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلِمَ عَجْزَ الْمُسْلِمِينَ
 عَنْ حِفْظِهَا لِغُرْبِ عَهْدِهِمْ مِنْ عَكَّا وَمَا جَرَى عَلَى مَنْ كَانَ مُقِيمًا بِهَا. فَتَعَيَّنَ
 لِذَلِكَ خَرَابُ عَسْفَلَانَ. فَسَارَ الثَّقَلُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ. وَتَقَدَّمَ إِلَى وَلِيِّهِ
 الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ أَنْ سَارَ عَقِيبَ الثَّقَلِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَسَارَ هُوَ وَأَنَا فِي
 خِدْمَتِهِ سَحْنًا الْأَرْبَعَاءَ

الْمَنْزِلُ الْحَادِي عَشَرَ وَهُوَ عَلَى عَسْقَلَانَ: وَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ثَامِنَ
 عَشَرَ الشَّهْرِ وَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَى بَيْنَا فَتَزَلَّ بِهَا وَضَحَى وَأَخَذَ النَّاسُ رَاحَةً .
 ثُمَّ رَحَلَ وَسَارَ حَتَّى أَتَى أَرْضَ عَسْقَلَانَ وَقَدْ ضُرِبَتْ خِيَمَتُهُ بَعِيدًا مِنْهَا .
 فَبَاتَ هُنَاكَ مَهْمُومًا بِسَبَبِ الْحُرَابِ وَمَا نَامَ إِلَّا قَلِيلًا . وَلَقَدْ دَعَانِي فِي
 خِدْمَتِهِ سَحْرًا وَكُنْتُ فَارَقْتُ خِدْمَتَهُ بَعْدَ مُضِيِّ نِصْفِ اللَّيْلِ . فَحَضَرْتُ
 وَبَدَأَ بِالْحَدِيثِ فِي مَعْنَى خَرَابِهَا وَأَحْضَرَ وَلَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ وَشَاوَرَهُ فِي
 ذَلِكَ وَطَالَ الْحَدِيثُ فِي الْمَعْنَى وَلَقَدْ قَالَ لِي : وَاللَّهِ لَأَنْ أَفْقِدَ أَوْلَادِي
 بِأَسْرِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهْدِمَ مِنْهَا حَجْرًا وَاحِدًا وَلَكِنْ إِذَا قَضَى اللَّهُ ذَلِكَ
 وَفِيهِ دَعْوَتُهُ لِحِفْظِ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ اسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَوْقَعَ اللَّهُ فِي
 نَفْسِهِ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِي خَرَابِهَا لِعِزِّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ حِفْظِهَا . فَاسْتَحْضَرَ الْوَالِي
 قَبْصَرِيهَا وَهُوَ مِنْ كِبَارِ مَالِكِيهِ وَذَوِي الْأَرَاءِ مِنْهُمْ فَأَمَرَ بِمَجْمَعِ الْقَعْلَةِ
 فِيهَا . وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَقَدْ أَجْتَازَ بِالسُّوقِ وَالْوِطَاقِ بِنَفْسِهِ مُسْتَفِزًّا النَّاسَ
 لِلْحُرَابِ . وَقَسَمَ السُّورَ عَلَى النَّاسِ وَجَعَلَ لِكُلِّ أَمِيرٍ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ
 بُرْجًا مَعْلُومًا يُخْرَبُونَهُ . وَدَخَلَ النَّاسُ الْبَلَدَ وَوَقَعَ فِيهِ الضَّجِيجُ وَالْبِكَاةُ
 وَكَانَ بَلَدًا خَفِيفًا عَلَى الْقَلْبِ مُحْكَمَ الْأَسْوَارِ عَظِيمَ الْبِنَاءِ مَرْعُوبًا فِي سَكْنَتِهِ
 فَلَحِقَ النَّاسَ عَلَيْهِ حُزْنٌ عَظِيمٌ وَعَظْمٌ عَوِيلٌ أَهْلِهِ عَلَى مُفَارَقَةِ أَوْطَانِهِمْ
 وَشَرَعُوا فِي بَيْعِ مَا لَا يَبْكُنُ حَمْلَهُ وَبَيْعِ مَا يَسُوءُ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ بِدِرْهَمٍ
 وَاحِدٍ وَأَخْضَبَطَ الْبَلَدَ وَخَرَجَ أَهْلُهُ إِلَى الْعَسْكَرِ بِدَرَارِيِّهِمْ وَنِسَائِهِمْ خَشِيَةً
 أَنْ يَفْعَمَ الْإِفْرَنْجُ وَبَدَلُوا فِي الْكِرَاءِ أَضْعَافَ مَا يَسُوءُ . قَوْمٌ إِلَى مِصْرَ
 وَقَوْمٌ إِلَى الشَّامِ وَقَوْمٌ بِمَشُون . وَجَرَتْ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ وَفِتْنَةٌ هَائِلَةٌ

لَعَلَّهَا لَمْ تَخْتَصَّ بِالَّذِينَ ظَلَمُوا. وَكَانَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَوَلَدَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ
يَسْتَعْمِلَانِ النَّاسَ فِي الْخُرَابِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ خَشْيَةٌ أَنْ يَسْمَعَ الْعَدُوَّ فَيَحْضُرَ
وَلَا يُمَكِّنَ مِنْ خُرَابِهَا. وَبَاتَ النَّاسُ فِي الْحَيْمِ عَلَى أَمْرٍ حَالٍ مِنَ التَّعَبِ
وَالنَّصَبِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَصَلَ مِنْ جَانِبِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ
الْإِفْرَنْجَ تَحَدَّثُوا مَعَهُ فِي الصُّلْحِ وَأَنَّهُ خَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الْهَنْفَرِيِّ وَتَحَدَّثَ
مَعَهُ وَأَنَّهُ طَلَبَ جَمِيعَ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ. فَرَأَى السُّلْطَانُ أَنَّ ذَلِكَ مَضْلِحَةٌ
لِمَا رَأَى فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مِنَ الضُّجْرِ وَالسَّامَةِ مِنَ الْفِتَالِ وَالْمَصَابِرَةِ وَكَتَبَ
مَا عَلَاهُمْ مِنَ الدُّيُونِ. وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِسْمِخٍ فِي الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ. وَفُؤُضَ
أَمْرُ ذَلِكَ إِلَى رَأْيِهِ وَأَصْبَحَ الْعِشْرِينَ عَلَى الْإِضْرَارِ عَلَى الْخُرَابِ وَأَسْتَعْمَلَ
النَّاسَ فِيهِ وَحَنَمَ عَلَيْهِ وَأَبَاحَهُمُ الْهَرِي الَّذِي كَانَ دَخِيئَةً فِي الْبَلَدِ لِلْعَجْزِ
عَنْ نَقْلِهِ وَضَعْفِ الْوَقْتِ وَالْخَوْفِ مِنْ هُجُومِ الْإِفْرَنْجِ. وَأَمَرَ بِجَرِيْقِ الْبَلَدِ
فَأُضْرِمَتِ النَّارُ فِي بُيُوتِهِ وَأَخْوَرَهُ وَرَفَضَ أَهْلُهُ بَوَاقِي أَفْشِيئِهِ لِلْعَجْزِ عَنْ
نَقْلِهَا وَالْأَخْبَارُ تَتَوَاتَرُ مِنْ جَانِبِ الْعَدُوِّ بِعَارَةِ يَافَا. وَكَتَبَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ
يُخْبِرُ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَعْلَمُوا بِخُرَابِ الْبَلَدِ فَأَجَابَهُ أَنْ سَوْفَ الْقَوْمِ وَطَوَّلَ
الْحَدِيثَ لَعَلَّنَا نَتِمَكَّنُ مِنَ الْخُرَابِ وَأَمَرَ بِحَشْوِ أَبْرَاجِ الْبَلَدِ بِالْأَحْطَابِ
وَأَنْ تُحْرَقَ وَأَصْبَحَ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ رَكِبَ بِحَثِّ النَّاسِ وَدَامَ يَسْتَعْمِلُهُمْ عَلَى
التَّخْرِيبِ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ حَتَّى التَّاتَ مِزَاجُهُ التِّيَابًا قَرِيبًا أَمْتَعَ بِسَبِيهِ
مِنَ الرُّكُوبِ وَالْغِذَاءِ يَوْمَيْنِ. وَأَخْبَارُ الْعَدُوِّ تَتَوَاصَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ
وَيَجْرِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبِرْكَ وَالْعُسْكَرِ وَقَعَاتٌ وَقَلْبَاتٌ وَهُوَ يُوَاطِبُ عَلَى
الْحَثِّ عَلَى الْخُرَابِ وَنَقَلَ الثَّقَلَ إِلَى قَرِيبِ الْبَلَدِ لِيُعَاوَنَ الْغِلْمَانُ وَالْحَمَالُونَ

وَغَيْرُهُمْ فِي ذَلِكَ . فَخَرِبَ مِنَ السُّورِ مُعْظَمُهُ وَكَانَ عَظِيمَ الْبِنَاءِ بِحَيْثُ
 أَنَّهُ كَانَ عَرْضُهُ فِي مَوَاضِعَ تِسْعَةَ أَذْرُعَ وَفِي مَوَاضِعَ عَشْرَةَ أَذْرُعَ . ذَكَرَ
 بَعْضُ الْحَجَّارِ بْنِ السُّلْطَانِ وَأَنَا حَاضِرٌ أَنَّ عَرْضَ السُّورِ الَّذِي يَنْقُبُونَهُ
 فِيهِ مِقْدَارُ رُحْ . وَلَمْ يَزَلِ الْخَرَابُ وَالْحَرِيقُ يَعْملُ فِي الْبَلَدِ وَأَسْوَارِهِ إِلَى
 سَلْحِ شَعْبَانَ . وَعِنْدَ ذَلِكَ وَصَلَ مِنْ جَرْدِيكَ كِتَابٌ يَذْكَرُ فِيهِ أَنَّ الْقَوْمَ
 يَنْسَخُونَ وَصَارُوا يَجْرُجُونَ مِنْ يَاقَا بَغَارُونَ عَلَى الْبِلَادِ الْقَرِيبَةِ مِنْهَا .
 وَتَحَرَّكَ السُّلْطَانُ لَعَلَّهُ يَبْلُغُ مِنْهُمْ غَرَضًا فِي غَرَّتِهِمْ . فَعَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ
 وَعَلَى أَنْ يَجُفَى فِي عَسْقَلَانَ حَجَّارِينَ وَمَعَهُمْ خَيْلٌ بِحَيْبِهِمْ وَيَسْتَقْضُونَ فِي
 الْخَرَابِ . فَرَأَى أَنْ يَتَأَخَّرَ بِحَيْثُ أَنْ يُحْرَقَ الْبُرْجُ الْمَعْرُوفُ بِالْأَسْتَبَارِ .
 وَكَانَ بُرْجًا عَظِيمًا مُشْرِفًا عَلَى الْبَحْرِ كَالْقَلْعَةِ الْمُنْبَعَةِ . وَلَقَدْ دَخَلْتُهُ وَعَلَفْتُهُ
 فَرَأَيْتُ بِنَاءَهُ أَحْكَمَ بِنَاءٍ بَعْرَضٍ أَنْ يَكُونَ لَا يَعْملُ فِيهِ الْمَعَاوِلُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ
 أَنْ يُحْرِقُوهُ حَتَّى يَبْتَنِيَ بِالْحَرِيقِ قَابِلًا لِلْخَرَابِ . وَأَصْبَحَ مُسْتَهْلًا رَمَضَانَ أَمْرًا
 وَلَدَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ أَنْ يُبَاشِرَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَخَوَاصِهِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَجْمَلُ
 الْحَشَبَ هُوَ وَخَوَاصُهُ لِحَرِيقِ الْبُرْجِ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَنْقُلُونَ الْحَشَبَ
 وَيَحْشُونَهُ فِي الْبُرْجِ حَتَّى آمَنَلَانِي أَطْلَقْتُ فِيهِ النَّارَ فَاشْتَعَلَ الْحَشَبُ وَبَقِيَ
 النَّارُ تَشْعَلُ فِيهِ يَوْمَيْنِ يَلِيلِيهَا . ثُمَّ رَحَلَ السُّلْطَانُ ثَانِي رَمَضَانَ نِصْفَ
 اللَّيْلِ خَشِيَّةً عَلَى مِزَاجِهِ مِنَ الْحَرِّ وَوَصَلَ بَيْنَا صَاحِي النَّهَارِ وَبَاتَ فِي تِلْكَ
 الْمَنْزِلَةِ وَأَصْبَحَ ثَالِثَ الشَّهْرِ رَاحِلًا إِلَى جِهَةِ الرَّمْلَةِ

نُحْبَةُ

مِنْ كِتَابِ التَّارِيخِ لِأَبِي الْفِدَاءِ

الْمَعْرُوفِ بِصَاحِبِ حِمَاةَ

ذِكْرُ وَفَاةِ نُورِ الدِّينِ وَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ

فِي سَنَةِ تِسْعِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ تُوفِّيَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ بْنِ
 مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْجِيَّ بْنِ أَفْسَنْتَرِ صَاحِبِ الشَّامِ وَدِيَارِ الْحَزْبَةِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشَرَ شَوَّالٍ بَعْلَةَ الْخَوَانِيقِ بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ
 الْخُرُوسَةِ. وَكَانَ نُورُ الدِّينِ قَدْ شَرَعَ بِجَهْزٍ لِلدُّخُولِ إِلَى مِصْرَ لِأَخْذِهَا مِنْ
 صَلاَحِ الدِّينِ وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ ابْنَ أَخِيهِ سَيْفَ الدِّينِ غَازِيَّ بَنَ
 مَوْدُودٍ فِي الشَّامِ فُبَالِةِ الْفَرَنْجِ وَيَسِيرَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى مِصْرَ. فَأَنَاهُ أَمْرُ اللَّهِ
 الَّذِي لَمْ يَرُدَّهُ. وَكَانَ نُورُ الدِّينِ أَسْمَرَ طَوِيلَ الْقَامَةِ لَيْسَ لَهُ لِحْيَةٌ إِلَّا
 فِي حَنَكِهِ حَسَنَ الصُّورَةِ. وَكَانَ قَدْ اتَّسَعَ مُلْكُهُ جِدًّا وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ
 وَالْيَمَنِ لَمَّا مَلَكَهَا تُوْرَانُ شَاهُ بْنُ أَيُّوبَ وَكَذَلِكَ كَانَ يُخُطَبُ لَهُ بِمِصْرَ.
 وَكَانَ مَوْلِدُ نُورِ الدِّينِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَطَبَقَ ذِكْرُهُ الْأَرْضَ
 لِحُسْنِ سَيْرَتِهِ وَعَدْلِهِ وَكَانَ مِنَ الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ عَلَى قَدَمِ عَظِيمٍ وَكَانَ
 يُصَلِّي كَثِيرًا مِنَ اللَّيْلِ وَكَانَ كَأَقْبَلِ

جَمَعَ الشُّجَاعَةَ وَالْحُشُوعَ لِرَبِّهِ مَا أَحْسَنَ الْخُرَابِ فِي الْخُرَابِ

وَكَانَ عَارِفًا بِاللِّغَةِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَيْسَ
 عِنْدَهُ نَعْصَبٌ وَهُوَ الَّذِي بَنَى أَسْوَارَ مَدِينِ الشَّامِ مِنْهَا دِمَشْقُ وَحِمصُ
 وَحِمَاةُ وَحَلَبُ وَشَيْبَرُزُ وَبَعْلَبَكُ وَغَيْرُهَا لَمَّا تَهَدَّمَتْ بِالزَّلَازِلِ وَبَنَى الْمَدَارِسَ

الْكثِيرَةَ الْحَنْفِيَّةَ وَالشَّافِعِيَّةَ وَلَا يَجْنِبُ هَذَا الْمُخْتَصِرُ ذِكْرَ فَضَائِلِهِ
 وَلَمَّا تَوَفَّى نُورُ الدِّينِ قَامَ ابْنُهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نُورِ الدِّينِ
 مُحَمَّدٍ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَعُمُرُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَحَلَفَ لَهُ الْعَسْكَرُ بِدِمَشْقَ
 وَأَقَامَ بِهَا وَأَطَاعَهُ صَلاَحُ الدِّينِ بِيَهْرَ وَخُطِبَ لَهُ بِهَا وَضُرِبَتِ السِّكَّةُ
 بِاسْمِهِ . وَكَانَ الْمُتَوَلَّى لِتَدْيِيرِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ وَتَدْيِيرِ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرَ شَمْسَ
 الدِّينِ مُحَمَّدًا الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْمَقْدَمِ . وَلَمَّا مَاتَ نُورُ الدِّينِ وَمَلَكَ ابْنُهُ
 الْمَلِكُ الصَّالِحُ سَارَ مِنَ الْمَوْصِلِ سَبْفُ الدِّينِ غَازِي بِنُ قُطْبِ الدِّينِ
 مَوْدُودِ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِيٍّ وَمَلَكَ جَمِيعَ الْبِلَادِ الْجَزِيرَةِ (الجزرية)

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَفِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ اجْتَمَعَ عَلَى
 رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الصَّعِيدِ يُقَالُ لَهُ الْكَنْزُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ
 عَلَى صَلاَحِ الدِّينِ فَأَرْسَلَ صَلاَحُ الدِّينِ إِلَيْهِ عَسْكَرًا فَاقْتَنَلُوا وَقُتِلَ الْكَنْزُ
 وَجَمَاعَةٌ مَعَهُ وَأَنْهَزَمَ الْبَاقُونَ

ذِكْرُ مَلِكِ صَلاَحِ الدِّينِ دِمَشْقَ وَغَيْرَهَا

فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَلَخَ رَبِيعَ الْأَوَّلِ مَلِكُ صَلاَحِ الدِّينِ يُونُسُ بْنُ أَيُّوبَ
 دِمَشْقَ وَخَمَصَ وَحِمَاةَ . وَسَبَبُهُ أَنَّ شَمْسَ الدِّينِ ابْنَ الدَّائِيَةِ الْمُهَيِّمَ بِحَلَبَ
 أَرْسَلَ سَعْدَ الدِّينِ كَهَشْتِكِينَ بِسْتَدْعِي الْمَلِكِ الصَّالِحِ ابْنَ نُورِ الدِّينِ
 مِنْ دِمَشْقَ إِلَى حَلَبَ لِيَكُونَ مُقَامَهُ بِهَا . فَسَارَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِلَى حَلَبَ
 مَعَ سَعْدِ الدِّينِ كَهَشْتِكِينَ . وَلَمَّا اسْتَفْرَّ بِحَلَبَ وَتَمَكَّنَ كَهَشْتِكِينَ قَبَضَ
 عَلَى شَمْسِ الدِّينِ ابْنَ الدَّائِيَةِ وَإِخْوَتِهِ وَقَبَضَ عَلَى الرَّئِيسِ ابْنِ الْحَشَّابِ
 وَإِخْوَتِهِ وَهُوَ رِئِيسُ حَلَبَ وَأَسْتَبَدَّ سَعْدُ الدِّينِ بِتَدْيِيرِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

فَخَافَهُ ابْنُ الْمُقَدَّمِ وَعَيْنٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ بِدِمَشْقَ. فَكَاتَبُوا صَلَاحَ الدِّينِ
وَأَسْتَدْعَوْهُ لِيَهْلِكَ عَلَيْهِمْ. فَسَارَ جُرَيْدٌ فِي سَبْعِ مِائَةِ فَارِسٍ وَلَمْ يَلْبَثْ
وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ فَخَرَجَ كُلُّ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْعَسْكَرِ وَالنَّفْوَةِ وَخَدَمُوهُ
وَنَزَلَ بِدَارِ وَإِلَيْهِ أُيُوبُ الْمَعْرُوفَةُ بِدَارِ الْعَفِيفِيِّ وَعَصَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ. وَكَانَ
فِيهَا مِنْ جِهَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ خَادِمٌ أَسْمُهُ رَجْحَانٌ. فَرَأَسَلَهُ صَلَاحُ الدِّينِ
وَأَسْتَهَالَهُ فَسَلَّمَ الْقَلْعَةَ إِلَيْهِ. فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ صَلَاحُ الدِّينِ وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنْ
الْأَمْوَالِ. وَلَمَّا ثَبَتَ قَدَمَهُ وَقَرَّرَ أَمْرَ دِمَشْقَ اسْتَخْلَفَ بِهَا أَخَاهُ سَيْفَ
الْإِسْلَامِ طَغْتِكِينَ بْنِ أُيُوبَ وَسَارَ إِلَى حِمصَ مُسْنَهَلٌ جُمَادَى الْأُولَى
وَكَانَتْ حِمصُ وَحِمَاةُ وَقَلْعَةُ بَارِينَ وَسَلْيَبَةُ وَتَلُّ خَالِدٍ وَالرُّهَامِينَ بَلَدِ
الْحِزْبِ فِي أَقْطَاعِ فَخْرِ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ الزَّعْفَرَانِيِّ. فَلَمَّا مَاتَ نُورُ الدِّينِ
لَمْ يَبْقَ فَخْرُ الدِّينِ مَسْعُودًا الْمَقَامُ بِحِمصَ وَحِمَاةُ لِسُوءِ سِيرَتِهِ مَعَ النَّاسِ
وَكَانَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ لَهُ بِغَيْرِ قِلَاعِهَا. فَإِنْ قِلَاعَهَا فِيهَا وَوَلَاةُ نُورِ الدِّينِ وَلَيْسَ
لِفَخْرِ الدِّينِ مَعَهُمْ فِي الْقِلَاعِ حُكْمٌ إِلَّا بَارِينَ فَإِنَّ قَلْعَتَهَا كَانَتْ لَهُ أَيْضًا.
وَنَزَلَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى حِمصَ فِي حَادِي عَشْرَ جُمَادَى الْأُولَى وَمَلَكَ
الْمَدِينَةَ وَعَصَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ. فَتَزَلَّ عَلَيْهَا مِنْ بَضِيقِ عَلَيْهَا وَرَحَلَ إِلَى حِمَاةَ
فَمَلَكَ مَدِينَتَهَا مُسْنَهَلٌ جُمَادَى الْآخِرَةَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَكَانَ يَقْلَعُهَا الْأَمِيرُ
عِزُّ الدِّينِ جُرَيْدِيكَ أَحَدُ الْمَمَالِكِ النُّورِيَّةِ. فَامْتَنَعَ فِي الْقَلْعَةِ فَذَكَرَ لَهُ
صَلَاحُ الدِّينِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ إِلَّا حِفْظُ بِلَادِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عَلَيْهِ وَأَمَّا
هُوَ نَائِبُهُ وَقَصْدُهُ مِنْ جُرَيْدِيكَ الْمَسِيرُ إِلَى حَلَبَ فِي رِسَالَةٍ فَاسْتَخْلَفَهُ جُرَيْدِيكَ
عَلَى ذَلِكَ. وَسَارَ جُرَيْدِيكَ إِلَى حَلَبَ بِرِسَالَةِ صَلَاحِ الدِّينِ وَاسْتَخْلَفَ فِي

فَلَعَنَ حَمَةَ أَخَاهُ . فَلَمَّا وَصَلَ جُرْدِيكَ إِلَى حَلَبَ قَبِضَ عَلَيْهِ كَمَا كَسْتِكِينَ
 وَصَجَنَهُ . فَلَمَّا عَلِمَ أَخُوهُ بِذَلِكَ سَلَّمَ الْفَلْعَةَ إِلَى صَالِحِ الدِّينِ فَمَلَكَهَا
 ثُمَّ سَارَ صَالِحُ الدِّينِ إِلَى حَلَبَ وَحَصَرَهَا وَبِهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ . فَجَمَعَ
 أَهْلَ حَلَبَ وَقَاتَلُوا صَالِحَ الدِّينِ وَصَدَّوْهُ عَنِ حَلَبَ وَأَرْسَلَ سَعْدُ الدِّينِ
 كَمَا كَسْتِكِينَ إِلَى سِنَانِ مُقَدَّمِ الْأَسْمَاعِيلِيَّةِ أَمْوَالًا عَظِيمَةً لِيَقْتُلُوا صَالِحَ
 الدِّينِ . فَأَرْسَلَ سِنَانُ جَمَاعَةً وَوَثُبُوا عَلَى صَالِحِ الدِّينِ فُقِتِلُوا دُونَهُ .
 وَأَسْتَمَرَ صَالِحُ الدِّينِ مُحَاصِرًا لِحَلَبَ إِلَى مُسْنَهَلٍ رَجَبٍ وَرَحَلَ عَنْهَا بِسَبَبِ
 نَزُولِ الْفَرَنْجِ عَلَى حِمصَ وَسَارُوا إِلَى حِمصَ فَرَحَلَ الْفَرَنْجُ عَنْهَا وَوَصَلَ
 صَالِحُ الدِّينِ إِلَى حِمصَ وَحَصَرَ قَلْعَتَهَا وَمَلَكَهَا فِي الْاِحْدَاثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ
 شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ . ثُمَّ سَارَ إِلَى بَعْلَبَكْ فَمَلَكَهَا

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُلْكُ صَالِحِ الدِّينِ لِهَذِهِ الْبِلَادِ . أَرْسَلَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِلَى
 ابْنِ عَيْبَةَ سَيْفِ الدِّينِ غَازِي صَاحِبِ الْهَوِصِلِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى صَالِحِ
 الدِّينِ . فَجَهَّزَ جَيْشَهُ صُحْبَةَ أَخِيهِ عَزَّ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودِ زَنْكِي
 وَجَعَلَ مُقَدَّمُ الْجَيْشِ أَكْبَرَ أَمْرَائِهِ وَهُوَ عَزَّ الدِّينِ مُحَمَّدُ وَلَقَبَهُ سَلْغَنْدَازُ
 وَطَلَبَ أَخَاهُ الْأَكْبَرَ عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِي بْنِ مَوْدُودِ صَاحِبِ سِنْجَارِ يَسِيرُ
 فِي النَّجْدِ أَيْضًا . فَامْتَنَعَ مُضَايَعَةَ لِصَالِحِ الدِّينِ . فَسَارَ سَيْفُ الدِّينِ
 غَازِي وَحَصَرَ سِنْجَارَ وَوَصَلَ عَسْكَرُ الْهَوِصِلِ صُحْبَةَ مَسْعُودِ بْنِ مَوْدُودِ
 وَسَلْغَنْدَازُ إِلَى حَلَبَ وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ عَسْكَرُ حَلَبَ وَسَارَ إِلَى صَالِحِ الدِّينِ .
 فَأَرْسَلَ صَالِحُ الدِّينِ بِبَدَلِ حِمصَ وَحَمَةَ وَأَنَّ يَفْرَأَ يَدِي دِمَشْقَ وَيَكُونَ
 فِيهَا نَائِبًا لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ . فَلَمْ يَجِيبُوا إِلَى ذَلِكَ وَسَارُوا إِلَى قِتَالِهِ وَقَاتَلُوا

عِنْدَ قُرُونِ حِمَاةٍ فَأَنْهَزَمَ عَسْكَرُ الْمَوْصِلِ وَحَلَبَ وَغَنِمَ صَلَاحُ الدِّينِ
وَعَسْكَرُهُ أَمْوَالَهُمْ وَتَبِعَهُمْ صَلَاحُ الدِّينِ حَتَّى حَصَرَهُمْ فِي حَلَبَ وَقَطَعَ
حِمِينِيذِ خُطْبَةَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ بْنِ نُورِ الدِّينِ وَأَزَالَ اسْمَهُ عَنِ السِّكَّةِ
وَأَسْتَبَدَّ بِالسُّلْطَنَةِ . فَرَأَسَلُوا صَلَاحَ الدِّينِ فِي الصُّلْحِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا
بِيَدِهِ مِنَ الشَّامِ وَلِلْمَلِكِ الصَّالِحِ مَا بَقِيَ بِيَدِهِ مِنْهُ فَصَالِحَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَحَلَ
عَنْ حَلَبَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ . وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ
مِنْ شَوَّالٍ مَلَكَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ قَلْعَةَ بَارِينٍ وَأَخَذَهَا مِنْ صَاحِبِهَا
فَخَرَّ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ الزَّعْفَرَانِيِّ . وَكَانَ فَخْرُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ مِنَ الْكَبِيرِ
الْأَمْرَاءِ النُّورِيَّةِ

ذَكَرَ أَنْهَزَامَ سَيْفِ الدِّينِ غَازِيِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ
مِنَ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَسَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَفِيهَا عَاشِرَ شَوَّالٍ كَانَ
الْمُصَافَةُ بَيْنَ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ وَبَيْنَ سَيْفِ الدِّينِ غَازِيِ بْنِ
مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِيِّ بَتَلِ السُّلْطَانِ . فَهَرَبَ سَيْفُ الدِّينِ غَازِيِ وَالْعَسَاكِرُ
الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ . فَإِنَّهُ كَانَ قَدِ اسْتَجَدَّ بِصَاحِبِ حِصْنِ كَيْفَا وَصَاحِبِ
مَارِدِينِ وَغَيْرِهَا وَتَمَّتْ عَلَى سَيْفِ الدِّينِ غَازِيِ الْهَرَبَةُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى
الْمَوْصِلِ مَرْغُوبًا وَقَصَدَ الْهَرُوبَ مِنْهَا إِلَى بَعْضِ الْفِلَاحِ فَنَبَتَهُ وَزَبْرُهُ وَأَقَامَ
بِالْمَوْصِلِ وَأَسْتَوَى السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى أَثْقَالِ عَسْكَرِ الْمَوْصِلِ
وَغَيْرِهِمْ وَغَنِمَ مَا فِيهَا . ثُمَّ سَارَ إِلَى بَرَابَةِ وَحَصَرَهَا وَتَسَلَّمَهَا . ثُمَّ سَارَ إِلَى
مَنْجٍ فَحَصَرَهَا فِي آخِرِ شَوَّالٍ . وَكَانَ صَاحِبِهَا قُطْبُ الدِّينِ بِنَالُ بْنُ حَسَّانٍ

الْمَنْجِي شَدِيدِ الْبُغْضِ لِصَلَاحِ الدِّينِ وَفَتْحِهَا عَنُودًا وَأَسْرَ بِنَالٍ وَأَخَذَ جَمِيعَ
مَوْجُودِهِ. ثُمَّ أَطْلَقَهُ فَسَارَ بِنَالٍ إِلَى الْمَوْصِلِ فَأَقْطَعَهُ سَيْفُ الدِّينِ غَازِي
مَدِينَةَ الرَّقَّةِ

ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى عَزَازَ وَنَازَلَ لَهَا ثَالِثَ ذِي الْقَعْدَةِ
وَتَسَلَّمَهَا حَادِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ. فَوَثَبَ إِسْمَاعِيلِيُّ عَلَى صَلَاحِ الدِّينِ فِي
حِصَارِهِ عَزَازَ فَضَرَبَهُ بِسِكِّينٍ فِي رَأْسِهِ فَجَرَحَهُ فَأَمْسَكَ صَلَاحُ الدِّينِ
الْإِسْمَاعِيلِيَّ وَبَقِيَ يَضْرِبُ بِالسِّكِّينِ فَلَا يُؤْتِرُ حَتَّى قُتِلَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ عَلَى
تِلْكَ الْحَالِ. وَوَثَبَ آخَرُ عَلَيْهِ فُقْتِلَ وَثَالِثُ فُقْتِلَ أَيْضًا وَبَجَا السُّلْطَانُ إِلَى
خَبْتِهِ مَدْعُورًا وَأَعْرَضَ جُنْدَهُ وَأَبْعَدَ مَنْ أَنْكَرَهُ مِنْهُمْ. وَلَمَّا مَلَكَ السُّلْطَانُ
عَزَازَ رَحَلَ عَنْهَا وَنَازَلَ حَلَبَ فِي مُنْتَصَفِ ذِي الْحِجَّةِ وَحَصَرَهَا وَبِهَا
الْمَلِكُ الصَّالِحُ وَانْقَضَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُوَ مُحَاصِرٌ لِحَلَبَ. فَسَأَلُوهُ فِي الصُّلْحِ
فَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ وَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ بِنْتًا صَغِيرَةً لِنُورِ الدِّينِ فَأَكْرَمَهَا وَأَعْطَاهَا شَيْئًا
كَثِيرًا وَقَالَ لَهَا: مَا تَرُومِينَ. فَقَالَتْ أُرِيدُ قَلْعَةَ عَزَازَ وَكَانُوا قَدْ عَلِمُوهَا
ذَلِكَ. فَسَلَّمَهَا السُّلْطَانُ إِلَيْهِمْ وَاسْتَفْرَأَ الصُّلْحَ وَرَحَلَ السُّلْطَانُ مِنْ حَلَبَ
فِي الْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَعِيعِينَ

سباني القسم الثالث من منتخب الملح

من كتاب العبر لابن خلدون

ومن كتاب نفع الطبيب من غصن الاندلس للقرني

ومن كتاب الاقادة لابي اللطيف

ومن كتاب تحفة النظائر في غرائب الامصار لابن بطوطة

ومن كتاب عجائب المخلوقات لابن محمّد القزويني

مَخْرَجُ الْمَلْحِ

جمعها الالب يوحنا بلو والاب اغوستينوس روده
من الرهبنة اليسوعية

الجزء الاول

القسم الثالث

وَهُوَ بِشْتِهْلٌ عَلَى فُصُولِ جُغْرَافِيَّةٍ وَفَوَائِدِ طَبِيعِيَّةٍ



طبع رابعة في مطبعة المرسلين اليسوعيين

في بيروت ١٨٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

نخبة

مِنْ كِتَابِ الْعَبْرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْبُرَيْرِ
وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ دَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ
لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلْدُونَ الْحَضْرَمِيِّ

مِنَ الْمَقْدِمَةِ فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ
وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ وَالْإِلْمَاعِ بِهَا بَعْرِضِ لِلْمُؤَرِّخِينَ
مِنَ الْمَغَالِطِ وَالْأَوْهَامِ وَذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهَا
إِعْلَمَ أَنَّ قِنَ التَّارِيخِ قِنَ عَزِيزُ الْمَذْهَبِ جَمَّ الْفَائِدَةِ شَرِيفُ الْعَائِدَةِ إِذْ
هُوَ يَقِفْنَا عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِيْنَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سِيرَتِهِمْ
وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ حَتَّى نَنِمَّ فَائِدَةُ الْإِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِيَنْ يَرُومَهُ
فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَهُوَ مُخْتِاجٌ إِلَى مَا خِذَ مُتَعَدِّدَةً وَمَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةً
وَحُسْنَ نَظَرٍ وَتَثْبِتٍ بِفَضِيحَانِ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْحَقِّ وَبِنَيْكِبَانِ بِهِ عَنِ الْمَزَلَاتِ
وَالْمَغَالِطِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتَمِدَ فِيهَا مَجْرَدُ النَّقْلِ وَلَمْ يُحْكَمْ أُصُولُ الْعَادَةِ
وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ وَلَا
فِي سَرَ الْغَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرِ بِالذَّاهِبِ فَرُبَّمَا لَمْ يُوْمَنْ فِيهَا مِنْ
الْعَثُورِ وَمَزَلَةِ الْقَدَمِ وَالْحَيْدِ عَنِ جَادَةِ الصِّدْقِ وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ
وَالْمَفْسِّرِينَ وَآئِبَةِ النَّقْلِ الْمَغَالِطُ فِي حِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ لِاعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى
مَجْرَدِ النَّقْلِ غَنًا أَوْ سَمِينًا لَمْ يَعْزُوهَا عَلَى أُصُولِهَا وَقَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا

سَبْرُهَا بِعِبَارِ الْحِكْمَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ
وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَتَاهُوا فِي بَدَأِ الْوَهْمِ وَالْغَلْطِ
سَيِّمًا فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ
إِذْ هِيَ مَطْنَةُ الْكُذِّبِ وَمَطْبَةُ الْهَذْرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا
عَلَى الْقَوَاعِدِ

وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَدْخُولَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَا يَنْقُلُونَهُ كَأَنَّهُ فِي سَبَبِ تَكْبِيَةِ
الرَّشِيدِ لِلْبَرَامِكَةِ مِنْ فَصَّةِ الْعَبَّاسَةِ أُخْتِهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ بَيْحِي بْنِ خَالِدِ
مَوْلَاهُ وَإِنَّمَا نَكَبَ الْبَرَامِكَةَ مَا كَانَ مِنْ أَسْبَدَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَأَخْيَانِهِمْ
أَمْوَالِ الْحِجَابِيَةِ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ السَّيْرَ مِنَ الْمَالِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ
فَقَلْبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ وَشَرِكُوهُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورِ
مُلْكِهِ فَعَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَبَعُدَ صَبْنُهُمْ وَعَمَرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخَطَطُهَا
بِالرُّؤْسَاءِ مِنْ وُلْدِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَأَحْنَازُهَا عَمَّنْ سِوَاهُمْ مِنْ وَزَارَةِ وَكِنَابَةِ
وَقِيَادَةِ وَحِجَابِيَةِ وَسَيْفِ وَقَلَمٍ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بَدَارِ الرَّشِيدِ مِنْ وُلْدِ بَيْحِي
بْنِ خَالِدِ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ رَئِيسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ
زَا حَمُولًا فِيهَا أَهْلُ الدَّوْلَةِ بِالْمَنَّاكِبِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا بِالرَّاحِ لِيَكُنَ أَيْهِمْ بَيْحِي
مِنْ كِفَالَةِ هُرُونَ وَرِيَّ عَهْدٍ وَخَلِيفَةَ حَتَّى شَبَّ فِي مُجْرِعٍ وَدَرَجٍ مِنْ عَشِيهِ
وَعَلَبَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ يَدْعُوهُ يَا أَبْتَ . فَتَوَجَّهَ الْإِيثَارُ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ
وَعَظُمَتْ الدَّالَّةُ مِنْهُمْ وَأَنْبَسَطَ أَلْجَاهُ عِنْدَهُمْ وَأَنْصَرَفَتْ نَحْوُهُمُ الْوُجُوهُ
وَخَضَعَتْ لِمُ الرِّقَابِ وَفُصِرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمَالُ وَنَخَطَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَفْصَى
النُّحُومِ هَدَايَا الْهَلُوكِ وَنُحِفَ الْأَمْرَاءُ وَتَسَرَّبَتْ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فِي سَبِيلِ

التزلف والاسنالة أموال الحباية وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماة
الفرابة العطاء وطوفوهم الهن وكسبوا من بيونات الأشراف المعدم
وفكروا العاني ومدحوا بها لم يمدح به خليفتهم وأسوا لعفائهم الجوائز
والصلات واستولوا على القرى والضباع من الضواحي والأمصار في
سائر الممالك حتى أسفوا البطانة وأخذوا الخاصة وأغصوا أهل الولاية
فكشفت لهم وجوه المنافسة والتحسد ودبت إلى مهادهم الوثير من
الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو فحطبة أخوال جعفر من أعظم
الساعين عليهم لم تعطفهم لما وفر في نفوسهم من التحسد عواطف الرحم
ولا وزعنتهم أو أصر الفرابة وقارن ذلك عند مخدومهم نواشي الغيرة
والاستنكاف من الحجر والأنفة وكامن الحفود التي بعثتها منهم صغائر
الدالة وانتهى بها الإضرار على شائهم إلى كباير الخالفة كفضهم في بجي
بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخي المهدي
الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور وبجي هذا هو الذي
استتر له الفضل بن بجي من بلاد الديلم على أمان الرشيد بخطه وبدل
لهم فيه ألف ألف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد إلى جعفر
وجعل أعنقاه يداره وإلى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على خلية
سبيله ولأسنبداد بجل عقاله حرما لدماء أهل البيت بزعمه ودالة على
السلطان في حكمه وسأله الرشيد عنه لها وشي به إليه ففطن وقال
أطالته فأبدي له وجه الاستحسان وأسرها في نفسه
فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى نزل عرشهم واكفبت عليهم

سَأَوْهُمْ وَخَسِفَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ وَبَدَارِهِمْ وَذَهَبَتْ سَلْفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ
 أَيَّامَهُمْ . وَمَنْ تَأَمَّلَ أَخْبَارَهُمْ وَأَسْتَقْصَى سِيرَ الدَّوْلَةِ وَسِيرَهُمْ وَجَدَ ذَلِكَ
 مُحَقَّقَ الْأَثَرِ مُبَهَّدَ الْأَسْبَابِ . وَأَنْظَرَ مَا نَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي مَفَاوِضِهِ
 الرَّشِيدِ عَمَّ جَدِّهِ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ فِي شَأْنِ نَكْبَتِهِمْ مَا ذَكَرَهُ فِي بَابِ الشُّعْرَاءِ
 مِنْ كِتَابِ الْعِقْدِ فِي مُحَاوَرَةِ الْأَضْمَعِيِّ لِلرَّشِيدِ وَالْفَضْلِ بْنِ بَجْجِي فِي سَمَرِهِمْ
 نَتَفَهَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَهُمُ الْغَيْبَةُ وَالْمَنَافَسَةُ فِي الْإِسْتِبْدَادِ مِنَ الْخَلِيفَةِ فَمِنْ حُؤْنَةٍ
 وَكَذَلِكَ مَا تَحَمَّلَ بِهِ أَعْدَاؤُهُمْ مِنَ الْبِطَانَةِ فِيمَا دَسَّوهُ لِلْمُغْنِينَ مِنَ الشُّعْرِ
 أَحْبَابًا لَا عَلَى إِسْمَاعِهِ لِلْخَلِيفَةِ وَتَحْرِيكِ حَفَائِظِهِ لَهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ شِعْرُ

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْ مَا تَعِدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَحِدُ

وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّهَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ

وَإِنَّ الرَّشِيدَ لَمَا سَمِعَهَا قَالَ إِي وَاللَّهِ عَاجِزٌ حَتَّى بَعَثُوا بِأَمْثَالِ هَذِهِ كَالْمِينِ
 غَيْرَتَهُ وَسَلَطُوا عَلَيْهِمْ بِأَسْ أَنْتَقَامِهِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَلْبَةِ الرِّجَالِ وَسُوءِ الْحَالِ
 وَأَمَّا مَا تُنَوِّهُ بِهِ الْحِكَايَةَ مِنْ مُعَاوَرَةِ الرَّشِيدِ التَّحْمَرِ وَأَفْتِرَانِ سُكْرِهِ
 بِسُكْرِ النَّدْمَانِ فَحَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ وَأَبْنِ هَذَا مِنْ حَالِ
 الرَّشِيدِ وَقِيَامِهِ بِهَا يَجِبُ بِمَنْصِبِ الْخِلَافَةِ مِنَ الدِّينِ وَالْعَدَالَةِ وَمَا كَانَ
 عَلَيْهِ مِنْ صَحَابَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَمُحَاوَرَتِهِ لِلْفَضْلِ بْنِ عِيَّاضٍ وَأَبْنِ
 السَّمَاكِ وَالْعَمْرِيِّ وَمَكَاتِيهِ سَفِيَّانَ وَبُكَائِهِ مِنْ مَوَاعِظِهِمْ وَدُعَائِهِ بِهَيْكَةِ
 فِي طَوَافِهِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْحِفَافَةِ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ
 وَشُهُودِ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ فِي وَفْقِهَا

حَكَى الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةٍ نَافِلَةٍ وَكَانَ

يَغْرُو عَامًا وَيُحْجُّ عَامًا. وَلَقَدْ زَجَرَ ابْنَ أَبِي مَرْيَمَ مُضْحِكُهُ وَسَمِعَهُ حِينَ تَعَرَّضَ
 لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ لَهَا سَمِعَهُ يَقْرَأُ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي.
 قَالَ وَاللَّهِ لَا أَذْرِي لِمَ. فَمَا تَمَّاكَ الرَّشِيدُ أَنْ ضَحِكَ. ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ مُغَضِبًا
 وَقَالَ يَا ابْنَ أَبِي مَرْيَمَ فِي الصَّلَاةِ أَيْضًا إِيَّاكَ وَإِيَّاكَ وَالْقُرْآنَ وَالَّذِينَ
 وَكَأَنَّ مَا شِئْتَ بَعْدَهَا

وَأَيْضًا فَقَدْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالسَّدَاجَةِ بِمَكَانٍ لِقُرْبِ عَهْدِهِ مِنْ سَلْفِهِ
 الْمُتَحَلِّينَ لِذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَدِّ أَبِي جَعْفَرٍ بَعْدُ زَمَنٌ إِذْ
 خَلَفَهُ غُلَامًا. وَقَدْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ بِمَكَانٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالذِّينِ قَبْلَ الْخِلَافَةِ
 وَبَعْدَهَا وَهُوَ الْقَائِلُ لِمَالِكٍ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِتَأْلِيفِ الْمَوْطِئِ يَا أَبَا عَبْدِ
 اللَّهِ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْكَ وَإِنِّي قَدْ شَغَلْتَنِي الْخِلَافَةُ
 فَضَعَّ أَنْتَ لِلنَّاسِ كِتَابًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ نَحْسَبُ فِيهِ رَخْصَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشَدَائِدَ
 ابْنِ عُمَرَ وَوَطِئَهُ لِلنَّاسِ تَوْطِئَةً: قَالَ مَالِكٌ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَنِي التَّصْنِيفَ
 يَوْمَئِذٍ وَلَقَدْ أَذْرَكُهُ ابْنَهُ الْمَهْدِيُّ أَبُو الرَّشِيدِ هَذَا وَهُوَ يَتَوَرَّعُ عَنْ كِسْوَةِ
 الْجَدِيدِ لِعِيَالِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ بِحُلِيِّهِ يُبَاشِرُ
 الْحَبَّاطِينَ فِي إِرْقَاعِ الْمُخْلَقَانِ مِنْ ثِيَابِ عِيَالِهِ. فَاسْتَنْكَفَ الْمَهْدِيُّ مِنْ
 ذَلِكَ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّ كِسْوَةُ هَذِهِ الْعِيَالِ عَامِنَا هَذَا مِنْ
 عَطَائِي فَقَالَ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ يَصُدَّ عَنْهُ وَلَا سَمِعَ بِالْإِنْفَاقِ مِنْ أَمْوَالِ
 الْمُسْلِمِينَ

فَكَيْفَ يَلْبِقُ بِالرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْخِلَافَةِ وَأَبُو تَيْبَةَ وَمَارِيَةَ
 عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَاللَّحَقِّي بِهَا أَنْ يُعَاقِرَ فِي الْحَمْرِ أَوْ

بجَاهِرِهَا. وَقَدْ كَانَتْ حَالُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْأَجَاهِلِيَّةِ فِي أَجْنَابِ
 الْحَمْرِ مَعْلُومَةٌ وَلَمْ تَكُنِ الْكُرْمُ شَجَرَتُهُمْ وَكَانَ شُرْبُهَا مَذْمُومَةً عِنْدَ الْكَبِيرِ مِنْهُمْ
 وَالصَّغِيرِ. وَالرَّشِيدُ وَأَبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى نَجْعٍ مِنْ أَجْنَابِ الْمَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ
 وَدُنْيَاهُمْ وَالتَّخْلِيقِ بِالتَّحَامِيدِ وَأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَنَزَعَاتِ الْعَرَبِ. وَأَنْظَرْنَا
 نَقْلَهُ الطَّبْرِيُّ وَالسُّعُودِيُّ فِي قِصَّةِ جَبْرِئِيلَ بْنِ بَجْنِشُوعَ الطَّيِّبِ حِينَ
 أَحْضَرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَمَجَّاهُ عَنْهُ. ثُمَّ أَمَرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِحَمْلِهِ إِلَى
 مَنْزِلِهِ وَقَطِنَ الرَّشِيدُ وَأَرْتَابَ بِهِ وَدَسَّ خَلَامَتَهُ حَتَّى عَابَتْهُ بِتَنَاوُلِهِ. فَأَعَدَّ
 أَبُو بَجْنِشُوعَ لِلْإِعْنَادِ ثَلَاثَ قِطْعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَفْدَاجٍ خَلَطَ
 إِحْدَاهَا بِاللَّحْمِ الْمَعَامِجِ بِالتَّوَابِلِ وَالبُقُولِ وَالبُورَادِ وَالتَّحْلُوَاءِ. وَصَبَّ
 عَلَى الثَّانِيَةِ مَاءً مُنْجَاً. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ خَمْرًا صِرْفًا. وَقَالَ فِي الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ:
 هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خَلِطَ السَّمَكُ بِغَيْرِهِ أَوْ لَمْ يُخَلَطْ: وَقَالَ فِي
 الثَّلَاثَةِ هَذَا طَعَامُ أَبِي بَجْنِشُوعَ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ حَتَّى إِذَا أَتَتْهُ
 الرَّشِيدُ وَأَحْضَرَهُ لِلتَّوْبِخِ أَحْضَرَ الْأَفْدَاجَ فَوَجَدَ صَاحِبَ الْحَمْرِ قَدْ أَخْتَلَطَ
 وَآمَاعَ وَتَفَتَّتَ وَوَجَدَ الْآخَرِينَ قَدْ فَسَدُوا وَتَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُمَا

فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ مَعْدِرَةٌ وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالِ الرَّشِيدِ فِي
 أَجْنَابِ الْحَمْرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَطَانَتِهِ وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ. وَلَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ
 أَنَّهُ عَهْدَ بَجْنِشِ أَبِي نُوَاسٍ لَمَّا بَلَغَهُ مِنْ أُنْهَمَا كَيْفَ فِي الْمُعَاقَرَةِ حَتَّى تَابَ وَأَقْلَعَ.
 وَإِنَّمَا كَانَ الرَّشِيدُ يَشْرَبُ نَبِيذَ التَّمْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفَنَآوَيْهِمْ فِيهَا
 مَعْرُوفَةٌ. وَأَمَّا الْحَمْرُ الصَّرْفُ مِنَ الْعِنَبِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى أَنْهَامِهِ بِهَا وَلَا تَقْلِيدِ
 الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ فِيهَا. فَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ يَحْتَبِثُ بِوَأَفْعٍ مَحْرُومًا مِنَ الْكَبِيرِ الْكَبَائِرِ

عِنْدَ أَهْلِ الْهَيْلَةِ . وَلَقَدْ كَانَ أَوْلِيكَ الْقَوْمِ كُلُّهُمْ بِمَخَاةٍ مِنْ حِنْتِ السَّرْفِ
وَالْتَرَفِ فِي مَلَابِسِهِمْ وَزِينَتِهِمْ وَسَائِرِ مَتَنَائِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُونَةٍ
الْبِدَاوَةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الَّتِي لَمْ يُنَارِ قُوهَا بَعْدُ . فَمَا ظَنُّكَ بِهَا بِمَخْرُجٍ عَنِ
الْإِبَاحَةِ إِلَى الْحُظْرِ وَعَنِ الْحِلْيَةِ إِلَى الْحَرَمَةِ . وَلَقَدْ اتَّفَقَ الْمَوْرُخُونَ
الطَّبْرِيُّ وَالسُّعُودِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَلَفَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ
وَبَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّمَا كَانُوا يَرْكَبُونَ بِالْحِلْيَةِ الْخَفِيفَةِ مِنَ الْفِضَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ
وَالسُّبُوفِ وَاللَّحْمِ وَالسُّرُوجِ وَأَنَّ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ أَحَدَثَ الرُّكُوبَ بِحِلْيَةِ الذَّهَبِ
هُوَ الْمَعْتَزُ بْنُ الْمَتَوَكِّلِ ثَامِنُ الْخُلَفَاءِ بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُهُمْ
أَيْضًا فِي مَلَابِسِهِمْ . فَمَا ظَنُّكَ بِمَشَارِبِهِمْ وَبِتَبْيِينِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ مِنْ هَذَا إِذَا
فَهَمْتَ طَبِيعَةَ الدَّوْلَةِ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْفِظَاطَةِ كَمَا نَشْرَحُ فِي مَسَائِلِ
الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وَيُنَاسِبُ هَذَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً عَنْ بَيْحِي بْنِ أَكْثَمِ قَاضِي
الْمَأْمُونِ وَصَاحِبِهِ وَأَنَّ كَانَ يُعَافِرُ الْمَأْمُونُ الْخَمْرَ وَأَنَّهُ سَكَّرَ لَيْلَةً مَعَ شَرِبِهِ
فَدَفِنَ فِي الرَّيْحَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَيَنْشُدُونَ عَلَى لِسَانِهِ

يَا سَيِّدِي وَأَمِيرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْفِينِي
إِنِّي غَفَلْتُ عَنِ السَّاقِي فَصَيَّرَنِي كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالدِّينِ
وَحَالَ ابْنِ أَكْثَمِ وَالْمَأْمُونِ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشَرَاهُمْ إِنَّمَا
كَانَ النَّيِّدُ وَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا عِنْدَهُمْ . وَأَمَّا السُّكْرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ
وَصَحَابَتُهُ لِلْمَأْمُونِ إِنَّمَا كَانَ خَلَّةً فِي الدِّينِ . وَلَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ مَعَهُ
فِي الْبَيْتِ وَنُقِلَ مِنْ فَضَائِلِ الْمَأْمُونِ وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ أَنَّهُ أَنْتَبَهَ ذَاتَ لَيْلَةٍ

فَقَامَ يَجَسُّسُ وَيَلْتَمِسُ الْإِنَاءَ مَخَافَةَ أَنْ يُوَفِّظَ بَيْحِي بْنَ أَكْثَمٍ وَثَبَتَ أَنَّهَا
 كَانَا يُصَلِّيانِ الصُّبْحَ جَمِيعًا. فَأَبْنَى هَذَا مِنَ الْمَعَارِفِ. وَأَيْضًا بَيْحِي بْنَ أَكْثَمٍ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ. وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْقَاضِي
 إِسْمَاعِيلُ وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِهِ الْجَامِعِ. وَذَكَرَ الْحَافِظُ الْمُهْرِيُّ أَنَّ
 الْبُخَارِيَّ رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ فَأَلْفَذَحُ فِيهِ قَدْحٌ فِي جَمِيعِهِمْ
 وَكَذَلِكَ نَبَّزَهُ الْجَمَانُ بِالْمَلِيلِ إِلَى الْغِلْمَانِ بُهْتَانًا عَلَى اللَّهِ وَفَرِيحَةً عَلَى الْعُلَمَاءِ
 وَبَسْتِنْدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقِصَاصِ الْوَاهِبَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا مِنْ أَفْرَاءِ
 أَعْدَائِهِ. فَإِنَّهُ كَانَ مُحْسَدًا فِي كَالِهِ وَخَلْتِهِ لِلسُّلْطَانِ وَكَانَ مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ
 وَالذِّبْنِ مَتْرَهًا عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ. وَقَدْ ذَكَرَ لِابْنِ حَنْبَلٍ مَا يَرْمِيهِ بِهِ النَّاسُ
 فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا
 وَأَثْنَى عَلَيْهِ. وَقِيلَ لِإِسْمَاعِيلَ مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ فَقَالَ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ تَزُولَ
 عَدَالَةُ مِثْلِهِ بِتَكْذُوبِ بَاغٍ وَحَاسِدٍ وَقَالَ كَانَ بَيْحِي بْنَ أَكْثَمٍ أَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ
 مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ أَمْرِ الْغِلْمَانِ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَقْفُ
 عَلَى سَرَائِرِهِ فَأَجِدُهُ شَدِيدَ الْخَوْفِ لِلَّهِ لَكِنَّهُ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خَلْقٍ
 قَرُمِي بِهَا رُمِيَ بِهِ وَذَكَرَهُ أَبُو حَبَانَ فِي الثَّقَاتِ وَقَالَ لَا يُشْتَغَلُ بِهَا بِحُجِّي
 عَنْهُ لِأَنَّ أَكْثَرَهَا لَا تَصِحُّ عَنْهُ

وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ مَا نَقَلَهُ أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْعِقْدِ مِنْ
 حَدِيثِ الزُّنَيْبِ فِي سَبَبِ إِضْهَارِ الْهَامُونَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ فِي بَيْتِهِ
 بُورَانَ..... وَأَبْنَى هَذَا كُلَّهُ مِنْ حَالِ الْهَامُونَ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ وَعَلَيْهِ
 وَأَقْبِنَائِهِ سُنَنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَأَخْنِ بِسِيرَةِ الْخُلَفَاءِ

الْأَرْبَعَةَ أَرْكَانِ الْهَيْلَةِ وَمُنَاطَرَتِهِ لِلْعُلَمَاءِ وَحِفْظِهِ لِلْحُدُودِ فِي صَلَوَاتِهِ
 وَأَحْكَامِهِ فَكَيْفَ تَصِحُّ عَنْهُ أَحْوَالُ الْفُسَاقِ الْمُسْتَهْرَبِينَ فِي التَّطَوُّافِ بِاللَّيْلِ
 وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ وَغِشْيَانِ السَّمْرِ سَبِيلِ عُشَاقِ الْأَعْرَابِ وَأَبْنِ ذَلِكَ
 مِنْ مَنْصِبِ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلِ وَشَرَفِهَا وَمَا كَانَ بِدَارِ أَبِيهَا مِنَ الصُّورِ
 وَالْعَفَافِ

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كُتُبِ الْمَوَرُخِينَ مَعْرُوفَةٌ وَإِنَّمَا يَبْعَثُ
 عَلَى وَضْعِهَا وَالتَّحْدِيثِ بِهَا الْإِنْمَاكَ فِي اللَّذَاتِ الْحَرَمَةِ وَهَتَكَ قِنَاعِ
 الْمَرْوَاتِ وَيَتَعَلَّلُونَ بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةِ لَدَائِمِهِمْ فَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ
 كَثِيرًا مَا يَلْجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَيَقْرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصْفِيهِمْ لِأَوْرَاقِ
 الدَّوَابِّ وَلَوْ أَتَسَّوْا بِهِمْ فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَصِفَاتِ الْكَمَالِ اللَّائِقَةِ
 بِهِمْ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ عَدَلْتُ يَوْمًا
 بَعْضَ الْأَمْرَاءِ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فِي كَلْفِهِ يَتَعَلَّمُ الْغِنَاءَ وَوُلُوعِهِ بِالْأَوْتَارِ
 وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ وَلَا يَلِيْقُ بِهِنَصِيكَ. فَقَالَ لِي أَفَلَا تَرَى إِلَى
 إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَرَرَيْسَ الْبَغِينِينَ فِي
 زَمَانِهِ. فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَا تَأْسَيْتَ بِأَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ مَا رَأَيْتَ كَيْفَ
 قَعَدَ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ عَنْ مَنْاصِبِهِمْ فَصَمَّ عَنْ عَدْلِي وَأَعْرَضَ

وَمِنَ الْعَلَطِ الْخَفِيِّ فِي التَّارِيخِ الدُّهُولُ عَنْ تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ فِي الْأُمَمِ
 وَالْأَجْيَالِ يَتَبَدَّلُ الْأَعْصَارُ وَمُرُورُ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَائِمٌ دَوْبِيٌّ وَشَدِيدٌ
 الْخَفَاءُ إِذْ لَا يَفْعُ إِلَّا بَعْدَ أَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ وَلَا يَكَادُ يَنْفُطِنُ لَهُ إِلَّا الْأَحَادُ
 مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَالْأُمَمِ وَعَوَائِدُهُمْ وَنَحْلَهُمْ

لَا تَدُومُ عَلَى وَبَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْهَا جِ مُسْتَفِرٌّ. إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَّامِ
وَالْأَزْمِنَةِ وَانْتِقَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَشْخَاصِ
وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَمْصَارِ فَكَذَلِكَ يَفْعُ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَقْطَارِ وَالْأَزْمِنَةِ
وَالدُّوَلِ

وَقَدْ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ أُمَّمُ الْفُرْسِ الْأُولَى وَالسَّرِّيَانِيُّونَ وَالنَّبَطُ وَالنَّبَابِعَةُ
وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالنَّبَطُ. وَكَانُوا عَلَى أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ بِهِمْ فِي دُورِهِمْ وَمَمَالِكِهِمْ
وَسِيَاسَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَتُغَانِيهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَسَائِرِ مُشَارِكَاتِهِمْ مَعَ أَبْنَاءِ
جِنْسِهِمْ وَأَحْوَالٍ أَعْيَارِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشْهَدُ بِهَا آثَارُهُمْ. ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ
الْفُرْسُ الثَّانِيَةُ وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ وَالْفَرَنْجَةُ. وَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ
وَأَنْقَلَبَتْ الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَانِسُهَا وَيُشَابِهُهَا وَإِلَى مَا يَبِينُهَا وَيُبَاعِدُهَا. ثُمَّ
جَاءَ الْإِسْلَامُ يَدْوِلُهُ مُضِرًا. فَأَنْقَلَبَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ أَجْمَعُ انْقِلَابَةً أُخْرَى
وَصَارَتْ إِلَى مَا أَكْثَرُهُ مُتَعَارَفٌ لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَخْذِ الْخُلَفَاءِ عَنِ السَّلَفِ. ثُمَّ
حَدَسَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهُمْ وَذَهَبَ الْأَسْلَافُ الَّذِينَ شَبَدُوا عِزَّهُمْ
وَمَهَّدُوا مَلِكُهُمْ وَصَارَ فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْعَجْمِ مِثْلُ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْبَرْبَرِ
بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرَنْجِ بِالشَّمَالِ قَدْ هَبَّتْ بِدَهَا بِهَمِ أُمَّمُ وَأَنْقَلَبَتْ أَحْوَالُ وَعَوَائِدُ
نِسْبِي شَانِهَا وَأُغْفِلَ أَمْرُهَا

وَالسَّبَبُ الشَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ. أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جَبَلٍ
تَابِعَةٌ لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحِكْمِيَّةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ.
وَأَهْلُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِذَا اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْزِعُوا
إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ فَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يَغْفِلُونَ عَوَائِدَ جَبَلِهِمْ

مَعَ ذَلِكَ فَبَقِيَ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ بَعْضُ الْمُخَالَفَةِ لِعَوَائِدِ الْجِبَالِ الْأُولَى. فَإِذَا
جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَرَجَتْ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَفَتْ
أَيْضًا بَعْضَ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلأُولَى أَشَدَّ مُخَالَفَةً. ثُمَّ لَا يَزَالُ النَّدْرُجُ فِي
الْمُخَالَفَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمُبَايَنَةِ بِالْجُمْلَةِ. فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْبَالُ
تَتَعاقَبُ فِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْمُخَالَفَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ
وَأَفْعَالِهَا

وَالْفِيَّاسُ وَالْمُحَاكَاةُ لِلإِنْسَانِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنَ الْغَلَطِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ
تُخْرِجُهُ مَعَ الدُّهُولِ وَالغَفْلَةِ عَنِ مَقْصِدِهِ وَتَعْوِجُ بِهِ عَنِ مَرَامِهِ. فَرُبَّمَا سَمِعَ
السَّمِيعُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ فَلَا يَتَفَطَّنُ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ
وَأَنْفِلَابِهَا فَيَجْرِبُهَا لِأَوَّلِ وَهَلَّةٍ عَلَى مَا عَرَفَ وَيَقْسِمُ بِهَا بِمَا يَشْهَدُ. وَقَدْ يَكُونُ
الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا فَبَقِيَ فِي مَهْوَاةٍ مِنَ الْغَلَطِ

وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ مَا يَتَوَهَّمُهُ الْمُتَصَفِّحُونَ لِكُتُبِ النَّارِجِ إِذَا سَمِعُوا
أَحْوَالَ الْقُضَاةِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الرَّئِيسَةِ فِي الْحُرُوبِ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ
فَتَنَرَّأَى بِهِمْ وَسَاوَسُ أَلْهَمِهِ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرَّتَبِ يَحْسِبُونَ أَنَّ الشَّانَ فِي
خِطَّةِ الْقُضَاةِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَيَظُنُّونَ بِأَبْنِ أَبِي
عَامِرٍ حَاجِبِ هِشَامِ الْمُسْتَبَدِّ عَلَيْهِ وَأَبْنِ عَبَّادٍ مِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ بِإِسْبِيلِيَّةِ
إِذَا سَمِعُوا أَنَّ أَبْنَاءَهُمْ كَانُوا قُضَاةً أَنَّهُمْ مِثْلُ الْقُضَاةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَتَفَطَّنُونَ
لِمَا وَقَعَ فِي رُتْبَةِ الْقُضَاةِ مِنَ مُخَالَفَةِ الْعَوَائِدِ كَمَا نَبَّيْنُهُ فِي فَصْلِ الْقُضَاةِ مِنَ
الْكِتَابِ الْأَوَّلِ. وَأَبْنُ أَبِي عَامِرٍ وَأَبْنُ عَبَّادٍ كَانَا مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ
الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِي عَصَبِيَّتِهَا. وَكَانَ مَكَانُهُمْ

فِيهَا مَعْلُومًا وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَهُمْ لِمَا نَالُوهُ مِنَ الرَّئَاسَةِ وَالْمَلِكِ بِخَطَّةِ الْفَضَاءِ كَمَا
 هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ. بَلْ إِنَّمَا كَانَ الْفَضَاءُ فِي الْأَمْرِ الْقَدِيمِ لِأَهْلِ الْعَصِيَّاتِ
 مِنْ قَبَائِلِ الدَّوْلَةِ وَمَوَالِيهَا كَمَا هِيَ الْوِزَارَةُ لِعَهْدِنَا بِالْمَغْرِبِ. وَأَنْظُرْ
 خُرُوجَهُمْ بِالْعَسَاكِرِ فِي الصَّوَانِفِ وَتَقْلِيدَهُمْ عِظَامَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُنْقَلُ
 إِلَّا لِمَنْ لَهُ الْغِنَاءُ فِيهَا بِالْعَصِيَّةِ فَيَغْلَطُ السَّامِعُ فِي ذَلِكَ وَيَجْهَلُ الْأَحْوَالَ
 إِلَى غَيْرِ مَا هِيَ

وَأَكْثَرُ مَا يَفْعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ ضَعْفًا الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا
 الْعَهْدِ لِفَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ فِي مَوَاطِنِهِمْ مِنْذُ أَعْصَارٍ بَعِيدَةٍ لِفَنَاءِ الْعَرَبِ
 وَدَوْلَتِهِمْ بِهَا وَخُرُوجِهِمْ عَنْ مَلَكَةِ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ مِنَ الْبَرْبَرِ فَبَقِيََتْ أَنْسَابُهُمْ
 الْعَرَبِيَّةُ مَحْفُوظَةً وَالذَّرْبَةُ إِلَى الْعِزِّ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْتِنَاصِرِ مَفْقُودَةً بَلْ
 صَارُوا مِنْ جُمْلَةِ الرَّعَايَا الَّتِي لَا تَمْتَحِذُ لِمَنْ الَّذِينَ تَعَبَّدَهُمْ الْقَهْرُ وَزِيَمُوا لِلْمَدَلَّةِ
 بِحَسَبِ بُونَ أَنْ أَنْسَابَهُمْ مَعَ مُخَالَطَةِ الدَّوْلَةِ هِيَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْغَلَبُ وَالْحَكْمُ
 فَتَجِدُ أَهْلَ الْحَرْفِ وَالصَّنَائِعِ مِنْهُمْ مُتَصَدِّينَ لِذَلِكَ سَاعِينَ فِي نَيْلِهِ. فَأَمَّا
 مَنْ بَاشَرَ أَحْوَالَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصِيَّةِ فِي دَوْلِهِمْ بِالْعُدُوقِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَكَيْفَ
 يَكُونُ التَّغْلِبُ بَيْنَ الْأُمَمِ وَالْعُشَائِرِ فَقَلَّمَا يَغْلَطُونَ فِي ذَلِكَ وَيَخْطِئُونَ
 فِي أَعْيَابِهِ

تَمَّ الْمَنْقُولُ مِنْ كِتَابِ الْعِبَرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْمُخْبَرِ
 لِابْنِ خَلْدُونَ

مِنْ كِتَابِ نَفْحِ الطَّيِّبِ مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ
تَأْلِيفِ الْعَلَّامَةِ الْمُهْرِيِّ

فِي وَصْفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ

فَأَقُولُ مُحَاسِنُ الْأَنْدَلُسِ لَا تُسْتَوْفَى بِعِبَارَةٍ وَمُجَارِيَةٍ فَضْلُهَا لَا يَشُقُّ
غُبَارُهُ وَأَنَّى تُجَارَى وَهِيَ الْحَائِزَةُ قَصَبَ السَّبْقِ فِي أَفْطَارِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ.
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِالْأَنْدَلُسِ بْنِ طُوبَالٍ بْنِ يَافَثَ بْنِ نُوحٍ
لِأَنَّهُ نَزَلَهَا كَمَا أَنَّ أَخَاهُ سَبْتٌ بْنُ يَافَثَ نَزَلَ الْعُدْوَةَ الْمُبَايِلَةَ لَهَا وَإِلَيْهِ
تُنَسَبُ سَبْتَةٌ. قَالَ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يُحَافِظُونَ عَلَى قِيَامِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ
لِأَنَّهُمْ إِمَّا عَرَبٌ أَوْ مُعَرَّبُونَ أَنْتَهَى. وَقَالَ ابْنُ غَالِبٍ إِنَّهُ أَنْدَلُسُ بْنُ
يَافَثَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الرَّبِيعِ وَغَدَقَ السُّقْيَا
وَلَدَادَةَ الْأَقْوَاتِ وَنَرَاهُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَدَوْرَ الْفَوَاكِهِ وَكَثْرَةَ الْبِهَائِ وَتَجَرُّ
الْعِمْرَانِ وَجُودَةَ اللَّبَاسِ وَشَرَفَ الْأَنْبِيَاءِ وَكَثْرَةَ السِّلَاحِ وَصِحَّةَ الْهَوَاءِ
وَإِبْيَاضَ أَلْوَانِ الْإِنْسَانِ وَنُبْلَ الْأَذْهَانِ وَفُنُونِ الصَّنَائِعِ وَشَهَامَةِ
الطِّبَاعِ وَنُفُوزِ الْأَذْرَاكِ وَأَحْكَامِ التَّمْدُنِ وَالِاعْتِمَارِ بِهَا حُرْمَهُ الْكَثِيرُ مِنَ
الْأَفْطَارِ جَاسِيَاَهَا. أَنْتَهَى

قَالَ أَبُو عَامِرٍ السُّلَمِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِدُرَرِ الْقَلَائِدِ وَغُرَرِ الْفَوَائِدِ
الْأَنْدَلُسُ مِنَ الْإِفْلِيمِ الشَّامِيِّ وَهُوَ خَيْرُ الْأَقَالِيمِ وَأَعَدَّ لَهَا هَوَاءً وَنَبَاتًا
وَأَعَدَّ بِهَا مَاءً وَأَطْيَبَهَا هَوَاءً وَحَيَوَانًا وَنَبَاتًا وَهُوَ أَوْسَطُ الْأَقَالِيمِ وَخَيْرُ

الأمور أو ساطها. انتهى

قال أبو عبيد البكري الأندلس شامية في طبيها وهوائها يمانية في
أعندالها وأستوائها هندية في عطرها وذكائها أهوازية في عظم جبانها
صينية في جواهر معادنها عدنية في منافع سواحليها. فيها آثار عظيمة
للبيونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة. وكان من ملوكهم الذين آثروا
الآثار بالأندلس هرقلس وله الأثر في الصنم بحزيرة فادس وصنم حليقة
والأثر في مدينة طركونة الذي لا نظير له

قال المسعودي بلاد الأندلس تكون مسيرة عمايرها ومدنها نحو
شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى بإختصار
ونحوه لابن الأسيوطي إذ قال طولها من أربونة إلى إشبونة وهو قطع
ستين يوماً للفراس الجيد وانتقد بأمرين أحدهما أنه يقتضي أن أربونة
داخلة في جزيرة الأندلس والصحيح أنها خارجة عنها. والثاني أن قوله
ستين يوماً للفراس الجيد إغواء وإفراط وقد قال جماعة أنها شهر
ونصف. قال ابن سعيد وهذا يقرب إذا لم يكن للفراس الجيد
والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر وكذا قال البخاري
وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعلموا حساباً بالمرجل الجيد
أفضى إلى نحو شهر ينيف قليل

قال البخاري في موضع من كتابه إن طول الأندلس من الحاجر
إلى إشبونة ألف ميل ونيّف اه. وبالجمله فالمراد التقريب من غير
مشاحة كما قاله ابن سعيد وأطال في ذلك. ثم قال بعد كلام ومسافة

الحاجز الذي بين بحر الرقاق والبحر المحيط أربعون ميلاً وهذا عرض
الاندلس عند رأسها من جهة الشرق ولقبته سميت جزيرة وإلا فليست
بحزيرة على الحقيقة لا تصال هذا القدر بالأرض الكبيرة. وعرض جزيرة
الاندلس في وسطها عند طليلة سنة عشر يوماً.....

قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي: بلد الأندلس هو آخر
الإقليم الرابع إلى المغرب وهو عند الحكماء بلد كرم البقعة طيب
التربة خصب الجناب منجس الأنهار الغزار والعيون العذاب. قليل
الهوام ذوات السموم. معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعته وخريفته
ومشاته ومصيفه على قدر من الاعتدال وسطه من الحال لا يتولد في
أحدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص تتصل فواكه أكثر الأزمنة
وتدوم متلاحفة غير مفقودة. أما الساحل منه ونواحيه فيبادر
ياكوره. وأما الثغر وجهاته والجبال المخصوصة يبرد الهواء فيتأخر
بالكثير من ثمره فإدرة الخيرات بالبلد متأدية في كل الأحيان وفواكه
على الجملة غير معدومة في كل أوان. وله خواص في كرم النبات
توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهر منها
أن الخلب وهو المقدم في الأفاويه والمفضل في أنواع الأشنان
لا ينبت بشيء من الأرض إلا بالهند والاندلس. وللاندلس المدن
الحصينة والمعافى المنبعا والفلاع الحزينة والمصانع الجليلة ولها البر
والبحر والسهل والوعر وشكلها مثلث

وهي معتمدة على ثلاثة أركان الأول هو الموضع الذي فيه صنم قادس

المشهور بالأندلس ومنه تخرج البحر المتوسط الشامي الآخذ قبلي
الأندلس. والركن الثاني هو شرقي الأندلس بين مدينة بريونة ومدينة
برديل مما بأيدي الفرنجة اليوم بإزاء جزيرتي ميورقة ومنورقة بجاورة
من البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط وبينهما البر الذي يعرف
بالآبواب وهو المدخل إلى بلاد الأندلس من الأرض الكبيرة على
بلد أفرنجة. ومسافته بين البحرين مسيرة يومين ومدينة بريونة تقابل
البحر المحيط. والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز
جليقية حيث الجبل الموفي على البحر. وفيها الصنم العالي المشبه بصنم
قادس وهو الطالع على بلد برطانية

قال والاندلس أندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع
أمطارها وجريان أنهارها أندلس غربي وأندلس شرقي. فالغربي منها
ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي ويهبط بالرياح الغربية
ومبتداً هذا الحوز من ناحية المشرق مع المنارة الخارجة مع الجوف إلى
بلد شنتهريه طالعا إلى حوز إغريطة الجاورة لطليلة مائلا إلى
الغرب ومجاورا للبحر المتوسط الموازي لفرطاجنة الخلفاء التي من بلد
لورقة والحوز الشرقي المعروف بالاندلس الأقصى وتجري أوديته إلى
الشرق وأمطاره بالرياح الشرقية وهو من حد جبل البشكش هابطا مع
وادي إبنه إلى بلد شنت مريه. ومن جوف هذا وغربه البحر المحيط
وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى
بلد الشام وهو البحر السمي بحر تيران ومعناه الذي يشق دائرة

الْأَرْضِ وَيُسَمَّى الْبَحْرَ الْكَبِيرَ. أَنْتَهَى

قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمَعْرُوفُ يَا بْنَ النَّظَامِ. بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ
عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِ أَنْدَلُسَانَ. فَالْأَنْدَلُسُ الشَّرْقِيُّ مِنْهُ مَا صَبَتْ أَوْدِيَّتُهُ إِلَى
الْبَحْرِ الرُّومِيِّ الْمَتَوَسِّطِ الْمَتَصَاعِدِ مِنْ أَسْفَلِ أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَذَلِكَ مَا بَيْنَ مَدِينَةِ تَدْمِيرٍ إِلَى سَرْقِسطَةَ. وَالْأَنْدَلُسُ الْغَرْبِيُّ مَا صَبَتْ
أَوْدِيَّتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الْمَعْرُوفِ بِالْمِجِيطِ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ الْحَدِّ إِلَى
سَاحِلِ الْمَغْرِبِ. فَالشَّرْقِيُّ مِنْهُمَا يَهْطَرُ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَبْصُحُ عَلَيْهَا وَالْغَرْبِيُّ
يَهْطَرُ بِالرِّيحِ الْغَرْبِيَّةِ وَبِهَا صَلَاحُهُ وَجِبَالُهُ هَائِطَةٌ إِلَى الْغَرْبِ جَبَلًا بَعْدَ
جَبَلٍ. وَإِنَّمَا قَسَمْتُهُ الْأَوَائِلُ جُزءً بَيْنَ لِأَخْيَلِيفِهَا فِي حَالِ أَمْطَارِهَا وَذَلِكَ
أَنَّهُ مَهْمَا اسْتَحْكَمَتِ الرِّيحُ الْغَرْبِيَّةُ كَثُرَ مَطَرُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ وَفَحِطَ
الْأَنْدَلُسُ الشَّرْقِيُّ وَمَتَّى اسْتَحْكَمَتِ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ كَثُرَ مَطَرُ الْأَنْدَلُسِ
الشَّرْقِيِّ وَفَحِطَ الْغَرْبِيُّ. وَأَوْدِيَّةُ هَذَا الْقِسْمِ تَجْرِي مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ
بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ. وَجِبَالُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ تَمْتَدُّ إِلَى الشَّرْقِ جَبَلًا بَعْدَ
جَبَلٍ تَقْطَعُ مِنَ الْجُوفِ إِلَى الْقِبْلَةِ وَالْأَوْدِيَّةُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْجِبَالِ
تَقْطَعُ بَعْضُهَا إِلَى الْقِبْلَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الشَّرْقِ وَتَنْصَبُ كُلُّهَا إِلَى الْبَحْرِ الْمِجِيطِ
يَا الْأَنْدَلُسِ الْقَاطِعِ إِلَى الشَّامِ وَهُوَ الْبَحْرُ الرُّومِيُّ. وَمَا كَانَ مِنْ بِلَادٍ
جُوفِيِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ بِلَادٍ حَلِيقِيَّةٍ وَمَا يَلِيهَا فَإِنَّ أَوْدِيَّتَهُ تَنْصَبُ إِلَى الْبَحْرِ
الْكَبِيرِ الْمِجِيطِ بِنَاحِيَةِ الْجُوفِ. وَصِفَةُ الْأَنْدَلُسِ شَكْلٌ مُرَكَّبٌ عَلَى مِثَالِ
الشَّكْلِ الْمَثَلِيِّ. رُكْنُهَا الْوَاحِدُ فِيمَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالْمَغْرِبِ حَيْثُ اجْتِمَاعُ
الْبَحْرَيْنِ عِنْدَ صَنْمِ قَادِسَ. وَرُكْنُهَا الثَّانِي فِي بَلَدِ حَلِيقِيَّةِ حَيْثُ الصَّمُّ

الْمَشِيهِ صَمَّ قَادِسَ مُقَابِلَ جَزِيرَةِ بَرْطَانِيَّةَ . وَرُكْنَهَا الثَّلَاثُ بَيْنَ مَدِينَةِ
 بَرْبُونَةَ وَمَدِينَةِ بَرْدِيلَ مِنْ بَلَدِ الْفَرَنْجِيَّةِ يَحْتُ بِقُرْبِ الْبَحْرِ الْمَحِيْطِ مِنْ
 الْبَحْرِ الشَّامِيِّ الْمَتَوَسِّطِ فَبِكَادَانٍ يَجْتَمِعَانِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَيَصِيرُ بَلَدُ
 الْأَنْدَلُسِ جَزِيرَةً بَيْنَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ لَوْلَا أَنَّهُ يَتَفَقَّ بِبَيْنَهُمَا بَرْزَخُ بَرِّيَّةٍ صَحْرَاءَ
 وَعِجَارَةٍ مَسَافَةَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ لِلرَّاكِبِ مِنْهُ الْمَدْخَلُ إِلَى الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي
 يُقَالُ لَهَا الْأَبْوَابُ وَمِنْ قُبُلِهِ يَتَّصِلُ بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ الْمَعْرُوفَةِ
 بِأَلْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ ذَاتِ الْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَةِ

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَمِيزَانُ وَصَفِ الْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا جَزِيرَةٌ قَدْ أَحْدَقَتْ
 فِيهَا الْبِحَارُ فَكَثُرَتْ فِيهَا الْأَخْضَابُ وَالْعِجَارَةُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . فَهِيَ سَافَرَتْ مِنْ
 مَدِينَةِ إِلَى مَدِينَةٍ لَا تَنكَادُ تَنْقَطِعُ مِنَ الْعِجَارَةِ مَا بَيْنَ قُرَى وَمِيَاهِ وَمَزَارِعِ
 وَالصَّحَارِي فِيهَا مَعْدُومَةٌ . وَمِمَّا أَخْنَصَتْ بِهِ أَنْ فُرَاهَا فِي نِهَائِيَّةٍ مِنَ الْجَمَالِ
 لَتَصْنَعُ أَهْلُهَا فِي أَوْضَاعِهَا وَتَبْيِضُهَا لِيَلَّا تَنْبُو الْعُبُونُ عَنْهَا فَبِي كَمَا قَالَ
 الْوَزِيرُ ابْنُ الْحِجَارَةِ فِيهَا

لَا حَتَّ فُرَاهَا بَيْنَ خُضْرٍ أَيْكَمَا كَالدَّرِّ بَيْنَ زَبْرَجِدٍ مَكْنُونِ
 وَلَقَدْ تَعَجَّبْتُ لَهَا دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْبَصْرِيَّةَ مِنْ أَوْضَاعِ فُرَاهَا الَّتِي تَكْدِرُ
 الْعَيْنَ بِسَوَادِهَا وَيَضِيقُ الصَّدْرُ بِضِيقِ أَوْضَاعِهَا . وَفِي الْأَنْدَلُسِ جِهَاتُ
 تَقْرُبُ فِيهَا أَلْبَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الْمَبْصُرَةُ مِنْ مِثْلِهَا . وَالْمِثَالُ فِي ذَلِكَ أَنَّكَ
 إِذَا تَوَجَّهْتَ مِنْ إِسْبِيلِيَّةَ فَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَبَعْضِ آخِرِ مَدِينَةِ شَرِيشَ وَهِيَ
 فِي نِهَائِيَّةٍ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالنُّضَارَةِ . ثُمَّ يَلِيهَا الْجَزِيرَةُ الْحَضْرَاءُ كَذَلِكَ ثُمَّ
 مَالِقَةُ . وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْأَنْدَلُسِ وَهَذَا كَثُرَتْ مَدِينَتُهَا وَكَثُرَتْهَا مَسُورٌ مِنْ

أَجَلِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْعَدُوِّ فَحَصَلَ لَهَا بِذَلِكَ التَّشْيِيدُ وَالتَّزْيِينُ وَفِي حُصُونِهَا
مَا يَنْفِي فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ مَا يُبْنَفُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً لِامْتِنَاعِ مَعَاوِلِهَا وَخُرَّتِيَّةِ
أَهْلِهَا عَلَى الْحَرْبِ وَأَعْيَادِهِمْ لِمَجَاوِرَةِ الْعَدُوِّ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَكَثْرَةِ مَا
تَخْزِنُ الْعَلَّةُ فِي مَطَايِيرِهَا. فَمِنْهَا مَا يَطُولُ صَبْرُهُ عَلَيْهَا نَحْوًا مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ.
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَلِذَلِكَ آدَامَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَقْتِ الْفَتْحِ إِلَى الْآنَ. وَإِنْ كَانَ
الْعَدُوُّ قَدْ نَفَصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَشَارَكَ فِي أَوْسَاطِهَا. فَمِنِ الْبَقِيَّةِ مَنَعَةٌ عَظِيمَةٌ
فَارْضُ بَغِيٍّ فِيهَا مِثْلُ إِشْبِيلِيَّةَ وَغَرْنَاطَةَ وَمَالِقَةَ وَالْهَرِيَّةَ وَمَا يَنْصَافُ إِلَى
هَذِهِ الْحَوَاضِرِ الْعَظِيمَةِ الْمَهْصَرِ الرَّجَاءَ فِيهَا قَوِيٌّ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ. أَنْتَهَى
وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي إِشْبِيلِيَّةَ إِنَّهَا فَاعِدَةٌ بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَحَاضِرَتُهَا
وَمَدِينَتُهَا الْأَدَبِ وَاللَّهُوِ وَالطَّرْبِ وَهِيَ عَلَى صَفَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ عَظِيمَةٌ
الشَّانِ طَبِيبَةُ الْمَكَانِ لَهَا الْبَرُّ الْمَدِيدُ وَالْبَحْرُ السَّاكِنُ وَالْوَادِي الْعَظِيمُ وَهِيَ
قَرِيبَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الْجَبِيطِ إِلَى أَنْ قَالَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنَ الشَّرَفِ إِلَّا مَوْضِعُ
الشَّرَفِ الْمُقَابِلِ الْمَطْلُ عَلَيْهَا الْمَشْهُورُ بِالزَّيْتُونِ الْكَثِيرِ الْمَمْتَدِّ فَرَايِخُ
فِي فَرَايِخِ لَكْفَى. وَبِهَا مَنَارَةٌ فِي جَامِعِهَا بَنَاهَا يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ لَيْسَ فِي بِلَادِ
الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ بِنَاءٍ مِنْهَا وَعَسَلُ الشَّرَفِ يَنْفِي حِينًا لَا يَتَرَمَلُ وَلَا يَنْبَدَلُ
وَكَذَلِكَ الزَّيْتُ وَالزَّيْتُونُ. وَقَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ إِنَّ إِشْبِيلِيَّةَ عَرُوسُ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ لِأَنَّ تَاجَهَا الشَّرَفُ وَفِي عُنُقِهَا سِمَطُ النَّهْرِ الْأَعْظَمِ وَلَيْسَ فِي
الْأَرْضِ أُمَّ حَسَنًا مِنْ هَذَا النَّهْرِ بِضَاهِي دِجْلَةَ وَالْفَرَاتِ وَالنَّيْلِ تَسِيرُ
الْقَوَارِبُ فِيهِ لِلتَّزْهِةِ وَالسَّيْرِ وَالصَّيْدِ تَحْتَ ظِلَالِ النَّارِ وَتَغْرِيدُ الْأَطْيَارِ
أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ مِيلًا وَيَتَعَاطَى النَّاسُ السَّرْحَ مِنْ جَانِبَيْهِ عَشْرَةَ فَرَايِخُ فِي

عِجَارَةٌ مُتَّصِلَةٌ وَمَنَارَاتٍ مُرْتَفِعَةٌ وَأَبْرَاجٌ مُشَبَّهَةٌ وَفِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ السَّمَكِ مَا لَا يُحْصَى . وَبِالْجَمَلَةِ فِيهَا قَدْ حَازَتْ الْبَدْرَ وَالْبَحْرَ وَالزَّرْعَ وَالضَّرْعَ وَكَثْرَةَ النَّارِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَقَصَبَ السُّكَّرِ وَيُجْمَعُ مِنْهَا الْفَرِمِزُ الَّذِي هُوَ أَجَلٌ مِنَ اللَّيْلِ الْهِنْدِيِّ وَزَيْتُونَهَا يُخْزَنُ تَحْتَ الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً . ثُمَّ يَعْتَصِرُ فَيُخْرَجُ مِنْهُ أَكْثَرُ مَا يُخْرَجُ مِنْهُ وَهُوَ طَرِيٌّ . أَنْتَهَى مُلَخَّصًا .

وَلَمَّا ذَكَرَ ابْنُ الْأَنْدَلُسِيِّ قَالَ لَا يَزِيدُ فِيهَا أَحَدٌ مَا حَيْثُ سَلَكَ لِكثْرَةِ أَنْهَارِهَا وَعِيُونِهَا وَرُبَّمَا لَقِيَ الْمَسَافِرُ فِيهَا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَرْبَعَ مَدَائِنَ وَمِنَ الْمَعَاوِلِ وَالْقُرَى مَا لَا يُحْصَى وَهِيَ بِطَاحٍ خَضِرٌ وَقُصُورٌ بِيضٌ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَأَنَا أَقُولُ كَلَامًا فِيهِ كِفَايَةٌ مُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَطُفْتُ فِي بَرِّ الْعُدُوقِ وَرَأَيْتُ مَدَنَهَا الْعَظِيمَةَ كَهَرَاشَ وَفَاسَ وَسَلَاوَسْبَةَ . ثُمَّ طُفْتُ فِي أَفْرِيْقِيَّةٍ وَمَا جَاوَرَهَا مِنْ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ فَرَأَيْتُ بِجَايَةَ وَتُونُسَ . ثُمَّ دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ فَرَأَيْتُ الإسْكَندَرِيَّةَ وَالْقَاهِرَةَ وَالْفُسْطَاطَ . ثُمَّ دَخَلْتُ الشَّامَ فَرَأَيْتُ دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمْ أَرِ مَا يُشْبِهُ رَوْنَقَ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي مِيَاهِهَا وَأَشْجَارِهَا إِلَّا مَدِينَةَ فَاسَ بِالْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَمَدِينَةَ دِمَشْقَ بِالشَّامِ وَفِي حِمَاةِ مَسْجِدِ الْأَنْدَلُسِيِّ لَمْ أَرِ مَا يُشْبِهُهَا فِي حُسْنِ الْمَبَانِي وَالْتَشْيِيدِ وَالتَّصْنِيعِ إِلَّا مَا شِئِدَ بِهَرَاشَ فِي حَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَبَعْضَ الْأَمَاكِنِ فِي تُونُسَ . وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى تُونُسَ الْبِنَاءُ بِالْحِجَارَةِ كَالْإِسْكَندَرِيَّةِ وَلَكِنَّ الإسْكَندَرِيَّةَ أَفْسَحُ سُورَاعٍ وَأَبْسَطُ وَأَبْدَعُ وَمَبَانِي حَلَبَ دَاخِلَةٌ فِيمَا يُسْتَحْسَنُ لِأَنَّهَا مِنْ حِجَارَةِ صُلْبَةٍ وَفِي وَضْعِهَا وَتَرْتِيبِهَا إِتْقَانٌ . أَنْتَهَى . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ مِنَ النَّظْمِ فِي الْأَنْدَلُسِيِّ قَوْلُ ابْنِ سَفَرٍ

لرَبِّي وَالْإِحْسَانُ لَهُ عَادَةٌ

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ تَلْتَدُ نَعْمَاءُ
وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالْعَيْشِ مُنْتَفِعٌ
وَأَبْنُ بَعْدَلٍ عَنِ أَرْضِ تَحْضٍ بِهَا
وَكَيْفَ لَا يُبْهِجُ الْأَبْصَارَ رَوِيَّتُهَا
أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ وَالْمِسْكُ تَرْبَتُهَا
وَاللَّهُوَاءُ بِهَا لُطْفٌ بَرِّقُ بِهِ
لَيْسَ النَّسِيمُ الَّذِي يَهْوُو بِهَا سَحْرًا
وَإِنَّمَا أَرْجُ النَّدَى اسْتِنَارَ بِهَا
وَأَبْنُ بَيْلُغٍ مِنْهَا مَا أُصْنَفُهُ
قَدْ مَيَّرَتْ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ حِينَ بَدَتْ
دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَاقًا أَمْجَرُ خَفَّتْ
وَجَدَا بِهَا إِذْ تَبَدَّتْ وَفِي حَسَنَاءُ
لِذَلِكَ بَيْسَمُ فِيهَا الزَّهْرُ مِنْ طَرْبٍ
وَالطَّيْرُ يَشْدُو وَاللَّاعْصَانُ إِضْعَاءُ
فِيهَا الرِّيَاضُ وَكُلُّ الْأَرْضِ صَحْرَاءُ

وَلِلَّهِ دَرُّ ابْنِ خَفَاجَةَ حَيْثُ يَقُولُ

إِنَّ الْجَنَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ
فَسَنَى صُبْحِنَهَا مِنْ شَنْبٍ
مُجْتَلَى مَرَأْسِ وَرَبَا نَفْسِ
وَدُجَى ظُلْمَتِهَا مِنْ لَعَسِ
صِحْتُ وَاشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَاً
وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ قَالَ ابْنُ خَفَاجَةَ هَذِهِ
الْآيَاتُ وَهُوَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى فِي بَرِّ الْعُدْوَةِ وَمَنْزِلُهُ فِي شَرْقِ

الْأَنْدَلُسِ بِحَزْبِ شَقْرٍ. وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي الْمَغْرِبِ مَا نَصَهُ فَوَاعِدُ مِنْ
 كِتَابِ الشَّهْبِ النَّافِيَةِ فِي الْإِنصَافِ بَيْنَ الْمَشَارِقَةِ وَالْمَغَارِبَةِ أَوَّلُ مَا
 تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قَاعِدَةِ السُّلْطَنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَنَقُولُ إِنَّهَا مَعَ مَا بِيَدِي
 عِبَادِ الصَّلِيبِ مِنْهَا أَعْظَمُ سُلْطَنَةً كَثُرَتْ مَمَالِكُهَا وَتَشَعَّبَتْ فِي وَجُوهِ
 الْإِسْتِظْهَارِ لِلسُّلْطَانِ إِعَانَتِهَا وَنَدَعُ كَلَامَنَا فِي هَذَا الشَّانِ وَنَنْقُلُ مَا
 قَالَهُ ابْنُ حَوْقَلٍ النَّصِيبِيُّ فِي كِتَابِهِ لَهَا دَخَلَهَا فِي مُدَّةِ خِلَافَةِ بَنِي مَرْوَانَ
 فِيهَا فِي أَلْفِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَهَا وَصَفَهَا قَالَ وَأَمَّا حَزْبَةُ الْأَنْدَلُسِ
 فَحَزْبَةٌ كَبِيرَةٌ طُولُهَا دُونَ الشَّهْرِ فِي عَرْضِ نَيْفٍ وَعِشْرِينَ مَرَحَلَةً
 تَغْلِبُ عَلَيْهَا الْهَيْأَةُ الْجَارِيَةُ وَالشَّجَرُ وَالشَّمْرُ وَالرُّخْصُ وَالسَّعَةُ فِي الْأَحْوَالِ
 مِنَ الرَّقِيفِ الْفَاخِرِ وَالْمُخْصَبِ الظَّاهِرِ إِلَى أَسْبَابِ التَّمَلُّكِ الْفَاشِيَةِ فِيهَا
 وَمَا هِيَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ رَغْدِ الْعَيْشِ وَسَعْنِهِ وَكَثْرَتِهِ بِهَيْلِكَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ
 وَأَرْبَابُ صَنَائِعِهِمْ لِقَلَّةِ مَوْتِنِهِمْ وَصَلَاحِ بِلَادِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ فِي عِظَمِ
 سُلْطَانِهَا وَوَصْفِ وَفُورِ جَبَابَتِهِ وَعِظَمِ مَرَاغِبِهِ
 وَقَالَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَمَا يُدَلُّ بِالْقَلِيلِ مِنْهُ عَلَى كَثِيرِهِ أَنَّ سِكَّةَ دَارِ
 ضَرْبِهِ عَلَى الدَّرَاهِمِ وَالْدَّنَانِيرِ دَخَلَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ وَوَصَرَفُ
 الدِّينَارِ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا هَذَا إِلَى صَدَقَاتِ الْبَلَدِ وَجَبَابَاتِهِ وَخَرَاجَاتِهِ
 وَأَعْشَارِهِ وَضَمَانَاتِهِ وَالْأَمْوَالِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْمَرَائِكِبِ الْوَارِدَةِ وَالصَّادِرَةِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَذَكَرَ ابْنُ بَشْكَوَالٍ أَنَّ جَبَابَةَ الْأَنْدَلُسِ بَلَغَتْ فِي مُدَّةِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ خَمْسَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَرْبَعِمِائَةَ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ
 أَلْفًا مِنَ السُّوقِ وَالْمُسْتَخْلَصِ سَبْعِمِائَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةَ وَسِتُونَ أَلْفَ دِينَارٍ

ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ . وَمِنْ أَعْجَبِ مَا فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بَقَاؤُهَا عَلَى مَنْ هِيَ فِي يَدِهِ مَعَ صِغَرِ أَحْلَامِ أَهْلِهَا وَضَعَةِ نُفُوسِهِمْ وَنَقْصِ عُقُوبِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنَ الْبَأْسِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَالْبَسَالَةِ وَلِقَاءِ الرِّجَالِ وَمَرَاسِ الْأَتِّجَادِ وَالْأَبْطَالِ مَعَ عِلْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَحَلِّهَا فِي نَفْسِهَا وَمَقْدَارِ حِبَابِهَا وَمَوَاقِعِ نِعْمِهَا وَلَذَائِعِهَا

قَالَ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ مَكْبَلُ هَذَا الْكِتَابِ . لَمْ أَرِ بُدْأَ مِنْ إِثْبَاتِ هَذَا الْفَضْلِ وَإِنْ كَانَ عَلَى أَهْلِ بَلَدِي فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْتَعَصُّبِ مَا لَا يَجْفَى وَلِسَانُ أَحْمَالٍ فِي الرَّدِّ أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ الْبَلَاغَةِ . وَكَيْتَ شِعْرِي إِذْ سَلَبَ أَهْلُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْعُقُولَ وَالْأَرَءَاءَ وَالْهَيْمَ وَالشَّجَاعَةَ . فَمَنْ الَّذِينَ دَبَّرُوها بِأَرْأَيْهِمْ وَعُقُوبِهِمْ مَعَ مُرَاصَةِ أَعْدَائِهَا الْمُجَاوِرِينَ لَهَا مِنْ خَمْسِيئَةِ سَنَةٍ وَنَيْفٍ وَمَنْ الَّذِينَ حَمَوْهَا بِسَالَتِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِمْ فِي دَاخِلِهَا وَخَارِجِهَا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي نُصْرَةِ الصَّلِيبِ وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْهُ إِذْ كَانَ فِي زَمَانٍ قَدْ دَلَفَتْ فِيهِ عِبَادُ الصَّلِيبِ إِلَى الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَعَاثُوا كُلَّ الْعَيْثِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ حَيْثُ الْجُمْهُورُ وَالْقَبَّةُ الْعُظْمَى حَتَّى أَنَّهُمْ دَخَلُوا مَدِينَةَ حَلَبَ وَمَا أُدْرَاكَ وَقَعَلُوا فِيهَا مَا قَعَلُوا وَبِلَادِ الْإِسْلَامِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَا هُوَ مُسْطُورٌ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ وَأَشَدِّهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْمُحْضَنِ مِنَ حُصُونِ الْإِسْلَامِ الَّتِي يَتِمَكَّنُونَ بِهَا مِنْ بَسَائِطِ بِلَادِهِمْ فَيَسْبُونَ وَيَأْسِرُونَ فَلَا يَتَجَمَّعُ هُمْ الْمُلُوكُ الْمُجَاوِرَةَ عَلَى حَسْمِ الدَّاءِ فِي ذَلِكَ . وَقَدْ يَسْتَعِينُ بِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَتِمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ الدَّاءِ الذِّي لَا يَطْبُ . وَقَدْ كَانَتْ

جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِالضُّدِّ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي تَرَكَ وَرَاءَ ظُهُورِهِ
وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي تَارِيخِ أَبِي حَبِيَّانَ وَغَيْرِهِ
فِي الْفَقَاءِ الْأَنْدَلُسِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِبَادِ وَفَتْحِهَا عَلَى يَدِ مُوسَى

بْنِ نَصِيرٍ وَمَوْلَاهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ

قَالَ ابْنُ خَلْدُونَ بَعْدَ ذِكْرِ أَنْ الْفُوطِيَّيْنَ كَانَ لَهُمْ مَلِكٌ الْأَنْدَلُسِيِّ
وَأَنَّ مَلِكَهُمْ لِعَهْدِ الْفَتْحِ يُسَمَّى لُدْرِيْقٌ مَا نَصَهُ وَكَانَتْ لَهُمْ خُطْوَةٌ وَرَاءَ الْبَحْرِ
فِي هَذِهِ الْعُدُوقِ الْجَنُوبِيَّةِ خُطْوَاهَا مِنْ فُرْضَةِ الْجَزَارِ بِطَنْجَةَ وَمِنْ زُقَاقِ
الْبَحْرِ إِلَى بِلَادِ الْبَرْبَرِ وَأَسْتَعْبَدُوهُمْ. وَكَانَ مَلِكُ الْبَرْبَرِ بِذَلِكَ الْفُطْرِ
الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ جِبَالُ غِمَارَةَ يُسَمَّى بِلِيَانَ فَكَانَ يَدِينُ بِطَاعَتِهِمْ وَيَسَلِّمُهُمْ
وَمُوسَى بْنُ نَصِيرٍ أَمِيرُ الْغَرْبِ إِذْ ذَاكَ عَامِلٌ عَلَى أَفْرِيْقِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ
الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَنْزِلُهُ بِالْقَيْرَوَانِ. وَكَانَ قَدْ أَغْزَى لِذَلِكَ الْعَهْدِ
عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِ الْغَرْبِ الْأَقْصَى وَدَوَّخَ أَقْطَارَهُ وَأَخْنَعَ فِي جِبَالِ
طَنْجَةَ هَذِهِ حَتَّى وَصَلَ خَلِيجَ الزُّرْقَاقِ وَأَسْتَنْزَلَ بِلِيَانَ لِطَاعَةِ الْإِسْلَامِ وَخَلَفَ
مَوْلَاهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادِ اللَّيْثِيِّ وَالِيَا بِطَنْجَةَ. وَكَانَ بِلِيَانَ يَنْتَقِمُ عَلَى لُدْرِيْقِ

(١) ان لدریق (ای رودریق) اخر ملوک الوزیقوطی فی اسپانیا کان ولد دوکا قرطبة
الذی امر بقلع اعینه فینیسا الملک الوزیقوطی. فنهض رودریق المشار الیه ضده وحراره فترع
منه التاج الملکی (سنة ٧١٠ مسیحة) غیر ان اولاد الملک واقاربه استغاثوا بالعرب فانوا
لخدمتهم وامامهم طارق فاستولى علی البوغاز المعروف باسمه وهو بوغاز جبل طارق. فسار
الیه رودریق یجوشو وکان نحو ٩٠ الف مقاتل فحارب الجیشان مدة تسعة ایام فی کبریس
فقتل رودریق فی الیوم الثالث (سنة ٧١١). هذا ومن القبل الشایع ان الکونت بلیان
(ای جولیانوس) قد استغاث بالعرب لینتقم عن اهانة الحفت بابتته (بوللیر)

مَلِكِ الْفُوطِ لِعَهْدِهِ بِالْأَنْدَلُسِ فَعَلِمَا زَعَمُوا بِابْنَتِهِ النَّاشِئَةَ فِي دَارِهِ
 فَعَضِبَ لِذَلِكَ وَأَجَازَ إِلَى كُدْرِيْقٍ وَأَخَذَ ابْنَتَهُ مِنْهُ . ثُمَّ لَحِقَ بِطَارِقِ
 فَكَشَفَ لِلْعَرَبِ عَوْرَةَ الْفُوطِ وَدَلَّهُمْ عَلَى عَوْرَةِ فِيهِمْ . أَمَكَّنَتْ طَارِقًا فِيهَا
 الْفُرْصَةَ فَأَنْتَهَزَهَا لِيُفِيهِ وَأَجَازَ الْبَحْرَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ
 بِإِذْنِ أَمِيرِ مَوْسَى بْنِ نَصِيرٍ فِي نَحْوِ ثَلَاثِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَأَخْشَدَ مَعَهُمُ
 مِنَ الْبَرَبْرِ زُهَاءَ عَشْرَةِ آلَافٍ فَصَبَّرَهَا عَسْكَرُ بَنِي أَحَدَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَنَزَلَ
 بِهِ جَبَلَ الْفُتُوحِ فَسُمِّيَ جَبَلَ طَارِقِ بِهِ وَالْآخِرُ عَلَى طَرِيفِ بَنِي مَالِكِ
 الْفُتُوحِيِّ وَنَزَلَ بِمَكَانِ مَدِينَةِ طَرِيفِ فَسُمِّيَ بِهِ وَأَدَارُوا الْأَسْوَارَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
 لِلنَّخْصِ . وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى كُدْرِيْقٍ وَنَهَضَ إِلَيْهِمْ بِحُرَّامِ الْأَعَاجِمِ وَأَهْلِ
 مِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي زُهَاءِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَزَحَفُوا إِلَيْهِ فَالْتَقَوْا بِفَخْصِ شَرِيْشِ
 فَهَزَمَهُ اللَّهُ وَنَفَلَهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَرِقَابَهُمْ

وَكَتَبَ طَارِقُ إِلَى مَوْسَى بْنِ نَصِيرٍ بِالْفُتُوحِ وَبِالْغَنَائِمِ فَحَرَكَنَّهُ الْغَيْبُ
 وَكَتَبَ إِلَى طَارِقِ بِتَوَعُّدِهِ أَنْ تَوَعَّلَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَيَأْمُرُ أَنْ لَا يَجَاوِزَ
 مَكَانَهُ حَتَّى يَلْحَقَ بِهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْقَيْرَوَانِ وَلَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَخَرَجَ مَعَهُ
 حَبِيبُ بْنُ مَنَّةَ الْفَهْرِيُّ وَنَهَضَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ مِنَ
 الْهِجْرَةِ فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ وُجُوهِ الْعَرَبِ الْمَوَالِيِ وَعُرْفَاءِ الْبَرَبْرِ وَوَأَمَى
 خَلِيْجَ الزُّفَاقِ مَا بَيْنَ طَنْجَةَ وَالْحُزْبِينَ الْخَضْرَاءِ . فَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَتَلَقَّاهُ
 طَارِقٌ فَأَنْقَادًا وَاتَّبَعَ وَأَتَمَّ مَوْسَى الْفُتُوحَ وَتَوَعَّلَ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى بَرَسْلُونَةَ
 فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَارْبُونَةَ فِي الْجُوفِ وَصَنَمَ قَادِسَ فِي الْغَرْبِ وَدَوَّخَ أَفْطَارَهَا
 وَجَمَعَ غَنَائِمَهَا . وَأَجْمَعَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَشْرِقَ مِنْ نَاحِيَةِ فُسْطَاطِيْنَةَ وَيَجَاوِزَ إِلَى

السَّامِ دُرُوبَهُ وَدُرُوبَ الْأَنْدَلُسِ وَبِخَوْضِ إِلَيْهِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ أُمَّمِ الْأَعَاجِمِ
 النَّصْرَانِيَّةِ مُجَاهِدًا فِيهِمْ مُسْتَعْلِمًا لَهُمْ إِلَى أَنْ يَلْحَقَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ
 وَنَهَا الْحَبْرَ إِلَى الْوَلِيدِ فَأَشْتَدَّ قَلْفُهُ بِهَكَانِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ
 وَرَأَى أَنْ مَا هُمْ بِهِ مُوسَى غَرَّرَ بِالْمُسْلِمِينَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْتَوْجِيحِ
 وَالْإِنصَافِ وَأَسْرَأَ إِلَى سَفِينِ أَنْ يَرْجِعَ بِالْمُسْلِمِينَ إِنْ لَمْ يَرْجِعْ وَكَتَبَ
 لَهُ بِذَلِكَ عَهْدَهُ فَفَتَّ ذَلِكَ فِي عِزْمِ مُوسَى وَقَفَلَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ أَنْ
 أَنْزَلَ الرَّابِطَةَ وَالْحَامِيَةَ بِتُغُورِهَا وَأَنْزَلَ ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ لِسِدِّهَا وَجِهَادِ
 عَدُوِّهَا وَأَنْزَلَهُ بِفَرْطَبَةَ فَأَتَّخَذَهَا دَارَ إِمَارَةٍ وَأَحْتَلَّ مُوسَى بِالْقَيْرَوَانِ سَنَةَ
 خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَارْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ سَنَةَ سِتِّ بَعْدَهَا بِهَا كَانَ مَعَهُ مِنْ
 الْغَنَائِمِ وَالذَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ عَلَى الْعَجَلِ وَالظَّهْرِ يُقَالُ إِنَّ مِنْ جُمَّانِهَا
 ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ السَّنِيِّ

وَوَلَّى مُوسَى عَلَى أَفْرِيْقِيَّةِ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ وَقَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ فَسَخَطَهُ وَنَكَبَهُ وَثَارَتْ عَسَاكِرُ الْأَنْدَلُسِ بِابْنِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بِإِغْرَاءِ
 سُلَيْمَانَ فَفَتَلُوهُ لِسَنَتَيْنِ مِنْ وِلَايَتِهِ . وَكَانَ خَيْرًا فَاضِلًا وَأَفْتَحَ فِي وِلَايَتِهِ
 مَدَائِنَ كَثِيرَةً وَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ أَيُّوبُ بْنُ حَبِيبِ اللَّخْمِيِّ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ

(١) موسى بن نصير قائد جيوش الخليفة الوليد الاول اقامه مولاة ملكا على افریقیة
 في ٧٠٥ فاستنجد الكونت جوليانوس في ٧١٠ فارسل مولاة طارقا فاخذ من الوبزقوط
 اكثر ولاياتهم . ثم دخل البلاد فافتتحها وقطع جبال بيراني ونقدم الى فرنسا حتى ابواب
 كاراكسوننا فطلبه الوليد الى دمشق في ٧١٥ بصفة كونه قد اذنب بتعديه على مولاة طارق
 لحسه له فحكم عليه بدفع ٢٠٠٠٠٠٠ دوكا ذهب ابي نحو مليوني فرنك وضرب بالعصي
 ثم نفى الى مكة فتوفي في ٧١٨ (بوللير)

مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ قَوْلِي عَلَيْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ
 ثُمَّ تَتَابَعَتْ وِلَاةُ الْعَرَبِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ تَارَةً مِنْ قِبَلِ الْمُخْلِيفَةِ وَتَارَةً مِنْ
 قِبَلِ عَامِلِهِ بِالْقَيْرَوَانِ وَأَخْنُوَانِي أُمِّمِ النَّصَارَى وَافْتَتَحَ بَرَشْلُونَةَ مِنْ جِهَةِ
 الْمَشْرِقِ وَحُصُونَهَا فَشَتَّالَةَ وَسَائِطَهَا مِنْ جِهَةِ الْجُوفِ وَأَنْفَرَضَتْ أُمُّمِ
 الْقُوطِ وَأَوَى الْجَلَالِقَةَ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمِّمِ الْعَجَمِ إِلَى جِبَالِ فَشَتَّالَةَ وَدَرُبُونَةَ
 وَأَفْوَاهِ الدُّرُوبِ فَتَحَصَّنُوا بِهَا وَأَجَازَتْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ مَا وَرَاءَهَا
 بَرَشْلُونَةَ مِنْ دُرُوبِ الْعَجَمِ حَتَّى أَحْتَلُّوا السَّائِطَ وَرَاءَهَا وَتَوَعَّلُوا فِي
 بِلَادِ الْفَرَنْجَةِ وَعَصَفَتْ رِيحُ الْإِسْلَامِ بِأُمِّمِ النَّصَارَى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ
 وَرُبَّمَا كَانَتْ بَيْنَ جُنُودِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْعَرَبِ اخْتِلَافٌ وَتَنَازُعٌ أَوْجَدَ
 لِلْعَدُوِّ بَعْضَ الْكُرْبِ فَرَجَعَ الْإِفْرَنْجُ مَا كَانُوا غَلَبُوهُمْ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ
 بَرَشْلُونَةَ لِيَهْدِيَ ثَمَانِينَ سَنَةً مِنْ لَدُنْ فَتْحِهَا وَأَسْتَهْرَ الْأَمْرَ عَلَى ذَلِكَ

انتهى المنقول

من كتاب نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب
 للعلامة المغربي



٢٠
مِنْ كِتَابِ الْإِفَادَةِ وَالْإِعْتِبَارِ فِي الْأُمُورِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمُحَادِثِ

الْمُعَايِنَةِ بِأَرْضِ مِصْرَ

لِأَبِي اللَّطِيفِ

الْمَقَالَةُ الْأُولَى وَهِيَ سِتَّةُ فُصُولٍ

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

فِي خَوَاصِّ مِصْرَ الْعَامَّةِ لَهَا

إِنَّ أَرْضَ مِصْرَ مِنَ الْبِلَادِ الْعَجِيبَةِ الْأَثَارِ الْغَرِيبَةِ الْأَخْبَارِ وَهِيَ وَادٍ
يَكْتَنِفُهُ جِبَلَانِ شَرْقِيٌّ وَغَرْبِيٌّ وَالشَّرْقِيُّ أَعْظَمُهُمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أُسْوَانَ
وَيَتَقَارَبَانِ بِأَسْنَا حَتَّى يَكَادَانِ يَتَأَسَّانِ. ثُمَّ يَنْفَرُ جَانِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَكُلُّهُمَا أَمْتَدًا
طُولًا أَنْفَرَجَا عَرْضًا حَتَّى إِذَا زَيَا الْفُسْطَاطَ كَانَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ يَوْمٍ فَأَ
دُونَهُ. ثُمَّ يَتَبَاعَدَانِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَالنَّيْلُ يَنْسَابُ بَيْنَهُمَا وَيَتَشَعَّبُ
بِأَسْفَلِ الْأَرْضِ وَجَمِيعُ شُعْبِهِ تَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْمَلْحِ

وَهَذَا النَّيْلُ لَهُ خَاصَّتَانِ الْأُولَى بَعْدَ مَرَمَاهُ فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ فِي الْمَعْمُورَةِ نَهْرًا
أَبْعَدَ مَسَافَةٍ مِنْهُ لِأَنَّ مَبَادِئَهُ عُمُونَ تَأْتِي مِنْ جَبَلِ الْقَهْرِ وَزَعَنُوا أَنَّ هَذَا
الْجَبَلَ وَرَاءَ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ بِإِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً. وَعَرْضُ أُسْوَانَ وَهِيَ
مَبْدَأُ أَرْضِ مِصْرَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَنِصْفُ دَرَجَةٍ وَعَرْضُ دِمِشَاطَ
وَهِيَ أَقْصَى أَرْضِ مِصْرَ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثُ دَرَجَةٍ. فَتَكُونُ مَسَافَةُ
النَّيْلِ عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ دَرَجَةً تَنْقُصُ سُدْسًا وَمِسَاحَةُ
ذَلِكَ تَقْرِيبًا تِسْعَ مِائَةٍ فَرَسَخٍ هَذَا سِوَى مَا يَأْخُذُ مِنَ التَّعْرِيجِ وَالتَّوَرِيبِ
فَإِنَّ أَعْيَبَ ذَلِكَ تَضَاعَفَتِ الْمِسَاحَةُ جِدًّا

وَالْمَخَاصِةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ بَرِيدٌ عِنْدَ نُضُوبِ سَائِرِ الْأَنْهَارِ وَتَشْبِيشِ الْبِهَاءِ
لِأَنَّهُ يَبْتَدِئُ بِالزِّيَادَةِ عِنْدَ أَنْتِهَاءِ طُولِ النَّهَارِ وَتَنَاوُحِي زِيَادَتُهُ عِنْدَ
الْإِعْتِدَالِ الْحَرِيفِيِّ وَحِينَئِذٍ تُنْفَعُ الزَّرْعُ وَتَفِيضُ عَلَى الْأَرْضِ وَعِلَّةُ ذَلِكَ
أَنَّ مَوَادَّ زِيَادَتِهِ أَمْطَارٌ غَزِيرَةٌ دَائِمَةٌ وَسُبُلٌ مُتَوَاصِلَةٌ تَهْدِي فِي هَذَا
الْأَوَانِ. فَإِنَّ أَمْطَارَ الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي إِذَا تَغَزَّرُ فِي الصَّيْفِ وَالْقَيْظِ
وَأَمَّا أَرْضُ مِصْرَ فَلَهَا أَيْضًا خَوَاصٌ مِنْهَا أَنَّهُ لَا يَفْعُ بِهَا مَطَرٌ إِلَّا مَا لَا
أَحْتِفَالٌ بِهِ وَخُصُوصًا صَعِيدُهَا. فَأَمَّا أَسَافِلُهَا فَقَدْ يَفْعُ بِهَا مَطَرٌ جَوْدٌ
لَكِنَّهُ لَا يَفِي بِحَاجَةِ الزَّرَاعَةِ. وَأَمَّا دِمِشَاقٌ وَالْإِسْكَدَرِيَّةُ وَمَا دَانَاهُمَا فَمِ
غَزِيرَةٌ الْمَطَرِ وَمِنْهُ يَشْرَبُونَ وَيَسْرَ بِأَرْضِ مِصْرَ عَيْنٌ وَلَا نَهْرٌ سِوَى نَيْلِهَا
وَمِنْهَا أَنَّ أَرْضَهَا رَمْلِيَّةٌ لَا تَصْلُحُ لِلزَّرَاعَةِ لَكِنَّهُ يَأْتِيهَا طِينٌ أَسْوَدٌ عَلَيْكَ
فِيهِ دُسُومَةٌ كَثِيرَةٌ يُسَمَّى الْإِيلِينُزُ يَأْتِيهَا مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ مُخْتَلِطًا بِهَاءِ
النَّيْلِ عِنْدَ مَرِّهِ فَيَسْتَقِرُّ الطِّينُ وَيَنْضَبُ الْمَاءُ فَيَجْرُثُ وَيُزْرَعُ وَكُلُّ سَنَةٍ
يَأْتِيهَا طِينٌ جَدِيدٌ وَهَذَا يَزْرَعُ جَمِيعَ أَرْضِيهَا وَلَا يَرِاحُ شَيْءٌ مِنْهَا كَمَا يَفْعَلُ
فِي الْعِرَاقِ وَالشَّامِ لَكِنَّهَا تُخَالِفُ عَلَيْهَا الْأَصْنَافُ. وَقَدْ لَحِظَتِ الْعَرَبُ
ذَلِكَ فَإِنَّهَا تَقُولُ إِذَا كَثُرَتِ الرِّيَاحُ جَادَتِ الْحِرَانَةُ لِأَنَّهَا تَجِيءُ بِرِيَابِ
غَرِيبٍ وَتَقُولُ أَيْضًا إِذَا كَثُرَتِ الْمَوْتِفِكَاتُ زَكَ الزَّرْعُ. وَهَذِهِ الْعِلَّةُ
تَكُونُ أَرْضُ الصَّعِيدِ زَكِيَّةً كَثِيرَةً الْإِتَاءَ وَالرَّبِيعَ إِذْ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى
الْمَبْدَأِ فَيَحْصُلُ فِيهَا مِنْ هَذَا الطِّينِ مِقْدَارٌ كَثِيرٌ بِخِلَافِ أَسْفَلِ الْأَرْضِ
فَإِنَّهَا أَسَافَةٌ مُضَوِيَّةٌ إِذْ كَانَتْ رَقِيفَةً ضَعِيفَةً الطِّينِ لِأَنَّهُ يَأْتِيهَا الْمَاءُ
وَقَدْرَاقٌ وَصَفَاوٌ وَلَا أَعْرِفُ شَيْئًا بِذَلِكَ إِلَّا مَا حَكِي لِي عَنْ بَعْضِ جِبَالِ

الإقليم الأول أن الرياح تأتيه وقت الزرعة ينراب كثير ثم يقع عليه
المطر فيتلبد فيجرت ويزرع فإذا حصد جاءته رياح أخرى فنسفته حتى
يعود أجرد كما كان أولاً

ومنها أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التي لها. فإن أخص
الأوقات باليبس في سائر البلاد أعني الصيف والخريف تكثر فيه
الرطوبة يبصر يهدئ نيلها وقيضه لأنه يهدئ في الصيف ويطبق الأرض
في الخريف. فأما سائر البلاد فإن مياهها تنش في هذا الأوان وتغزر
في أخص الأوقات بالرطوبة أعني الشتاء والربيع ومصر إذا ذاك تكون
في غابة الفحولة واليبس وهذه العلة تكثر عفوناتها وأخلاف هوائها
وتغلب على أهلها الأمراض العنيفة الحادثة عن أخلط صفراوية
وتلغيبية وقلما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم
حتى في الشباب والخروبين وكثيرا ما يكون مع الصفراء خام وأكثر
أمراضهم في آخر الخريف ولول الشتاء لكنهم يغلب عليها حميد العافية
وتقل فيهم الأمراض الحادة والدموية الوحية. وأما أصحائهم فيغلب
عليهم الترهل والكسل وشحوب اللون وكهودته وقلما ترى فيهم
مشوب اللون ظاهر الدم. وأما صبيانهم فضاويون يغلب عليهم الدمامة
وفيلة النضارة وإنما تحدث لهم البدانة والفسامة غالبا بعد العشرين.
وأما ذكائهم وتوقد أذهابهم وخفة حركايتهم فحرارة بلدتهم الذاتية لأن
رطوبته عريضة. ولهذا كان أهل الصعيد أفضل جسوما وأجف أمرجة
والغالب عليهم الشمرة وكان ساكنوا الفسطاط إلى دمياط أرضا أربانا

وَالْغَالِبُ عَلَيْهِمُ الْبَيَاضُ

وَلَمَّا رَأَى قَدَمَاءَ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّ عِمَارَةَ أَرْضِهِمْ إِنَّمَا هِيَ بَيْنِلِهَا جَعَلُوا
أَوَّلَ سَنَتِهِمْ أَوَّلَ الْحَرْفِ وَذَلِكَ عِنْدَ بُلُوغِ النَّبْلِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى مِنَ
الزِّيَادَةِ

وَمِنْهَا أَنَّ الصَّبَا مَحْبُوبَةٌ عَنْهُمْ بِجَبَلِهَا الشَّرْقِيِّ الْمَسْمُومِ الْمَقَطَّمِ فَإِنَّهُ يَسْتُرُ
عَنْهَا هَذِهِ الرِّيحَ الْفَاضِلَةَ وَقَلَّهَا تَهَبُ عَلَيْهِمْ خَالِصَةً اللَّهُمَّ إِلَّا تَكْبَاءً . وَهَذَا
أَخْتَارَ قَدَمَاءَ الْبَصْرِيِّينَ أَنْ يَجْعَلُوا مُسْتَفَرًّا الْمَلِكِ مَنْفَ وَنَحْوَهَا مِمَّا يَبْعُدُ
عَنْ هَذَا الْجَبَلِ الشَّرْقِيِّ إِلَى الْغَرْبِيِّ وَأَخْتَارَ الرُّومُ الْإِسْكَندَرِيَّةَ وَجَبَّتُوا
مَوْضِعَ الْفُسْطَاطِ لِغُرْبِهِ مِنَ الْمَقَطَّمِ فَإِنَّ الْجَبَلَ يَسْتُرُ عَمَّا فِي لِحْفِهِ أَكْثَرَ مِمَّا
يَسْتُرُ عَمَّا بَعْدَ مِنْهُ . ثُمَّ إِنَّ الشَّمْسَ يَتَأَخَّرُ طُلُوعُهَا عَلَيْهِمْ فَيَقْلُ فِي هَوَائِهِمْ
النَّضْحُ وَيَبْقَى زَمَانًا عَلَى نَهْوَةِ اللَّيْلِ وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْمَوَاضِعَ الْمُنْكَشِفَةَ لِلصَّبَا
مِنْ أَرْضِ مِصْرَ أَحْسَنَ حَالًا مِنْ غَيْرِهَا وَكَثْرَتِ رُطُوبَتِهِ يَتَسَارَعُ الْعَفْنُ
إِلَيْهَا وَيَكْثُرُ فِيهَا الْفَارُّ وَيَتَوَلَّدُ مِنَ الطِّينِ وَالْعَقَارِبُ تَكْثُرُ بِقُوصَ وَكَثِيرًا
مَا نَقَلُ بِلِسَانِهَا وَالْبِقُ الْمَمْنِنُ وَالذَّبَابُ وَالْبَرَاعِثُ تَدُومُ زَمَانًا طَوِيلًا
وَمِنْهَا أَنَّ الْجَنُوبَ إِذَا هَبَّتْ عِنْدَهُمْ فِي الشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ وَفِيمَا بَعْدَ
ذَلِكَ كَانَتْ بَارِدَةً جِدًّا وَيُسَمُّونَهَا الْمَرِيسِيَّ لِهُرُورِهَا عَلَى أَرْضِ الْمَرِيسِ
وَهِيَ مِنْ بِلَادِ السُّودَانَ . وَسَبَبُ بَرْدِهَا مُرُورُهَا عَلَى بَرَكٍ وَنَفَائِعِ . وَالذَّلِيلُ
عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ إِنَّهَا إِذَا دَامَتْ أَيَّامًا مُتَوَالِيَةً عَادَتْ إِلَى حَرَارَتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ
وَأَسْحَنَتِ الْهَوَاءَ وَأَخَذَتْ فِيهِ يَبَسًا

الْفَصْلُ الثَّانِي

فِي مَا تَخْتَصُّ بِهِ مِنَ النَّبَاتِ

مِنْ ذَلِكَ الْجَمِيمِ وَهُوَ يَبْصُرُ كَثِيرٌ جِدًّا وَرَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا يَعْسَلَانِ
 وَالسَّاحِلِ وَكَأَنَّهُ يَتَيْنُ بَرِّي وَيَخْرُجُ ثَمَرَتُهُ فِي الْحَشْبِ لَانْتِخَاتِ الْوَرَقِ
 وَيَخْلُفُ فِي السَّنَةِ سَبْعَةَ بَطُونٍ وَيُؤْكَلُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَيَحْمَلُ وَقَرًا عَظِيمًا
 وَقَبْلَ أَنْ يَخْتَنِي بِأَيَّامٍ بَصْعَدُ رَجُلٌ إِلَى الشَّجَرِ وَمَعَهُ حَدِيدَةٌ بِسْمِهَا
 حَبَّةٌ حَبَّةٌ مِنَ الثَّمَرِ فَيَجْرِبُ مِنْهَا لَبَنٌ أَيْضٌ ثُمَّ يَسْوَدُ الْمَوْضِعُ وَيَحْلُو
 الثَّمَرُ بِذَلِكَ الْفِعْلِ. وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ شَدِيدُ الْحَلَاوَةِ أَحْلَى مِنَ
 التَّيْنِ لَكِنَّهُ لَا يَنْفَكُ فِي أَوَاخِرِ مَضْغِهِ مِنْ طَعْمِ خَشَبِيَّةٍ مَا. وَشَجَرَتُهُ
 كَثِيرَةٌ كَشَجَرَةِ الْجُوزِ الْعَائِيَةِ وَيَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِهِ وَغِصْنَتِهِ إِذَا فُصِدَتْ
 لَبَنٌ أَيْضٌ إِذَا طَلِيَ عَلَى ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ صَبْغُهُ وَأَحْمَرٌ. وَخَشَبُهُ نَعْمَرٌ بِهِ
 الْمَسَاكِينُ وَيَتَّخِذُ مِنْهُ الْأَبْوَابُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَلَاتِ الْجَوَابِيَةِ وَلَهُ بَقَاءٌ عَلَى
 الدَّهْرِ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَاءِ وَالشَّمْسِ وَقَلِمًا يَتَأَكَّلُ هَذَا مَعَ أَنَّهُ خَشْبٌ
 خَفِيفٌ قَلِيلُ اللَّدُونَةِ. وَيَتَّخِذُ مِنْ ثَمَرَتِهِ خَلٌ حَاقِقٌ وَيَبِيدُ حَادًا. قَالَ
 جَالِينُوسُ الْجَمِيمُ بَارِدٌ رَطْبٌ فِيمَا بَيْنَ الثَّوْتِ وَالتَّيْنِ وَهُوَ رَدِيٌّ لِلْمِعْدَةِ
 وَلَبَنُ شَجَرَتِهِ لَهُ قُوَّةٌ مُلَيِّنَةٌ تَلْصِقُ الْحَرَاحَ وَتَقْشُرُ الْأَوْرَامَ وَيُلَطِّخُ عَلَى لَسَعِ
 الْهُوَامِ وَيَجْلُلُ جُسَاءَ الطِّحَالِ وَأَوْجَاعَ الْمِعْدَةِ ضَمَادًا وَيَتَّخِذُ مِنْهُ شَرَابٌ
 لِلْسَّعَالِ الْمُتَقَادِمِ وَنَوَازِلِ الصَّدْرِ وَالرُّئُوتِ وَعَمَلُهُ بِأَنْ يُطْبَخَ فِي الْمَاءِ حَتَّى
 تَخْرُجَ فِيهِ قُوَّتُهُ وَيُطْبَخُ ذَلِكَ الْمَاءُ مَعَ السُّكَّرِ حَتَّى يَنْعَقِدَ وَيُرْفَعُ. وَقَالَ
 أَبُو حَنِيفَةَ وَمِنْ أَجْنَاسِ التَّيْنِ تَيْنُ الْجَمِيمِ وَهُوَ تَيْنٌ حَلْوٌ رَطْبٌ لَهُ

مَعَالِقُ طَوَالٍ وَيَزْبَبُ وَضَرْبُ آخَرٍ مِنَ الْجَمِيرِ حَمْلُهُ كَالْتَيْنِ فِي التَّحْلِفَةِ
 وَوَرَقُهُ أَضْعَفُ مِنْ وَرَقِ التَّيْنِ. وَتِينُهُ أَصْفَرُ صَغَارًا وَأَسْوَدُ وَيَكُونُ بِالغُورِ
 وَيُسَمَّى التَّيْنِ الذَّكَرَ وَالْأَصْفَرُ مِنْهُ حَلْوٌ وَالْأَسْوَدُ يَدْمِي النَّمِّ وَلَيْسَ
 لِيَتِينِهِ عِلَاقَةٌ بَلْ لِأَصِقُ بِالْعُودِ

وَمِنْ ذَلِكَ الْبَلَسَانُ فَإِنَّهُ لَا يُوجَدُ الْيَوْمَ إِلَّا بِهَضْرَ بَعَيْنِ شَمْسٍ فِي
 مَوْضِعٍ مُحَاطٍ عَلَيْهِ مُحْتَفِظٌ بِهِ مَسَاحِنُهُ نَحْوُ سَبْعَةِ أَفْدِنَةٍ. وَارْتِفَاعُ شَجَرَتِهِ
 نَحْوُ ذِرَاعٍ وَكَثْرَتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهَا قِشْرَانِ الْأَعْلَى أَحْمَرُ خَفِيفٌ وَالْأَسْفَلُ
 أَحْضَرُ نَحِيْنٌ. وَإِذَا مَضَعَ ظَهْرَهُ فِي النَّمِّ مِنْهُ دُهْنِيَّةٌ وَرَاحَةُ عَطْرَةٍ. وَوَرَقُهُ
 شَبِيهُ بَوْرَقِ السَّدَابِ وَيُحْتَنِي دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّعْرِى بَانَ تُشْدَخُ السُّوقُ
 بَعْدَ مَا بَحِثَ عَنْهَا جَمَعَ وَرَقَهَا وَشَدَّهَا يَكُونُ بِحَجْرَةٍ تُخَذُ مُحَدَّدةً وَيَنْتَفِرُ
 شَدَّهَا إِلَى صِنَاعَةٍ يَحِثُّ يَقْطَعُ الْقِشْرَ الْأَعْلَى وَيَشُقُّ الْأَسْفَلَ شَقًّا لَا يَنْفِذُهُ
 إِلَى الْخَشَبِ فَإِنْ نَفَذَ إِلَى الْخَشَبِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ فَإِذَا شَدَّهَا كَمَا وَصَفْنَا
 أَمَلَهُ رَبِيئًا يَسِيلُ لِنَآهٍ عَلَى الْعُودِ فَيَجْمَعُهُ بِأَصْبَعِهِ مَسْحًا إِلَى قَرْنٍ فَإِذَا أَمْتَلَا
 صَبَّهُ فِي قَنَائِي زُجَاجٍ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ جِنَاهُ وَيَنْقَطِعَ لِنَآهُ
 وَكُلَّمَا كَثُرَ النَّدَى فِي الْحُجْرِ كَانَ لِنَآهُ أَكْثَرَ وَأَغْزَرَ وَفِي الْجَدْبِ وَقَلَّةُ النَّدَا
 يَكُونُ اللَّثَا أَنْزَرَ وَمِقْدَارُ مَا خَرَجَ مِنْهُ فِي سَنَةِ سِتِّ وَتَسْعِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ
 وَهِيَ عَامُ جَدْبِ نَيْفٍ وَعِشْرُونَ رِطْلًا. ثُمَّ تُؤْخَذُ الْقَنَائِي فَتُدْفَنُ إِلَى
 الْقَبْطِ وَحِمَارَةِ الْحُجْرِ وَتُخْرَجُ مِنَ الدَّفْنِ وَتُجْعَلُ فِي الشَّمْسِ. ثُمَّ تُنْفَقَدُ كُلَّ
 يَوْمٍ فَيُوجَدُ الدَّهْنُ وَقَدْ طَفَأَ فَوْقَ رُطُوبَةٍ مَائِيَّةٍ وَأَثْقَالِ أَرْضِيَّةٍ فَيُقْطَفُ
 الدَّهْنُ ثُمَّ تُعَادُ إِلَى الشَّمْسِ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ بِشَمْسِهَا وَيُقْطَفُ دُهْنُهَا

حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا دُهْنٌ فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ الدُّهْنُ وَيَطْبَخُهُ فَيْسَهُ فِي الخَنْبَةِ لَا
 يُطْلَعُ عَلَى طَبِخِهِ أَحَدًا. ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِلَى خِزَانَةِ الْمَلِكِ وَمِقْدَارُ الدُّهْنِ الخَالِصِ
 مِنَ اللَّثَا بِالتَّرْوِيقِ نَحْوُ عَشْرِ أَجْمَلَةٍ وَقَالَ لِي بَعْضُ أَرْبَابِ الخَبْرِ إِنَّ
 الَّذِي يَحْضَلُ مِنْ دُهْنِهِ نَحْوَ عِشْرِينَ رِطْلًا
 وَرَأَيْتُ جَالِينُوسَ يَقُولُ إِنَّ أَجْوَدَ دُهْنِ الْبَلْسَانِ مَا كَانَ بِأَرْضِ
 فِلَسْطِينَ وَأَضْعَفُهُ مَا كَانَ بِبِصْرَ وَنَحْنُ فَلَا نَجِدُ الْيَوْمَ مِنْهُ بِفِلَسْطِينَ شَيْئًا
 الْبَتَّةَ. وَقَالَ نِقُولَاوَسُ فِي كِتَابِ النَّبَاتِ. وَمِنَ النَّبَاتِ مَا لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ
 فِي بَعْضِ أَجْزَائِهِ وَمِنْهُ مَا رَائِحَتُهُ الطَّيِّبَةُ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِ كَالْبَلْسَانِ الَّذِي
 يَكُونُ فِي الشَّامِ بِقُرْبِ بَحْرِ الزَّيْتِ وَالْبِيدُ الَّتِي يُسَمَّى مِنْهَا تِسْمِي بَدْرِ الْبَلْسَمِ
 وَمَاؤُهَا عَذْبٌ. وَقَالَ أَبُو سَعْدُونَ: إِنَّمَا يُوجَدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا بِبِصْرَ
 فَقَطُ وَيُسْتَخْرَجُ دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ كَلْبِ الْجَبَّارِ وَهُوَ الشَّعْرَاءُ وَذَلِكَ فِي
 الشُّبَاطِ. وَمِقْدَارُ مَا يُخْرَجُ مَا بَيْنَ خَمْسِينَ رِطْلًا إِلَى سِتِّينَ وَيَبَاعُ فِي مَكَانِهِ
 بِضْعَةِ فِضَّةٍ. وَكَانَ هَذِهِ الخَالِ قَدْ كَانَتْ فِي زَمَنِ ابْنِ سَعْدُونَ وَحِكْمِي
 عَنِ الرَّازِيِّ أَنَّ بَدْلَهُ دُهْنُ الْفُجْلِ وَهَذَا يَعْبُدُ. وَالْبَلْسَانُ الدُّهْنِيُّ لَا يَنْبُرُ
 وَإِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْهُ فُسُوحٌ فَتُغْرَسُ فِي شُبَاطٍ فَتَعْلَقُ وَتَنْبِي. وَإِنَّمَا الشَّهْرُ
 لِلذَّكْرِ الْبَرِّيِّ وَلَا دُهْنَ لَهُ وَيَكُونُ بِنَجْدٍ وَتِهَامَةَ وَبِرَّارِي الْعَرَبِ
 وَسَوَاحِلِ الْبَحْرِ وَبِأَرْضِ فَارِسَ وَيُسَمَّى الْبِشَامَ وَبِرِّي فِشْرُ قَبْلَ
 اسْتِخْرَاجِ دُهْنِهِ فَيَكُونُ نَافِعًا مِنْ جَمِيعِ السُّمُومِ. وَأَمَّا خَوَاصُّهُ وَمَنَافِعُهُ
 فَالَّذِي يَهَاغِرُ هَذَا الْكِتَابِ

الفصل الثالث

فيما تختص به من الحيوان

من ذلك الحبير والحبير يبصر فارهة جدا وتركب بالسروج وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة ولعلها تسبها وهي مع ذلك كثيرة العدد ومنها ما هو عال بحيث إذا ركب يسرج اختلط مع البغلات . يركبه رؤساء اليهود والنصارى . يبلغ ثمن الواحد منها عشرين ديناراً إلى أربعين

وأما بقرهم فعظيمة الخلق حسنة الصور . ومنها صنف هو أحسنها وأغلاها فيبها يسمى البقر الحبيسة وهي ذوات فرون كأنها الفسي غزيرات اللبن

وأما خيلها فعناق سابقة . ومنها ما يبلغ ثمنه ألف دينار إلى أربعة آلاف ومن ذلك الناسج والناسج كثيرة في النيل وخاصة في الصعيد الأعلى وفي الجنادل فإنها تكون على الماء وبين صخور الجنادل كاللؤود كثرة وتكون كباراً وصغاراً وينتهي في الكبير إلى نيف وعشرين ذراعاً طوياً . وتوجد في سطح جسده مما يلي بطنه سلعة كالبيضة تحنوي على رطوبة دموية وهي كنافحة المسك في الصورة والطيب وخبر في النفة أنه يندر فيها ما يكون في علو المسك لا ينقص عنه شيئاً . والتمساج بيض بيضا شبيهاً ببيض الدجاج ورأيت في كتاب منسوب إلى أرسطو ما هذه صورته . قال التمساج ولا يعمل في جلده الحديد . ومن فقار رقبته إلى ذنبه عظم واحد ولهذا إذا انقلب على ظهره لم يقدر أن

يَرْجِعُ . قَالَ وَيَبِيضُ بِيضًا طَوِيلًا كَالْإِوَزِ وَيَدْفِنُهُ فِي الرَّمْلِ فَإِذَا أُخْرِجَ
 كَانَ كَالْحَرَاذِينِ فِي جِسْمِهَا وَخَلْفَتِهَا . ثُمَّ بَعْظُمُ حَتَّى يَكُونَ عَشْرًا ذُرْعًا
 وَأَزِيدَ وَيَبِيضُ سِتِينَ بِيضَةً لِأَنَّ خَلْقَتَهُ تَجْرِي عَلَى سِتِينَ سِنًا وَسِتِينَ عِرْفًا
 وَمِنْ ذَلِكَ فَرَسُ الْبَحْرِ وَهَذِهِ تُوجَدُ بِأَسْفَلِ الْأَرْضِ وَخَاصَّةً بِبَحْرِ
 دِمْبَاطٍ وَهُوَ حَيَوَانٌ عَظِيمٌ الصُّورَةُ هَائِلٌ الْمَنْظَرُ شَدِيدُ الْبَاسِ يَنْتَبِعُ
 الْمَرَاكِبَ فَيَغْرِفُهَا وَيَهْلِكُ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهَا وَهُوَ بِالْحَمَامُوسِ أَشْبَهُ مِنْهُ
 بِالْفَرَسِ لَكِنَّهُ لَيْسَ لَهُ قَرْنٌ وَفِي صَوْنِهِ صَحْلَةٌ يُشْبِهُ صَهْبِلَ الْفَرَسِ بَلِ
 الْبَغْلِ وَهُوَ عَظِيمُ الْهَامَةِ هَرَيْتُ الْأَشْدَاقِ حَدِيدُ الْأَنْبَابِ عَرِيضُ
 الْكَلْكَلِ مُتَنَفِّخُ الْجُوفِ قَصِيدُ الْأَرْجْلِ شَدِيدُ الْوَتْبِ قَوِيُّ الدَّفْعِ مَهْبُ
 الصُّورَةُ نَحُوفُ الْغَائِلَةِ وَخَبَرَ فِي مَنْ أَصْطَادَهَا مَرَاتٍ وَشَقَّهَا وَكَشَفَ عَنْ
 أَعْضَائِهَا الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ أَنَّهُا خِنْزِيرٌ كَبِيرٌ وَأَنَّ أَعْضَاءَهَا الْبَاطِنَةَ
 وَالظَّاهِرَةَ لَا تُغَادِرُ مِنْ صُورَةِ الْخِنْزِيرِ شَيْئًا إِلَّا فِي عِظْمِ الْخَلْقَةِ . وَرَأَيْتُ
 فِي كِتَابِ نَيْطُولِيسَ فِي الْحَيَوَانِ مَا بَعْضُ ذَلِكَ وَهَذِهِ صُورَتُهُ . قَالَ
 خِنْزِيرُ الْمَاءِ تَكُونُ فِي بَحْرِ مِصْرَ وَهِيَ تَكُونُ فِي عِظْمِ الْفِيلِ وَرَأْسُهَا يُشْبِهُ
 رَأْسَ الْبَغْلِ وَهِيَ شَبَهُ الْجَمَلِ . قَالَ وَسَمُّ مَتْنِهَا إِذَا أُذِيبَ وَكُنْتُ بِسُوقِي
 وَشَرِبْتُهُ أَمْرَأَةٌ اسْمُهَا حَتَّى نَجُوزَ الْمَقْدَارَ

وَكَانَتْ وَاحِدَةً بِبَحْرِ دِمْبَاطٍ قَدْ ضَرَبَتْ عَلَى الْمَرَاكِبِ تَغْرِفُهَا وَصَارَ
 الْمَسَافِرُ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ مُغْرَرًا وَضَرَبَتْ أُخْرَى بِجِهَةِ أُخْرَى عَلَى الْجُومِيسِ
 وَالْبَقْرِ وَبَنِي آدَمَ نَقَلْتَهُمْ وَتَفْسَدُ الْحُرُثَ وَالنَّسْلَ . وَأَعْمَلَ النَّاسُ فِي
 قَلْبِهَا كُلَّ حِيَلَةٍ مِنْ نَصَبِ الْحَبَائِلِ الْوَتِيفَةِ وَحَشْدِ الرِّجَالِ بِأَصْنَافِ

السلاح وغير ذلك. فلم يجد شيئاً فاستدعي بنفر من المرسي صنفي من
السودان زعموا أنهم يحسنون صيدها وأنها كثيرة عندهم ومعهم
مزاريق. فتوجهوا نحوها فقتلوهما في أقرب وقت وبأهون سعي وأتوا
بيها إلى القاهرة فشاهدتهما فوجدت جلد أحدهما أسوداً أجرداً تخيناً
جداً وطولها من رأسها إلى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهي في غلظ
أجاموس نحو ثلث مرات وكذلك رقبته ورأسها. وفي مقدم فيها
أثنا عشر ناباً ستة من فوق وستة من أسفل المنتظمة منها نصف ذراع
زائد والمتوسطة أنقص بقليل. وبعد الأنياب أربعة صفوف من
الأسنان على خطوط مستقيمة في طول الفم في كل صف عشرة كما مثال
بيض الدجاج المصطف صفان في الأعلى وصفان في الأسفل على
مقابلتها. وإذا عرفوها وسع شاة كبيرة وذنبها في طول نصف ذراع
زائد غليظ وطرفه كالأصبع أجرد كأنه عظم شبيه بدنب الورل
وأرجلها فصار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبيه بحف البعير إلا أنه
مشقوق الأطراف بأربعة أقسام وأرجلها في غاية الغلظ. وجملة جنينها
كانها مركب مكبوب لعظم منظرها. وبالجملة هي أطول وأغلظ من
الفيل إلا أن أرجلها أقصر من أرجل الفيل بكثير ولكن في غلظها أو
أغلظ منها

وأما أصناف السمك عندهم فكثيرة لأنه يجتمع إليهم سمك النيل
وسمك البحر الملح ولا يفي القول بتعريفها لكثرة أصنافها واختلاف أشكالها
والوانها

٤٠
الفصل الرابع

في اقتصاص ما شوهد من آثارها القديمة

أما ما يوجد يبصر من الآثار القديمة فشيء لم أروم أسمع بهن في غيرها فاقصر على أعجب ما شاهدته

فمن ذلك الأهرام وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجيزة وعلى سمت مصر القديمة وتمتد في نحو مسافة يومين وفي بؤصير منها شيء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولين وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس. وقد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب على يدي قراقوش بعض الأمراء. وكان خصيار روميا سمي الهمة وكان يتولى عمارة مصر وهو الذي بنى السور من الحجارة مخططا بالنسقاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التي على المقطم وهو أيضا الذي بنى القلعة وأنبط فيها اليربين الموجودتين اليوم وهما من العجائب وينزل إليهما بدرج نحو ثلثمائة درجة. وأخذ حجارة هذه الأهرام الصغار وبنى القناطر الموجودة اليوم بالجيزة. وهذه القناطر من الأبنية العجيبة أيضا ومن أعمال الجبارين وتكون نبتا وأربعين فنطرا. وفي هذه السنة وهي سنة سبع وتسعين وخمس مائة تولى أمرها من لا بصيرة عنده فسدها رجاء أن يجئس الماء فيرويه الجيزة ففويت عليها جرية الماء فزلت منها ثلث قناطر وانشقت. ومع

ذَلِكَ فَلَمْ يَزُومَ رَجَا أَنْ يُرَوِّي. وَقَدْ بَقِيَ مِنْ هَذِهِ الْأَهْرَامِ الْمَهْدُومَةِ قَلْبُهَا
وَحِشْوَتُهَا وَهِيَ رَذَمٌ وَحِجَارَةٌ صِغَارٌ لَا تَصْلُحُ لِلْفَنَاطِيرِ فَلِأَجْلِ ذَلِكَ
تُرِكَتْ

وَأَمَّا الْأَهْرَامُ الْمُتَحَدِّثُ عَنْهَا الْمَشَارُ إِلَيْهَا الْمَوْصُوفَةُ بِالْعِظْمِ. فَتَلَكُ
أَهْرَامٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ بِأَجْبِزَةٍ قِبَالَةَ الْفُسْطَاطِ وَبَيْنَهَا مَسَافَاتٌ
بَسِيرَةٌ وَزَوَايَاهَا مُتَقَابِلَةٌ نَحْوَ الْمَشْرِيقِ وَأَثْنَانِ مِنْهَا عَظِيمَانِ جِدَاوِي فِي قَدْسٍ
وَاحِدٍ وَبِهَا أُورَعِ الشُّعْرَاءُ وَشَبَّهُوهَا بِنَهْدَيْنِ قَدْ نَهَدَا فِي صَدْرِ الدِّيَارِ
الْبُصْرِيَّةِ وَهِيَ مُتَقَارِبَانِ جِدَاوِيَانِ بِأَحْجَارَةٍ الْبَيْضِ. وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَيَنْقُصُ
عَنْهَا بِنَحْوِ الرَّبْعِ لَكِنَّهُ مِنْهَا بِحِجَارَةٍ الصَّوَانِ الْأَحْمَرِ الْمَهْتَقِ الشَّدِيدِ
الْصَّلَابِيَّةِ وَلَا يُؤَثَّرُ فِيهِ الْحَدِيدُ إِلَّا فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَنَحْوِ صَغِيرًا
بِالْقِيَاسِ إِلَى ذِيكَ فَإِذَا اقْرَبْتَ مِنْهُ وَأَفْرَدْتَهُ بِالنَّظَرِ هَالِكٌ مَرَأَهُ وَحَسَرَ
الْطَّرْفُ عِنْدَ تَأْمُلِهِ

وَقَدْ سَلِكَ فِي بِنَايَةِ الْأَهْرَامِ طَرِيقٌ مِنَ الشَّكْلِ وَالْإِثْنَانِ وَبِذَلِكَ
صَبَرَتْ عَلَى مَمَرِ الزَّمَانِ بَلْ عَلَى مَمَرِهَا صَبَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّكَ إِذَا تَجَرَّزْتَهَا وَجَدْتَ
الْأَذْهَانَ الشَّرِيفَةَ قَدْ اسْتَهْلَكَتْ فِيهَا وَالْعُقُولَ الصَّافِيَةَ قَدْ أَفْرَعَتْ عَلَيْهَا
تَجْهُودَهَا وَالْأَنْفُسَ النَّبِيَّةَ قَدْ أَفَاضَتْ عَلَيْهَا أَشْرَفَ مَا عِنْدَهَا لَهَا وَالْمَلَكَاتِ
الْمُهَنْدِسِيَّةَ قَدْ أَخْرَجَتْهَا إِلَى الْفِعْلِ مَثَلًا هِيَ غَابِيَةٌ إِمْكَانِيًّا حَتَّى أَنَّهَا تَكَادُ
تُحَدِّثُ عَنْ قَوْمِهَا وَتُخْبِرُ بِحَالِهِمْ وَتَنْطِقُ عَنْ عُلُومِهِمْ وَأَذْهَابِهِمْ وَتُتَرَجِّمُ
عَنْ سِيرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ وَضْعَهَا عَلَى شَكْلِ مَخْرُوطٍ يَتَدَيُّ مِنْ
قَاعِدَةٍ مُرَبَّعَةٍ وَيَنْتَهِي إِلَى نُقْطَةٍ. وَمِنْ خَوَاصِّ الشَّكْلِ الْخُرُوطِ أَنَّ مَرَكِّزَ

ثِقَلِهِ فِي وَسْطِهِ وَهُوَ يَتَسَانَدُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتَوَاقَعُ عَلَى ذَاتِهِ وَيَحْتَمِلُ بَعْضُهُ
عَلَى بَعْضٍ فَلَيْسَ لَهُ جِهَةٌ أُخْرَى خَارِجَةٌ عَنْهُ يَتَسَاقَطُ عَلَيْهَا. وَمِنْ عَجِيبٍ
وَضِعِهِ أَنَّهُ شَكْلٌ مَرَبَّعٌ قَدْ قُوِيَ بِزَوَايَاهُ مَهَبُ الرِّيحِ الأَرْبَعِ فَإِنَّ الرِّيحَ
تَنْكَسِرُ سَوْرَتَيْهَا عِنْدَ مُضَادَّتَيْهَا الزَّوَايَةَ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ عِنْدَ مَا تَلْقَى
السَّطْحَ

وَلَنَرْجِعَ إِلَى ذِكْرِ الأَهْرَمِينَ العَظِيمِينَ فَإِنَّ المَسَاحَ ذَكَرُوا أَنَّ قَاعِدَةَ كُلِّ
مِنْهَا أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ طُولًا فِي مِثْلِهَا عَرْضًا وَارْتِفَاعٌ عَمُودِيهَا أَرْبَعُ مِائَةِ
ذِرَاعٍ وَذَلِكَ كُلُّهُ بِالذِّرَاعِ السُّودَاءِ. وَيَنْفَطِعُ الخُرُوطُ فِي أَعْلَاهُ عِنْدَ
سَطْحِ مِسَاحَتِهِ عَشْرَ أَذْرُعٍ فِي مِثْلِهَا. وَأَمَّا الَّذِي شَاهَدْتُهُ مِنْ حَالِهَا فَإِنَّ
رَأْيِي كَانَ مَعَارِضِي سَهْمًا فِي فِطْرِ أَحَدِهَا وَفِي سَمَكِهِ فَسَطَطَ السَّهْمُ دُونَ
نِصْفِ المَسَافَةِ وَخَبِرْنَا أَنَّ فِي القَرْيَةِ المُجَاوِرَةِ لَهَا قَوْمًا قَدِ اعْتَادُوا ارْتِفَاعَ
الأَهْرَمِ بِلا كَلْفَةٍ فَاسْتَدْعَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ وَرَضَخْنَا لَهُ بِشَيْءٍ. فَجَعَلَ يَصْعَدُ فِيهَا
كَأَنَّهُ يَرْتَقِي أَحَدَنَا فِي الدَّرَجِ بَلْ أَسْرَعَ وَرَقَى يَنْعَلِيهِ وَأَثْرَابِهِ وَكَانَتْ سَابِغَةً
وَكَانَتْ أَمْرُهُ أَنَّهُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى سَطْحِهِ فَاسَهُ بِعِيَامَتِهِ. فَلَمَّا نَزَلَ دَرَعْنَا
مِنْ عِيَامَتِهِ مِقْدَارَ مَا كَانَ فَاسَ فَكَانَ إِحْدَى عَشْرَةَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الأَيْدِ.
وَرَأَيْتُ بَعْضَ أَرْبَابِ القِيَاسِ قَالَ ارْتِفَاعُ عَمُودِهَا ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا
وَتَحْوِسُ عَشْرَةَ ذِرَاعًا يُحِيطُ بِهِ أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُثَلَّثَاتِ الأَضْلَاعِ طُولُ
كُلِّ ضِلْعٍ مِنْهَا أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ وَسِتُونَ ذِرَاعًا وَارْتِفَاعُ هَذَا القِيَاسِ
خَطَأً وَلَوْ جُعِلَ العَمُودُ أَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ لَصَحَّ قِيَاسُهُ وَإِنْ سَاعَدَتْ
المَقَادِيرُ تَوَلَّيْتُ قِيَاسَهُ بِنَفْسِي

وَفِي أَحَدِ هَذَيْنِ الْهَرَمَيْنِ مَدْخَلٌ يُلِجُهُ النَّاسُ يُفْضِي بِهِمْ إِلَى مَسَالِكِ
صَيْقَةٍ وَأَسْرَابٍ مُتَنَافِئَةٍ وَأَبَارٍ وَمَهَالِكٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَجْجِكِهِ مَنْ يُلِجُهُ
وَيَتَوَعَّلُهُ. فَإِنَّ نَاسًا كَثِيرِينَ لَمْ يَغْرَامُوا بِهِ وَتَحْبَلُ فِيهِ فَيُؤْغَلُونَ فِي أَعْرَافِهِ
وَلَا يَدَّ أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى مَا يَعْجُزُونَ عَنْ سُلُوكِهِ. وَأَمَّا الْمَسْلُوكُ فِيهِ الْمَطْرُوقُ
كَثِيرًا فَزَلَّافَةٌ تُفْضِي إِلَى أَعْلَاهُ. فَيُوجَدُ فِيهِ بَيْتٌ مَرَبَعٌ فِيهِ نَافِيسٌ مِنْ
حَجَرٍ وَهَذَا الْمَدْخَلُ لَيْسَ هُوَ الْبَابُ الْمَتَّخَذُ لَهُ فِي أَصْلِ الْبِنَاءِ وَإِنَّمَا هُوَ
مَنْقُوبٌ نَقْبًا صُورَفَ اتِّفَاقًا. وَذِكْرُ أَنَّ الْمَأْمُونَ هُوَ الَّذِي فَتَحَهُ وَجَلُّ مَنْ
كَانَ مَعَنَا وَجَلُّوا فِيهِ وَصَعِدُوا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ. فَلَمَّا نَزَلُوا حَادَثُوا
بِعَظِيمٍ مَا شَاهَدُوا وَأَنَّهُ مَمْلُوءٌ بِالْخَفَافِشِ وَأَبْوَالِهَا حَتَّى يَكَادُ يَمْنَعُ السَّالِكُ
وَيَعْظُمُ فِيهَا الْخَفَافُ حَتَّى يَكُونَ فِي قَدْرِ الْحَمَامِ. وَفِيهِ طَاقَاتٌ وَرَوَازِينُ
نَحْوِ أَعْلَاهُ وَكَانَهَا جُعِلَتْ مَسَالِكٌ لِلرِّيحِ وَمَنَافِذٌ لِلضَّوئِ وَوَجْنَةٌ مَرَّةً
أُخْرَى مَعَ جَاعَةٍ وَبَلَّغَتْ نَحْوَ ثَلَاثِي الْمَسَافَةِ فَأَعْنِي عَلَيَّ مِنْ هَوْلِ الْمَطَّلَعِ
فَرَجَعْتُ بِرَمَقٍ

وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ مَبْنِيَةٌ بِحِجَارَةٍ جَافِيَةٍ يَكُونُ طُولُ الْحَجَرِ مِنْهَا مَا بَيْنَ عَشْرِ
أَذْرُعٍ إِلَى عِشْرِينَ ذِرَاعًا وَسَمَكُهُ مَا بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ إِلَى ثَلَاثٍ وَعَرْضُهُ نَحْوُ
ذَلِكَ وَعَجَبُ كُلِّ الْعَجَبِ فِي وَضْعِ الْحَجَرِ عَلَى الْحَجَرِ بِهَيْدَامٍ لَيْسَ فِي
الْإِمْكَانِ أَحْسَنُ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا تَجِدُ بَيْنَهُمَا مَدْخَلَ إِبْرَةٍ وَلَا خَلَلَ شِعْرَةٍ وَبَيْنَهُمَا
طِينٌ كَأَنَّهُ الْوَرَقَةُ لَا أَذْرِي مَا صِنْفُهُ وَلَا مَا هُوَ. وَعَلَى تِلْكَ الْحِجَارَةِ كِتَابَاتٌ
بِالْقَلَمِ الْقَدِيمِ الْجَهْلُولِ الَّذِي لَمْ أَجِدْ بِدِيَارِ مِصْرَ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ
بِعْرِفُهُ. وَهَذِهِ الْكِتَابَاتُ كَثِيرَةٌ جِدًّا حَتَّى لَوْ نُقِلَ مَا عَلَى الْهَرَمَيْنِ فَقَطُّ إِلَى

صُفِّهِ لَكَانَتْ زُهَاءَ عَشْرَةِ آلَافِ صَحِيفَةٍ. وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الصَّابِئَةِ
 الْقَدِيمَةِ أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الْأَهْرَمَيْنِ هُوَ قَبْرُ آغَاذِيهُونَ وَالْآخَرُ قَبْرُ هَرْمِيسَ
 وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا نِيَّانِ عَظِيمَانِ وَأَنَّ آغَاذِيهُونَ أَقْدَمُ وَأَعْظَمُ وَأَنَّهُ كَانَ
 يُحْجُ إِلَيْهَا وَيَهْوَى نَحْوَهَا مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِ. وَقَدْ وَسَعْنَا الْقَوْلَ فِي
 الْمَنْفُولِ فِي الْكِتَابِ الْكَبِيرِ فَمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ فَعَلَيْهِ بِهِ فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ
 مَنصُورٌ عَلَى الْمَشَاهِدِ

وَكَانَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ لَمَّا اسْتَقَلَّ بَعْدَ أَبِيهِ سَوَّلَ لَهُ
 جَهْلَةَ أَصْحَابِهِ أَنْ يَهْدِمَ هَذِهِ الْأَهْرَامَ. فَبَدَأَ بِالصَّغِيرِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ ثَالِثَةُ
 الْأَثْنَانِي. فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الْأَحْلِيَّةَ وَالنَّفَائِينَ وَالْحَجَّارِينَ وَجَمَاعَةً مِنْ عُظَمَاءِ
 دَوْلَتِهِ وَأَمْرَاءِ مَمْلَكَتِهِ وَأَمَرَهُمْ بِهَدْمِهِ وَوَكَّلَهُمْ بِخَرَابِهِ. فَحَبَّسُوا عِنْدَهَا
 وَحَشَرُوا عَلَيْهَا الرِّجَالَ وَالصَّنَاعَ وَوَفَّرُوا عَلَيْهِمُ النَّفَقَاتِ وَأَقَامُوا نَحْوَ
 ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ يُجْلِلُهُمْ وَرَجُلُهُمْ يَهْدُمُونَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ بَدَلِ الْجُهْدِ
 وَاسْتِنْفَاعِ الْوَسْعِ الْحَجَرَ وَالْحَجَّارِينَ. فَقَوْمٌ مِنْ فَوْقٍ يَدْفَعُونَهُ بِالْأَسَافِينِ
 وَالْأَمْخَالِ وَقَوْمٌ مِنْ أَسْفَلٍ يَجْدُبُونَهُ بِالْقُلُوسِ وَالْأَشْطَانِ فَإِذَا سَقَطَ
 سَمِعَ لَهُ وَجِبَةُ عَظِيمَةٌ مِنْ مَسَافَةٍ يَبْعِدُ حَتَّى تَرَجُفَ لَهُ الْجِبَالُ وَتَزَلْزَلَ
 الْأَرْضُ وَيَغُوضُ فِي الرَّمْلِ فَيَتَعَبُونَ تَعَبًا آخَرَ حَتَّى يَخْرُجُوهُ ثُمَّ يَضْرِبُونَ
 فِيهِ الْأَسَافِينَ بَعْدَ مَا يَنْقُبُونَ لَهَا مَوْضِعًا وَيَبْنِيُونَهَا فِيهِ فَيَنْتَقِعُ قُطْعًا
 فَتُسَبَّبُ كُلُّ قِطْعَةٍ عَلَى الْعَجَلِ حَتَّى تُلْتَقَى فِي ذَيْلِ الْجَبَلِ وَهِيَ مَسَافَةٌ
 قَرِيبَةٌ. فَلَمَّا طَالَ نَوَاؤُهُمْ وَنَفِدَتْ نَفَقَاتُهُمْ وَتَضَاعَفَ نَصَبُهُمْ وَوَهَتْ
 عَزَائِمُهُمْ وَخَارَتْ قُوَاهُمْ كَفُّوا مُحْسُورِينَ مَذْمُومِينَ لَمْ يَبَالُوا بِغَيْبَةِ وَلَا

بَلَّغُوا غَايَةَ بَلِّ كَانَتْ غَايَتُهُمْ أَنْ شَوْهُوا الْهَرَمَ وَأَبَانُوا عَنْ عَجْزٍ وَفَشَلٍ .
 وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّائِي
 لِحِجَارَةِ الْهَرَمِ يَظُنُّ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ اسْتَوْصِلَ فَإِذَا عَايَنَ الْهَرَمَ ظَنَّ أَنَّهُ لَمْ
 يَهْدَمْ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنَّمَا جَانِبٌ مِنْهُ كُشِطَ بَعْضُهُ . وَحِينَ مَا شَاهَدْتُ الْمَشْفَةَ
 الَّتِي يَجِدُونَهَا فِي هَدْمِ كُلِّ حَجْرٍ سَأَلْتُ مُقَدِّمَ الْحَجَّارِ بْنِ قُفْلَتٍ لَهُ لَوْ
 بُدِّلَ لَكُمْ أَلْفُ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تَرُدُّوا حَجْرًا وَاحِدًا إِلَى مَكَانِهِ وَهِنْدَامِهِ هَلْ
 كَانَ يَتِمُّكُمْ ذَلِكَ فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُمْ لَيَعْجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ
 بُدِّلَ لَهُمْ أضعافُهُ

وَبِإِزَاءِ الْأَهْرَامِ مِنَ الصِّفَةِ الشَّرْقِيَّةِ مَغَايِرٌ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ كَبِيرَةٌ الْبِقْدَارِ
 عَمِيقَةٌ الْأَعْوَارِ مُتَدَاخِلَةٌ . وَفِيهَا مَا هُوَ ذُو طَبَقَاتٍ ثَلَاثٍ وَتُسَمَّى الْمَدِينَةَ حَتَّى
 لَعَلَّ الْفَارِسَ يَدْخُلُهَا بِرُحْمِهِ وَيَحْمِلُهَا يَوْمًا أَجْمَعَ وَلَا يَنْبِيهَا لِكثَرَتِهَا وَسَعِنَهَا
 وَبُعْدِهَا وَيَظْهَرُ مِنْ حَالِهَا أَنَّهَا مَقَاطِعُ حِجَارَةِ الْأَهْرَامِ . وَأَمَّا مَقَاطِعُ حِجَارَةِ
 الصَّوَانِ الْأَحْمَرِ فَيُقَالُ إِنَّهَا بِالْقَلْزَمِ وَبِأَسْوَانَ

وَعِنْدَ هَذِهِ الْأَهْرَامِ آثَارُ أُبْنِيَّةِ جِبَارَةَ وَمَغَايِرٌ كَثِيرَةٌ مُتَنَنَةٌ وَقَلَمَا تَرَى
 مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا وَتَرَى عَلَيْهِ كِتَابَاتٍ بِهَذَا الْقَلَمِ الْمَجْهُولِ

وَعِنْدَ هَذِهِ الْأَهْرَامِ بِأَكْثَرِ مِنْ غُلُوقِ صُورَةَ رَأْسٍ وَعُنُقٍ بَارِزَةٍ مِنْ
 الْأَرْضِ فِي غَايَةِ الْعِظَمِ يُسَبِّهُ النَّاسُ أَبَا الْهَوَلِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ جَنَّتَهُ
 مَدْفُونَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَقْتَضِي الْقِيَاسُ أَنْ تَكُونَ جَنَّتُهُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى رَأْسِهِ
 سَعِينَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا . وَفِي وَجْهِهِ حُمْرَةٌ وَدِهَانٌ أَحْمَرٌ يَلْمَعُ عَلَيْهِ رَوْنِقُ
 الطَّرَائِعِ وَهُوَ حَسَنُ الصُّورَةِ مَقْبُولُهَا عَلَيْهِ مَسْحَةٌ بِهَاءٍ وَجَالٍ كَأَنَّهُ بِضَحْكُ

تَبَسُّمًا. وَسَأَلَنِي بَعْضُ الْفُضَلَاءِ مَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتَ فَقُلْتُ تَنَاسُبُ وَجْهِ أَبِي
 أَهْوَلُ فَإِنَّ أَعْضَاءَ وَجْهِهِ كَالْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَالْأُذُنِ مُتَنَاسِبَةٌ كَمَا تَصْنَعُ
 الطَّبِيعَةُ الصُّورَ مُتَنَاسِبَةً. فَإِنَّ أَنْفَ الْوَلَدِ مِثْلًا مُنَاسِبًا لَهُ وَهُوَ حَسَنٌ
 بِهِ حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْأَنْفُ لِرَجُلٍ لَكَانَ مُشَوِّهًا بِهِ وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ
 أَنْفُ الرَّجُلِ لِلصَّبِيِّ لَشَوَّهَتْ صُورَتَهُ وَعَلَى هَذَا سَائِرُ الْأَعْضَاءِ فَكُلُّ
 عَضْوٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى مِقْدَارٍ وَهَيْئَةٍ بِالْقِيَاسِ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ وَعَلَى
 نِسْبَتِهَا فَإِنَّ لَمْ تُوجَدْ الْمُنَاسِبَةُ تَشَوَّهَتْ الصُّورَةُ وَالْعَجَبُ مِنْ مِصْوَرِهِ
 كَيْفَ قَدَّرَ أَنْ يَخْتِظَ نِظَامَ التَّنَاسُبِ فِي الْأَعْضَاءِ مَعَ عِظْمِهَا وَأَنَّه لَيْسَ
 فِي أَعْمَالِ الطَّبِيعَةِ مَا يُجَاكِبُهُ وَيَتَّقِلُهُ

وَمِنْ ذَلِكَ الْأَثَارِ الَّتِي بَعَيْنِ شَمْسٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ يُشَاهِدُ سُورَهَا
 مُخَدِّقًا بِهَا مَهْدُومًا وَيُظْهِرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهُمَا قَدْ كَانَتْ بَيْتَ عِبَادَةٍ. وَفِيهَا مِنْ
 الْأَصْنَامِ أَهَائِلَةُ الْعِظْمِيَّةِ الشَّكْلِ مِنْ نَحْبِ الْمَجَارَةِ يَكُونُ طُولُ الصَّمِّ
 زُهَاءً ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَأَعْضَاؤُهُ عَلَى تِلْكَ النِّسْبَةِ مِنَ الْعِظْمِ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ
 هَذِهِ الْأَصْنَامِ قَائِمًا عَلَى قَوَاعِدَ وَبَعْضُهَا قَاعِدًا يُنْصَبَاتٍ عَجِيبَةٍ وَإِنْفَانَاتٍ
 مُحْكَمَةٍ وَبَابُ الْمَدِينَةِ مَوْجُودٌ إِلَى الْيَوْمِ. وَعَلَى مُعْظَمِ تِلْكَ الْمَجَارَةِ تَصَاوِيرُ
 الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَكِتَابَاتٌ كَثِيرَةٌ بِالْقَلَمِ الْمَجْهُولِ وَقَلَمًا
 تَرَى حَجْرًا غُفْلًا مِنْ كِتَابِيَّةٍ أَوْ نَفْسٍ أَوْ صُورَةٍ. وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْمَسْلَتَانِ
 الْمَشْهُورَتَانِ وَتُسَمَّيَانِ مَسْلَتِي فِرْعَوْنَ وَصِفَةُ الْمَسْلَةِ أَنَّ قَاعِدَةَ مَرَبَّعَةٌ طُولُهَا
 عَشْرُ أَذْرُعٍ فِي مِثْلِهَا عَرْضًا فِي نَحْوِهَا سَمَكًا قَدْ وُضِعَتْ عَلَى أَسَاسٍ ثَابِتٍ
 فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أُقِيمَ عَلَيْهَا عَمُودٌ مَرَبَّعٌ مَخْرُوطٌ يَبِينُ طُولُهُ عَلَى مِائَةِ ذِرَاعٍ

يَبْدِي مِنْ قَلْعَةٍ لَعَلَّ فُطْرَهَا حَسُّ أذْرُعٍ وَيَنْبِي إِلَى نُقْطَةٍ وَقَدْ لَيْسَ
رَأْسُهَا بِقَلْنَسُورَةٍ مُحَاسٍ إِلَى نَحْوِ ثَلَاثِ أذْرُعٍ مِنْهَا كَالْقَمْعِ . وَقَدْ تَزَجَّرَ
بِالْمَطَرِ وَغُلُولِ الْهَيْدَةِ وَأَخْضَرَ وَسَالَ مِنْ خُضْرَتِهِ عَلَى بَسِيطِ الْهَيْسَلَةِ .
وَالْهَيْسَلَةُ كُلُّهَا عَلَيْهَا كِتَابَاتٌ بِذَلِكَ الْقَلَمِ وَرَأَيْتُ إِحْدَى الْهَيْسَلَتَيْنِ
وَقَدْ خَرَّتْ وَأَنْصَدَعَتْ مِنْ نِصْفِهَا لِعِظَمِ الثَّقَلِ وَأَخَذَ الثُّحَاسُ مِنْ رَأْسِهَا .
فَمِنْ حَوْلِهَا مِنَ الْمَسَالِ شَيْئًا كَثِيرًا لَا يَحْصِي عَدْدُهَا وَمَقَادِيرُهَا عَلَى نِصْفِ
تِلْكَ الْعُظْمَى أَوْ ثُلُثِهَا وَقَلْبُهَا تَجِدُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِ الصِّغَارِ مَا هُوَ قِطْعَةٌ
وَاحِدَةٌ بَلْ فُضُوصٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَقَدْ تَهْدَمُ أَكْثَرُهَا وَإِنَّمَا بَقِيَتْ
قَوَاعِدُهَا . وَرَأَيْتُ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مِسْلَتَيْنِ عَلَى سَيْفِ الْبَحْرِ فِي وَسْطِ
الْعِبَارَةِ الْكَبِيرِ مِنْ هَذِهِ الصِّغَارِ وَأَصْغَرَ مِنَ الْعُظِيمَتَيْنِ

وَأَمَّا الْبِرَابِيُّ بِالصَّعِيدِ فَأَلْحِكَايَاتُ عَنْ عِظْمِهَا وَإِنْقَانِ صَنْعَتِهَا وَأَحْكَامِ
صُورِهَا وَتَعْجَائِبِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَشْكَالِ وَالنُّفُوسِ وَالنَّصَاوِيرِ وَالْأَخْطُوطِ
مَعَ إِحْكَامِ الْبِنَاءِ وَجَفَاءِ الْأَلَاتِ وَالْأَجَارِ مَا يَفُوتُ الْحُضْرَ وَهِيَ مِنْ
الشُّهْرَةِ بِحَيْثُ نَغْنِي عَنْ الْإِطَالَةِ فِي الصِّفَةِ

وَمِنْ ذَلِكَ الْأَثَارِ الَّتِي يَبْصُرُ الْقَدِيمَةَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ بِالْمَجِينَةِ فُوقَ
الْفُسْطَاطِ وَهِيَ مَنْفُ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا الْفَرَاعِنَةُ وَكَانَتْ مُسْتَقَرًّا مَهْلِكَةً
مُلُوكِ مِصْرَ

فَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَعَ سَعْنِهَا وَتَقَادُمِ عَهْدِهَا وَتَدَاوُلِ الْهَيْلَلِ عَلَيْهَا وَأَسْتِنْصَالِ
الْأُمَمِ إِيَّاهَا مِنْ تَعْفِيَةِ آثَارِهَا وَمَحْوِ رُسُومِهَا وَنَقْلِ حِجَارَتِهَا وَالْإِنْبَاءِ
وَالْفَسَادِ أُنْبِنِهَا وَتَشْوِيهِ صُورِهَا مُضَافًا إِلَى مَا فَعَلْتَهُ فِيهَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ

سَنَةٍ فَصَاعِدًا تَجِدُ فِيهَا مِنْ الْعَجَائِبِ مَا يَفُوتُ فِيمَ الْفَطَنِ الْمَنَامِلِ وَيَحْصُرُ
 دُونَ وَصْفِهِ الْبَلِيغِ اللَّسِنُ وَكُلَّمَا زِدْتَهُ تَأْمَلًا زَادَكَ عَجْبًا وَكُلَّمَا زِدْتَهُ
 نَظْرًا زَادَكَ طَرَبًا وَمَهْمَا اسْتَنْبَطْتَ مِنْهُ مَعْنَى أَنْبَاكَ بِهَا هُوَ أَغْرَبُ وَمَهْمَا
 اسْتَنْزَتْ مِنْهُ عَلَيْهَا ذَلِكَ عَلَى أَنْ وَرَاءَهُمَا هُوَ أَعْظَمُ

فَمِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمَسْمُومِ بِالْبَيْتِ الْأَخْضَرِ وَهُوَ حَجَرٌ وَاحِدٌ تَسْعُ
 أَذْرَعُ أَرْتِفَاعًا فِي ثَمَانِ طُولًا فِي سَبْعِ عَرْضًا قَدْ حَفِرَ فِي وَسَطِهِ بَيْتٌ قَدْ
 جُعِلَ سَمَكُ حَيْطَانِيهِ وَسَفِينِهِ وَأَرْضِيهِ ذِرَاعَيْنِ ذِرَاعَيْنِ وَالْبَاقِي فَضَاءٌ
 الْبَيْتِ وَجَمِيعُهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مَنْفُوشٌ وَمُصَوَّرٌ وَمَكْتُوبٌ بِالْقَلَمِ الْقَدِيمِ
 وَعَلَى ظَاهِرِهِ صُورَةُ الشَّمْسِ مِمَّا يَلِي مَطْلِعَهَا وَصُورٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكُوكَبِ
 وَالْأَفْلَاكِ وَصُورُ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النُّصَبَاتِ وَالْهَيْئَاتِ
 فَمِنْ بَيْنَ قَائِمٍ وَمَاشٍ وَمَا ذُرْجَلِيهِ وَصَافِيهَا وَمُسْتَهْبِرٌ (مُشْبِرٌ) لِلخِدْمَةِ
 وَحَامِلِ آلَاتٍ وَالْمُشِيرِ بِهَا. يُنْبِئُ ظَاهِرُ الْأَمْرِ أَنَّهُ قُصِدَ بِذَلِكَ مُحَاكَاةُ
 أُمُورٍ جَلِيلَةٍ وَأَعْمَالٍ شَرِيفَةٍ وَهَيْئَاتٍ فَاضِلَةٍ وَإِشَارَاتٍ إِلَى أَسْرَارٍ غَامِضَةٍ
 وَأَنْهَا لَمْ تُنَخَّذْ عَيْنًا وَلَمْ يُسْتَفْرَعْ فِي صَنْعَتِهَا الْوَسْعُ لِحَجَرٍ الزَّيْنَةِ وَالْحُسْنِ.
 وَقَدْ كَانَ هَذَا الْبَيْتُ مُمْكِنًا عَلَى قَوَاعِدٍ مِنْ حِجَارَةِ الصُّوَانِ الْعَظِيمَةِ الْوَثِيقَةِ
 فَحَفَرَ تَحْتَهَا الْجُهْلَةُ وَالْحَمْفَى طَمَعًا فِي الْمَطَالِبِ فَتَغَيَّرَ وَضَعُهُ وَفَسَدَ هُنْدَامُهُ
 وَأَخْتَلَفَ مَرَكُزُ ثِقَلِهِ وَثَقَلَ بَعْضُ عَلَى بَعْضٍ فَتَصَدَّعَ صُدُوعًا لَطِيفَةً
 بَسِيرَةً. وَهَذَا الْبَيْتُ قَدْ كَانَ فِي هَيْكَلِ عَظِيمٍ مَبْنِيِّ بِحِجَارَةٍ عَاتِيَةٍ جَافِيَةٍ
 عَلَى أَنْفَنِ هُنْدَامٍ وَأَحْكَمِ صَنْعَةٍ وَفِيهَا قَوَاعِدُ عَلَى عَهْدِ عَظِيمَةٍ وَحِجَارَةٌ
 أَهْلَدَمِ مُتَوَاصِلَةٌ فِي جَمِيعِ أَفْطَارِ هَذَا الْخَرَابِ. وَقَدْ بَقِيَ فِي بَعْضِهَا حَيْطَانٌ

مَائِلَةٌ بِتِلْكَ الْمِحْرَابَةِ الْجَانِبِيَّةِ . وَفِي بَعْضِهَا أَسَاسٌ وَفِي بَعْضِهَا أَطْلَالٌ
 وَرَأَيْتُ عِنْدَ بَابِ شَاهِقَارُكُنَاهُ حِجْرَانِ فَنَطُّ وَأَزْجُهُ حِجْرٌ وَاحِدٌ قَدْ سَقَطَ
 بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَجِدُ هَذِهِ الْمِحْرَابَةَ مَعَ الْمَهْدَامِ الْحَكْمِ وَالْوَضْعِ الْمُهْتَمِّ قَدْ حُفِرَ
 بَيْنَ الْحِجْرَيْنِ مِنْهَا نَحْوُ شِبْرٍ فِي أَرْتِفَاعِ أَصْبَعَيْنِ وَفِيهِ صَدَأَةٌ النَّحَاسِ
 وَزَجْرَةٌ فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ قُبُورُ الْمِحْرَابَةِ الْبِنَاءِ وَتَوْثِيقُهَا وَرِبَاطَاتُ
 بَيْنَهَا بِأَنْ يُجْعَلَ بَيْنَ الْحِجْرَيْنِ نُمْ يُصَبَّ عَلَيْهِ الرِّصَاصُ وَقَدْ نَسَبَهَا
 الْأَنْدَالُ وَالْحُدُودُونَ فَفَعَلُوا مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكَسَرُوا لِأَجْلِهَا كَثِيرًا
 مِنَ الْمِحْرَابَةِ حَتَّى يَصِلُوا إِلَيْهَا وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ بَدَلُوا الْجُهْدَ فِي اسْتِخْلَاصِهَا
 وَأَبَانُوا عَنْ تَهْكُنٍ مِنَ اللَّوْمِ وَتَوَعَّلُ فِي الْحَسَاسَةِ

وَأَمَّا الْأَصْنَامُ وَكَثْرَةُ عَدَدِهَا وَعِظْمُ صُورِهَا فَأَمْرٌ يَفُوتُ الْوَصْفُ
 وَتَجَاوَزُ التَّقْدِيرَ . وَأَمَّا انْقِافُ أَشْكَالِهَا وَإِحْكَامُ هَيْئَتِهَا وَالْمُحَاكَاةُ بِهَا
 الْأُمُورَ الطَّبِيعِيَّةَ فَمَوْضِعُ التَّعْجِبِ بِالْمُحْتَبَةِ . فَمِنْ ذَلِكَ صَمُّ دَرَعْنَاهُ
 سِوَى قَاعِدَتِهِ فَكَانَ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَكَانَ مَدَاهُ مِنْ جِهَةِ الْبَيْتِ إِلَى
 الْبَسَارِ نَحْوَ عَشْرِ أَذْرُعٍ . وَمِنْ جِهَةِ الْخَلْفِ إِلَى الْأَمَامِ عَلَى تِلْكَ النِّسْبَةِ
 وَهُوَ حِجْرٌ وَاحِدٌ مِنَ الصَّوَانِ الْأَحْمَرِ وَعَلَيْهِ مِنَ الدِّهَانِ الْأَحْمَرِ كَأَنَّهُ لَمْ
 يَزِدْهُ نَقَادُمُ الْأَيَّامِ إِلَّا جِدَّةً . وَالتَّعْجِبُ كُلُّ التَّعْجِبِ كَيْفَ حِفْظِ فِيهِ مَعَ
 عِظْمِهِ النِّظَامَ الطَّبِيعِيَّ وَالتَّنَاسُبَ الْحَقِيقِيَّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ
 الْأَعْضَاءِ الْآلِيَّةِ الْمُتَشَابِهَةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ مِقْدَارٌ مَا وَلَهُ إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ
 نِسْبَةٌ مَا بِذَلِكَ الْمِقْدَارِ وَبِتِلْكَ النِّسْبَةِ يَحْضُلُ حُسْنُ الْهَيْئَةِ وَمَلَاحَةُ
 الصُّورَةِ فَإِنْ أَخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَدَثَ مِنَ التَّفْجُرِ بِمِقْدَارِ التَّخَلُّلِ .

وَقَدْ أَحْكَمَ فِي هَذِهِ الْأَصْنَامِ هَذَا النِّظَامُ إِحْكَامًا أَبَى إِحْكَامٍ مِمَّنْ ذَلِكَ
 مَقَادِيرُ الْأَعْضَاءِ فِي نَفْسِهَا ثُمَّ نَسَبُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ
 وَرَأَيْتُ أَسَدَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ بَيْنَهُمَا أَمْدٌ قَرِيبٌ وَصُورُهُمَا هَائِلَةٌ جِدًّا وَقَدْ
 حَفِظَ فِيهَا النِّظَامُ الطَّبِيعِيُّ وَالتَّنَاسُبُ الْحَيَوَانِيُّ مَعَ كَوْنِهَا أَعْظَمَ جَنَّةٍ مِنْ
 الْحَيَوَانِ الْحَقِيقِيِّ جِدًّا وَقَدْ تَكَسَّرَ أَوْ رُدِّمًا بِالْثَرَابِ وَوَجَدْنَا مِنْ سُورِ
 الْمَدِينَةِ قِطْعَةً صَالِحَةً مَبْنِيَةً بِأَحْجَارِ الصِّغَارِ وَالطُّوبِ وَهَذَا الطُّوبُ
 كَبِيرٌ جَافٌ مُطَاوِلُ الشَّكْلِ وَمِقْدَارُهُ نِصْفُ الْأَجْرِ الْكِسْرِيِّ بِالْعِرَاقِ
 كَمَا أَنَّ طُوبَ مِصْرَ الْيَوْمِ نِصْفُ أَجْرِ الْعِرَاقِ الْيَوْمِ أَيْضًا
 (ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ) يَحْدُونَ نَوَاسٍ تَحْتَ الْأَرْضِ فَسِجَّةَ الْأَرْجَاءِ مُحْكَمَةً
 الْبِنَاءِ وَفِيهَا مِنْ مَوْتَى الْقَدَمَاءِ الْجُمُ الْغَفِيرُ وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ قَدْ لُفُوا بِكَفَانٍ
 مِنْ ثِيَابِ الْفَنَبِ لَعَلَّهُ يَكُونُ عَلَى الْمَيِّتِ مِنْهَا زُهَاءٌ أَلْفِ ذِرَاعٍ وَقَدْ كُفِّنَ
 كُلُّ عِضْوٍ عَلَى أَنْفِرَادِهِ كَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَالْأَصَابِعِ فِي قَهْطٍ دُقَاقٍ . ثُمَّ
 بَعْدَ ذَلِكَ تَلَفُ جَنَّةِ الْمَيِّتِ جُمْلَةً حَتَّى يَرْجِعَ كَالْحَمَلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ كَانَ
 يَتَسَبَّعُ هَذِهِ النَّوَاسِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الرَّيْفِ وَغَيْرِهِمْ بِأَخْذِ هَذِهِ
 الْأَكْفَانِ فَأَوْجَدَ فِيهِ تَهَاسُكًا اتَّخَذَ ثِيَابًا أَوْ بَاعَهُ لِلرَّوَاقِينَ يَعْمَلُونَ مِنْهُ
 وَرَقَ الْعَطَّارِينَ . وَيُوجَدُ بَعْضُ مَوْتَاهُمْ فِي تَوَابِتِ مِنْ خَشَبٍ جَمِيرٍ
 يُخْبِنُ وَيُوجَدُ بَعْضُهُمْ فِي تَوَابِتِ مِنْ حِجَارَةٍ إِمَّا رَخَامٍ وَإِمَّا صَوَانٍ وَبَعْضُهُمْ
 فِي أَرْبَابٍ مَهْلُوقَةٍ عَسَلًا . وَخَبَّرَنِي الثُّقَّةُ أَنَّهُمْ بَيْنَنَا كَانُوا يَتَفَقَّهُونَ الْمَطَالِبَ
 عِنْدَ الْأَهْرَامِ صَادَفُوا دَنَا مَخْنُومًا فَفَضُّوهُ فَإِذَا فِيهِ عَسَلٌ فَأَكَلُوا مِنْهُ فَعَلِقَ
 فِي أَصْبَعٍ أَحَدِهِمْ شَعْرٌ فَجَدَّ بِهِ فَظَهَرَ لَهُمْ صَبِيٌّ صَغِيرٌ مَتَهَاسِكٌ الْأَعْضَاءُ

رَطْبُ الْبَدَنِ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَلِيِّ وَالْجَوْهَرِ. وَهُوَ لِأَلِ الْمَوْتَى قَدْ يُوجَدُ عَلَى
 جِبَاهِهِمْ وَعُيُونِهِمْ وَأَنْوْفِهِمْ وَرَقٌّ مِنَ الذَّهَبِ كَالْفِشْرِ. وَرَبَّهَا وَجِدَ قِشْرٌ
 مِنَ الذَّهَبِ عَلَى جَمِيعِ الْمَيْتِ كَالْغِشَاءِ وَرَبَّهَا وَجِدَ عِنْدَ شَيْءٍ مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْحَلِيِّ وَالْجَوْهَرِ وَرَبَّهَا وَجِدَ عِنْدَ آتَهُ الْآتِي كَانَ يُزَاوِلُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ.
 وَأَخْبَرَنِي الْبَغْدَادِيُّ أَنَّهُ وَجِدَ عِنْدَ مَيْتٍ مِنْهُمْ آتَهُ الْمَزِينِ مِسْنًا وَمَوْسَى وَعِنْدَ
 آخِرِ آلَةِ الْحَجَّامِ وَعِنْدَ آخِرِ آلَةِ الْحَائِكِ وَيُظْهِرُ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ
 مِنْ سُنَّتِهِمْ أَنْ يَدْفِنُوا مَعَ الرَّجُلِ آتَهُ وَمَا لَهُ. وَسَمِعْتُ أَنَّ طَوَائِفَ مِنَ
 الْحَبَشَةِ هَذِهِ سُنَّتُهُمْ وَيَطْبِئُرُونَ بِمَتَاعِ الْمَيْتِ إِنْ يَمْسُوهُ أَوْ يَتَصَرَّفُوا فِيهِ
 وَقَدْ كَانَ مِنْ سُنَّتِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ يُجْعَلَ مَعَ الْمَيْتِ شَيْءٌ مِنَ الذَّهَبِ.
 فَخَبَّرَنِي بَعْضُ قُضَاةِ بُوَصَيْرَ وَهِيَ مُجَاوِرَةٌ مَدَائِنِهِمْ أَنَّهُمْ نَبَشُوا ثَلَاثَةَ أَقْبَرٍ
 فَوَجَدُوا عَلَى كُلِّ مَيْتٍ قِشْرًا رَقِيقًا مِنَ الذَّهَبِ لَا يَكَادُ يُجْمَعُ وَفِي فِيهِ
 سَبِيكَةٌ مِنَ الذَّهَبِ فَجَمَعَ السَّبَائِكِ الثَّلَاثَةَ فَكَانَ وَزْنُهَا تِسْعَةً مِثْقَالٍ
 وَالْحِكَايَاتُ فِي ذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَحْضُرَهَا هَذَا الْكِتَابُ
 وَأَمَّا مَا يُوجَدُ فِي أَجْوَاغِهِمْ وَأَدْمِغَتِهِمْ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ مُوْمِيَا
 فَكَثِيرٌ جِدًّا يَحْلِبُهُ أَهْلُ الرَّيْفِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَيُبَاعُ بِالشَّيْءِ النَّزْرِ وَلَقَدْ
 اشْتَرَيْتُ ثَلَاثَةَ أَرُوسٍ مَهْلُوءَةٍ مِنْهُ بِنِصْفِ دِرْهَمٍ مِصْرِيٍّ وَأَرَانِي بِأَنْعَاهُ
 جَوْلًا مَهْلُوءًا مِنْ ذَلِكَ. وَكَانَ فِيهِ الصَّدْرُ وَالْبَطْنُ وَحَشْوَةٌ مِنْ هَذَا
 الْمُوْمِيَا وَرَأَيْتُهُ قَدْ دَاخَلَ الْعِظَامَ وَتَشْرَبْتُهُ وَسَرَى فِيهَا حَتَّى صَارَتْ
 كَأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْهُ وَرَأَيْتُ أَيْضًا عَلَى قِحْفِ الرَّأْسِ أَثَرَ ثَوْبِ الْكُفَنِ وَأَثَرَ
 النِّسَاجَةِ قَدْ انْتَفَشَ فِيهِ كَمَا يَرْتَسِمُ عَلَى الشَّمْعِ إِذَا حَمَّتْ بِهِ عَلَى ثَوْبٍ

وَهَذَا الْهُومِيَا هُوَ أَسْوَدٌ كَالْقَفْرِ وَرَأَيْتُهُ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ حَرُّ الصَّيْفِ
 يَجْرِي وَيَلصِقُ بِهَا يَدُ نَوْمِنَهُ وَإِذَا طَرِحَ عَلَى الْجَمْرِ غَلِيٍّ وَدَخَنَ وَشَبِهَتْ
 مِنْهُ رَائِحَةُ الْقَفْرِ أَوْ الزَّيْتِ وَالغَالِبُ أَنَّهُ زَيْتٌ وَمَرٌّ وَأَمَّا الْهُومِيَا بِالْحَقِيقَةِ
 فَشَيْءٌ يَنْخَدِرُ مِنْ رُؤْسِ الْجِبَالِ مَعَ الْبِيَاهِ ثُمَّ يَجْمَدُ كَالْقَارِ وَيَفُوحُ مِنْهُ
 رَائِحَةُ زَيْتٍ مَحْلُوطٍ بِقَفْرِ. وَقَالَ جَالِينُوسُ الْهُومِيَا يُخْرَجُ مِنَ الْعُيُونِ
 كَالْقَارِ وَالنَّفْطِ. وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ صَنْفٌ مِنَ الْقَارِ وَيُسَمَّى حَبْصَ الْجِبَالِ
 وَهَذَا الَّذِي يُوجَدُ فِي تَجَاوِفِ الْمَوْتَى يَهْضُرُ لَا يَبْعُدُ عَنْ طِبَاعِ الْهُومِيَا
 وَإِنَّهُ يَسْتَعْمَلُ بَدَلَهُ إِذَا تَعَدَّسَ

وَمِنْ أَعْجَابِ مَا يُوجَدُ فِي مَدَائِنِهِمْ أَصْنَافُ الْحَيَوَانِ مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ
 وَالْحَشْرَاتِ وَقَدْ كُنِيَ الْوَاحِدُ مِنْهَا فِي كَذَا كَذَا ثَوْبًا وَهُوَ مُخْنَطٌ عَلَيْهِ
 مُخْنَفٌ بِهِ. وَخَبَّرَنِي الثَّقَةُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا بَيْنَا تَحْتَ الْأَرْضِ مُحْكَمًا فَفَتَحُوهُ
 فَوَجَدُوا فِيهِ لَفَائِفَ ثِيَابِ النَّيِّبِ وَقَدْ تَمَعَطَتْ فَأَزَالُ الْوَهَامَ كَثْرَتِهَا
 فَوَجَدُوا تَحْتَهَا عِجْلًا صَحِيحًا قَدْ أَحْكَمُ تَقْبِيضُهُ. وَحَدَّثَنِي آخَرُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا
 صَفْرًا فَنَشَرُوا عَنْهُ مِنْ لَفَائِفِ الثِّيَابِ حَتَّى عُبُوا فَوَجَدُوهُ لَمْ تَسْقُطْ مِنْهُ
 رِيْشَةٌ. وَحَكَى لِي مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ هَرٍّ وَعَنْ عَصْفُورٍ وَعَنْ خَنْفَسَاءَ وَغَيْرِ
 ذَلِكَ مَا يَطُولُ شَرْحُهُ وَيَجْنُ ذِكْرُهُ

وَحَكَى لِي أَيْضًا الْأَمِيرُ الصَّادِقُ أَنَّهُ كَانَ يَبْغُوصُ فَجَاءَهُ إِلَيْهِ مَنْ يَبْعَثُ
 عَنِ الْمَطَالِبِ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُمْ انْحَسَفَتْ بِهِمْ هَوَةٌ مُوهِبَةٌ أَنْ فِيهَا دَفِينًا
 فَخَرَجَ مَعَهُمْ بِجَمَاعَةٍ مُتَسَلِّحِينَ وَحَفَرُوا فَوَجَدُوا زَبْرًا كَبِيرًا مُوثِقَ الرَّاسِ
 بِالْحَبْصِ فَفَتَحُوهُ بَعْدَ الْجُهْدِ فَوَجَدُوا فِيهِ كَأَلَا صَابِعٍ مُكْنَنَةً يَخْرُقُ فَمَلَّوْهَا

فوجدوا نخنها صيرا وهو سمك صغار وصار كالهباء إذا نفيح طار فنقلوا
 الزير إلى مدينة فوس بين يدي الوالي وأجتمعت عليه نحو مائة رجل
 فحملوا الجميع حتى أتوا على آخره وهو كلة صير مكفن ليس فيه سوى ذلك
 ورأيت أنا بعد ذلك في مداينهم بيو صير من العجائب ما لا يفي به
 هذا الكتاب فمن ذلك أني وجدت في هذه المدافن مغاير تحت الأرض
 مبنية بانقان وفيها رمم مكفنة في كل مغارة عدد لا يحصى ومن المغاير
 ما هو مهلوه برمم الكلاب ومنها ما هو مهلوه برمم البقر ومنها ما فيه رمم
 السنابير والجميع مكفن بخرق القنب ورأيت شيئا من عظام بني آدم
 وقد تمشق حتى صار كالليف الأبيض لقدمه ومع ذلك فاكثر الرمم
 التي رأيتها صلبة مناسكة جدا يظهر من عليها الطرأة أكثر من رمم
 أهلها لكن سنة سبع وتسعين وخمس مائة الآتي ذكرها آخر كتابنا هذا
 ولا سيما ما كان من الرمم القديمة قد أنصبغ بالزفت أو القطران فإنك
 تجدها في لون الحديد وصلابته ورزاقته ورأيت من جاحم البقر ماشاء
 الله وكذلك جاحم الغنم وقرقت بين رؤس المغز والضأن وبين
 رؤس البقر والثيران ووجدت لحم البقر قد التصق بالأكفان حتى
 صار قطعة واحدة حمراء تضرب إلى السواد ويخرج العظم من نخنها
 أبيض بقا وبعض العظام أحمر وبعضها أسود وكذلك في عظام
 الآدمي ولا شك أن الأكفان كانت تبل بالصير والقطران وتشرّب
 به ثم يكفن بها فلذلك يصغ اللحم ويبقيه وما نال منها العظم صبغه
 فأحمر وأسود ووجدت في عدة مواضع تلالا من رمم الكلاب لعلة

يَكُونُ فِي جُمْلَتِهَا مِائَةٌ أَلْفِ رَأْسِ كَلْبٍ أَوْ يَزِيدُ وَذَلِكَ مَا يُشِيرُ الْبَاحِثُونَ
عَنِ الْمَطَالِبِ فَإِنَّ جَمَاعَةً يَجْعَلُونَ مَكَاسِيَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْقُبُورِ وَأَخَذَ مَا سَخَّحَ لَهُمْ
مِنَ الْخَشَبِ وَالْحَرِيقِ وَغَيْرِهِ . وَاسْتَفْرَيْتُ جَمِيعَ الْمَوَاضِعِ الْمُمْكِنَةِ فَلَمْ أَجِدْ
فِيهَا رَأْسَ فَرَسٍ وَلَا جَمَلٍ وَلَا حِمَارٍ فَبَقِيَ ذَلِكَ فِي نَفْسِي فَسَأَلْتُ مَشَائِخَ
بُوصِيرٍ فَبَادَرُوا إِلَى إِخْبَارِي بِأَنَّهُمْ قَدْ تَقَدَّمَتْ فِكْرَتُهُمْ فِي ذَلِكَ
وَاسْتَفْرَأُوهُمْ إِيَّاهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ . وَكَثُرَ تَوَابِينُهُمْ مِنْ خَشَبِ الْجُمَيْرِ وَفِيهِ
الْقُوِيُّ الصَّلْبُ وَمِنْهُ مَا صَارَ فِي دَرَجَةِ الرَّمَادِ . وَخَبَّرَنِي قُضَاءُ بُوصِيرٍ
بِعَجَابٍ مِنْهَا أَنَّهُمْ وَجَدُوا نَاوُوسًا مِنْ حَجَرٍ فَفَضُّوهُ فَأَلْفُوا فِيهِ نَاوُوسًا
فَفَضُّوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ تَابُوتًا فَفَتَحُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ سَحَابَةً وَهِيَ سَامٌ أَبْرَصٌ
مُكْفَنَةٌ مَحْنَطًا عَلَيْهَا مَعْنِيًا بِهَا . وَوَجَدْنَا عِنْدَ بُوصِيرٍ أَهْرَامًا كَثِيرَةً مِنْهَا
هَرَمٌ قَدْ أَنهَدَمَ وَبَقِيَ قَلْبُهُ فَفَسَّنَاهُ مِنْ مَبْدَأِ آسَاسِهِ فَوَجَدْنَاهُ لَا يَتَقَاصِرُ عَنْ
هَرَمِي الْجَبِينِ وَجَمِيعُ مَا حَكَيْنَاهُ مِنْ أَحْوَالِ مَدَائِفِهِمْ بِبُوصِيرٍ يُوجَدُ مَحْوً
وَأَمْثَالَهُ بَعِينَ شَمْسٍ وَيَالْبَرَّايِ وَبِغَيْرِهَا



• • •
الفصل الخامس

فبما شوهد بها من غرائب الأبنية والسفن

وأما أبنيتهم ففيها هندسة بارعة وترتيب في الغاية حتى أنهم قلما يتذكرون مكانا غفلا خاليا عن مصلحتهم ودورهم أفتح وغالب سكناهم في الأعالي ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة وقلبا نجد منزلا إلا وفيه باذا هنج وبأذا هنجاتهم كبار واسعة للريح عليها تسلط ويحكمونها غاية الأحكام حتى أنه بغرم على عمارة الواحد منها مائة دينار إلى خمس مائة وإن كانت بأذا هنجات المنازل الصغار بغرم على الواحد منها دينار. وأسواتهم وشوارعهم واسعة وأبنيتهم شاهقة وبينون بالبحر النخيت والطوب الأحمر وهو الأجر وشكل طوبهم على نصف طوب

العراق

ويحكمون فنوات المراض حتى أنه تخرب الدار والقناة فائبة ويحفرون الكنف إلى العين فيغير عليها برهة من الدهر طويلة ولا يفتقر إلى كنج

وأما سفنهم فكثيرة الأصناف والأشكال وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه العشري شكله شكل شبارة دجلة إلا أنه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هندا ما وشكلا قد سطح بالواح خشب ثخينة محكمة وأخرج منها أفاريز كالرواشن نحو ذراعين وبني فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بأبواب إلى البحر من سائر جهاتها ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض

ثم يزوق بأصناف الأصبغ ويذهب ويدعن بأحسن دهان. وهذا
يُتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالساً في وسادته وخواصه
حواله والغلمان والمماليك فيام بالمناطق والسيوف على تلك الراش
وأطعمتهم وحوادثهم في فعر المركب والملاحون تحت السطح أيضاً وفي
بافي المركب يقذفون به لا يعلمون شيئاً من أحوال الركاب ولا
الركاب يشتغل حواطيرهم بهم بل كل فريق به عزل عن الآخر ومشغول
بما هو بصدده وإذا أراد الرئيس الإختلاء بنفسه عن أصحابه دخل
الخندق وإذا أراد قضاء حاجته دخل البرحاض

والملاحون يبصر يقذفون إلى ورأيهم فهم في قذفهم يشبهون
الحبالين في مشيهم القهقري ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب
ثقلها بين يديه وبمشي به إلى خلفه. وأما ملاحوا العراق فهم يهزله من
يدفع الثقل نحو أمامه ويدسره به فسفنهم تتوجه حيث الملاح متوجه. وأما
سفن مصر فهي تتحرك إلى ضد الجهة التي إليها الملاح متوجه. وأما أي
الحالتين أسهل والبرهان عليها فهو وضعه العلم الطبيعي وعلم تحريك
الآثقال

المقالة الثانية

في النيل وكيفية زيادته

وأعطاء عِلل ذلك وقوانينه

إعلم أن نيل مصر يهدد وقت نضوب مياه الأرض وذلك في شمس
 السرطان والاسد والسنبلة فيعلو على الأرض ويقم أياماً فإذا نزل عنها
 حررت وزرعت ثم يكثر النداء في الليل جداً وبه يتغذى الزرع إلى أن
 يستحصد ونهاية ما تدعو إليه الحاجة من الزيادة ثماني عشرة ذراعاً
 فإن زاد على ذلك فإنه يروي أمكنة مستعيلة وكأنه نافلة على جهة
 التبرع ونهاية ما يزيد على جهة الندرة أصابع من عشرين ذراعاً
 وعند ذلك تستجر أمكنة يدوم مكث الماء عليها فتفوت زراعتها
 ويور من البلاد ما عادت أنه أن يزرع نحو ما (نحو ما) روي ما عادت
 أن بشرق ولسم الثانية عشرة نهاية الضروري ولسم العشرين نهاية
 الإفراط وكل نهاية بين هاتين فلها ابتداء يقابلها فابتدى الضروري
 ست عشرة ذراعاً ويسمى ماء السلطان إذ عندك يستحق الخراج ويروى
 به نحو نصف البلاد ويغل من القوت بمقدار ما يمان أهل البلاد
 سنهم جمعاً مع توسع ويروى سائر البلاد المعتادة بالرّي بها زاد على
 ست عشرة ذراعاً إلى ثماني عشرة وهذا يغل مقدار ما يبير أهل البلاد
 سنتين فصاعداً. وأما ما نقص عن ست عشرة ذراعاً فيروى به ما هو
 دون الكفاية ولا تحصل منه ميرة سنهم ويكون تعدد القوت بمقدار
 نقصانه عن ست عشرة ذراعاً وحينئذ يقال إن البلاد قد شرفت

وَاتَّفَقَ أَنْ زِيَادَةَ النَّبْلِ بَلَغَتْ فِي سَنَةِ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ
 اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا وَاحِدًا وَعِشْرِينَ أَصْبَعًا. وَهَذَا الْهَيْدَارُ نَادِرٌ جِدًّا
 فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْنَا مُدَّ الْبَحْرِ إِلَى الْآنَ أَنْ النَّبْلَ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ قَطُّ إِلَّا
 فِي سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِينَ فَإِنَّهُ وَقَفَ عَلَى ذُوْنِ هَذَا الْهَيْدَارِ
 بِأَرْبَعِ أَصَابِعٍ. وَأَمَّا وَفُوهُ عَلَى ثَلَاثِ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَأَصَابِعَ فَإِنَّهُ وَقَعَ نَحْوَ
 سِتِّ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الطَّوِيلَةِ. وَأَمَّا أَرْبَعُ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَأَصَابِعَ فَإِنَّهُ
 وَقَعَ نَحْوَ عِشْرِينَ مَرَّةً. وَأَمَّا خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا
 وَنَحْنُ نَسُوقُ أَحْوَالَ زِيَادَتِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنِي سَنَةَ سِتِّ وَتِسْعِينَ
 وَخَمْسِ مِائَةٍ ثُمَّ تَتَّبِعُ ذَلِكَ بِهَا حَصَلَ عِنْدَنَا مِنْ عِلَلِ ذَلِكَ وَقَوَائِنِهِ
 فَنَقُولُ إِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةٌ أَنْ تَبْدَأَ الزِّيَادَةُ مِنْ أَيْبٍ وَتَعْظُمَ فِي مِسْرَى
 وَتَنْتَهَى فِي ثَوْبِ أَوْ بَابَةٍ ثُمَّ يَنْحَطُّ. فَدَخَلَ أَيْبٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَابْتَدَأَ
 النَّبْلُ يَحْرَكُ بِالزِّيَادَةِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَنْحَوِي شَهْرَيْنِ قَدْ بَدَتْ فِي مَائِهِ
 خُضْرٌ سَلْقِيَّةٌ ثُمَّ كَثُرَتْ وَظَهَرَتْ فِي رَأْسِهِ دَفْرَةٌ كَرِيهَةٌ وَعُفُونَةٌ طَحْلِيَّةٌ
 كَأَنَّهُ عَصَارَةُ السَّلْقِ إِذَا بَقِيَ أَيَّامًا حَتَّى يَعْفَنُ وَجَعَلَتْ مِنْهُ فِي وَعَاءٍ ضَيْقِ
 الرَّأْسِ فَعَلَاهُ سَحَابَةٌ خُضْرَاءُ فَرَفَعْنَاهَا بِرِفْقٍ وَتَرَكَهَا تَجْفُ وَإِذَا بِهَا
 طَلَبٌ لَأَشْكُ فِيهِ وَيَبْقَى الْمَاءُ بَعْدَ رَفْعِ هَذِهِ السَّحَابَةِ عَنْهُ صَافِيًا لَا خُضْرَ
 فِيهِ إِلَّا أَنْ طَعَمَهُ وَرِيحَهُ بِأَيْمَانٍ وَنَجِدُ فِيهِ أَيْضًا أَجْسَامًا صِغَارًا نَبَاتِيَّةً
 مَبْثُوثَةً كَالْهَبَاءِ لَا تَرْسُبُ. وَصَارَ أَرْبَابُ الْحَمِيَةِ يَجْتَنِبُونَ شَرْبَهُ وَإِنَّمَا
 يَشْرَبُونَ مَاءَ الْأَبَارِ وَأَعْلَيْتُهُ بِالنَّارِ ظَنَّا مِنِّي أَنَّهُ بَصُلْحٌ بِذَلِكَ كَمَا وَصَّى
 الْأَطِبَّاءُ يُفْعَلُ بِالْيَبَاءِ الْمُتَغَيَّرِ فَزَادَ طَعْمُهُ وَرِيحُهُ كَرَاهَةً وَسَهْكًَا

فَوَجَدَتْ عِلَّةَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَجْزَاءَ النَّبَاتِيَّةَ الَّتِي هِيَ مَبْتُوثَةٌ فِيهِ يَلْطَفُ
 الطَّبِخُ جَوْهَرَهَا فَيَخْتَلِطُ بِالْمَاءِ أَخْبِلًا طَاشِدًا مِنَ الْأَوَّلِ فَيُظْهِرُ التَّغْيِيرَ
 (التَّغْيِيرُ) فِي رِيحِهِ وَطَعْمِهِ أَكْثَرَ وَيَصِيرُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ إِذَا طُبِخَ فِيهِ
 سِلْقٌ أَوْ فُجْلٌ أَوْ نَحْوُهُ فَإِنَّ النَّارَ تَمْزِجُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّبِخِ النَّبَاتِ . وَأَمَّا
 الْمَاءُ الَّذِي يَصْلُحُ بِالطَّبِخِ وَإِيَّاهُ قَصَدَ الْأَطِبَاءُ فَهُوَ الَّذِي تَغْيِيرُهُ بِمَخَالِطَةِ
 أَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ فَإِنَّهَا تَنْفَصِلُ عَنْهُ بِالطَّبِخِ لِأَنَّ الْمَاءَ حِينَئِذٍ يَلْطَفُ فَتَرْسُبُ
 فِيهِ

ثُمَّ إِنَّهُ دَامَتْ خُضْرَتُهُ أَيَّامًا مِنْ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَأَصْحَلَتْ
 فِي شَوَّالٍ وَكَانَ يَصْحَبُ الْخُضْرَةَ دُودٌ وَحَيَوَانَاتٌ أُجْمِيَةٌ وَهَذَا التَّغْيِيرُ فِي
 الْمَاءِ يَكُونُ بِالصَّعِيدِ أَكْثَرَ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْمَبْدِئِ وَالْمَعْدِنِ وَأَنْتَهَتْ زِيَادَتُهُ
 فِي الْخَادِي عَشْرَ مِنْ ثَوْبٍ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ
 لَصْعًا ثُمَّ انْحَطَّ

فَرَأَيْتُ الْغَالِبَ مِنْ حَالِ الْقَاعِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَقَلَّ مِنَ الْمُعْتَادِ أَنَّ
 الزِّيَادَةَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَكُونُ أَقَلَّ مِنَ الْمُعْتَادِ هَذَا حُكْمُهُ الْأَكْثَرِيُّ
 فَإِنَّ أَتَتْ الْخُضْرَةُ فِي أَوَّلِ زِيَادَتِهِ وَفِيئِلْهَا قَوِي الظَّنُّ بِضَعْفِ جِرْبَتِهِ
 فَإِنَّ طَالَتْ أَيَّامُ الْخُضْرَةِ وَضَعْفَ مِقْدَارِ الزِّيَادَةِ قَوِي الظَّنُّ جِدًّا بِفَيْئِهِ
 فَإِنَّ دَامَتْ الْخُضْرَةُ فِي أَيِّبَ فَأَذِنَ بِفَيْئِهِ الْمُدِّ

وَعِلْلُ هَذَا ظَاهِرَةٌ أَمَا كَوْنُ فَيْئِهِ الْقَاعِ دَلِيلًا عَلَى فَيْئِهِ الزِّيَادَةِ فَلِأَنَّ
 الْمَطَرَ الَّذِي هُوَ عِلَّةُ الزِّيَادَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْكُنُوفِ مَا يَرُدُّ الْقَاعَ
 إِلَى الْحَالَةِ الْمُعْتَادَةِ ثُمَّ يَزِيدُ عَلَيْهَا الزِّيَادَةَ الْمُعْتَادَةَ وَهِيَ كَثْرَةٌ لَا تَنْفِي

بِهَا أَمْطَارٌ كُلَّ سَنَةٍ وَلَا تُوجَدُ كُلَّ وَقْتٍ مِثَالُهُ أَنْ الْقَاعَ إِذَا كَانَ ذِرَاعًا
 مَثَلًا فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا حَتَّى يَبْلُغَ مَاءَ السُّلْطَانِ
 فَإِنْ كَانَ الْقَاعُ سِتِّ أَذْرُعٍ أَحْتَاَجَ مِنَ الزِّيَادَةِ إِلَى عَشْرِ أَذْرُعٍ وَكَوْنُ
 هَذَا أَسْرُ مِنْ الْأَوَّلِ . وَأَيْضًا فَإِنْ جَرِيَةِ النَّيْلِ الْأَصْلِيَّةِ مَا دَامَتْ عُبُونٌ .
 وَأَمَّا زِيَادَتُهُ فَأَدَامَتْهَا أَمْطَارٌ وَنُقْصَانُ الْعُبُونِ دَلِيلٌ عَلَى أَحْتِرَاقِ السَّنَةِ
 وَيَسَّ أَلْهَوَاءَ وَقَلِيَةَ الْبَخَارِ فَيَقِلُّ الْمَطَرُ لِذَلِكَ وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَدَّ الزَّائِدَ عَلَى
 الْقَاعِ أَكْثَرُهُ فِي الْغَالِبِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَإِذَا كَانَ الْقَاعُ ذِرَاعًا أَوْ
 ذِرَاعَيْنِ . ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ الْمَدِّ وَهُوَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا لَمْ يَلْفُفْ مَاءَ
 السُّلْطَانِ

وَأَمَّا كَوْنُ الْخُضْرِ دَلِيلًا عَلَى قَلِيَةِ الزِّيَادَةِ فَلِأَنَّ النَّيْلَ الْأَمَّاخِي يُعَادِرُ
 نَقَائِعَ وَغُدْرَانَا بَعْضَهَا يَنْضُبُ وَبَعْضَهَا يُطْحَلِبُ وَبَعْضُهَا يَبْعَطُنُ وَيَأْسِنُ فَإِذَا
 مَرَّتْ بِهَا أَمْطَارٌ ضَعِيفَةٌ أَخْتَلَطَتْ بِهَا وَصَبَّهَا إِلَى النَّيْلِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا
 مِنَ الْكَثْرَةِ مَا يَغْلِبُ عَلَى النَّقَائِعِ فَيُضْلِحُهَا بِلِ النَّقَائِعِ تَغْلِبُ عَلَى الْأَمْطَارِ
 الْمُنْتَصِلَةِ بِهَا فَتَحْبِلُهَا إِلَى الْفَسَادِ وَيَخْطُ مِنْهَا مِقْدَارٌ بَعْدَ مِقْدَارٍ وَيَتَوَاصَلُ
 إِلَيْنَا وَكُلَّمَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ أَوْعَفَ وَأَقْلَ كَانَتْ أَيَّامُ جَرِيَةِ الْخُضْرِ
 أَطْوَلَ فَإِذَا كَانَتْ أَمْطَارٌ قَوِيَّةٌ غَسَلَتْ تِلْكَ الْمُسْتَنْفَعَاتِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا
 وَحَدَرَتْهَا بِسُرْعَةٍ مَغْمُورَةً بِطِينِ بُحْرَفِهِ بِقُوَّتِهَا فَيَخْفِي مَنَظَرُهَا وَيَتَعَفَى
 إِثْرُهَا . وَأَيْضًا فَإِنَّ الْأَنْهَارَ الْخَارِجَةَ مِنْ جَبَلِ الْقَهْرِ تَجْتَمِعُ بِأَخْرَجِ إِلَى
 بَرَكَةٍ عَظِيمَةٍ ذَاتِ مِسَاحَةٍ فَسِيحَةٍ وَمِنْ هَذِهِ الْبَرَكَةِ يَخْرُجُ هَذَا النَّيْلُ وَلَا
 شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْبَرَكَةَ مَا وَهِيَ دَائِمٌ فَيُطْحَلِبُ وَلَا سِيَمَا شَطُوطُهَا وَصَحَا ضَيْحُهَا

فَإِذَا وَقَعَ الْوَسْبِيُّ وَجَرَى إِلَيْهَا سُبُوهُ أَثَارَتْ مَا فِي قَعْرِهَا وَحَرَّكَتْ مَا كَانَ
سَاكِنًا فِيهَا وَانْتَسَخَ أَيْضًا مَا فِي الشُّطُوطِ إِلَى الْأَوْسَاطِ وَانْتَسَحَبَ إِلَى الْمَجْرِيَةِ
فَاسْتَصْحَبَتْهُ

وَأَمَّا كَوْنُ الْخُضْرِ فِي آيِبٍ دَلِيلٌ عَلَى النُّقْصَانِ فَلِأَنَّ آيِبَ مَظْنَةَ
الزِّيَادَةِ وَعَلَبَةِ الْمَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَوْشَابِ فَإِذَا بَقِيَ عَلَى خُضْرَتِهِ إِبَانٌ زِيَادَتِهِ
أَدْنُ بَقْلَتِهِ. وَهَذِهِ الْأَجْزَاءُ النَّبَاتِيَّةُ الَّتِي تَصْحَبُ الْمَاءَ إِنَّمَا هِيَ حُطَامُ النَّبَاتِ
الْمَتَكُونُ فِي الْمَاءِ وَحَوْلَهُ كَالْبُرْدِيِّ وَالْدَّيْسِ وَالسَّمَارِ وَالطَّلْبِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ فَتَتَعَفَّنُ فِيهِ وَتَتَصَغَّرُ أَجْزَاؤُهَا وَتَتَبَعُثُ مَعَهُ. وَمِمَّا يُوجِبُ أَنْبِعَاتِهَا
أَيْضًا نُّقْصَانُ الْمَاءِ مِنْ تِلْكَ الْبِرْكَةِ فَإِنَّ مَاءَهَا إِذَا اتَّصَلَتْ الْمَجْرِيَةُ بِقَعْرِهَا
فَانْتَسَحَبَ كَدَّرُهَا وَرَاسِبُهَا وَإِذَا كَانَتْ غَمْرًا كَانَتْ الْمَجْرِيَةُ مِنْ أَعْلَاهَا
وَصَفْوَاهَا فَاعْرِفْ ذَلِكَ وَلِهَذَا لَا تَأْتِي هَذِهِ الْخُضْرُ إِلَّا فِي السَّنَةِ الَّتِي يَحْتَرِقُ
فِيهَا النَّبِيلُ وَكُلَّمَا كَانَ أَحْتِرَاقُهُ أَشَدَّ كَانَ ظُهُورُ الْخُضْرِ أَكْثَرَ. وَفِي السَّنَةِ
الَّتِي يَكُونُ نَيْلُهَا غَمْرًا لَا يَحْتَرِقُ وَلَا تَرَى الْخُضْرَ لِأَنَّ كَثْرَتَهُ لِيَكْثَرَ
مَبْدَأِيَهُ وَأَرْزَاقَهُ جَرِيَتِهِ عَنِ مَقَرِّ كُدُورَتِهِ

انتهى المتن

من كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة بارض مصر

لابي اللطيف

مِنْ تَخْفَةِ النَّظَارِ

فِي غَرَائِبِ الْأَمْصَارِ وَعَجَائِبِ الْأَسْفَارِ
لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّوَاتِي
الْمَعْرُوفِ بِابْنِ بَطْوِطَةَ

وَصَلْنَا فِي أَوَّلِ جَادِي الْأُولَى إِلَى مَدِينَةِ الإسْكَدَرِيَّةِ حَرَسَهَا اللَّهُ وَهِيَ
الْتُّغْرُ الْخَرُوسُ. وَالْفَطْرُ الْمَاهُوسُ. الْعَجِيْبَةُ الشَّانِ. الْأَصِيلَةُ الْبُنْيَانِ. بِهَا
مَا سِتَّتْ مِنْ تَحْسِينٍ وَتَحْصِينٍ. وَمَا تَرَدُّنَا وَدِينٍ. كَرُمَتْ مَعَانِيهَا.
وَلَطَفَتْ مَعَانِيهَا. وَجَمَعَتْ بَيْنَ الضَّخَامَةِ وَالْإِحْكَامِ مَبَانِيهَا. فَبِي الْفَرِيدَةِ
نَجَلَى سَنَاهَا. وَالتَّخْرِيدَةِ نَجَلَى فِي حُلَاهَا. الزَّاهِيَةُ بِمَجَاهِلِهَا الْمَغْرِبِ. الْجَامِعَةُ
لِلْمَفْتَرِقِ الْحَاسِنِ لِتَوْسُطِهَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. فَكُلُّ بَدِيعَةٍ بِهَا
أَجْنَلَاؤُهَا. وَكُلُّ طَرْفَةٍ فَالِيهَا أَنْبَاءُهَا. وَقَدْ وَصَفَهَا النَّاسُ فَأَطْنَبُوا.
وَصَنَفُوا فِي عَجَائِبِهَا فَأَغْرَبُوا. وَحَسَبُ الْمَشْرِفِ إِلَى ذَلِكَ مَا سَطَّرَهُ أَبُو
عَيْدٍ فِي كِتَابِ الْمَسَالِكِ

ذَكَرَ أَبْوَابَهَا وَمَرَسَاهَا. وَلِهَدْيِنَةِ الإسْكَدَرِيَّةِ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ. بَابُ السِّدْرَةِ
فَالِيهِ بُشْرَعُ طَرِيقِ الْمَغْرِبِ. وَبَابُ رَشِيدٍ وَبَابُ الْبَحْرِ وَالْبَابُ الْأَخْضَرُ
وَلَيْسَ يُفْتَحُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُخْرِجُ النَّاسُ مِنْهُ إِلَى زِيَارَةِ الْقُبُورِ. وَهِيَ
الْمَرْسَى الْعَظِيمُ الشَّانِ وَلَمْ أَر فِي مَرَايِي الدُّنْيَا مِثْلَهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرَسَى
كُولَمَ وَقَالِيْفُوطَ بِيْلَادِ الْهِنْدِ. وَمَرَسَى سُودَاقِ بِيْلَادِ الْأَنْرَاقِ وَمَرَسَى
الزَّيْتُونِ بِيْلَادِ الصِّينِ وَسَبَقَ ذَكَرُهَا
ذَكَرَ الْمَنَارَ. فَصَدَتْ الْمَنَارَ فِي هَذِهِ الْوَجْهَةِ فَرَأَيْتُ أَحَدَ جَوَانِيهِ

مِنْهُدَمَا وَصَفْتُهُ أَنَّهُ بِنَاءٌ مَرَبَعٌ ذَاهِبٌ فِي الْهَوَاءِ وَبَابُهُ مُرْتَفِعٌ عَلَى الْأَرْضِ .
 وَإِزَاءَ بَابِهِ بِنَاءٌ يَقْدِرُ أَرْتِفَاعِهِ وَوَضِعَتْ بَيْنَهُمَا الرَّاحُ خَشَبٌ يُعْبَرُ عَلَيْهَا إِلَى
 بَابِهِ . فَإِذَا أُزِيلَتْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ . وَدَاخِلَ الْبَابِ مَوْضِعٌ لِلْجُلُوسِ
 حَارِسِ الْمَنَارِ . وَدَاخِلَ الْمَنَارِ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ . وَعَرْضُ الْمَمَرِ يَدَاخِلُهُ
 تِسْعَةٌ أَشْبَارٍ . وَعَرْضُ الْحَائِطِ عَشْرَةٌ أَشْبَارٍ . وَعَرْضُ الْمَنَارِ مِنْ كُلِّ
 جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ الْأَرْبَعِ مِائَةٌ وَأَرْبَعُونَ شِبْرًا . وَهُوَ عَلَى تَلٍّ مُرْتَفِعٍ .
 وَمَسَافَةٌ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ فَرْسَخٌ وَاحِدٌ فِي بَرٍّ مُسْتَطِيلٍ يُحْبَطُ بِهِ الْبَحْرُ
 مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ إِلَى أَنْ يَتَّصَلَ الْبَحْرُ بِسُورِ الْبَلَدِ فَلَا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ
 إِلَى الْمَنَارَةِ فِي الْبَرِّ إِلَّا مِنَ الْمَدِينَةِ . وَفِي هَذَا الْبَرِّ الْمُنْتَصِلِ بِالْمَنَارِ
 مَقْبَرَةٌ الْإِسْكَندَرِيَّةُ . وَقَصَدَتْ الْمَنَارَ عِنْدَ عَوْدِي إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ
 عَامَ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْخُرَابُ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ
 دُخُولُهُ وَلَا الصُّعُودُ إِلَى بَابِهِ . وَكَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ شَرَعَ
 فِي بِنَاءِ مَنَارٍ مِنْهُ بِإِزَائِهِ عَاقِبَةُ الْمَوْتِ عَنْ إِتْمَامِهِ
 ذَكَرَ عَمُودِ السَّوَارِي . وَمِنْ غَرَائِبِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ عَمُودُ الرُّخَامِ الْهَائِلُ
 الَّذِي يَخْرُجُهَا الْمَسْمِيُّ عِنْدَهُمْ يَعْبُودِ السَّوَارِي وَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي غَايَةِ
 نَخْلِ . وَقَدْ أَمْتَازَ عَنْ شَجَرَاتِهَا سُمُومًا وَأَرْتِفَاعًا . وَهُوَ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ مُحْكَمَةٌ
 أُنْحَتِ قَدْ أُفِيمَ عَلَى قَوَاعِدِ حِجَارَةٍ مُرَبَّعَةٍ أَمْثَالِ الدِّكَائِينَ الْعَظِيمَةِ وَلَا
 تُعْرَفُ كَيْفِيَّةُ وَضْعِهِ هُنَالِكَ وَلَا يَتَحَقَّقُ مَنْ وَضَعَهُ . قَالَ ابْنُ جُزَيْ :
 أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِي الرَّحَالِينَ أَنَّ أَحَدَ الرُّمَاءِ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ صَعَدَ إِلَى
 أَعْلَى ذَلِكَ الْعَمُودِ وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَكَانَتْهُ وَأَسْتَقَرَّ هُنَالِكَ وَشَاعَ خَبْرُهُ .

فَأَجْمَعَ الْجَمْعَ الْغَيْرُ لِمُشَاهَدَتِهِ وَطَالَ الْعَجَبُ مِنْهُ وَخَفِيَ عَلَى النَّاسِ
 وَجْهُ أَحْبَابِهِ وَأَطْنَهُ كَانَ خَائِفًا أَوْ طَائِبَ حَاجَةٍ. فَأَنْجَحَ لَهُ فِعْلُهُ الْوُصُولَ
 إِلَى قَصْدِهِ لِعَرَابَةِ مَا آتَى بِهِ. وَكَيْفِيَّةُ أَحْبَابِهِ فِي صُعودِهِ أَنَّهُ رَمَى بِنُشَابَةِ
 قَدْ عَقَدَ يَفَوْفَهَا خَيْطًا طَوِيلًا. وَعَقَدَ بِطَرَفِ الْحَبْطِ حَبْلًا وَثِيقًا فَتَجَاوَزَتْ
 النُّشَابَةُ أَعْلَى الْعُمُودِ مُعْرِضَةً عَلَيْهِ. وَوَقَعَتْ مِنَ الْجِهَةِ الْمُوَازِيَةِ لِلرَّامِي
 فَصَارَ الْحَبْطُ مُعْرِضًا عَلَى أَعْلَى الْعُمُودِ فَجَدَّبَهُ حَتَّى تَوَسَّطَ الْحَبْلُ عَلَى
 الْعُمُودِ مَكَانَ الْحَبْطِ فَأَوْثَقَهُ مِنْ إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ فِي الْأَرْضِ وَتَعَلَّقَ بِهِ
 صَاعِدًا مِنَ الْجِهَةِ الْأُخْرَى وَاسْتَفْرَّ بِأَعْلَاهُ وَجَدَّبَ وَاسْتَصْحَبَ مِنْ
 أَحْمَلَهُ. فَلَمْ يَهْتِدِ النَّاسُ لِحَبْلَتِهِ وَعَجِبُوا مِنْ شَأْنِهِ

ثُمَّ سَافَرَتْ فِي أَرْضِ رَمْلَةٍ إِلَى مَدِينَةِ دِمْبَاطَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ فَسِيحَةٌ
 الْأَفْطَارِ. مَتَنَوِّعَةُ الثِّمَارِ. عَجِيبَةُ التَّرْتِيبِ. أَخَذَتْ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ
 بِنَصِيبٍ. وَالنَّاسُ بَضِيطُونَ أَسْمَاءُ بِأَعْجَامِ الدَّالِ. وَكَذَلِكَ ضَبَطَهُ الْإِمَامُ
 أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيِّ الرَّشَاطِيِّ. وَكَانَ شَرَفُ الدِّينِ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ
 أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ ابْنُ خَلْفِ الدِّمْبَاطِيِّ إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ بَضِيطُهَا
 بِإِهْمَالِ الدَّالِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ بِأَنَّ يَقُولَ خِلَافَ الرَّشَاطِيِّ وَغَيْرِهِ وَهُوَ
 أَعْرَفُ بَضِيطُ أَسْمِ بَلَدِهِ. وَمَدِينَةُ دِمْبَاطَ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ وَأَهْلُ الدُّورِ
 الْمُوَالِيَةِ لَهُ يَسْتَفُونَ مِنْهُ الْمَاءَ بِالْإِدْلَاءِ. وَكَثِيرٌ مِنْ دُورِهَا بِهَا حَرَكَاتٌ
 يُنْزَلُ فِيهَا إِلَى النَّيْلِ. وَشَجَرُ الْمُوَزِ بِهَا كَثِيرٌ يُجْمَلُ ثَمَرُهُ إِلَى مِصْرَ فِي
 الْمَرَائِبِ وَغَنَمُهَا سَائِمَةٌ هَمَلًا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَهَذَا يُقَالُ فِي دِمْبَاطَ
 سُورُهَا حَلُوءٌ وَكَلَابُهَا غَنَمٌ. وَإِذَا دَخَلَهَا أَحَدٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى الْخُرُوجِ.

عنها إلا بطابع الواحي . فمن كان من الناس معتبرا طبع له في قطعة
 كأغيد يستظهر به لحراس بابها وغيرهم يطبع على ذراعيه فيستظهر به .
 والطير البحرى بهذه المدينة كثير متناعي السمن وبها الألبان الجاموسية
 التي لا مثيل لها في عذوبة الطعم وطيب المذاق وبها الحوت البورجى
 يحمل منها إلى الشام وبلاد الروم ومصر . وبخارجها جزيرة بين البحر
 والنيل تسمى البرزخ بها مسجد وزاوية لبيت بها شيخها المعروف بابن
 قفل . وحضرت عنده ليلة جمعة ومعه جماعة من الفقهاء الفضلاء
 المتعبدين الأخبار قطعوا ليلتهم صلوة وقراءة وذكرًا . ودماط هذه
 حديثة البناء والمدينة القديمة هي التي خربها الأفرنج على عهد الملك
 صالح وبها زاوية الشيخ جمال الدين الساوي فذوق الطائفة المعروفة
 بالقرندرية وهم الذين يخلفون لحافهم وحواجهم ويسكن الزاوية في
 هذا العهد الشيخ فتح التكرورى

ثم سافرت إلى مدينة كوروهي مدينة على ساحل النيل والكاف
 الذي في اسمها مضموم وتزلت بخارجها ولحفتي هنالك فارس وجهه
 إلى الأمير الحسيني فقال لي إن الأمير سأل عنك وعرف يسيرتك
 فبعث إليك بهذه النفقة ودفع إلي جملة دراهم جزاه الله خيرا

ثم سافرت إلى مدينة أشمون الرمان وضبط اسمها بفتح الهنزة وإسكان
 الشين المعجمة ونسبت إلى الرمان لكثرة بها ومنها يحمل إلى مصر .
 وهي مدينة عريقة كبيرة على خليج من خليج النيل وبها فنطرة خشب
 ترسو المراكب عندها فإذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت

الْمَرَكَبُ صَاعَةً وَمُخْدِرَةً وَبِهَذِهِ الْبَلَدِ قَاضِي الْفَضَاةِ وَوَالِي الْوَلَاةِ . ثُمَّ
 سَافَرَتْ عَنْهَا إِلَى مَدِينَةِ سَمْنُودَ وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ كَثِيرَةُ الْمَرَكَبِ
 حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَلَّةِ الْكَبِيرَةِ ثَلَاثَةُ فَرَاسِخٍ وَضَبَطُ اسْمِهَا
 بَفْعِ السَّيْنِ الْمَهْمَلِ وَالْبِيمِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ وَضَمِّهَا وَوَاوٍ وَذَالٍ مُهْمَلٍ
 مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ رَكِبْتُ النَّيْلَ مُصْعِدًا إِلَى مِصْرَ مَا بَيْنَ مَدَائِنَ وَقُرَى
 مُنْتَظِمَةً مُتَّصِلَةً بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَلَا يَفْتَقِرُ رَاكِبُ النَّيْلِ إِلَى اسْتِضْحَابِ
 الزَّادِ لِأَنَّهُمَا أَرَادَ التُّزُولَ بِالشَّاطِئِ نَزَلَ لِلْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَشَرَاءِ
 الزَّادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَالْأَسْوَاقُ مُتَّصِلَةٌ مِنْ مَدِينَةِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ إِلَى مِصْرَ
 وَمِنْ مِصْرَ إِلَى مَدِينَةِ أَسْوَانَ مِنَ الصَّعِيدِ . ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى مِصْرَ هِيَ أُمُّ
 الْبِلَادِ وَقَرَارَةُ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَانِ . ذَاتُ الْأَقَالِمِ الْعَرِيضَةِ . وَالْبِلَادِ
 الْأَرِيضَةِ . الْمُتَنَاهِيَةِ فِي كَثْرَةِ الْعَارَةِ . الْمُتَبَاهِيَةِ بِالْحُسْنِ وَالنَّضَارَةِ . مَجْمَعُ
 الْوَارِدِ وَالصَّادِرِ . وَمَحَطُّ رَحْلِ الضَّعِيفِ وَالْقَادِرِ . وَبِهَا مَا شِئْتَ مِنْ
 عَالِمٍ وَجَاهِلٍ . وَجَادٍ وَهَازِلٍ . وَحَلِيمٍ وَسَفِيهِ . وَوَضِيعٍ وَنَبِيهِ . وَشَرِيفٍ
 وَمَشْرُوفٍ . وَمُنْكَرٍ وَمَعْرُوفٍ . تَهْوِجُ مَوْجِ الْبَحْرِ بِسُكَّانِهَا . وَتَكَادُ أَنْ تَضِيقَ
 بِهِمْ عَلَى سَعَةِ مَكَانِهَا وَإِمْكَانِهَا . شَبَابُهَا يَحْدُ عَلَى طُولِ الْعَهْدِ . وَكَوْكَبُ
 تَعْدِيلِهَا لَا يَبْرُحُ عَنْ مَنْزِلِ السَّعْدِ . فَهَرَّتْ فَاهِرَتِهَا الْأُمَمُ . وَتَهَلَّكَتْ
 مُلُوكُهَا نَوَاحِي الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ . وَهِيَ خُصُوصِيَّةُ النَّيْلِ الَّتِي جَلَّ خَطَرُهَا .
 وَأَغْنَاهَا عَنْ أَنْ يَسْتَبْدَّ الْقَطْرُ قَطْرُهَا . وَأَرْضُهَا مَسِيرَةُ شَهْرِ لِحْجِدِ السَّيْرِ .
 وَفِيهَا يَقُولُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنِ نَاهِضٍ

شَاطِئُ مِصْرَ جَنَّةٌ مَا مِثْلُهَا مِنْ بَلَدٍ

لَاسِيهَا مَذْرُخِرَتْ بِنِيلِهَا الْمَطْرِدِ
 وَاللِّرْيَاجِ قَوْفُهُ سَوَائِغٍ مِنْ زَرَدِ
 مَسْرُودَةٌ مَا مَسَهَا دَاوُدَهَا بِبِهْرِدِ
 سَائِلَةٌ هَوَاؤُهَا يُرْعِدُ عَارِي الْجَسَدِ
 وَالنُّلُكُ كَالْأَفْلَاقِ بَيْنَ حَادِرٍ وَمُضْعَدِ

رَجَعَ وَيُقَالُ إِنَّ بِيَهْرَمَانَ السَّقَائِينَ عَلَى الْجَمَالِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَقَاءٍ
 فَإِنَّ بِهَا ثَلَاثِينَ أَلْفَ مَكَارٍ. وَإِنَّ بِنِيلَهَا مِنَ الْمَرَائِبِ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا
 لِلسُّلْطَانِ وَالرَّعِيَّةِ تَمْرٌ صَاعِدَةٌ إِلَى الصَّعِيدِ وَمُخْدِرَةٌ إِلَى الإسْكَندَرِيَّةِ
 وَدِمْنَابُ بِأَنْوَاعِ التَّخَيْرَاتِ وَالْمَرَافِقِ. وَعَلَى ضَفَةِ النَّيْلِ مَا يُوَاجِهُ مِصْرَ
 الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالرُّوضَةِ وَهُوَ مَكَانُ النَّزْهَةِ وَالتَّفْرِجِ. وَبِهِ الْبَسَاتِينُ
 الْكَثِيرَةُ الْحَسَنَةُ. وَأَهْلُ مِصْرَ ذُو طَرْبٍ وَسُرُورٍ وَهُوَ شَاهَدَتْ مَرَّةً فُرْجَةً
 بِسَبَبِ بُرِّهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مِنْ كَسْرِ أَصَابِ يَدِهِ فَرَبِنَ كُلِّ أَهْلِ سُوقِ
 سُوقِهِمْ وَعَلَقُوا بِجَوَانِبِهِمُ الْحَمْلَ وَالْحَمْلَى وَثِيَابَ التَّحْرِيرِ وَبَقُوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا
 ذَكَرَ مَسْجِدَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَالْمَدَارِسَ وَالْمَارِسْتَانَ وَالزَّوَايَا

وَمَسْجِدَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مَسْجِدٌ شَرِيفٌ كَبِيرٌ الْقَدْرِ. شَهِيرٌ الذِّكْرِ يُقَامُ
 فِيهِ الْجُمُعَةُ. وَالطَّرِيقُ يُعْتَرِضُهُ مِنْ شَرْقِيٍّ إِلَى غَرْبِيٍّ. وَيُشْرِفُهُ الزَّوَايَةُ
 حَيْثُ كَانَ يُدْرَسُ مِنَ الْإِمَامِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيِّ. وَأَمَّا الْمَدَارِسُ بِبِهْرَمَانَ
 فَلَا يُحِيطُ أَحَدٌ بِمَحْضَرِهَا لِكَثْرَتِهَا. وَأَمَّا الْمَارِسْتَانُ الَّذِي بَيْنَ النَّصْرَيْنِ
 عِنْدَ تَرْبَةِ الْمَلِكِ الْمَنصُورِ فَلَاوُونَ فَيُعْجِزُ الْوَاصِفُ عَنْ مَحَاسِنِهِ. وَقَدْ أُعِدَّ
 فِيهِ مِنَ الْمَرَافِقِ وَالْأَذْوِيَّةِ مَا لَا يُحْصَرُ وَيُذَكَّرُ أَنَّ مَجْبَاهُ أَلْفُ دِينَارٍ كُلِّ

يَوْمٍ . وَأَمَّا الزَّوَايَا فَكثيرةٌ وَهُمْ يَسْمُونَهَا الْحَوَائِقَ وَاحِدَتُهَا خَائِقَةٌ وَالْأَمْرَاءُ
يَهْضُرُونَ يَتَنَافَسُونَ فِي بِنَاءِ الزَّوَايَا . وَكُلُّ زَاوِيَةٍ يَهْضُرُ مَعْبِنَةٌ لِطَائِفَةٍ مِنَ
الْفُقَرَاءِ وَكَثَرَتْهُمْ الْأَعَاجِمُ وَهُمْ أَهْلُ آدَابٍ وَمَعْرِفَةٍ بِطَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ
وَلِكُلِّ زَاوِيَةٍ شَيْخٌ وَحَارِسٌ وَتَرْتِيبُ أُمُورِهِمْ عَجِيبٌ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ
فِي الطَّعَامِ أَنَّهُ يَأْتِي خَدِيمُ الزَّوَايَةِ إِلَى الْفُقَرَاءِ صَبَاحًا فَيُعِينُ لَهُ كُلَّ وَاحِدٍ
مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الطَّعَامِ . فَإِذَا اجْتَمَعُوا لِلْأَكْلِ جَعَلُوا لِكُلِّ إِنْسَانٍ خُبْنَةً
وَمَرَقَةً فِي إِنَاءٍ عَلَى حِدَةٍ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ . وَطَعَامُهُمْ مَرَّتَانٍ فِي الْيَوْمِ
وَهُمْ كِسْوَةُ الشِّتَاءِ وَكِسْوَةُ الصَّيْفِ وَمَرْتَبُ شَهْرِيٍّ مِنْ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا
لِلْوَاحِدِ فِي الشَّهْرِ إِلَى عِشْرِينَ وَهُمْ الْحَلَاوَةُ مِنَ السُّكَّرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٌ
وَالصَّابُونَ يَغْسِلُ أَثْوَابَهُمْ وَالْأَجْرَةُ لِدُخُولِ الْحَمَامِ وَالزَّيْتُ لِلْإِسْتِصْبَاحِ
وَهُمْ أَعْرَابٌ . وَلِلْمُهْتَزِّجِينَ زَوَايَا عَلَى حِدَةٍ وَمِنَ الْمُشْتَرَطِ عَلَيْهِمْ حُضُورُ
الصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَالْمِهْيَبُ بِالزَّوَايَةِ وَاجْتِمَاعُهُمْ بِقِيَّةِ دَاخِلِ الزَّوَايَةِ . وَمِنْ
عَوَائِدِهِمْ أَنْ يَجْلِسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى سَجَّادَةٍ مُخْتَصَّةٍ بِهِ وَإِذَا صَلَّوْا صَلَاةَ
الصُّبْحِ قَرَأُوا سُورَةَ الْفَتْحِ وَسُورَةَ الْمَلِكِ وَسُورَةَ عَم . ثُمَّ يُؤْتَى بِسُخٍّ مِنْ
الْقُرْآنِ مَجْزَأَةٌ فَيَأْخُذُ كُلُّ فَيَقْرَأُ جُزْءًا وَيُحْمِلُونَ الْقُرْآنَ وَيَذْكُرُونَ . ثُمَّ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ يَفْعَلُونَ بَعْدَ صَلَاةِ
الْعَصْرِ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ مَعَ الْقَادِمِ أَنَّهُ يَأْتِي بِبَابِ الزَّوَايَةِ فَيَقِفُ بِهِ مَشْدُودًا
الْوَسْطِ وَعَلَى كَاهِلِهِ سَجَّادَةٌ وَيُهَيِّئُهَا الْعُكَّازُ وَيُسْرَاهُ الْإِبْرِيْقُ فَيُعَلِّمُ الْبُيُوتَ
خَدِيمِ الزَّوَايَةِ بِمَكَانِهِ فَيُخْرِجُ إِلَيْهِ وَيَسْئَلُهُ مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَتَى وَأَيِّ الزَّوَايَا
نَزَلَ فِي طَرِيقِهِ وَمَنْ شَيْخُهُ . فَإِذَا عَرَفَ صِحَّةَ قَوْلِهِ أَذْخَلَهُ الزَّوَايَةَ وَفَرَشَ

لَهُ سَجَادَتُهُ فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ وَأَرَاهُ مَوْضِعَ الظَّهَارَةِ فَبَدَأَ دُالْوُضُوءَ وَيَأْتِي
إِلَى سَجَادَتِهِ فَيَجْلُ وَسَطَهُ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَيُصَافِحُ الشَّيْخَ وَمَنْ حَضَرَ وَتَبَعَهُ
مَعَهُمْ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ أَخَذَ الخَادِمُ جَمِيعَ
سَجَادِهِمْ فَيَذْهَبُ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَيَفْرُشُهَا لَهُمْ هُنَاكَ وَيَخْرُجُونَ مُجْتَمِعِينَ
وَمَعَهُمْ شَيْخُهُمْ فَيَأْتُونَ الْمَسْجِدَ وَيُصَلِّي كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى سَجَادَتِهِ فَإِذَا فَرَغُوا مِنْ
الصَّلَاةِ قَرَأُوا الْقُرْآنَ عَلَى عَادَتِهِمْ ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ مُجْتَمِعِينَ إِلَى الزَّوَايَةِ
وَمَعَهُمْ شَيْخُهُمْ

ثُمَّ كَانَ سَفَرِي مِنْ مِصْرَ عَلَى طَرِيقِ الصَّعِيدِ يَرَسُمُ الْحِجَارِ الشَّرِيفِ فَيْتُ
لَيْلَةً خُرُوجِي بِالرِّبَاطِ الَّذِي بَنَاهُ الصَّاحِبُ تَاجُ الدِّينِ بْنِ حِنَّا بَدِيرِ
الطَّيْنِ وَهُوَ رِبَاطٌ عَظِيمٌ بَنَاهُ عَلَى مَفَاخِرِ عَظِيمَةٍ وَأَثَارِ كَرِيمَةٍ . ثُمَّ خَرَجْتُ
مِنَ الرِّبَاطِ الْمَذْكُورِ وَمَرَرْتُ بِمُنْيَةَ الْقَائِدِ وَهِيَ بَلَدٌ صَغِيرَةٌ عَلَى سَاحِلِ
النَّيْلِ . ثُمَّ سِرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بُوَشَ وَضَبَطَهَا بِضَمِّ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ
وَأَخْرَجَهَا شَيْنٌ مُعْجَمَةٌ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ أَكْثَرُ بِلَادِ مِصْرَ كِتَابًا وَمِنْهَا يُجَلَّبُ إِلَى
سَائِرِ الدِّيَارِ الْهَضْرِيَّةِ وَالْأَفْرِيقِيَّةِ . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا فَوَصَلْتُ إِلَى مَدِينَةِ
دَلَّاصَ وَضَبَطْتُ أَسْمَهَا بِفَتْحِ الدَّالِ الْهَمْزِ وَأَخْرَجَهَا صَادًا مَهْمَلًا وَهَذِهِ
الْمَدِينَةُ كَثِيرَةُ الْكُتْنَانِ أَيْضًا بِمِثْلِ الدَّيْ ذَكَرْنَا قَبْلَهَا وَبِحَمَلِ أَيْضًا مِنْهَا
إِلَى دِيَارِ مِصْرَ وَأَفْرِيقِيَّةِ . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بِيَا ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا
إِلَى مَدِينَةِ الْبَهْنَسَةِ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ وَبَسَاتِينُهَا كَثِيرَةٌ وَتُصْنَعُ بِهَذِهِ
الْمَدِينَةِ ثِيَابُ الصُّوفِ الْحَبِيَّةِ

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ مُنْيَةَ ابْنِ خَصِيبٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ

السَّاحَةِ . مُتَّسِعَةُ الْمَسَاحَةِ . مَبْنِيَّةٌ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ . وَحَقِيقٌ حَقِيقٌ لَهَا عَلَى
 بِلَادِ الصَّعِيدِ التَّفْضِيلُ . بِهَا الْمَدَارِسُ وَالْمَشَاهِدُ . وَالزَّوَايَا وَالْمَسَاجِدُ .
 وَكَانَتْ فِي الْقَدِيمِ مَبْنِيَّةً لِحَصْبِ عَامِلِ مِصْرَ

حِكَايَةُ حَصْبِ

يُذَكَّرُ أَنَّ أَحَدَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غَضِبَ عَلَى أَهْلِ
 مِصْرَ فَأَمَرَ أَنْ يُؤْتِيَ عَلَيْهِمْ أَحْفَرَ عَيْدِكِ وَأَصْغَرَهُمْ شَأْنًا قَصْدًا لِإِرْدَائِهِمْ
 وَالْتِنَاطِ . وَكَانَ حَصْبٌ أَحْفَرَهُمْ إِذْ كَانَ يَتَوَلَّى تَسْمِينَ الْحَمَامِ . فَخَلَعَ
 عَلَيْهِ وَأَمَرَ عَلَى مِصْرَ وَظَنَّهُ أَنَّهُ يَسِيرُ فِيهِمْ سِيرَةً سَوْءًا وَيَقْصِدُهُمْ بِالْإِدَاءِ
 حَسْبَهَا هُوَ الْمَعْرُودُ مِمَّنْ وَرَى عَنْ غَيْرِ عَهْدٍ بِالْعِزِّ . فَلَمَّا اسْتَقَرَّ حَصْبٌ
 بِمِصْرَ سَارَ فِي أَهْلِهَا أَحْسَنَ سِيرَةٍ وَشَهَرَ بِالْكَرَمِ وَالْإِيثَارِ فَكَانَ أَقْرَبُ
 الْخُلَفَاءِ وَسَوَاءٌ يَقْصِدُونَهُ فَيَجْزِلُ الْعَطَاءُ لَهُمْ وَيَعُودُونَ إِلَى بَغْدَادَ
 شَاكِرِينَ بِمَا أَوْلَاهُمْ . وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ أَتَقَدَّ بَعْضَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَغَابَ عَنْهُ مَدَّةٌ .
 ثُمَّ أَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ مَغِيبِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَصَدَ حَصْبِيًّا وَذَكَرَ لَهُ مَا أَعْطَاهُ
 حَصْبٌ وَكَانَ عَطَاءً جَزِيلًا . فَغَضِبَ الْخَلِيفَةُ وَأَمَرَ بِسَمْلِ عَيْنِي حَصْبِ
 وَأَخْرَجَهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنْ يُطْرَحَ فِي أَسْوَاقِهَا . فَلَمَّا وَرَدَ الْأَمْرُ
 بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ مَنْزِلِهِ . وَكَانَتْ يَدُهُ يَأْفُوتُهُ
 عَظِيمَةُ الشَّانِ فَحَبَّأَهَا عِنْدَهُ وَخَاطَبَهَا فِي ثَوْبٍ لَهُ لَيْلًا وَسَمِلَتْ عَيْنَاهُ
 وَطْرَحَ فِي أَسْوَاقِ بَغْدَادَ . فَهَرَبَ بِهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ لَهُ يَا حَصْبُ
 إِنِّي كُنْتُ قَصَدْتُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مِصْرَ مَا دَحَا لَكَ بِقَصِيدِكَ فَوَافَقْتُ
 أَنْصِرَافَكَ عَنْهَا وَأَجِبْ أَنْ تَسْمَعَهَا : فَقَالَ كَيْفَ بِسَمَاعِهَا وَأَنَا عَلَى مَا

تَرَاهُ: فَقَالَ إِنَّمَا قَصْدِي سَمَاعُكَ لَهَا. وَأَمَّا الْعَطَاءُ فَتَدَّ أَعْطَيْتَ النَّاسَ
وَأَجْزَلَتْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا: قَالَ قَا فَعَلْتُ قَا نَشَدُهُ

أَنْتَ الْمُخَصَّبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَفَّقَا فِكَلَا كَمَا بَحْرُ

فَلَمَّا آتَى عَلَى آخِرِهَا قَالَ لَهُ أَفْتَقُ هَذِهِ الْخِيَاطَةَ فَفَعَلَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ
خُذِ الْبِاقِيَّةَ: فَأَبَى فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَهَا فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ بِهَا إِلَى سُوقِ
الْجَوْهَرِ بَيْنَ. فَلَمَّا عَرَضَهَا عَلَيْهِمْ قَالُوا لَهُ إِنَّ هَذِهِ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ.
فَرَفَعُوا أَمْرَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِحْضَارِ الشَّاعِرِ وَأَسْتَفْهَمَهُ عَنْ
شَأْنِ الْبِاقِيَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِحَبْرِهَا. فَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَعَلَهُ بِمُخَصَّبٍ وَأَمَرَ بِمُشْوَلِهِ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ وَحَكَّمَهُ فِيمَا يُرِيدُ فَرَعِبَ أَنْ يُعْطِيَهُ هَذِهِ
الْمُنِيَّةَ فَفَعَلَ ذَلِكَ وَسَكَّنَهَا حَصِيبٌ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَأُورِثَهَا عَقِبَهُ إِلَى أَنْ
انْقَرَضُوا

فَوَصَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ بَلْبَيسَ وَضَبَطُ أَسْهَابِ بَيْغِ الْمَوْحِدِ الْأُولَى وَفَخَّ
الثَّانِيَةَ ثُمَّ بَاءَ آخِرَ الْحُرُوفِ مَسْكُونَةً وَسِينِ مَهْمَلٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَثِيرَةٌ ذَاتُ
بَسَائِينَ كَثِيرَةٍ وَلَمْ أَلْقُ بِهَا مِنْ نُحْبُ ذِكْرٍ. ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ
وَمِنْهَا دَخَلْنَا الرِّمَالَ وَنَزَلْنَا مَنَازِلَهَا مِثْلَ السَّوَادَةِ وَالْوَرَادَةِ وَالْمَطْلَبِ
وَالْعَرِيشِ وَالْحُرُوبَةِ وَبِكُلِّ مَنَزِلٍ مِنْهَا فَنَدَقُ وَهُمْ بِسُمُونِهِ الْخَمَانُ يَنْزِلُهُ
الْمَسَافِرُونَ بِدَوَابِّهِمْ. وَبِخَارِجِ كُلِّ خَانَ سَانِيَّةٍ لِلْسَّبِيلِ وَحَانُوتُ
يَشْتَرِي مِنْهَا الْمَسَافِرُ مَا يَخْتَاجُهُ لِنَفْسِهِ وَدَابَّتِهِ. وَمِنْ مَنَازِلِهَا قَطْبَا
الْمَشْهُورَةُ وَهِيَ بَيْغِ الْغَائِبِ وَسُكُونِ الطَّاءِ وَبَاءَ آخِرَ الْحُرُوفِ مَفْتُوحَةٌ
وَأَلْفِ وَالنَّاسُ يَدُلُّونَ أَلْفَهَا تَأْنِيثٌ. وَبِهَا تُؤْخَذُ الزَّكَاةُ مِنَ التُّجَّارِ

وَتَشْتَرُونَ مِنْهُمْ وَتَبْتَغُونَ عَنْهُمْ أَشَدَّ لَبْثًا. وَفِيهَا الدَّوَابُّ وَالْعُمَّالُ
 وَالْكَتَابُ وَالشُّهُودُ. وَحَبَابُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفٌ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ وَلَا
 يَجُوزُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الشَّامِ إِلَّا يَبْرَأَةَ مِنْ مِصْرَ وَلَا إِلَى مِصْرَ إِلَّا يَبْرَأَةَ
 مِنَ الشَّامِ أَحْبَابًا طَاعًا عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ وَتَوْفِيًا مِنَ الْجَوَاسِيسِ الْعِرَاقِيِّينَ.
 وَطَرِيقُهَا فِي ضَمَانِ الْعَرَبِ قَدٌ وَكُلُّوا بِحِفْظِهِ. فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَسْحُوعًا عَلَى
 الرَّمْلِ لَا يَبْنِي بِهِ آثَرٌ. ثُمَّ بَأْتِي الْأَمِيرُ صَبَاحًا فَيَنْظُرُ إِلَى الرَّمْلِ فَإِنْ وَجَدَ
 بِهِ آثَرًا طَلَبَ الْعَرَبَ بِأَحْضَارِ مَوْتَرٍ فَيَذْهَبُونَ فِي طَلَبِهِ فَلَا يَفُوتُهُمْ
 فَيَأْتُونَ بِهِ الْأَمِيرَ فَيُعَاقِبُهُ بِهَا بِشَاءً

وَكَانَ بِهَا فِي عَهْدِ وَصُولِي إِلَيْهَا عِزُّ الدِّينِ أَسْتَاذُ الدَّارِ أَفْهَارِيٌّ مِنْ
 خِيَارِ الْأُمَرَاءِ أَضَافَنِي وَكَرَّمَنِي وَأَبَاحَ الْجَوَازِينَ كَانَ مَعِي. وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَبْدُ
 الْجَلِيلِ الْمَغْرِبِيُّ الْوَقَافُ وَهُوَ يَعْرِفُ الْمَغَارِبَةَ وَبِلَادَهُمْ فَيَسْأَلُ مَنْ وَرَدَ
 مِنْهُمْ مِنْ أُمَّيِّ الْبِلَادِ هُوَ لِكَلَّا يَلِيسَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمَغَارِبَةَ لَا يُعْرَضُونَ فِي
 جَوَازِيهِمْ عَلَى قَطْبًا

ثُمَّ سَرْنَا حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةِ عَنَاقِ وَهِيَ أَوَّلُ بِلَادِ الشَّامِ مِمَّا يَلِي مِصْرَ
 مُتَسِعَةً الْأَقْطَارِ كَثِيرَةً الْعِجَارَةَ حَسَنَةً الْأَسْوَاقِ بِهَا الْمَسَاجِدُ الْعَدِيدَةُ وَلَا
 سُورَ عَلَيْهَا. وَكَانَ بِهَا مَسْجِدٌ جَامِعٌ حَسَنٌ. وَالْمَسْجِدُ الَّذِي نَقَامُ الْآنَ بِهِ
 الْجُمُعَةُ فِيهَا بِنَاؤُ الْأَمِيرِ الْمُعْظَمِ الْجَوَازِيِّ وَهُوَ أَيْقُ الْبِنَاءِ مُحْكَمُ الصَّنْعَةِ
 وَمِنْبَرُهُ مِنَ الرُّخَامِ الْأَبْيَضِ وَقَاضِي عَنَاقِ بَدْرُ الدِّينِ السَّلْجُوقِيُّ الْحَوْرَانِيُّ
 وَمُدْرِسُهَا عَلَمُ الدِّينِ بْنِ سَالِمٍ. وَبَنُو سَالِمٍ كِبْرَاءُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمِنْهُمْ شَمْسُ
 الدِّينِ قَاضِي الْقُدْسِ

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْ غَزَّةَ إِلَى مَدِينَةِ الْخَلِيلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا وَهِيَ
 مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ كَثِيرَةٌ الْهَيْدَارِ . مُشْرِقَةُ الْأَنْوَارِ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ .
 عَجِيبَةُ الْخَبْرِ فِي بَطْنِ وَادٍ . وَمَسْجِدُهَا أَيْقُ الصَّنَعَةِ مُحْكَمُ الْعَمَلِ . بَدِيعُ
 الْحُسْنِ . سَامِي الْأَرْتِفَاعِ مَبْنِي بِالصَّخْرِ الْمَشْهُوتِ فِي أَحَدِ أَرْكَانِهِ صَخْرَةٌ أَحَدُ
 أَقْطَارِهَا سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ شِبْرًا . وَيُقَالُ إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ أَنْجِنَ
 بَيْنَاتِهِ . وَفِي دَاخِلِ الْمَسْجِدِ الْغَارُ الْمَكْرَمُ الْمَقْدَسُ فِيهِ قَبْرُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
 وَبَعْقُوبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَيُقَابِلُهَا قُبُورٌ ثَلَاثَةٌ هِيَ قُبُورُ زَوَاجِرِهِمْ وَعَنْ
 يَمِينِ الْمِنْبَرِ بِلِصْفِ جِدَارِ الْقِبْلَةِ مَوْضِعٌ يَهْبِطُ مِنْهُ عَلَى دَرَجِ رُخَامٍ
 مُحْكَمَةٍ إِلَى مَسَلِكٍ ضَيِّقٍ يُفْضِي إِلَى سَاحَةِ مَفْرُوشَةٍ بِالرُّخَامِ فِيهَا صُورُ
 الْقُبُورِ الثَّلَاثَةِ وَيُقَالُ إِنَّهَا مُحَاذِيَةٌ لَهَا . وَكَانَ عُنَاكَ مَسَلِكٌ إِلَى الْغَارِ
 الْمُبَارَكِ وَهُوَ الْآنَ مَسْدُودٌ وَقَدْ نَزَلَتْ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مَرَّاتٍ

ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ الرَّمْلَةِ وَهِيَ فَلَسْطِينُ مَدِينَةٌ كَثِيرَةٌ . كَثِيرَةٌ
 الْخَبْرَاتِ . حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ . وَبِهَا الْجَامِعُ الْأَبْيَضُ وَيُقَالُ إِنَّ فِي قِبْلَتِهِ
 ثَلَاثِينَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ مَدْفُونِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَفِيهَا مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ
 مُحَمَّدُ الدِّينِ النَّابُلْسِيُّ . ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ نَابُلُسَ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ
 كَثِيرَةٌ الْأَشْجَارِ . مُطَرَّدَةٌ الْأَنْهَارِ . مِنْ أَكْثَرِ بِلَادِ الشَّامِ زَيْتُونًا . وَمِنْهَا
 يُجْمَلُ الزَّيْتُ إِلَى مِصْرَ وَدِمَشْقَ . وَبِهَا تُصْنَعُ حَلْوَاءُ الْخَرْبُوبِ وَيُجَلَّبُ
 إِلَى دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا . وَكَيْفِيَّةُ عَمَلِهَا أَنْ يُطْبَخَ الْخَرْبُوبُ ثُمَّ يُعْصَرُ وَيُؤْخَذَ
 مَا يُخْرُجُ مِنْهُ مِنَ الرُّبِّ فَتُصْنَعُ مِنْهُ الْحَلْوَاءُ وَيُجَلَّبُ ذَلِكَ الرُّبُّ أَيْضًا إِلَى
 مِصْرَ وَالشَّامِ . وَبِهَا الْبَطِيخُ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهَا وَهُوَ طَيِّبٌ عَجِيبٌ . وَمَسْجِدُهَا

الجماع في نيابة من الإنقان والحسن. وفي وسطه بركة ماء عذب. ثم
سافرت منها إلى مدينة عجلون وهي بفتح العين المهمله. وهي مدينة
حسنة لها أسواق كثيرة. وقلعة خطيرة وبشها نهر ماء عذب. ثم
سافرت منها بقصد اللاذقية فبرزت بالفور وهو وادي بين تلال به قبر
أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة رضي الله عنه زرناه وعليه زاوية
فيها الطعام لإبناء السبيل وبتنا هناك ليلة ثم وصلنا إلى القصر وبه
قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه. تبركت أيضا بزيارته

ثم سافرت على الساحل فوصلت إلى مدينة عكة وهي خراب. وكانت
عكة قاعة بلاد الأفرنج بالشام ومرسى سفنهم ونشبه فسطاطية
العظمى وبشرقيها عين ماء تعرف بعين البقر. يقال إن الله تعالى أخرج
منها البقرة لآدم عليه السلام وينزل إليها في درج. وكان عليها مسجد
بني منه محرابه وبهذه المدينة قبر صالح عم. ثم سافرت منها إلى مدينة
صور وهي خراب وبخارجها قرية معبورة وأكثر أهلها شيعيون ولقد
نزلت بها مرة على بعض الهباه أريد الوضوء. فأتى بعض أهل تلك القرية
ليتوضأ فبدأ بغسل رجله ثم غسل وجهه ولم يمتضض ولا استنشق.
ثم مسح بعض رأسه فأخذت عليه في فعله فقال لي إن البناء إنما يكون
ابتداءً من الأساس. ومدينة صور هي التي يضرب بها المثل في الحصانة
والمنعة لأن البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ولها بابان أحدهما للبر
والثاني للبحر. ولبابها الذي بشرع للبر أربعة فُصلان كلها في سقائر
محيطه بالباب. وأما الباب الذي للبحر فهو بين برجين عظيمين

وَبِنَاؤُهَا لَيْسَ فِي بِلَادِ الدُّنْيَا أَعْجَبَ وَلَا أَعْرَبَ شَأْنًا مِنْهُ لِأَنَّ الْبَحْرَ مُحِيطٌ
بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهَا. وَعَلَى الْجِهَةِ الرَّابِعَةِ سُورٌ تَدْخُلُ السُّفُنُ تَحْتَ
السُّورِ وَتَرْسُو هُنَالِكَ. وَكَانَ فِيهَا تَقْدَمُ بَيْنَ الْبُرْجَيْنِ سِلْسِلَةٌ حَدِيدٌ
مُعْرِضَةٌ لِاسْتَيْلِ إِلَى الدَّاخِلِ هُنَالِكَ وَلَا إِلَى الْخَارِجِ إِلَّا بَعْدَ حَطِّهَا
وَكَانَ عَلَيْهَا الْحُرَاسُ وَالْأَمْنَاءُ فَلَا يَدْخُلُ دَاخِلًا وَلَا يَخْرُجُ خَارِجًا إِلَّا عَلَى
عِلْمٍ مِنْهُمْ. وَكَانَ لِعَكَّةَ أَيْضًا مِثْلُهَا وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَحْمِلُ إِلَّا السُّفُنَ الصِّغَارَ
ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ صَبَا وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَسَنَةٌ
كَثِيرَةُ الْفَوَاكِهِ يُحْمَلُ مِنْهَا التَّيْنُ وَالزَّيْبُ وَالزَّيْتُ إِلَى بِلَادِ مِصْرَ. نَزَلْتُ
عِنْدَ قَاضِيهَا كَمَالِ الدِّينِ الْأَشْمُونِيِّ الْبَهْرِيِّ وَهُوَ حَسَنُ الْأَخْلَاقِ كَرِيمُ
النَّفْسِ. ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ طَبْرِيةَ. وَكَانَتْ فِيهَا مَضَى مَدِينَةٍ
كَبِيرَةٍ ضَخْمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا رُسُومٌ تُنْبِئُ عَلَى ضَخَامَتِهَا وَعَظَمِ شَأْنِهَا.
وَبِهَا الْحَمَامَاتُ الْعَجِيبَةُ لَهَا يَتَانِ أَحَدُهُمَا لِلرِّجَالِ وَالثَّانِي لِلنِّسَاءِ وَمَاؤُهَا
شَدِيدُ الْحَرَارَةِ وَهِيَ الْجَبِينَةُ الشَّهِيرَةُ طُولُهَا نَحْوُ سِتَّةِ فَرَاسِخَ وَعَرْضُهَا
أَزِيدُ مِنْ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ. وَبَطْبَرِيَّةَ مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ الْأَنْبِيَاءِ فِيهِ قَبْرُ
شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِنْتِهِ زَوْجَةُ مُوسَى الْكَلِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْرُ سَلِيمَانَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْرُ يَهُوذَا وَقَبْرُ رُوَيْلٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.
وَقَصَدْنَا مِنْهَا زِيَارَةَ الْحَبِّ الَّذِي أُلْقِيَ فِيهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُوَ
فِي صَحْنٍ مَسْجِدٍ صَغِيرٍ وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ وَالْحَبُّ كَبِيرٌ عَمِيقٌ شَرِبْنَا مِنْ مَائِهِ
الْمُجْتَمِعِ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ وَأَخْبَرْنَا فِيهِ أَنَّ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْهُ أَيْضًا
ثُمَّ سَرْنَا إِلَى مَدِينَةِ يَرُوتَ وَهِيَ صَغِيرَةٌ. حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ وَجَامِعُهَا بَدِيعٌ

أَحْسَنُ وَتُجَلَّبُ مِنْهَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ الْقَوَاكِيهِ وَالْحَدِيدِ. وَقَصَدْنَا مِنْهَا زِيَارَةَ
 قَبْرِ أَبِي يَعْقُوبَ يُونُسَ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ وَهُوَ
 بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِكَرْكِ نُوحٍ مِنْ بَقَاعِ الْعَزِيزِ. وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ يُطْعَمُ بِهَا
 الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ وَيُقَالُ إِنَّ السُّلْطَانَ صَلَاحَ الدِّينِ وَقَفَ عَلَيْهَا الْأَوْقَافَ.
 وَقِيلَ السُّلْطَانُ نُورُ الدِّينِ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ يَنْسُجُ
 الْحُصْرَ وَيَقْتَاتُ بِشَمْنِهَا

حِكَايَةُ أَبِي يَعْقُوبَ يُونُسَ الْمَذْكُورِ

بِحِكَايَةِ أَنَّهُ دَخَلَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ فَمَرَضَ بِهَا مَرَضًا شَدِيدًا وَأَقَامَ
 مَطْرُوحًا بِالْأَسْوَاقِ. فَلَمَّا بَرَأَ مِنْ مَرَضِهِ خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ دِمَشْقَ لِيَلْتِمِسَ
 بُسْتَانًا يَكُونُ حَارِسًا لَهُ فَاسْتَوْجَرَ لِحِرَاسَةِ بُسْتَانِ لِلْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ.
 وَأَقَامَ فِي حِرَاسَتِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَّلِ الْفَاكِهِةِ آتَى السُّلْطَانُ إِلَى
 ذَلِكَ الْبُسْتَانِ وَأَمَرَ وَكِيْلَ الْبُسْتَانِ أَبَا يَعْقُوبَ أَنْ يَأْتِيَ بِرُمَّانٍ يَأْكُلُ مِنْهُ
 السُّلْطَانُ. فَأَتَاهُ بِرُمَّانٍ فَوَجَدَهُ حَامِضًا. فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِغَيْرِهِ فَفَعَلَ
 ذَلِكَ فَوَجَدَهُ أَيْضًا حَامِضًا. فَقَالَ لَهُ الْوَكِيلُ: أَتَكُونُ فِي حِرَاسَةِ الْبُسْتَانِ
 مِنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَلَا تَعْرِفُ الْمُحْلُومِينَ الْحَامِضِ: فَقَالَ إِنَّمَا اسْتَأْجَرْتَنِي عَلَى
 الْحِرَاسَةِ لَا عَلَى الْأَكْلِ. فَأَتَى الْوَكِيلُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ. فَبِعَثَ
 إِلَيْهِ الْمَلِكُ وَكَانَ قَدَرَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَ أَبِي يَعْقُوبَ وَتَحْصُلُ
 لَهُ مِنْهُ فَائِدَةٌ فَتَفَرَّسَ أَنَّهُ هُوَ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو يَعْقُوبَ قَالَ نَعَمْ. فَقَامَ
 إِلَيْهِ وَعَانَتْهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ. ثُمَّ أَحْنَمَلَهُ إِلَى مَجْلِسِهِ. فَأَضَافَهُ بِضِيَاقَةٍ
 مِنَ الْحَلَالِ الْمَكْتَسَبِ بِكَدِّ يَمِينِهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ أَيَّامًا. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ

فَارَأَيْتَنِي فِي أَوَانِ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ. فَأَتَى قَرِيبَةً مِنْ قُرَاهَا وَكَانَ بِهَا رَجُلٌ
 مِنَ الضُّعَفَاءِ قَعْرَضَ عَلَيْهِ التُّزُولَ عِنْدَهُ فَفَعَلَ وَصَنَعَ لَهُ مَرَقَةً وَدَجَحَ لَهُ
 دَجَاجَةً فَأَتَاهُ بِهَا وَبِحَبْزِ شَعِيرٍ. فَأَكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَدَعَا لِلرَّجُلِ وَكَانَ
 عِنْدَهُ جُمْلَةٌ أَوْلَادٍ مِنْهُمْ بِنْتُ قَدَّانَ بِنْتُ زَوْجِهَا عَلَيْهَا. وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ فِي
 تِلْكَ الْيَلَادِ أَنْ الْبِنْتَ يَجْهِّزُهَا أَبُوهَا وَيَكُونُ مُعْظَمُ الْجِهَازِ أَوَانِي النُّحَاسِ
 وَبِهِ يَتَفَاخَرُونَ وَبِهِ يَتَبَايَعُونَ. فَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ لِلرَّجُلِ: هَلْ عِنْدَكَ
 شَيْءٌ مِنَ النُّحَاسِ قَالَ نَعَمْ: قَدِ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ لِجَهِّيزِ هَذِهِ الْبِنْتَ: قَالَ أَتَيْتِي
 بِهِ: فَأَتَاهُ بِهِ: فَقَالَ لَهُ أَسْتَعْرِ مِنْ جِيرانِكَ مَا أَمْكَنَكَ مِنْهُ: فَفَعَلَ وَأَحْضَرَ
 ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَوْقَدَ عَلَيْهِ النَّبْرَانَ وَأَخْرَجَ صُرْقَةً كَانَتْ عِنْدَهُ فِيهَا الْإِكْسِيرُ
 فَطَرَحَ مِنْهُ عَلَى النُّحَاسِ فَعَادَ كُلُّهُ ذَهَبًا وَتَرَكَهُ فِي بَيْتِ مُنْفَلٍ وَكَتَبَ كِتَابًا
 إِلَى نُورِ الدِّينِ مَلِكِ دِمَشْقَ بَعْلَهُ بِذَلِكَ وَبَنِيهِ عَلَى بِنَاءِ مَارِسْتَانَ
 لِلرُّضِيِّ مِنَ الْغُرَبَاءِ وَيُوفِّعُ عَلَيْهِ الْأَوْقَافَ وَيُنِي الْأَزْوَاقَ بِالطَّرِيقِ وَرُضِيَ
 أَصْحَابُ النُّحَاسِ وَبُعِطِي صَاحِبُ الْبَيْتِ كِفَايَتَهُ: وَقَالَ لَهُ فِي آخِرِ الْكِتَابِ
 وَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهْمَ قَدْ خَرَجَ عَنْ مُلْكِ خُرَاسَانَ فَأَنَا قَدْ خَرَجْتُ
 مِنْ مُلْكِ الْمَغْرِبِ وَعَنْ هَذِهِ الصُّنْعَةِ وَالسَّلَامُ. وَفَرَّ مِنْ جِيبِهِ وَذَهَبَ
 صَاحِبُ الْبَيْتِ بِالْكِتَابِ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ. فَوَصَلَ الْمَلِكُ إِلَى تِلْكَ
 الْقَرْيَةِ وَأَخْتَمَلَ الذَّهَبَ بَعْدَ أَنْ أَرْضَى أَصْحَابَ النُّحَاسِ وَصَاحِبَ الْبَيْتِ
 وَطَلَّبَ أَبَا يَعْقُوبَ فَلَمْ يَجِدْهُ أَثَرًا وَلَا وَقَعَ لَهُ عَلَى خَبْرِهِ. فَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ
 وَبَنَى الْمَارِسْتَانَ الْمَعْرُوفَ بِاسْمِهِ الَّذِي لَبَسَ فِي الْمَعْمُورِ مِنْهُ
 ثُمَّ وَصَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ طَرَابُلُسَ وَهِيَ إِحْدَى قَوَاعِدِ الشَّامِ. وَبُلْدَانِهَا

الصِّخَامِ. تَخْرَفُهَا الْأَنْهَارُ. وَتَحْتَهَا الْبَسَاتِينُ وَالْأَشْجَارُ. وَتَكْنَفُهَا الْبَحْرُ
 بِمَرَافِقِهِ الْعَمِيمَةِ. وَالْبُرُوحُ بِخَيْرَاتِهِ الْمُقِيمَةِ. وَهِيَ الْأَسْوَاقُ الْعَجِيبَةُ. وَالْمَسَارِحُ
 الْحَصِيبَةُ. وَالْبَحْرُ عَلَى مِيلَيْنِ مِنْهَا وَهِيَ حَدِيثَةُ الْبِنَاءِ. وَأَمَّا طَرَابُلُسُ
 الْقَدِيمَةُ فَكَانَتْ عَلَى ضَفَّةِ الْبَحْرِ وَتَهْلِكُهَا الرُّومُ زَمَانًا. فَلَمَّا اسْتَرْجَعَهَا الْمَلِكُ
 الظَّاهِرُ خَرِبَتْ وَأُتِخِذَتْ هَذِهِ الْحَدِيثَةُ. وَبِهَذِهِ الْمَدِينَةِ نَحْوُ أَرْبَعِينَ مِنْ أُمَّرَاءِ
 الْأَنْرَاقِ وَأَمِيرَهَا طَبْلَانُ الْحَاجِبُ الْمَعْرُوفُ بِمَلِكِ الْأُمَّرَاءِ وَمَسْكَنُهُ مِنْهَا
 بِالْأَنْدَالِ الْمَعْرُوفَةُ بِدَارِ السَّعَادَةِ. وَمِنْ عَوَائِدِهِ أَنْ يَرْكَبَ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ
 وَخَمْسِينَ وَيَرْكَبُ مَعَهُ الْأُمَّرَاءُ وَالْعَسَاكِرُ وَيَخْرُجُ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا
 عَادَ إِلَيْهَا وَقَارَبَ الْوُصُولَ إِلَى مَنْزِلِهِ تَرَجَّلَ الْأُمَّرَاءُ وَنَزَلُوا عَنْ دَوَابِّهِمْ
 وَمَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَدْخُلَ مَنْزِلَهُ وَيَنْصَرِفُونَ. وَتُضْرَبُ الطَّنْبُخَانَةُ عِنْدَ
 دَارِ كُلِّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ بَعْدَ صَلَوةِ الْمَغْرِبِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ وَتُوقَدُ الْمَشَاعِلُ.
 وَمِنْهُمْ كَانَتْ مِنْهَا مِنَ الْأَعْلَامِ كَاتِبُ السَّرِّيَّةِ الْبَاهَاةُ الدِّينُ بْنُ غَانِمٍ أَحَدُ الْفَضَلَاءِ
 الْحَبَسَاءِ الْمَعْرُوفِ بِالسَّخَاءِ وَالْكَرَمِ. وَأَخُوهُ حُسَامُ الدِّينِ هُوَ شَيْخُ الْقُدْسِ
 الشَّرِيفِ وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا وَأَخُوهَا عَلَاءُ الدِّينِ كَاتِبُ السَّرِّيَّةِ بِدِمَشْقَ وَمِنْهُمْ
 وَكَيْلُ بَيْتِ الْمَالِ قِيَامُ الدِّينِ بْنُ مَكِينٍ مِنَ الْكَبِيرِ الرَّجَالِ. وَمِنْهُمْ قَاضِي
 قُضَايَاهَا شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ النَّقِيبِ مِنَ الْأَعْلَامِ عَلَيْهِمُ الشَّامُ. وَبِهَذِهِ الْمَدِينَةِ
 حَمَامَاتُ حِسَانٍ مِنْهَا حَمَامُ الْقَاضِي الْفَرَجِيِّ وَحَمَامُ سَنْدَمُورَ. وَكَانَ سَنْدَمُورُ
 أَمِيرَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَيَذْكَرُ عَنْهُ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ فِي الشِّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الْخِجَابَاتِ مِنْهَا
 أَنَّ أُمَّرَأَةً شَكَّتْ إِلَيْهِ بِأَنَّ أَحَدًا مِمَّا لِيكِهِ الْخَوَاصِ تَعَدَّى عَلَيْهَا فِي لَيْلٍ كَانَتْ
 نَبِيْعُهُ فَشَرِبَهُ وَلَمْ تَكُنْ هَا بَيْنَهُ. فَأَمَرَ بِهِ فَوَسَطَ فَخَرَجَ اللَّبَنُ مِنْ مَضْرَائِهِ.

وَقَدْ اتَّفَقَ مِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ لِلْعُنْرِيْسِ أَحَدِ أُمَّرَأَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَيَّامَ إِمَارَتِهِ
 عَلَى عَيْذَابٍ وَاتَّفَقَ مِثْلُهَا لِلْمَلِكِ كِبِكَ سُلْطَانِ تُرْكَاسْتَانَ
 ثُمَّ سَافَرَتْ مِنْ طَرَابُلُسَ إِلَى حِصْنِ الْأَكْرَادِ وَهُوَ بَلَدٌ صَغِيرٌ كَثِيرُ
 الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ بِأَعْلَى تَلٍّ وَبِهِ زَاوِيَةٌ تُعْرَفُ بِزَاوِيَةِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ نِسْبَةً
 إِلَى بَعْضِ كُبْرَاءِ الْأُمَّرَأَةِ وَنَزَلَتْ عِنْدَ قَاضِيهَا وَلَا أَحَقُّقُ الْآنَ اسْمُهُ. ثُمَّ
 سَافَرَتْ إِلَى مَدِينَةِ حِمَصَ وَبِهِ مَدِينَةٌ مَلِيحَةٌ. أَرْجَاؤُهَا مُوْتِنَةٌ. وَأَشْجَارُهَا
 مُورِقَةٌ. وَأَسْوَاقُهَا فَيْسِجَةُ الشَّوَارِعِ. وَجَامِعُهَا مُتَمِيزٌ بِالْحُسْنِ الْجَمِيعِ.
 وَفِي وَسْطِهَا بَرَكَةٌ مَاءً. وَأَهْلُ حِمَصَ عَرَبٌ لَمْ يَفْضَلْ وَكْرَمٌ وَبِخَارِجِ
 هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَبْرُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ. وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ وَمَسْجِدٌ وَعَلَى الْقَبْرِ
 كِسْوَةٌ سَوْدَاءٌ. وَقَاضِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ جَمَالُ الدِّينِ الشَّرِيفِيِّ مِنْ أَجْمَلِ
 النَّاسِ صُورَةً وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً. ثُمَّ سَافَرَتْ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ حِمَاةٍ أَحَدِ
 أُمَّهَاتِ الشَّامِ الرَّفِيعَةِ. وَمَدَائِنُهَا الْبَدِيعَةِ. ذَاتُ الْحُسْنِ الرَّائِقِ. وَالْجَمَالِ
 الْفَائِقِ. تَعْنُهَا الْبَسَاتِينُ وَالْجَنَاتُ. عَلَيْهَا النَّوَاعِيرُ كَأَلْفِ الْفَلَكَ الدَّائِرَاتِ
 يَشْفُهَا النَّهْرُ الْعَظِيمُ الْمَسْمِيُّ بِالْعَاصِي. وَهَارِ بَضُّ سُمِّيَ بِالْمَنْصُورِيَّةِ أَعْظَمُ
 مِنَ الْمَدِينَةِ فِيهِ الْأَسْوَاقُ الْحَافِلَةُ وَالْحَمَامَاتُ الْحَسَنَةُ. وَبِحِمَاةِ الْقَوَاكِهِ
 الْكَثِيرَةِ وَمِنْهَا الْمَشْمَشُ اللَّوْزِيُّ إِذَا كَسِرَتْ نَوَاتُهُ وَجِدَتْ فِي دَاخِلِهَا
 لَوْزَةٌ حُلُوةٌ

ثُمَّ سَرْنَا إِلَى مَدِينَةِ حَلَبِ الْمَدِينَةِ الْكُبْرَى وَالْقَاعِ الْعَظْمَى. قَالَ أَبُو
 الْحُسَيْنِ ابْنُ جُبَيْرٍ فِي وَصْفِهَا. فَدَرُّهَا خَطِيرٌ. وَذِكْرُهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ
 بِطَيْرٍ. خُطَابُهَا مِنَ الْمَلُوكِ كَثِيرٌ. وَمَحَلُّهَا مِنَ النَّفُوسِ أَثِيرٌ. فَكَمْ هَاجَتْ

مِنْ كِفَاجٍ . وَسُلِّ عَلَيْهِمَا مِنْ بِيضِ الصَّفَاحِ . لَهَا قَلْعَةٌ شَهِيرَةٌ الْأَمْتِنَاعِ .
 بَائِئِنَةُ الْأَرْتِفَاعِ . تَنَزَّهَتْ حَصَانَةٌ أَنْ تُرَامَ أَوْ تُسْتَطَاعَ . مَنُحَوْتُهُ الْأَرْجَاءُ .
 مَوْضُوعَةٌ عَلَى نِسْبَةِ أَعْنِدَالٍ وَاسْتِنَوَاءِ . قَدْ طَاوَلَتْ الْأَيَّامَ وَالْأَعْوَامَ .
 وَشَبِعَتْ الْخَوَاصَّ وَالْعَوَامَ . أَمِنَ أُمْرَاؤُهَا الْمُحْمَدَانِيُونَ وَشُعْرَاؤُهَا .
 فَتَى جَمِيعِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بِنَاؤُهَا . فَيَا عَجَبًا لِلْيَلَادِ تَبَعِي وَيَذْهَبُ أَمْلَاكُهَا .
 وَيَهْلِكُونَ وَلَا يَقْضَى هَلَاكُهَا . وَتُخْطَبُ بَعْدَهُمْ فَلَا يَتَعَدَّرُ إِمْلَاكُهَا .
 وَتُرَامُ فَيَنْتَسِرُ بِأَهْوَنِ شَيْءٍ إِذْرَاكُهَا . هَذِهِ حَلَبٌ كَمْ أَذْخَلَتْ مُلُوكُهَا فِي
 خَبِيرٍ كَانَ . وَتَسَخَّتْ صَرْفَ الزَّمَانِ بِالْمَكَانِ . أُتِيَتْ أَسْمُهَا فَتَحَلَّتْ بِجِلْبَةِ الْعَوَانِ .
 وَدَانَتْ بِالْعُدْرِ فِيمَنْ دَانَ . وَتَحَلَّتْ عَرُوسًا بَعْدَ سَيْفِ دَوْلَتِهَا أَمِينِ
 حَمْدَانَ . هِيَ بَاتَ سَيِّهْرُ شَبَابِهَا . وَيُعَدُّمُ خِطَابِهَا . وَيُسْرِعُ فِيهَا بَعْدَ حِينِ
 خَرَابِهَا . وَقَلْعَةُ حَلَبَ تُسَمَّى الشَّهْبَاءَ . وَيَدَاخِلُهَا جِبَانٌ يَنْبَعُ مِنْهَا الْمَاءُ .
 فَلَا تَخَافُ الظُّلْمَاءَ . وَيُطِيفُ بِهَا سُورَانٌ . وَعَلَيْهَا خَنْدَقٌ عَظِيمٌ يَنْبَعُ مِنْهُ
 الْمَاءُ . وَسُورُهَا مُتَدَانِي الْأَبْرَاجِ . وَقَدْ ائْتَنَطَمَتْ بِهَا الْعَلَالِي الْعَجِيبَةُ
 الْمَفْتَحَةُ الطِّيقَانِ . وَكُلُّ بَرَجٍ مِنْهَا مَسْكُونٌ وَالطَّعَامُ لَا يَتَغَيَّرُ بِهَذِهِ الْقَلْعَةِ
 عَلَى طُولِ الْعَهْدِ . وَبِهَا مَشْهَدٌ يَقْصِدُهُ بَعْضُ النَّاسِ . يُقَالُ إِنَّ الْحَلِيلَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَتَعَبَّدُ بِهِ . وَهَذِهِ الْقَلْعَةُ تُشْبِهُ قَلْعَةَ رَحْبَةَ مَالِكِ بْنِ طَلُوقِ
 النَّبِيِّ عَلَى الْفُرَاتِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ . وَلَهَا قَصْدٌ فَازَانُ طَاغِيَةُ النَّتْرِ
 مَدِينَةَ حَلَبَ حَاصِرُ هَذِهِ الْقَلْعَةِ أَيَّامًا وَنَكَّصَ عَنْهَا خَائِبًا . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ
 وَفِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ يَقُولُ الْمُخَالِدِيُّ شَاعِرُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ
 وَخَرْقَاءُ قَدْ قَامَتْ عَلَى مَنْ بَرُوهُمْهَا يَهْرَقُهَا الْعَالِي وَجَانِبُهَا الصَّعْبِ

يَجْرُ عَلَيْهِمُ الْجَوْجِيبُ غَمَامِهِ وَيَلْبِسُهَا عِفْدًا بِأَنْجِبِهِ الشَّهْبُ
 إِذَا مَا سَرَى بَرَقَ بَدَتْ مِنْ خِلَالِهِ كَمَا لَاحَتْ الْعُدْرَةُ مِنْ خِلَالِ الشَّحْبِ
 فَكَمْ مِنْ جُنُودٍ قَدْ أَمَاتَتْ بَغْضَةَ وَذِي سَطَوَاتٍ قَدْ أَبَانَتْ عَلَى عَقَبِ
 رَجَعٍ وَيُقَالُ فِي مَدِينَةِ حَلَبٍ حَلَبٌ إِبْرَاهِيمَ لِأَنَّ الْخَلِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
 وَسَلَامُهُ كَانَ يَسْكُنُهَا وَكَانَتْ لَهُ الْغَنَمُ الْكَثِيرَةُ فَكَانَ يَسْفِي الْفُقَرَاءَ
 وَالْمَسَاكِينَ وَالْوَارِدَ وَالصَّادِرَ مِنَ الْبَانِيَا. فَكَانُوا يَجْنِيهِونَ وَيَسْأَلُونَ
 حَلَبَ إِبْرَاهِيمَ فَسَبَّتَ بِذَلِكَ وَهِيَ مِنْ أَعْرَ الْبِلَادِ الَّتِي لَا تَنْظِرُهَا فِي
 حُسْنِ الْوَضْعِ وَالنِّقَانِ التَّرْتِيبِ وَاتِّسَاعِ الْأَسْوَاقِ وَانْتِظَامِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ.
 وَأَسْوَاقُهَا مُسْتَقْفَةٌ بِالْحَشْبِ. فَأَهْلُهَا دَائِمًا فِي ظِلِّ مَهْدُودٍ. وَقَبَسَارِيهَا
 لِأَنَّهَا نُلُّ حُسْنًا وَكِبْرًا وَهِيَ تُحِيطُ بِمَسْجِدِهَا. وَكُلُّ سِطَاطٍ مِنْهَا يُحَادِي لِيَابَ
 مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ. وَمَسْجِدُهَا الْجَمَاعُ مِنْ أَجْلِ الْمَسَاجِدِ. فِي صَحْنِهِ بَرَكَةٌ
 مَاءٌ وَيُطِيفُ بِهِ بِالْأَطْعَمِ الْإِتْسَاعِ. وَمِنْبَرُهَا بَدِيعُ الْعَمَلِ. مَرْصَعٌ
 بِالْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ. وَيُقْرَبُ جَامِعُهَا مَدْرَسَةٌ مُنَاسِبَةٌ لَهُ فِي حُسْنِ الْوَضْعِ
 وَالنِّقَانِ الصَّنْعَةِ تُسَبُّ لِأَمْرَاءِ بَنِي حَمْدَانَ. وَبِالْبَلَدِ سِوَاهَا ثَلَاثُ مَدَارِسَ
 وَبِهَا مَارِسْتَانٌ. وَأَمَّا خَارِجُ الْمَدِينَةِ فَهُوَ بَسِيطٌ أَفْجِحٌ عَرِيضٌ بِهِ الْمَزَارِعُ
 الْعَظِيمَةُ وَشَجَرَاتُ الْأَعْنَابِ مُنْتَظِمَةٌ. وَالْبَسَاتِينُ عَلَى شَاطِئِ نَهْرِهَا.
 وَهُوَ النَّهْرُ الَّذِي يَهْرُ بِحِمَاةٍ وَيُسَمَّى الْعَاصِي. وَقِيلَ إِنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ
 يُجْبَلُ لِتَظَاهِرِ أَنْ جَرِيَانَهُ مِنْ أَسْفَلِ إِلَى عَلْوٍ. وَالنَّفْسُ تُجَدُّ فِي خَارِجِ
 مَدِينَةِ حَلَبٍ أَنْشَرَا حَاوِسْرُورًا وَنَشَاطًا لَا يَكُونُ فِي سِوَاهَا وَهِيَ مِنْ
 الْمَدِينِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ. قَالَ ابْنُ جَزِيِّ أَطْنَبَتِ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ

مَحْسِنِ حَلَبَ وَذَكَرَ دَاخِلَهَا وَخَارِجَهَا . وَفِيهَا يَقُولُ أَبُو عِبَادَةَ الْبُخَيْرِيُّ
 يَا بَرَقُ أَسْفِرْ عَن فَوْقِي مَطَالِي حَلَبُ فَأَعْلَى النَّصْرِ مِنْ بَطْيَاسِ
 عَن مَنبَتِ الْوَرْدِ الْمَعْصِرِ صَبْغُهُ فِي كُلِّ ضَاحِيَةٍ وَمَجْحَى الْأَسْرِ
 أَرْضُ إِذَا اسْتَوْحَشْتُمْ بِتَذْكَرِ حَشَدَتْ عَلَيَّ فَأَكْثَرَتْ إِيْنَايِي
 وَقَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ الْمَجِيدُ أَبُو بَكْرٍ الصَّنَوْبَرِيُّ

سَقَى حَلَبُ الْمُهْرَ مَغْفَى حَلَبُ فَكَمْ وَصَلَتْ طَرَبًا بِالطَّرَبِ
 وَكَمْ مُسْتَطَابٍ مِنَ الْعَيْشِ لَدَّهَا إِذَا بِهَا الْعَيْشُ لَمْ يُسْتَطَبْ
 إِذَا نَشَرَ الزَّهْرُ أَعْلَامَهُ بِهَا وَمَطَارْفُهُ وَالْعَذَبُ
 غَدَا وَحَوَاشِيهِ مِنْ فِضَّةٍ تَرُوقُ وَأَوْسَاطُهُ مِنْ ذَعَبِ
 ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى جَبَلِ لُبْنَانَ وَهُوَ مِنْ أَحْصَبِ جِبَالِ الدُّنْيَا . فِيهِ أَصْنَافُ
 النَّوَاكِبِ وَعُيُونُ الْمَاءِ وَالظَّلَالُ الْوَاقِعُ . وَلَا يَجْلُو مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ
 تَعَالَى وَالزُّهَادِ وَالصَّالِحِينَ وَهُوَ شَهِيرٌ بِذَلِكَ . وَرَأَيْتُ بِهِ جَمَاعَةً مِنَ
 الصَّالِحِينَ قَدِ انْقَطَعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ لَمَّا يَشْتَهَرُ اسْمُهُ

حِكَايَةٌ

أَخْبَرَنِي بَعْضُ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَقِينَهُمْ بِهِ قَالَ : كُنَّا بِهَذَا الْجَبَلِ مَعَ
 جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ أَيَّامَ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ . فَأَوْقَدْنَا نَارًا عَظِيمَةً وَأَحْدَقْنَا بِهَا
 فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ بَصُحْ لِهَذِهِ النَّارِ مَا يُشَوِّسُ فِيهَا : فَقَالَ أَحَدُ
 الْفُقَرَاءِ مِنْ تَزَدَّرِيهِ الْأَعْيُنُ وَلَا يُوبَهُ بِهِ . إِنِّي كُنْتُ عِنْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ
 يَتَعَبَّدُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدِّهِمْ فَرَأَيْتُ يَهْفَرِيهِ مِنْهُ حِجَارٌ وَحَشِي قَدْ أَحْدَقَ
 النَّارُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَظْنُهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَاتِ فَلَوْ دَهَبَتْ إِلَيْهِ لَقَدَّرْتُمْ

عَلَيْهِ وَشَوَيْتُمْ لَحْمَهُ فِي هَذِهِ النَّارِ . قَالَ فَفُئِمْنَا إِلَيْهِ فِي خَمْسَةِ رِجَالٍ فَأَلْقَيْنَاهُ
 كَمَا وَصَفَ إِلَيْنَا . فَقبَضْنَاهُ وَأَتَيْنَاهُ أَصْحَابَنَا وَذَبَحْنَاهُ وَأَشْوَيْنَا لَحْمَهُ فِي
 تِلْكَ النَّارِ وَطَلَبْنَا الْفَقِيرَ الَّذِي نَبِهَ عَلَيْهِ فَلَمْ نَجِدْهُ وَلَا وَقَعْنَا لَهُ عَلَى آثَرِ
 فَطَالَ عَجْبَانِيَهُ

ثُمَّ وَصَلْنَا مِنْ جَبَلِ لُبْنَانَ إِلَى مَدِينَةِ بَعْلَبَك . وَهِيَ حَسَنَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ
 أَطْيَبِ مَدَنِ الشَّامِ . نُحْدِقُ بِهَا الْبَسَاتِينَ الشَّرِيفَةَ . وَالْجَنَاتُ الْمُهَيَّبَةَ .
 وَتُحْتَرِقُ أَرْضَهَا لِأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ . وَتُضَاهِي دِمَشْقَ فِي خَيْرَاتِهَا الْمَتْنَاهِيَةِ .
 وَبِهَا مِنْ حَبِّ الْمَلُوكِ مَا لَيْسَ فِي سِوَاهَا . وَبِهَا يُصْنَعُ الدِّبْسُ الْمُنْسُوبُ
 إِلَيْهَا وَهُوَ تَوْعٌ مِنَ الرُّبِّ يُصْنَعُونَهُ مِنَ الْعِنَبِ . وَلَهُمْ تَرْبَةٌ يُصْعُونَهَا فِيهِ
 فَيَجْعَدُونَ تَكْسُرُ الْقَلَّةُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا فَيَبْقَى قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَتُصْنَعُ مِنْهُ الْحَلَوَاءُ
 وَيُجْعَلُ فِيهَا الْفُسْتُقُ وَاللُّوزُ وَيُسَمُّونَ حَلَوَاءَهُ بِالْمَلْبَنِ . وَهِيَ كَثِيرَةٌ
 الْأَلْبَانِ وَتُجَلَّبُ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ يَوْمٌ لِلْحَجْدِ . وَأَمَّا الرِّفَاقُ
 فَيُخْرَجُونَ مِنْ بَعْلَبَكُ فَيَبْتَغُونَ بَيْلَدَةَ صَغِيرَةً تَعْرِفُ بِالزُّبْدَانِي كَثِيرَةٌ
 الْقَوَاكِبِ وَيَغْدُونَ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ . وَيُصْنَعُ بِبَعْلَبَكُ الثِّيَابُ الْمُنْسُوبَةُ
 إِلَيْهَا مِنَ الْأَحْرَامِ وَغَيْرِهَا وَيُصْنَعُ بِهَا أَوَانِي الخَشَبِ وَمَلَاعِقُهُ الَّتِي لَا تُظَاهِرُ
 لَهَا فِي الْبِلَادِ وَهُمْ يُسَمُّونَ الصِّحَافَ بِالذُّسُوتِ وَرَبِّهَا صَنَعُوا الصِّحْفَةَ وَصَنَعُوا
 صَحْفَةً أُخْرَى تَسَعُ فِي جَوْفِهَا وَأُخْرَى فِي جَوْفِهَا إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا الْعَشْرَةَ
 يُجَلِّبُ لِرَأْيِهَا أَنَّهَا صَحْفَةٌ وَاحِدَةٌ . وَكَذَلِكَ الْمَلَاعِقُ يُصْنَعُونَ مِنْهَا عَشْرَةَ
 وَاحِدَةً فِي جَوْفِ وَاحِدَةٍ وَيُصْنَعُونَ لَهَا غِشَاءً مِنْ جِلْدٍ وَيَهْسِكُهَا الرَّجُلُ
 فِي جِزَائِهِ . وَإِذَا حَضَرَ طَعَامًا مَعَ أَصْحَابِهِ أَخْرَجَ ذَلِكَ فَيَبْظُنُّ رَأْيَهُ أَنَّهَا

مِلْعَنَةٌ وَاحِدَةٌ . ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْ جَوْفِهَا تَسْعًا
 وَكَانَ دُخُولِي لِبَعْلِكَ عَشِيَّةَ النَّهَارِ وَخَرَجْتُ مِنْهَا بِالْغَدْوِ لِفَرَطِ
 اسْتِيَابِي إِلَى دِمَشْقَ وَوَصَلْتُ يَوْمَ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
 عَامَ سِتِّهِ وَعِشْرِينَ إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْقِ الشَّامِ . فَتَزَلْتُ مِنْهَا بِمَدْرَسَةِ
 الْمَالِكِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالشَّرَابِشِيَّةِ . وَدِمَشْقُ هِيَ الَّتِي تَفْضُلُ جَمِيعَ الْبِلَادِ حُسْنًا
 وَتَتَقَدَّمُهَا جَمَالًا وَكُلُّ وَصْفٍ وَإِنْ طَالَ فَهُوَ قَاصِرٌ عَنْ مَحَاسِنِهَا . وَلَا أَبْدَعَ
 مِمَّا قَالَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ جَبْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذِكْرِهَا قَالَ . وَأَمَّا
 دِمَشْقُ فَهِيَ جَنَّةُ الْمَشْرِقِ . وَمَطْلَعُ نُورِهَا الْمَشْرِقُ . وَخَاتَمَةُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ .
 الَّتِي اسْتَفْرَيْنَاهَا . وَعَرُوسُ الْمُدُنِ الَّتِي اجْتَلَيْنَاهَا . قَدْ تَحَلَّتْ بِأَزَاهِيرِ
 الرَّيَاحِينِ . وَتَحَلَّتْ فِي حُلِيِّ سُنْدُسِيَّةٍ مِنَ الْبَسَاتِينِ . وَحَلَّتْ مِنْ مَوْضِعِ
 الْحُسْنِ بِالْمَكَانِ الْمَكِينِ . وَتَزَيَّنَتْ فِي مَنْصَبِهَا أَجْمَلَ تَزْيِينٍ . وَتَشَرَّفَتْ بِأَنْ
 أَوْى أَسْبَحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأُمُّهُ مِنْهَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ . ظِلٌّ
 ظَلِيلٌ . وَمَاءٌ سَلْسَبِيلٌ . تَنْسَابُ مَذَانِيهِ أَنْسَابَ الْأَرَاغِمِ بِكُلِّ سَبِيلٍ .
 وَرِيَاضٌ بِحُجِّي النُّفُوسِ نَسِيمَهَا الْعَلِيلُ . وَقَدْ سَهَتِ أَرْضُهَا كَثْرَةَ الْمَاءِ
 حَتَّى اسْتَأْفَتْ إِلَى الظُّمَاءِ . فَتَكَادُ تُنَادِيكَ بِهَا الصَّمُّ الصَّلَابُ . أَرَكُضُ
 بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَقَدْ أَحْدَقَتِ الْبَسَاتِينُ بِهَا إِحْدَاقَ
 أَهْلِهَا بِالْقَمَرِ . وَالْأَكْهَامِ بِالشَّهْرِ . وَأَمْتَدَّتْ بِشَرَفِهَا غُوطِنَهَا الْحَضْرَاءُ
 أَمْتِدَادَ الْبَصْرِ . وَكُلُّ مَوْضِعٍ لَحِظَتْ بِجِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ نَضْرَتُهُ الْبَانِعَةُ قَيْدُ
 النَّظَرِ . وَلِلَّهِ صِدْقُ الْقَائِلِينَ عَنْهَا . إِنْ كَانَتْ الْجَنَّةُ فِي الْأَرْضِ قَدِمْشَقُ
 لَا شَكَّ فِيهَا . وَإِنْ كَانَتْ فِي السَّمَاءِ فِي نُسَامِيهَا وَتُحَاذِيهَا . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ

وَقَدْ نَظَمَ بَعْضُ شُعْرَائِهَا فِي هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ

إِنْ تَكُنْ جَنَّةُ الْخُلُودِ بِأَرْضٍ فِدِمَشْقَ وَلَا تَكُونُ سِوَاهَا

إِنْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ فَمَيَّ عَلَيْهَا فَذَا بَدَّتْ هَوَاهَا وَهَوَاهَا

وَذَكَرَهَا شَيْخُنَا الْمُحَدِّثُ الرَّحَالُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ

جَابِرِ بْنِ حَسَّانِ الْقَيْسِيِّ الْوَادِيَّيَّ الْأَشَّيَّ نَزِيلُ ثُوْنَسَ وَنَصَّ كَلَامَ أَبِي

جَبْرِ. ثُمَّ قَالَ وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا وَصَفَ مِنْهَا وَأَجَادَ. وَتَوَقَّ الْأَنْفُسَ

لِلتَّطَلُّعِ عَلَى صُورَتِهَا بِهَا أَفَادَ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بِهَا إِقَامَةٌ. فَيُعْرَبُ عَنْهَا

بِحَقِيقَةِ عِلْمَةٍ. وَلَا وَصَفَ ذَهَبَاتٍ أُصِيلِهَا. وَقَدْ حَانَ مِنَ الشَّمْسِ

غُرُوبُهَا. وَلَا أَزْمَانَ جُفُولِهَا الْمُنَوَّعَاتِ. وَلَا أَوْقَاتَ سُورِهَا الْمُنْبَهَاتِ.

وَقَدْ أَخْصَصَ مَنْ قَالَ الْفَيْتِهَا كَمَا تَصِفُ الْأَلْسُنُ. وَفِيهَا مَا تَشْبِهُهُ الْأَنْفُسُ

وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ. قَالَ أَبُو جَزِيٍّ وَالَّذِي قَالَتْهُ الشُّعْرَاءُ فِي وَصْفِ مُحَاسِنِ

دِمَشْقَ لَا يُبْحَصِرُ كَثْرَةً. وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ فِي

وَضْعِهَا هَذِهِ الْأَيَّاتُ وَهِيَ لِشَرَفِ الدِّينِ بْنِ مُحْسِنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

دِمَشْقُ بِي شَوْقٍ إِلَيْهَا مَبْرُحٌ وَإِنْ لَجَّ وَأَسِ أَوْ أَحْمَحَ عَدْوُلُ

بِلَادِهَا الْحُصْبَاءُ دُرٌّ وَتُرْبُهَا عَيْبَرٌ وَأَنْفَاسُ الشَّمَالِ شَمُولُ

تَسْلَسُلُ فِيهَا مَا وَهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ وَصَحَّ نَسِيمُ الرُّوضِ وَهُوَ عَلِيلُ

وَهَذَا مِنَ النَّهْطِ الْعَالِي مِنَ الشُّعْرِ. وَقَالَ فِيهَا عَرَفَلَةُ الدِّمَشْقِيُّ الْكَلْبِيُّ

الشَّامُ شَامَةٌ وَجَنَّةُ الدُّنْيَا كَمَا إِنْسَانُ مُفْلَتِهَا الْعَضِيضَةُ جِلْقُ

مِنْ أَسِيهَا لَكَ جَنَّةٌ لَا تَنْقِضِي وَمِنْ الشَّقِيقِ جَهَنَّمُ لَا تَحْرِقُ

وَلَهُ فِيهَا أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ سِوَى ذَلِكَ. وَقَالَ فِيهَا أَبُو الْوَحْشِ سَبْعُ بَنٍ

خَلْقِ الْأَسَدِيِّ

سَقَى دِمَشْقَ اللَّهِ غَيْثًا مُحْسِنًا مِنْ مُسْتَهْلٍ دِبَبَةٍ دِهَافِيهَا
مَدِينَةٌ لَيْسَ بِيضَاهِي حُسْنُهَا فِي سَائِرِ الدُّنْيَا وَلَا آفَاقِهَا
تَوَدُّ زَوْرَاةَ الْعِرَاقِ أَنَّهَا مِنْهَا وَلَا نَعَزَّةَ إِلَى عِرَاقِهَا
فَارِضَهَا مِثْلُ السَّمَاءِ بَفَجَّةٍ وَزَهْرُهَا كَالزُّهْرِ فِي إِشْرَاقِهَا
نَسِيمُ رَوْضِهَا مَتَى مَا قَدَّ سَرَى فَكَّ أَخَا الْهَمُومِ مِنْ وَثَاقِهَا
قَدَّ رَتَعَ الرَّبِيعُ فِي رُبُوعِهَا وَسَبَقَتْ الدُّنْيَا إِلَى أَسْوَاقِهَا
لَا تَسَامُ الْعَيْونُ وَالْأُنُوفُ مِنْ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا وَلَا أَسْتِنْشَاقِهَا

انتهى المنقول من ابن بطوطة



مِنْ كِتَابِ
عَجَائِبِ الْخُلُوقَاتِ وَغَرَائِبِ الْمَوْجُودَاتِ لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ
مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْقَزْوِينِيِّ

النَّظَرُ فِي الْكَائِنَاتِ وَهِيَ الْأَجْسَامُ الْمُتَوَلِّدَةُ مِنَ الْأَمَّاتِ

فَنَقُولُ الْأَجْسَامُ الْمُتَوَلِّدَةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ نَائِمَةً أَوْ غَيْرَ نَائِمَةٍ فَإِنْ لَمْ
تَكُنْ نَائِمَةً فِيهِ الْمَعْدِنِيَّاتُ وَإِنْ كَانَتْ نَائِمَةً فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ لَهَا قُوَّةُ الْحِسِّ
وَالْحَرَكَةِ أَوْ لَمْ تَكُنْ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ النَّبَاتُ وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ الْحَيَوَانَاتُ
وَزَعَمُوا أَنَّ أَوَّلَ مَا تَسْتَحِيلُ إِلَيْهِ الْأَرْكَانُ الْأَلْبَحْرَةُ وَالْعَصَارَاتُ وَالْبَخَارُ مَا
يَصْعَدُ مِنَ لَطَائِفِ مِيَاهِ الْبَحْرِ وَالْأَجَامِ وَالْأَنْهَارِ مِنْ تَسْخِينِ الشَّمْسِ
وَالْعَصَارَاتُ مَا يَجَلَّبُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ مِنْ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ وَتَخْتَلِطُ
بِالْأَجْزَاءِ الْأَرْضِيَّةِ وَتَغْلُظُ وَتُنْفِجُهَا الْحَرَارَةُ الْمُسْتَبْطِنَةُ فِي عُمُقِ الْأَرْضِ
فَتَصِيرُهَا مَادَّةً لِلْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَأَنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا
بِالْبَعْضِ بِتَرْتِيبٍ عَجِيبٍ وَنِظَامٍ بَدِيعٍ تَعَالَى صَانِعُهَا عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ
وَالْمُجَادِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَأَوَّلُ مَرَاتِبِ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ تُرَابٌ وَآخِرُهَا
نَفْسٌ مُلَكِّيَّةٌ طَاهِرَةٌ فَإِنَّ الْمَعَادِنَ مُتَّصِلَةٌ أَوَّلُهَا بِالتُّرَابِ أَوْ الْمَاءِ وَآخِرُهَا
بِالنَّبَاتِ. وَالنَّبَاتُ مُتَّصِلٌ أَوَّلُهُ بِالْمَعَادِنِ وَآخِرُهُ بِالْحَيَوَانِ. وَالْحَيَوَانُ
مُتَّصِلٌ أَوَّلُهُ بِالنَّبَاتِ وَآخِرُهُ بِالْإِنْسَانِ. وَالنَّفُوسُ الْإِنْسَانِيَّةُ مُتَّصِلَةٌ

أُولَئِكَ بِأَمْحُورٍ وَأَخْرَجَهَا بِالنُّفُوسِ الْمَلَكِيَّةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
النَّظْرَ الْأَوَّلُ فِي الْمَعْدِنَاتِ

الْمَعْدِنَاتُ هِيَ أَجْسَامٌ مُتَوَلِّدَةٌ مِنَ الْأَجْرَةِ وَالْأَذْحَنَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ
إِذَا أَخْتَلَطَتْ عَلَى ضُرُوبٍ مِنَ الْأَخْتِلَاطَاتِ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْكَمِّ وَالْكَيفِ
وَهِيَ إِمَّا قَوِيَّةُ التَّرْكِيبِ أَوْ ضَعِيفَةُ التَّرْكِيبِ. وَقَوِيَّةُ التَّرْكِيبِ إِمَّا أَنْ
تَكُونَ مُتَطَرِّقَةً أَوْ لَمْ تَكُنْ وَالْمُتَطَرِّقَةُ هِيَ الْأَجْسَادُ السَّبْعَةُ. أَعْنِي الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَالنَّحَاسَ وَالرَّصَاصَ وَالْحَدِيدَ وَالْأَسْرَبَ وَالْمُحَارَ صَبِيحًا. وَالَّتِي
لَا تَكُونُ مُتَطَرِّقَةً فَفَقَدْ تَكُونُ فِي غَايَةِ اللَّيْنِ كَالزُّبَيْقِ وَقَدْ تَكُونُ فِي غَايَةِ
الصَّلَابَةِ كَالْيَاقُوتِ. وَضَعِيفَةُ التَّرْكِيبِ قَدْ تَخَلُّ بِالرُّطُوبَاتِ وَهِيَ الْأَجْسَامُ
الْمَلِيحِيَّةُ كَالزَّاجِ وَالنُّوْشَادِرِ وَقَدْ لَا تَخَلُّ بِهَا وَهِيَ الْأَجْسَامُ الذَّمْنِيَّةُ
كَالزَّرْنِجِ وَالْكَبْرِيتِ

وَالْأَجْسَادُ السَّبْعَةُ إِمَّا تَتَوَلَّدُ مِنْ أَخْتِلَاطِ الزُّبَيْقِ بِالْكَبْرِيتِ عَلَى
أَخْتِلَافٍ فِي الْكَمِّ وَالْكَيفِ. وَالزُّبَيْقُ يَتَوَلَّدُ مِنْ أَجْزَاءِ مَا يَبِيءُ أَخْتَلَطَتْ
بِأَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ لَطِيفَةٍ كَبْرِيتِيَّةٍ. وَالْكَبْرِيتُ لَطِيفٌ يَتَوَلَّدُ مِنْ أَجْزَاءِ مَا يَبِيءُ
وَهوَائِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ تُنْفِجُهَا حَرَارَةُ قَوِيَّةٌ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الدُّهْنِ. وَأَمَّا
الْأَجْسَادُ الصَّلْبَةُ الشَّقَافَةُ فَتَتَوَلَّدُ مِنْ مِيَاهِ عَذْبَةٍ وَقَعَتْ فِي مَعَادِنِهَا
الْمِحَارَةُ الصَّلْدَةُ زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى غَلِظَتْ وَصَفَتْ وَأَنْفَجَتْهَا حَرَارَةُ
الْمَعْدِنِ بِطُولِ وَقُوفِهَا. وَأَمَّا غَيْرُ الشَّقَافَةِ فَمِنْ أَمْتِزَاجِ الْمَاءِ بِالطِّينِ إِذَا
كَانَتْ فِيهِ لُزُوجَةٌ وَأَثَرَتْ فِيهِ حَرَارَةُ الشَّمْسِ بِهَدَفِ طَوِيلَةٍ. وَأَمَّا الْأَجْسَامُ
الَّتِي تَخَلُّ بِالرُّطُوبَاتِ فَمِنْ مَاءٍ مُخْتَلِطٍ بِأَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ مُخْتَرِقَةٍ بِأَيْسَةٍ

أَخْتَلَطًا شَدِيدًا. وَأَمَّا الْأَجْسَامُ الدَّهْنِيَّةُ فَمِنْ الرُّطُوبَاتِ الْمُحْتَفِنَةِ فِي
بَاطِنِ الْأَرْضِ إِذَا أَحْتَوَتْ عَلَيْهَا حَرَارَةُ الْمَعْدِنِ حَتَّى تَحَلَّتْ وَلَطْفَتْ
وَأَخْتَلَطَتْ بِزُرِّيَةِ الْفَاعِ وَحَرَارَةِ الْمَعْدِنِ دَائِمًا فِي نُضِجِهَا وَطَبْخِهَا حَتَّى
تَزْدَادَ غِلْظًا وَصَارَتْ مِثْلَ الدَّهْنِ

النَّظَرُ الثَّانِي فِي النَّبَاتِ

النَّبَاتُ مَتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْمَعَادِنِ وَالْحَيَوَانَاتِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ نَقْصَانِ
الْجَمَادِيَّةِ الصَّرْفَةِ الَّتِي لِلْمَعَادِنِ وَغَيْرُهَا وَاصِلٌ إِلَى كَمَالِ الْحَيَاةِ وَالْحَرَكَةِ
الَّتَيْنِ أَخْصَصَ بِهِمَا الْحَيَوَانَاتُ. لَكِنَّهُ يُشَارِكُ الْحَيَوَانَاتِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ لِأَنَّ
الْبَارِيَّ تَعَالَى يَخْلُقُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَلَاتِ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهَا فِي بَقَاءِ ذَاتِهِ
وَنَوْعِهِ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ ثِقَلًا وَكَلَّا عَلَيْهِ لَا يَخْلُقُهُ وَلَا حَاجَةَ لِلنَّبَاتِ
إِلَى الْحَيَاةِ وَالْحَرَكَةِ بِخِلَافِ الْحَيَوَانَاتِ

وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الْبَارِيَّ تَعَالَى أَنَّ الْحَبَّ وَالنَّوَى إِذَا حَصَلَ فِي تَرْبَةِ
تَدْبِيَّةٍ وَأَصَابَهَا حَرُّ الشَّمْسِ انْشَقَّ وَجَذَبًا بِقُوَّةِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا
الْأَجْزَاءَ اللَّطِيفَةَ الْأَرْضِيَّةَ مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَائِيَّةَ مِنَ الْمَاءِ. ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ
الْأَجْزَاءَ بَنَى أَعْمَارًا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِوِاسِطَةِ قُوَّةِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا حَتَّى
يَصِيرَ الْحَبُّ نَجْمًا بِالْعَادَا عُرُوقٍ وَفِضْبَانٍ وَأُورَاقٍ وَأَزْهَارٍ وَحَبِّ النَّوَى
شَجَرًا عَظِيمًا ذَا عُرُوقٍ وَسَاقٍ وَأَغْصَانٍ وَأُورَاقٍ وَشَعْرِقٍ. وَالنَّبَاتُ فِيمَا
شَجَرٌ وَنَجْمٌ

٠ ١٠ ٠
الفِئْمُ الْأَوَّلُ
الشَّجَرُ

الشَّجَرُ هُوَ كُلُّ مَالِهِ سَاقٌ مِنَ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارُ الْعِظَامُ بِمِثَالِهَا الْحَيَوَانَاتُ
الْعِظَامُ وَالنُّجُومُ بِمِثَالِهَا الْحَيَوَانَاتُ الصَّغَارُ وَالْأَشْجَارُ الْعِظَامُ لَا تُبْرَهُنَّ
كَالسَّاجِ وَالذُّلْبِ وَالْعَرَعْرِ لِأَنَّ الْمَادَّةَ كُلَّهَا صُرِفَتْ إِلَى نَفْسِ الشَّجَرِ وَلَا
كَذَلِكَ الْأَشْجَارُ الشَّيْءُ فَإِنَّ مَادَّتَهَا صُرِفَتْ إِلَى الشَّجَرِ وَالشَّمْرِ وَبِشِبْهِ
حَالِهَا حَالَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِنَ الْحَيَوَانِ فَإِنَّ الذُّكْرَانَ أَعْظَمُ بَدَنًا
مِنَ الْإِنَاثِ لِأَنَّ بَعْضَ مَوَادِّ الْإِنَاثِ يُصْرَفُ إِلَى الْأَجِنَّةِ

وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ الْبَارِي تَعَالَى خَلَقَ الْأَوْرَاقَ عَلَى الْأَشْجَارِ زِينَةً لَهَا
وَوَقَايَةً لِثَمَرِهَا مِنْ نِكَايَةِ الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مُرْتَفِعَةً
عَنِ الثَّمَارِ مُتَفَرِّقَةً بَعْضَ التَّفَرُّقِ لَا مُتَكَائِفَةً عَلَيْهَا وَلَا بَعِيدَةً عَنْهَا لِتَأْخُذَ
الثَّمَارُ مِنَ النَّسِيمِ تَارَةً وَمِنَ الشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى. فَلَوْ تَكَائَفَتْ عَلَيْهَا حَتَّى
مَنْعَهَا إِصَابَةَ النَّسِيمِ وَشِعَاعِ الشَّمْسِ لَبَقِيَتْ عَلَى فِجَاجِهَا غَلِيظَةً أَلْجِدُ
قَلِيلَةً الْمَائِيَّةِ. وَإِذَا سَقَطَ عَنْهَا بَعْضُ الْوَرَقِ أَصَابَهَا الشَّمْسُ وَأَحْرَقَهَا
كَمَا تَرَى فِي الرُّمَانَةِ الَّتِي أَحْتَرَقَ مِنْهَا أَحَدُ الْجَوَانِبِ. ثُمَّ إِذَا فَرَّغَتْ
الثَّمَرَةُ تَنَاقَرَتِ الْأَوْرَاقُ حَتَّى لَا تُجَدِّبَ مَائِيَّةُ الشَّجَرِ فَتَضَعُفَ قُوَّتُهَا كَمَا
تَرَى فِي الْحَيَوَانِ فَإِنَّ الْأُمَّ تَضَعُفُ مِنْ إِرْضَاعِ أَوْلَادِهَا

وَلَنَذْكُرُ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِوَاحِدٍ وَآخَرَ مِنَ الْأَشْجَارِ مُرْتَبَةً عَلَى
الْمُعْجَمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

ذُلْبٌ. مِنْ أَعْظَمِ الْأَشْجَارِ وَأَعْلَاهَا وَأَبْغَاهَا إِذَا طَالَتْ مُدَّتُهَا تَقَتَّتْ

جوفها ويبقى ساقها محرقا وورقها تهرب منه الخنافس وبعض الطيور
تجعلها في أوكارها لدفع الخنافس فإنها تموت منها وإذا غسِلَ وطبخ
وضمد به حبس النوازل عن العين. فشرها مطبوخا بالخل ينفع من حرق
النار ووجع الأسنان. ثمرة يقال لها جوز السير ومع الشمم ضادا جيدا
لنفس الهوام.

فلفل. شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى ميلار وهي شجرة عالية
لا يزول الماء من تحتها فإذا هبت الرياح تساقطت حبوبها على وجه
الماء فتجمع منه ولذلك فسحة وهي شجرة حرة لا ملك لأحد فيها
وحملها عليها شتاء وصيفا وهو عنافيد. فإذا حيت الشمس عليها انطبقت
على عنقود منها أوراق حتى لا يحترق بالشمس فإذا زالت الشمس عنها
زالت الأوراق عن العنافيد لينال النسيم. وذكر من رآها أن شجرتها
مثل شجرة الرمان وبين الورقتين شراخان منظومان بالفلفل وشراخه
في طول الإصبع. قال جالينوس أول ما تطلع ثمرتها تكون دار
فلفل ثم تنفصل عن حبي يكون هو الفلفل

قرنفل. شجرة تنبت في بعض جزائر الهند ثمرة كالباسمين إلا
أنها أشد سوادا. وذكروا أن أهل تلك الجزير لا يخرجونها إلا مطبوخة
لئلا تنبت في غيرها من البلاد

نارجيل. هو الجوز الهندي زعم أهل الحجاز أن شجرة النارجيل هي
المفل لكنها اشتهرت نارجيلا لطباع النرية والأهوية. على ثمرتها ليف
يتخذ منه الحبال تستعمل في سفن البحر تصير على الماء طويلا لا تنعفن.

لَبَنُهَا لَدِيدٌ كَثِيرٌ اَلْحَلَاوَةُ إِذَا كَانَ رَطْبًا
نَخْلٌ شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ لَا تُوجَدُ إِلَّا بِبِلَادِ اَلْإِسْلَامِ قَالَ عَمْتُكُمْ اَلنَّخْلَةُ
وَإِنَّمَا سَمَّيَاهَا عَمَّتَنَا لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ عِلِينِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ
نُشْبَةُ اَلْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ اسْتِقَامَةٌ قَدِيمَا وَطُولُهَا وَامْتِنَانُ ذِكْرِهَا عَنْ
أَنْثَاهَا وَأَخِصَاصِهَا بِاللَّفَاحِ . وَلَوْ قُطِعَ رَأْسُهَا هَلَكَتْ . لِطَلْعِهَا غِلَافٌ
كَأَلْمَشِيمَةِ الَّتِي يَكُونُ اَلْوَلَدُ فِيهَا . وَاَلنَّجَارُ الَّذِي عَلَى رَأْسِهَا لَوْ أَصَابَهُ آفَةٌ
هَلَكَتْ اَلنَّخْلَةُ كَهَيْئَةِ مَخِّ اَلْإِنْسَانِ إِذَا أَصَابَهُ آفَةٌ . وَإِذَا قُطِعَ مِنْهَا غُصْنٌ
لَا يَرْجِعُ بِدَلُّهُ كَعْضِ اَلْإِنْسَانِ وَعَلَيْهَا لَيْفٌ كَشَعْرِ يَكُونُ عَلَى اَلْإِنْسَانِ
قَالَ صَاحِبُ اَلْفَلَاحَةِ إِذَا لَمْ يُثْمِرْ شَيْءٌ مِنْ اَلنَّخْلِ يَأْخُذُ رَجُلٌ فَاسًا
وَيَقْرُبُ مِنْهَا وَيَقُولُ لِغَيْرِهِ إِنِّي أُرِيدُ قَطْعَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَنَّهَا لَا تُثْمِرُ .
فَيَقُولُ اَلْآخَرُ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهَا تُثْمِرُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ إِنَّهَا
لَا تَفْعَلُ شَيْئًا وَيَضْرِبُهَا ضَرْبَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ فَيُهْسِكُهُ اَلْآخَرُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ
لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهَا شَجَرَةٌ حَسَنَةٌ وَأَصْبَرُ عَلَيْهَا هَذِهِ السَّنَةَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَافْعَلْ مَا
بَدَا لَكَ . قَالَ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّ اَلشَّجَرَةَ تُثْمِرُ ثَمَرًا كَثِيرًا وَكَذَلِكَ
غَيْرُ اَلنَّخْلِ مِنْ اَلْأَشْجَارِ إِذَا فَعَلَ بِهِ هَذَا فَإِنَّهُ يُثْمِرُ . قَالَ أَيْضًا إِذَا قَارَبْتَ
بَيْنَ ذِكْرَانِ اَلنَّخْلِ وَإِنَائِهَا فَإِنَّهَا تَكْتُمُ حَمَلَهَا لِأَنَّهَا تَسْتَأْنِسُ بِاَلْبُجَاوَرَةِ
وَرُبَّمَا قُطِعَ اَلنَّهْمَانِ اَلذُّكْرَانِ فَلَا تَحْمِلُ شَيْئًا لِغِرَاقِهِ . وَإِذَا غَرَسْتَ
اَلذُّكْرَانَ وَسَطَ اَلْإِنَائِ وَهَبَّتِ اَلرِّيحُ فَخَالَطَتِ اَلْإِنَائِ رَائِحَةَ طَلْعِ
اَلذُّكْرَانِ حَمَلَتْ مِنْ تِلْكَ اَلرَّائِحَةِ كُلُّ أُتْنَى حَوْلَهُ

الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ النَّبَاتِ
النُّجُومُ

الْحَجْمُ كُلُّ نَبَاتٍ لَيْسَ لَهُ سَاقٌ صُلْبٌ مُرْتَفِعٌ مِثْلُ الزُّرُوعِ وَالْبُقُولِ
وَالرَّيَاحِينِ وَالْحَشَائِشِ الْبَرِّيَّةِ وَمِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ الْقُوَّةُ الَّتِي
خَلَقَهَا اللَّهُ فِي نَفْسِ الْحَبِّ فَإِنَّمَا إِذَا وَقَعَتْ فِي الْأَرْضِ جَذَبَتْ بِوَأَسْطَةِ
تِلْكَ الْقُوَّةِ الرُّطُوبَةَ مِنْ نَفْسِ الْأَرْضِ مَا حَوْلَهَا كَمَا تَجَذِبُ شُعْلَةُ النَّارِ
فِي السَّرَاحِ تِلْكَ الرُّطُوبَةَ فَتَعْمَلُ فِيهَا الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةُ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى
حَتَّى تَبْلُغَ كَمَا كَمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى. وَالنُّجُومُ فِي النَّبَاتِ كَالْحَيَوَانَاتِ الصَّغِيرِ
فِي الْحَيَوَانَاتِ الْكَبِيرِ فَكَمَا أَنَّ عِنْدَ شِدَّةِ الْبَرْدِ لَا يَبْقَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي
لَا عِظَمَ لَهَا شَيْءٌ فَكَذَلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا خَشَبٌ صُلْبٌ
شَيْءٌ

وَأَعْلَمُ أَنَّ عُقُولَ الْعُقَلَاءِ مُتَحَيَّرَةٌ فِي أَمْرِ الْحَشَائِشِ وَعَجَائِبِهَا وَأَفْهَامُ
الْأَذْيَكِيَاءِ فَاصِرَةٌ عَنْ ضَبْطِ حَوَاصِهَا وَقَوَائِدِهَا وَكَيْفَ لَامَعَ مَا بَشَاهِدٍ مِنْ
أَخْتِلَافِ صُورِ قِصْبَانِهَا وَأَخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَالْوَاوِيَّاتِ وَعَجِيبِ صُورِ أَوْرَاقِهَا
وَأَزْهَارِهَا. وَكُلُّ لَوْنٍ مِنْهَا يَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ كَالْحُمْرِ مِثْلًا فَإِنَّهَا وَرْدِيَّةٌ
وَأَرْجَوَانِيَّةٌ وَسُوسِيَّةٌ وَشَقَائِئِيَّةٌ وَأَذْرِيوِيَّةٌ وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَعَ أَشْتِرَاكِ
كُلِّهَا فِي الْحُمْرِ. ثُمَّ عَجَائِبُ رَوَاحِيهَا وَمُخَالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ أَشْتِرَاكِ
الْكُلِّ فِي الطَّبِيبِ. ثُمَّ عَجَائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ شَكْلًا
وَوَرَقًا وَعِرْقًا وَزَهْرًا وَلَوْنًا وَطَعْمًا وَرَاحِيَةً وَخَاصِيَّةً بَلْ خَاصِيَّاتٌ
لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَالَّتِي عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفْهُ

كَفَطْرَقَ مِنْ بَحْرِ . وَلْتَذَكُرْ شَيْئًا مِنْ خَوَاصِّهَا مُرْتَبَةً عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

يَيْشُ . نَبَاتٌ يَنْبُتُ بِأَرْضِ الْهِنْدِ نِصْفُ دِرْهَمٍ مِنْهُ سَمٌّ قَاتِلٌ وَعَلَامَتُهُ
 أَنَّهُ يَعْزُضُ لِيَنْ سُقِيَ مِنْهُ جُحُوظُ الْعَيْنِ وَوَرَمُ الشَّفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالذُّوَارُ
 وَالغَشْيُ . وَالسَّمَانِيُّ يَعْتَلِفُ مِنْهُ وَلَا يَضُرُّهُ شَيْئًا وَكَذَلِكَ فَارَةُ الْيَيْشِ وَهُوَ
 حَيَوَانٌ يَسْكُنُ فِي أَصْلِهِ وَيَأْكُلُ مِنْهُ . قَالَ ابْنُ سِينَا إِنَّهُ يُذْهِبُ الْبَرَصَ
 طِلَاقًا وَشُرْبًا وَيَنْفَعُ مِنَ الْجَذَامِ وَهُوَ سَمٌّ قَاتِلٌ يَقْتُلُ مِنْهُ نِصْفُ دِرْهَمٍ
 وَتَرْيَاقُهُ فَارَةُ الْيَيْشِ

دِفْلَى . مِنْهُ بَرِّيٌّ وَنَهْرِيٌّ فَالْبَرِّيُّ وَرَفُهُ كَوَرَقِ الْحَمْفَى بَلْ أَدَقُّ
 وَفِضْبَانُهُ طَوَالٌ مُنْبَسِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ يَنْبُتُ فِي الْحَرَابَاتِ . وَالنَهْرِيُّ عَلَى
 شُطُوطِ الْأَنْهَارِ وَتَنْهَضُ فِضْبَانُهُ عَلَى الْأَرْضِ وَشَوْكُهُ خَفِيفٌ وَوَرَفُهُ
 كَوَرَقِ الْخَلَّافِ وَأَعْلَى سَاقِهِ أَغْلَظٌ مِنْ أَسْفَلِهِ وَفَقَاحُهُ كَالْوَرْدِ الْأَحْمَرِ
 وَثَمَرَتُهُ صُلْبَةٌ مَحْشُوءَةٌ شَيْئًا كَالصُوفِ . قَالَ ابْنُ سِينَا وَرَفُهُ تَهْرَبُ مِنْهُ
 الْبَرَاغِيثُ وَكُلُّهُ يَقْتُلُ آكِلَهُ مِنْ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ

قَالَ بَلْنِيَّاسُ عَلِمَ بَعْضُ الْمَلُوكِ بَعْدُ وَفَصَدَّ فِي عَسْكَرٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ
 فَأَخَذَ مِنَ الشَّعِيرِ وَطَبَخَهُ بِالذِّفْلَى وَتَرَكَهُ حَتَّى جَفَّ وَأَخَذَ الشَّعِيرَ مَعَهُ
 وَخَرَجَ إِلَى وَجْهِ الْعَدُوِّ . فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْعَدُوِّ تَنَحَّى عَنْهُ وَتَرَكَ الْأَثْقَالَ
 وَالْهَيْبَةَ وَالشَّعِيرَ . فَوَرَدَ عَسْكَرَ الْعَدُوِّ وَأَطْلَقُوا دَوَابَّهُمْ فِي الشَّعِيرِ فَهَلَكَتْ
 كُلُّهَا فَكَّرَ عَلَيْهِمْ وَأَسْرَهُمْ

فِتْنَاءٌ . قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ الْفِتْنَاءَ عَلَى صُورَةٍ

شيء من الحيوانات فخذ قالباً للصورة التي أردت وأجعلها فيه وهي
صغيرة وأستوثق منها ربطاً بحيث لا يدخل القلب ریح ولا غبار
فإنها إذا عظمت فيها كانت على صورة القلب الذي جعلتها فيه

النظر الثالث

في الحيوان

أما الحيوان ففي المرتبة الثالثة من الكائنات وأبعد المولدات عن
الأمهات لأن المرتبة الأولى للمعادن وهي باقية على الجمادية لقرابها
من البسائط. والمرتبة الثانية للنبات فإنها متوسطة بين المعادن
لحصول النشء والنمو وقوات المحس والحركة. والمرتبة الثالثة للحيوان
فإنه قد جمع بين النشء والنمو والمحس والحركة. وهذه قوى موجودة
في جميع أفراد الحيوان حتى في الذباب والبعوض

وأما المحس فلأن الله تعالى لها قضي لكل حيوان أمداً معلوماً.
وأن بدان الحيوان متعرضة للآفات المهلكة إياها فافتضت
الحكمة الإلهية لها القوة الإحساسية لتشعر بواسطتها بالهنا في تدفعه
عن نفسها إذا أحست بآلئه. فلو لا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع
إلى أن مات بغتة فجأة من عدم الغذاء وكان إذا نام فأصابه أو
رجله نار لم يكن يحس به حتى ينبيه من نومه فإذا هو بلا يد أو رجل.
وأما الحركة فلأن الحيوان لما كان محتاجاً إلى الغذاء ولم يكن غذاؤه
يحنه في جميع الأوقات افتضت الحكمة الإلهية له آلات الحركة
ليتحرك بها إلى الغذاء. ولو لا هذه القوة واحتاج الحيوان إلى الغذاء ولم

يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ إِلَيْهِ فَاتَّ جُوعًا كَتَجَرَعِ لَا يَجِدُ الْمَاءَ حَتَّى تَجِفَّ وَلَكَانَ
 إِذَا أَصَابَهُ آفَةٌ مِنْ حَرِّ أَوْ غَرِقِي بَقِيَ عَلَى مَكَانِهِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْحَرُّ أَوْ
 الْغَرَقُ

وَلَمَّا كَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ بَعْضُهَا عَدُوًّا لِبَعْضٍ أَفْتَنَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ
 لِكُلِّ حَيَوَانٍ آلَةً يَحْفَظُ بِهَا نَفْسَهُ مِنْ عَدُوِّهِ. فَمِنْهَا مَا يَدْفَعُ الْعَدُوَّ بِالتَّوَقُّفِ
 وَالمَقَاوِمَةِ كَالْفِيلِ وَالتَّجَامُوسِ وَالْأَسَدِ. وَمِنْهَا مَا يَسْلُمُ مِنْ عَدُوِّهِ بِالْفِرَارِ
 فَأُعْطِيَ آلَةَ الْفِرَارِ كَالظُّبْيَاءِ وَالْأَرَانِبِ وَالطُّبُورِ. وَمِنْهَا مَا يَحْفَظُ نَفْسَهُ
 بِالسَّلَاحِ كَالْقَنْدِ وَالسِّهْمِ وَالسُّلْخَنَاءِ. وَمِنْهَا يَحْفَظُ نَفْسَهُ بِحِصْنٍ كَالْفَارِ
 وَالتَّحِيَّةِ وَالتَّهَوَامِ. وَمِنْ مَقْتَضَى الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَنْ خُلِقَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ
 مِنْ الْأَعْضَاءِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ بَقَاؤُهُ ذَاتِهِ وَنَوْعِهِ لِأَزَائِدًا وَلَا نَاقِصًا.
 فَلِذَلِكَ اخْتَلَفَتْ أَشْكَالُهَا وَأَعْضَاؤُهَا وَتَنَوَّعَتْ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً
 وَلِتَذَكَّرَ الْآنَ بَعْضَ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ وَعَجَائِبِهَا وَخَوَاصِهَا

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

النَّوعُ الْأَوَّلُ

الْإِنْسَانُ

إِعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْمُوعٌ مُرَكَّبٌ مِنَ النَّفْسِ وَالتَّبَدَنِ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ
 الْحَيَوَانَاتِ وَخُلَاصَةُ الْخُلُوقَاتِ رَكِبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ رُوحًا
 وَبَدَنًا وَخَصَّصَهُ بِالتَّنْطِقِ وَالتَّعْقِلِ سِرًّا وَعَلَمْنَا وَزَيَّنَ ظَاهِرَهُ بِالتَّحَوُّاسِ
 وَالتَّحْطِ الْأَوْفَى وَبَاطِنَهُ بِالتَّقْوَى مَا هُوَ أَشْرَفُ وَأَقْوَى وَهَبَا لِلنَّفْسِ
 النَّاطِقَةِ الدِّمَاغَ وَأَسْكَنَهُ أَعْلَى مَحَلٍّ وَأَوْفَقَ رُتْبَةً. وَزَيَّنَهُ بِالفِكْرِ وَالتَّذَكُّرِ

وَالْحَفِظُ وَسَاطِعَ عَلَيْهِ الْجَوَاهِرُ الْعَقْلِيَّةُ لَتَكُونَ النَّفْسُ أَمِيرًا وَالْعَقْلُ وَزِيرُهُ
وَالْقَوَى جُنُودُهُ وَالْحِسُّ الْمُشْتَرِكُ بَرِيدُهُ وَالْأَعْضَاءُ خَدَمُهُ وَالْبَدَنُ مَحَلُّ
مَسَاكِنِهِ. وَالْحَوَاسُّ يُسَافِرُونَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي عَالَمِهِمْ وَيَلْتَفِطُونَ
الْأَخْبَارَ الْمُوَافِقَةَ وَالْمُخَالَفَةَ وَيَعْرِضُونَهَا عَلَى الْحِسِّ الْمُشْتَرِكِ الَّذِي هُوَ
وَاسِطَةٌ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْحَوَاسِّ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَعْرِضُهَا عَلَى الْقُوَّةِ
الْعَقْلِيَّةِ تَحْتَارُ مَا يُوَافِقُ وَتَطْرَحُ مَا لَا يُوَافِقُ

فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ قَالُوا الْإِنْسَانُ عَالَمٌ صَغِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَتَغَدَّى وَيَبْنُو
قَالُوا نَبَاتٌ وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَحْسُ وَيَتَحَرَّكُ قَالُوا حَيَوَانٌ وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهُ
يَعْلَمُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ قَالُوا مَلَكٌ فَصَارَ مَجْمَعًا لِهَذِهِ الْمَعَانِي. فَإِذَا صَرَفَ هِمَّتَهُ
إِلَى جِهَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ يَلْتَمِصُ بِهَا. وَإِنْ كَانَ قَدْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى جِهَةٍ
الطَّبِيعِيَّةِ فَيَكُونُ رَضِيًا مِنْ دُنْيَاهُ بِالتَّغْدِي وَتَنْبِيَةِ الْفُضُولِ. وَإِنْ كَانَ
إِلَى الْحَيَوَانِيَّةِ فَيَكُونُ إِمَامًا غَضُوبًا كَسَبَعٍ أَوْ شَيْفًا كَتَيْسٍ أَوْ أَكُولًا كَثُورٍ
أَوْ شَرِّهَا كَحَيْزِرٍ أَوْ ضَرَعًا كَكَلْبٍ أَوْ حَقُودًا كَجَمَلٍ أَوْ مُتَكَبِّرًا كَنَهْرٍ أَوْ
ذَا رَوْعَانَ كَنَعْلَبٍ أَوْ يَجْمَعُ هَذَا كُلَّهُ فَيَكُونُ شَيْطَانًا مَرِيدًا. وَإِنْ كَانَ
صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى الْجِهَةِ الْمَلَائِكِيَّةِ فَيَكُونُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَلَا
يَرْضَى بِالْمَنْزِلِ الْأَسْفَلِ وَالْمَرْبَعِ الْأَدْنَى

النَّظَرُ فِي الْقَوَى

الْقَوَى صِنْفٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِتُدِيرِ الْأَبْدَانَ وَقَوَامِ
مَنَافِعِ أَعْضَائِهَا مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْإِذْرَاكَاتِ فَتُشْبِهُ أَفْعَالَهَا فِيهَا أَفْعَالٌ
صُنَاعَ الْبِلَادِ وَسُكَّانِهَا. فَإِنَّ حَالَ الْبَدَنِ مَعَ الرُّوحِ وَهَذِهِ الْقَوَى تُشْبِهُ

مَدِينَةٍ عَامِرَةٍ بِأَلْيَتِهَا مَا نُوَسَّهَ بِسُكَّانِهَا مَفْتُوحَةٌ الْأَسْوَاقِ مَسْلُوكَةٌ
الطَّرَفَاتِ مُشْتَغِلَةٌ الصَّنَاعِ وَحَالَهُ عِنْدَ النَّوْمِ وَهَدْوِ الْحَوَاسِ وَسُكُونِ
الْحَرَكَاتِ نُشِيَهُ حَالِ الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ إِذَا غُلِقَتْ أَبْوَابُهَا وَتَعَطَّلَتْ صِنَاعُهَا
وَنَامَ أَهْلُهَا

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ الْبَدْنَ كَبَيْتٍ مُنْقَشٍ بِنُقُوشٍ غَرَبِيَّةٍ وَصُورٍ عَجَبِيَّةٍ
وَالْوَانِ مُخْتَلِفَةٍ وَالْقَوَى تِلْكَ النُّفُوشُ وَالصُّورُ وَالنَّفْسُ كَالسِّرَاجِ الَّذِي
يُدَارُ فِي أَطْرَافِ الْبَيْتِ وَبَسَبَبِ وُضُوعِهِ إِلَى أَجْزَاءِ الْبَيْتِ يُرَى
فِي سَفْتِهِ وَحِطَّانِهِ وَقَرَشِهِ عَجَائِبُ تَبْهَرُ فِيهَا بِلَ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا
مِثْلُ الْحَسِّ وَالْعَقْلِ وَالْفَهْمِ وَالْقَوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَالْمَجَالِ وَغَيْرِهَا .
فَإِذَا فَارَقَ النَّفْسَ بَطَلَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا كَمَا أَنَّ الْبَيْتَ عِنْدَ انْطِقَاءِ
السِّرَاجِ لَا يُرَى لِنَلِكِ الصُّورِ وَالنُّفُوشِ أَثَرٌ . وَعَجَائِبُ الْقَوَى خَارِجَةٌ
عَنِ الْفَهْمِ لَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكَرَ بَعْضَ مَا أَذْكَرُكَ أَذْكَاءَ النُّفُوسِ مِنْ
الْحُكْمَاءِ مِنَ الْعَجَائِبِ الْمَوْدُوعَةِ فِي الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْقَوَى
الْقَوَى الظَّاهِرَةِ وَهِيَ الْحَوَاسُ الْخَمْسُ

الْأَوَّلُ حَاسَةُ اللَّمَسِ وَهِيَ قُوَّةٌ مُنْبِثَةٌ فِي جَمِيعِ جِلْدِ الْبَدَنِ يُدْرِكُ
بِهَا مَا يَلَاقِيهِ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ . فَإِنَّهَا أَوَّلُ حَاسَةٍ خُلِقَتْ لِلْحَيَوَانِ حَتَّى إِذَا
مَسَّهُ نَارٌ أَوْ حَدِيدٌ جَارِحٌ يُحْسُ بِهِ فَيَهْرَبُ مِنْهُ وَلَا يَتَّصِرُ حَيَوَانٌ إِلَّا
وَلَهُ هَذَا الْحِسُّ حَتَّى الدُّودَةُ الَّتِي فِي الطِّينِ فَإِنَّهَا إِذَا غُرِزَ فِيهَا إِبْرَةٌ
انْقَبَضَتْ

الثَّانِيَةُ الشَّمُّ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي مُقَدِّمِ الدِّمَاغِ تُدْرِكُ الرِّوَاحَ الَّتِي يُؤَثِّرُ بِهَا

أَهْوَاءُ الْمَتَكِّفِ بِتِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ

الْقَائِلَةُ الْبَصَرُ وَهِيَ قُوَّةٌ مَرْتَبَةٌ فِي عَصَبَةِ مَجْوَفَةٍ فِي الْعَيْنِ تُدْرِكُ
مُحْصُولِ الْأَشْيَاءِ ذَوَاتِ الصُّورِ وَالْأَلْوَانِ. فَإِنَّ الضُّوْءَ إِذَا سَرَعَ فِي
الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ وَحَمَلَ مَعَهُ الْوَانَ الْأَجْسَامِ وَأَتَصَلَ بِحَدَقَةِ الْحَيَوَانَ
وَسَرَى فِيهَا كَمَا يَسْرِي فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ أَنْصَبَتْ الْحَدَقَةُ بِتِلْكَ
الْأَلْوَانِ كَمَا يَنْصَبُ أَهْوَاءُ بِالضِّيَاءِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْسُ بِالْقُوَّةِ الْبَاصِرَةِ

الرَّابِعَةُ السَّمْعُ وَهِيَ قُوَّةٌ مَرْتَبَةٌ فِي عَصَبِ دَاخِلِ الصِّمَاحِ تُدْرِكُ
الصَّوْتِ الَّذِي يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ أَهْوَاءُ بِالتَّمَوُّجِ وَحَالَهُ نُشِيهُ بِتَمَوُّجِ الْمَاءِ
فَإِنَّ أَهْوَاءَ أَشَدُّ لَطَافَةً مِنَ الْمَاءِ. فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ فِي الْمَاءِ تَحَدَّثُ مِنْ
وُقُوعِهِ دَوَائِرٌ فَكُلَّمَا اتَّسَعَ ذَلِكَ الشَّكْلُ ضَعُفَتْ حَرَكَتُهُ وَتَمَوَّجَتْ إِلَى
أَنْ يَضْمَحِلَّ. فَكَذَلِكَ يَحْضُلُ مِنْ قَرَعِ الصَّوْتِ أَهْوَاءُ تَمَوُّجٌ فَأَيُّ سَامِعٍ
حَصَلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْجِ دَخَلَ أذُنُهُ فَحَسَّ بِهِ الْقُوَّةَ السَّامِعَةَ

الْخَامِسَةُ الذُّوقُ وَهِيَ قُوَّةٌ مُنْبَثَةٌ فِي حِرْمِ اللِّسَانِ يُدْرِكُ بِهَا مَا يَهَاسُهُ
مِنَ الْمَطْعُومِ بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ الْعَدْبِيَّةِ الَّتِي تَحْتَ اللِّسَانِ. فَإِنَّ تِلْكَ
الرُّطُوبَةَ تُخَالِفُ الْجِسْمَ الَّذِي فِيهِ كَيْفِيَّةُ الطَّعْمِ فَتَتَكَيَّفُ بِتِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ
فَيَحْضُلُ الْإِحْسَاسُ بِالطَّعْمِ



فَصَلُّ فِي الدَّوَابِّ

وَهِيَ النَّوْعُ الثَّلَاثُ مِنَ الْحَيَوَانِ

هَذَا النَّوْعُ أَحْسَنُ الْبِهَائِمِ صُورَةً وَكَثْرَتُهَا نَفْعًا. وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ
لَطِيفَ الْبَدَنِ بَطِيَّ الْمَشْيِ كَثِيرَ الْعَدُوِّ مِنْ جِنْسِهِ وَتَحْتَ جِنْسِهِ وَحَرَكَاتُهُ
قَاصِرَةٌ عَنِ الْوَقَاءِ بِمَقَاصِدِهِ مِنَ الطَّلَبِ وَالْهَرَبِ أَقْتَضَتْ الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةُ
خَلَقَ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْحَيَوَانِ وَهَدَاهُ إِلَى تَدْلِيلِهَا وَتَصْرِيْفِهَا نَحْنَهُ فِي
أَنْحَاءِ مَقَاصِدِهِ لِتَقْوَمَ لَهُ مَقَامَ الْجَنَاحِ لِلطَّائِرِ وَالْقَوَائِمِ لِلْبِهَائِمِ وَالْدَّوَابِّ.
وَزَعَمُوا أَنَّ آذَانَهَا إِنَّمَا خُلِقَتْ فَوْقَ رَأْسِهَا ذَاتَ حَرَكَاتٍ شَتَّى لِيُجَاذِيَ
الْتِمَاسُ جِهَاتٍ شَتَّى وَتَرِدَ الْهَوَاءَ إِلَيْهِ فَتَكُونَ فَائِدَةُ السَّمْعِ أَكْثَرَ. وَلَمَّا
كَانَ الْفَرَسُ أَدْنَى حِسًّا مِنَ الْحِمَارِ خُلِقَتْ أُذُنُهُ أَصْغَرَ مِنْ أُذُنِ الْحِمَارِ
وَدَنْبُهُ أَطْوَلَ مِنْ دَنْبِ الْحِمَارِ لِأَنَّ الْفَرَسَ يَكْفِيهِ مِنْ قَرَعِ الْهَوَاءِ دُونَ
مَا يَكْفِي الْحِمَارَ لِصَفَاءِ حِسِّ الْفَرَسِ وَكُدُورَةِ حِسِّ الْحِمَارِ وَكَذَلِكَ طُولُ
دَنْبِهِ لِأَنَّ إِحْسَاسَهُ يَلْدَغُ الْهَوَامَّ فَوْقَ إِحْسَاسِ الْحِمَارِ فَيَجْعَلُ طَاقَاتُ
دَنْبِهِ طَوِيلَةً لِيَطْرُدَ بِهَا الْهَوَامَّ عَنْ بَدَنِهِ

وَلَمَّا كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الدَّوَابِّ السَّيْرِ صُلِبَتْ حَوَافِرُهَا لِيُهَيِّبَ الْمَشْيُ
الْكَثِيرُ عَلَيْهَا وَلِتَكُونَ سِلَاحًا دَافِعًا لِلْعَدُوِّ. فَإِنَّ كُلَّ حَيَوَانٍ لَهُ حَافِرٌ لَا
قَرْنَ لَهُ لِأَنَّ الْمَادَّةَ لَا تَبْقَى فِيهَا جَمِيعًا وَكُلُّ حَيَوَانٍ لَهُ قَرْنٌ لِأَحَافِرِهِ لَهُ بَلْ لَهُ
ظِلْفٌ فَإِنَّ الْمَادَّةَ تَبْقَى فِيهَا جَمِيعًا فَتَنْمُو آلَةُ الْمَشْيِ وَالسَّلَاحِ فَسُجَّانٌ مَنْ
أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ مَا يَسْتَحْتِجُهُ دُونَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ

فصل في النعم وهي النوع الرابع

هذا النوع كثير الفائدة شديد الانقياد ليس له شراسة الدواب ولا
 نفره السباع ولشدة حاجة الناس إليها لم يخلق لها سلاح شديد كأنياب
 السباع وبرائنها وأنياب الحشرات وبرها. شأنها الثبات والصبر على
 التعب والجوع والعطش وخلق ذلولا. وخلق القرن سلاحا لها ليتدارك
 تقصير الحافر وجعل لها بدل الحافر ظانف لفصير المادة عن الحافر
 والقرن. وربها صرفت المادة في جهة أنفع وتركت الجهة التي هي أقل
 نفعا كترك الفلك الأعلى للبقير بلاسن وصرف مادتها إلى القرن
 والقوة الهدية بإذن الله تعالى تؤيد الحيوان إما بسلاح أو جنه
 أو هرب وأي هذه فقدت مادته دبرت بهادة أخرى حتى يكون له ما
 يحتاج إليه في بقاء شخصه ونوعه

ثم إن النعم لما كان أكلها الخشيش اقتضت الحكمة الإلهية لها أفواها
 واسعة وأسنانا جادا وأضراسا صلابا لتطحن بها الصلب من الحب
 والنوع. ولما افتقرت إلى زيادة قوة لتتمكن من العمل المطلوب
 منها خلق لها كرش واسع لتعمل فيه من العلف شيئا كثيرا يفي بغذاها
 وإذا رجعت إلى أماكنها تجعله بالأجنار منهيا للنضج. فعند ذلك تميز
 طبعها لطيفه من قبيله فتجعل اللبن اليابس لحما ودما. ومن العجب
 القوة التي خلقها الله تعالى في أضراسها فإنها بالليل والنهار في الطحن
 لا تنفر إلا قليلا فلو كانت من الحديد الذكير لانخسفت وتفتنت

وَلنَذْكُرُ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِوَاحِدٍ وَوَاحِدٍ

زَرَافَةٌ. رَأْسُهَا كَرَأْسِ الْإِيلِ وَفَرْجُهَا كَفَرْجِ الْبَقْرِ وَجِلْدُهَا كَجِلْدِ النَّهْرِ
وَقَوَائِمُهَا كَمَا لِلْبَعِيرِ وَأَطْلَافُهَا كَمَا لِلْبَقْرِ. طَوِيلَةُ الْعُنُقِ جِدًّا طَوِيلَةٌ
الْيَدَيْنِ قَصِيرَةٌ الرَّجْلَيْنِ وَصُورَتُهَا بِالْبَعِيرِ أَقْرَبُ وَجِلْدُهَا بِالْبَعِيرِ أَشْبَهُ
وَدَنْبُهَا كَدَنْبِ الطَّبَاءِ. قَالُوا الزَّرَافَةُ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ نَاقَةٍ الْحَبَشَةِ وَالْبَقَرِ
الْوَحْشِيَّةِ وَالضَّبْعَانِ وَذَلِكَ أَنَّ الضَّبْعَانَ بِيَلَادِ الْحَبَشَةِ يَسْفِدُ النَّاقَةَ فَتُجِيءُ
بِوَلَدٍ بَيْنَ خِلْقَةِ النَّاقَةِ وَالضَّبْعَانِ. فَإِنْ كَانَ وَلَدُ تِلْكَ النَّاقَةِ ذَكَرًا
وَلَحِقَ بِالْمَهَاءِ أَتَتْ بِالزَّرَافَةِ

وَحَكِي طِبْمَاتُ الْحَكِيمِ أَنَّ مَجَانِبَ الْجَنُوبِ يَقْرُبُ خَطُّ الْإِسْتِوَاءِ
بِالصَّبْفِ تَجْمَعُ حَيَوَانَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ الْأَنْوَاعِ عَلَى مَصَانِعِ الْمَاءِ مِنْ شِدَّةِ
الْعَطَشِ قُرْبَهَا سَافَدَتْ غَيْرَ أَنْوَاعِهَا فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ مِثْلُ الزَّرَافَةِ وَالسَّمْعِ
وَالسَّبَارِ وَأَمْثَالِهَا. وَالزَّرَافَةُ مِنَ الْخَلْقِ الْعَجِيبِ لَيْسَ عِنْدَهَا إِلَّا ظَرَافَةٌ
الصُّورَةِ وَغَرَابَةُ التَّبَاجِ

طِبَاءُ الْمَيْسِكِ. فَإِنَّهَا كَطِبَاءِ بِلَادِنَا إِلَّا أَنَّ لَهَا نَائِبِينَ مُعْتَمِدِينَ خَارِجِينَ
مِنَ الْقَمْرِ كَمَا لِلْفِيلِ. قُرْبَهَا أَصْطِيدَتُ وَالْمَيْسِكُ فِي سُرَّتِهَا غَيْرُ نَضِجٍ
تَكُونُ فِيهِ زُهُوكَةٌ وَسَبِيلُهُ سَبِيلُ الشَّهَارِ إِذَا قُطِنَتْ قَبْلَ إِذْرَاكِهَا فَإِنَّهَا
تَكُونُ نَاقِصَةً الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ. وَأَجُودُ الْمَيْسِكِ مَا أَلْفَاهُ الْغَزَالُ وَذَلِكَ
أَنَّ الطَّيْبَةَ تَدْفَعُ مَوَادَّ الدَّمِ إِلَى سُرَّتِهِ فَإِذَا اسْتَحْكَمَ الدَّمُ فِيهَا وَنَضِجَ
يَحْدُ مِنْ ذَلِكَ أَذْيَةٌ وَحِكْمَةٌ فِي سُرَّتِهِ فَيَفْرَعُ حَيْثُودًا إِلَى صَخْرَةٍ حَادَّةٍ فَيَحْكُ
فِيهَا مُلْتَدًا بِذَلِكَ فَتَنْجَعُ الْمَادَّةُ حَيْثُودًا وَتَسْبُلُ عَلَى ذَلِكَ أَنْجَحًا كَأَنْجَحِ

الْحَرَّاجِ وَالْدَّمَامِيلِ إِذَا نَفِجَتْ فَيُحْدُ الْغَزَالُ يُخْرِجُهَا لَذَّةً . وَالنَّاسُ
يَتَّبِعُونَ مَرَاعِيهَا فِي الْجِبَالِ فَيُحْدُونَ ذَلِكَ الدَّمَّ قَدْ جَمَدَ عَلَى تِلْكَ
الصُّخُورِ فَيُكُونُهُ وَيَدْعُوهُ فِي نَوَافِحِ مَعَهُمْ مَعَدَّةً لِذَلِكَ . فَذَلِكَ أَفْضَلُ
الْهَيْسِكِ تَسْتَعْمِلُهُ مَلُوكُهُمْ وَيَنْهَادُونَهُ فِيهَا بَيْنَهُمْ

فصل في السباع وهي النوع الخامس

دُب . حَيَوَانٌ جَسِيمٌ يُحِبُّ الْعُزْلَةَ فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ يَدْخُلُ وَجَارَهُ
الَّذِي اتَّخَذَهُ فِي الْغَيْرَانِ وَلَا يُخْرَجُ حَتَّى يَطِيبَ الْهَوَاءُ إِذَا جَاعَ يَبْصُ
يَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَدْفَعُ بِذَلِكَ جُوعَهُ وَيُخْرَجُ مِنْ وَجَارِهِ فَصَلَ الرَّبِيعِ
أَسْمَنَ مَا كَانَ . وَيُخَاصِمُهُ الْبَقْرُ فَإِذَا نَطَحَهُ الْبَقْرُ اسْتَلْقَى وَيَأْخُذُ يَدَيْهِ قَرْنَيْهِ
وَبَعْضُهُ عَضًا شَدِيدًا يَفْهَرُ

وَالذَّبَّةُ إِذَا وَلَدَتْ يَكُونُ وَلَدُهَا كَقِطْعَةِ لَحْمٍ تَخَافُ عَلَيْهَا مِنَ النَّهْلِ
فَتَنْقُلُهَا مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ فَإِذَا صَلَبَ بَدَنُ الْوَالِدِ أَقْرَبَتْهُ فِي مَوْضِعٍ .
وَرَبَّهَا تَتْرِكُ أَوْلَادَهَا وَتَرْضَعُ وَلَدَ الصَّبُعِ . وَلِهَذَا تَقُولُ الْعَرَبُ فَلَانٌ
أَحْمَقُ مِنْ جَهِيذَةٍ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنَ الذَّبِّ

فصل في الطيور وهي النوع السادس

هَذَا النَّوعُ مِنَ الْحَيَوَانِ مُخْتَصٌ بِخَفَةِ الْبَدَنِ وَفَقْدِ أَعْضَاءٍ كَثِيرَةٍ
وَجِدَتْ فِي غَيْرِهِ . وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهَا خَلَقَ الْحَيَوَانَ
وَجَعَلَ بَعْضَهَا عَدُوًّا لِبَعْضٍ أَنْعَمَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَّا قُوَّةً وَسِلَاحًا
يَدْفَعُ بِهَا عَدُوَّهُ كَمَا لِلدَّوَابِّ وَالسَّبَاعِ أَوْ آلَةً يَهْرُبُ بِهَا كَمَا لِلوُحُوشِ
وَالطُّيُورِ . وَأَمَّا الْوُحُوشُ فَالَّتِي قُوَّتُهَا وَأَمَّا الطُّيُورُ فَالَّتِي أَعْجَنَتْهَا .

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَلَةَ أَقْتَضَتْ خِفَةَ الْجَنَّةِ إِذْ لَوْ كَانَتْ الْجَنَّةُ كَبِيرَةً أَقْتَضَتْ
 كِبَرَ الْجَنَاحِ وَالْجَنَاحُ الْكَبِيرُ لَا يَحْصُلُ مِنْهُ سُرْعَةُ الطَّيْرَانِ بَلْ يَكُونُ
 طَيْرَانُهُ بَطِيئًا لَا يَزِيدُ عَلَى سُرْعَةِ الشَّيْءِ فَلَا يَحْصُلُ الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ طَيْرَانُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَعَدَمُ سُقُوطِهِ وَالْهَوَاءُ أَخْفُ
 مِنْهُ وَهُوَ أَثْقَلُ مِنْهَا. فَلَمَّا أَقْتَضَى هَذِهِ الْأَلَةَ خِفَةَ الْجَنَّةِ نَقَصَ مِنْهَا أَعْضَاءً
 كَثِيرَةً تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنْ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَلِدُ وَتُرْضِعُ لِيَخَفَّ عَلَيْهَا
 النَّهْوُضُ وَيَسْهُلَ الطَّيْرَانُ كَالْأَسْنَانِ وَالْأَذَانِ وَالْكَرْشِ وَالْمَثَانَةِ
 وَخِرَزَاتِ الظَّهْرِ وَالْجِلْدِ الْخَثِينِ. وَإِذَا تَأَمَّلْتَ خَلْقَةَ الطَّيْرِ وَجَدْتَ نِسْبَةً
 فُذَامِهِ إِلَى أَسْفَلِهِ كَنِسْبَةِ يَمِينِهِ إِلَى شِمَالِهِ فَإِنْ كَانَ طَوِيلَ الرَّقَبَةِ تَطُولُ
 أَيْضًا رِجْلَاهُ وَلَمَّا قَصُرَتْ رَقَبَتُهُ قَصُرَتْ رِجْلَاهُ. وَلَوْ نَتَفَّ دَنَبُ الطَّيْرِ
 لَمَالَ إِلَى فُذَامِهِ كَالسَّفِينَةِ الَّتِي خَفَّ مُؤَخَّرُهَا. قَالَ الْجَاهِلِيَّةُ كُلُّ طَائِرٍ
 جَيِّدِ الْجَنَاحِ يَكُونُ ضَعِيفَ الرَّجْلَيْنِ كَالزَّرَازِيرِ وَالْعَصَافِيرِ وَإِذَا قُطِعَتْ
 رِجْلَاهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الطَّيْرَانِ كَمَا إِذَا قُطِعَتْ يَدُ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ
 عَلَى الْعَدْوِ. وَكُلُّ طَائِرٍ يُعَبُّ الْمَاءَ بَرُوقُ فَرَخِهِ. وَمِنَ الطُّبُورِ مَا أُعْطِيَ
 الْعُجْبَ فِي لَوْنِهِ كَالطَّارُوسِ وَالسَّبَّغِ وَأَبِي بَرَافِشَ. وَمِنْهَا مَا أُعْطِيَ فِي
 حَلْفِهِ كَالْحَمَامِ. وَمِنْهَا مَا أُعْطِيَ فِي حَجْرَتِهِ كَالْبَلَابِلِ وَالقَنَابِرِ. وَمِنْهَا مَا
 أُعْطِيَ الْعُجْبَ فِي تَرْكِبِ أَعْضَائِهِ كَاللَّقَائِقِ وَالكَرَاكِي وَالسَّنَاعِمِ. وَمِنْهَا مَا
 أُعْطِيَ فِي صَنْعَتِهِ كَالخُطَّافِ وَالتَّنُوطِ وَالقَنْبَرَةِ. وَسَدِّدُكُمْ بَعْضَهَا وَمَا
 يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْعُجْبِ وَتَرْكِبِ أَسْمَائِهَا عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ
 بِلَبْلُ. يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ هَزَارَ دَسْتَانُ طَائِرٍ صَغِيرٍ الْجَنَّةِ سَرِيعِ الْحَرَكَةِ

فَصَبِحُ اللِّسَانِ كَثِيرُ الْأَلْحَانِ يَسْكُنُ البَسَاتِينَ وَهُ شَغْبٌ وَيُوجَدُ أَيَّامَ
الْوَرْدِ. يَقُولُونَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْوَرْدَ فَإِذَا رَأَى مَنْ يَقْطِفُهُ يَكْثُرُ صِيَاحَهُ.
لَا يَصْبِرُ عَنِ الْمَاءِ سَاعَةً لِفَرْطِ حَرَارَتِهِ وَلَا يَنْزَاجُ إِلَّا فِي البَسَاتِينَ
وَالرَّيْحُ تُعْصَفُ بِهِ مِنْ صِغَرِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الرِّيحِ لَمْ
يَخْرُجْ أَصْلًا

حُبَارِي. طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ جَرَزٌ قَالُوا مَا فِي الطُّبُورِ أَشَدُّ
بَلَهًا مِنْهَا لِأَنَّهَا تَنْزُكُ بِيضَهَا وَتَحْضُنُ بِيضَ غَيْرِهَا وَفِي الْمَثَلِ كُلُّ شَيْءٍ
يُحِبُّ وَلَدَهُ حَتَّى الْحُبَارَى. وَإِذَا وَقَعَ ذَرْفُهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطُّبُورِ يَعْمَلُ
عَمَلَ الدَّبِيقِ. وَالْعَرَبُ يَقُولُ الْحُبَارَى سِلَاحُهُ سِلَاحُهُ. وَإِذَا فَصَدَ
الصَّفْرُ لَا يَزَالُ بَعْلُو وَيَنْزِلُ مَعَ الصَّفْرِ حَتَّى يَجِدَ فُرْصَةَ فَرْمَاهُ بِذَرْفِهِ يَبْتَنِي
الصَّفْرُ مَقِيدًا مِثْلَ الْمَكْنُوفِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَجْمَعُ عَلَيْهِ الْحُبَارِيَّاتُ وَتَتَفُ
رِيشَهُ وَفِي ذَلِكَ هَلَاكُ الصَّفْرِ. وَالْحُبَارَى إِذَا تَحَسَّرَ وَتَحَسَّرَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ
الطُّبُورِ فَيَنْبِتُ رِيشُ صَاحِبِهِ قَبْلَهُ فَيَبُوتُ كَهَذَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ مَاتَ
كَهْدُ الْحُبَارَى

خُطَافٌ. طَائِرٌ لَا يَزَالُ يَنْتَقِلُ مِنَ الصُّرُودِ إِلَى الْجُرُومِ وَيَتَّبِعُ الرِّيحَ.
إِذَا عَرَفَ اسْتِقْبَالَ الصَّبْفِ يَأْخُذُ فِرَاحَهُ وَيَسْهِي بِهَا إِلَى الْوَكْرِ الذِّبِ
تَرْكُهُ فِي الْبِلَادِ الْأُخْرَى وَلَا يَبْتَنِي مِنْهَا وَاحِدٌ إِلَّا رَجَعَ إِلَى وَكْرِ الْقَدِيمِ.
وَيَأْخُذُ الْوَكْرَ مِنَ الطُّيْنِ الْخُلُوطِ بِالشَّعْرِ لِيَبْتَنِي بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَيَقْوَى
كَطِينِ الْحِكْمَةِ. وَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَعْمَلَ بَعْضُهُ وَيَنْزُكُهُ حَتَّى يَحْفَ
ثُمَّ يَعْمَلُ الْبَعْضُ الْآخَرَ. فَلَوْ عَمِلَهُ كُلُّهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَتَنَاقَلَ وَسَقَطَا

وَإِذَا رَأَى أَنَّهُ أَخَذَ الْوَكْرَ عَاوَنَتَهُ الْخَطَاطِيفُ فَإِذَا فَرَعَتْ تَأْتِي بِالْمَاءِ فِي
 أَفْوَاهِهَا وَتَسْوِي بِهِ بَاطِنَ الْوَكْرِ وَتَهْلِسُهُ وَتَنْزِيلُ خُشُونَتَهُ . وَتَضَعُ
 السَّدَابَ فِي أَوْكَارِهَا لِدَفْعِ الْحَبَاتِ وَالذُّبَابِ وَالْبَعُوضِ . وَمِنَ الْمَشْهُورِ
 أَنَّ عُشَّ الْخَطَاطِيفِ يُحَلُّ فِي الْمَاءِ وَيَسْقِي صَاحِبَةَ الطَّلُقِ فَتَضَعُ بِسُهُولَةٍ
 خُفَاشًا . طَائِرٌ مَشْهُورٌ ضَوْءُ بَصَرِهِ ضَعِيفٌ يَسْتُرُهُ شِعَاعُ الشَّمْسِ
 لَا يَخْرُجُ إِلَّا يَبِينُ الظَّلَامَ وَالضِّيَاءَ . شَبِيهٌ بِالْفَأْرِ جَنَاحُهُ جَلْدٌ رَقِيقَةٌ وَهَلْ
 أَسْنَانٌ وَالْأُنثَى لَهَا ثَدْيٌ كَمَا لِلْفَأْرِ تُرْضِعُ أَوْلَادَهَا تَصِيدُ الذُّبَابَ
 وَالْبَقَّ وَأَمْثَالَهَا . وَرَبَّهَا تَأْخُذُ وَلَدَهَا فِي فَمِهَا وَتَطِيرُ وَتُرْضِعُ وَلَدَهَا .
 وَتَأْكُلُ الرُّمَانَ عَلَى الشَّجَرَةِ وَتَتْرُكُهَا فِشْرًا مَجُوفًا . وَتَهْرَبُ عَنِ وَّرَقِ
 الذُّلْبِ إِذَا نَزَلَ فِي مَكَانِهَا وَإِذَا عَلِقَتْ خُفَاشَةٌ فِي شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ جَاوَزَ
 الْجَرَادُ عَنْهَا

غَوَاصٌ . طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِ سَيِّةٌ مَا هِيَ خَوَارٌ . يُوجَدُ بِالْبَصْرَةِ عَلَى
 طَرَفِ الْأَنْهَارِ يُغْوِصُ فِي الْمَاءِ مَعْكُوسًا بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ وَيَلْبِثُ تَحْتَ
 الْمَاءِ وَالْمَاءَ لَا يُعْلِيهِ مَعَ خَفَةِ بَدَنِهِ . حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ رَأَيْتُ غَوَاصًا غَاصَ
 وَطَلَعَ بِسِمَكَةٍ فَعَلِبَهُ الْغَرَابُ وَأَخَذَ السِّمَكَةَ مِنْهُ فَغَاصَ مَرَّةً أُخْرَى وَطَلَعَ
 بِسِمَكَةٍ أُخْرَى وَقَرَّبَهَا مِنَ الْغَرَابِ وَأَشْتَغَلَ الْغَرَابُ بِأَخْذِهَا فَوَثَبَ
 الْغَوَاصُ وَأَخَذَ بِرِجْلِ الْغَرَابِ وَغَاصَ بِهِ وَوَقَفَ تَحْتَ الْمَاءِ حَتَّى أَخْتَنَقَ
 الْغَرَابُ وَخَرَجَ الْغَوَاصُ سَالِمًا

قَطَا . طَائِرٌ مَعْرُوفٌ سُمِّيَ بِصَوْتِهِ يُقَالُ فُلَانٌ أَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا .
 تَبِيضُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيَغِيبُ عَنْهَا أَيَّامًا وَتَعُودُ إِلَيْهَا يُقَالُ فُلَانٌ أَهْدَى مِنْ

الْقَطَا وَلَا يَنَامُ اللَّيَالِي وَيَأْتِي الْجَادَةَ لِيَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَاءِ بَيْنَ خَبْرٍ وَلَهُ
أُخْرَصَةٌ عَجِيبَةٌ فِي وَسْطِ الْحَشِيشِ مِثْلَ بِهَا الْقَائِلُ مِنْ بَنِي اللَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ
مِثْلَ مَفْخَصِ قِطَاعِ بَنِي اللَّهِ لَهُ يَتَنَا فِي الْجَنَّةِ

فصل في الهوامِّ والحشرات وهي النوع السابِعُ

هَذَا النَّوْعُ لَا يُهَيِّئُ صَبْطًا أَوْ صَافِيَةً وَأَصْنَافِهِ لِكَثْرَتِهَا. قَالَ بَعْضُ
الْمُفَسِّرِينَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ تَحْقِيقَ قَوْلِ مَنْ قَالَ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
فَلْيُوقِدْ نَارًا فِي وَسْطِ غَيْضَةٍ بِاللَّيْلِ ثُمَّ لِيَنْظُرْ مَا يَغْشَى تِلْكَ النَّارَ مِنَ
الْحَشْرَاتِ فَإِنَّهُ يَرَى صُورًا عَجِيبَةً وَأَشْكَالًا غَرِيبَةً لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى خَلَقَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْخَلْقَ الَّذِي يَغْشَى نَارَهُ يُخْتَلِفُ
بِاخْتِلَافِ مَوَاضِعِ الْغِيَاضِ وَالْجِبَالِ وَالسُّهُولِ وَالْبَرَارِيِّ. فَإِنَّ فِي كُلِّ
بُقْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبُقَاعِ الْوَأَانَ مِنَ الْخَلُوقَاتِ مُخَالَفَةً لِمَا فِي الْبُقْعَةِ الْأُخْرَى.
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَيْ فَائِدَةٌ فِي هَذِهِ الْهُوَامِّ مَعَ كَثْرَةِ ضَرَرِهَا وَلَمْ
يَدْرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَرَّاعِي الْمَصَالِحِ الْكَلْبِيَّةِ كِرْسَالِ الْمَطْرِ فَإِنَّ فِيهِ مَصَالِحَ
الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ خَرَابٌ بَيْتِ الْعُجُوزِ

فَمَهْكَذَا خَلَقَ هَذِهِ الْحَشْرَاتِ مِنَ الْمَوَادِّ الْفَاسِدَةِ وَالْعَفُونَاتِ الْكَائِنَةِ لِتَصْفُو
الْهُوَاءَ مِنْهَا وَلَا يَعْرِضَ لَهَا الْفَسَادُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْوَبَاءِ وَهَلَاكِ الْحَيَوَانَ
وَالنَّبَاتِ وَإِنْ كَانَ يَتَضَعْنَ لَسَعِ الْبَقِّ. وَالَّذِي يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَنَا نَرَى
الذَّبَابَ وَالذَّبَّادَانَ وَالْحَنَافِسَ فِي دُكَّانِ الْقَصَابِ وَالذَّبَّاسِ أَكْثَرَ مَا نَرَى

(١) ان الحشرات لم تكن عن المواد الفاسدة العفنية بل عن زرعها الخاص بها فوالحالة

هذه تتناسل نظير كل حيوان على ما علمته العلوم الصحيحة المبنية على الاصول الصادقة

فِي دُكَّانِ الْبَرَّازِ وَالْمُحْدَادِ . فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ صَرْفَ الْعُنُونَاتِ
إِلَيْهَا لِتَنْصِفَ الْهَوَاءَ مِنْهَا وَتَسْلُمَ مِنَ الْوَبَاءِ . ثُمَّ جَعَلَ صِغَارَهَا مَا كَوَّلَا
لِكِبَارِهَا وَإِلَّا أَمْتَلَأَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْهَا . فَلَيْسَ فِي مَلَكُوتِهِ ذَرَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا
مِنَ الْحِكْمِ مَا لَا يُحْصَى . وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ كُلَّ مَا جُعِلَ سَبَبًا لِهَلَاكِ
حَيَوَانٍ جُعِلَ لِحَمِهِ سَبَبًا لِدَفْعِ ذَلِكَ السَّمِّ . فَإِنَّ الْأَطِبَّاءَ الْأَقْدَمِينَ
وَجَدُوا فِي لَحْمِ الْحَيَّةِ قُوَّةً تُقَاوِمُ سَمَّهَا فَأَدْخَلُوا لَحْمَهَا فِي التَّرِيَاقِ .
وَالْتَجَرِبَةُ تَشْهَدُ أَنَّ مَنْ لَسَعَتْهُ الْعُقْرَبُ يُلْطِخُ الْمَوْضِعَ بِرُطُوبَةِ الْعُقْرَبِ
يَسْكِنُ أَلَمَهَا فِي الْحَالِ

ثُمَّ إِنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْحَيَوَانِ يَخْتَلِفُ حَالُهَا عِنْدَ الشِّتَاءِ . فَمِنْهَا مَا
يَمُوتُ مِنْ بَرْدِ الْهَوَاءِ كَالذِّبْدَانِ وَالْبَقِ وَالْبَرَاغِيثِ . وَمِنْهَا مَا يَكْمُنُ فِي
الشِّتَاءِ وَلَا يَأْكُلُ شَيْئًا كَالنَّحْيَاتِ وَالْعُقَارِبِ . وَمِنْهَا مَا يَذْخُرُ مَا يَكْفِيهَا
لِشِتَائِهَا كَالنَّحْلِ فَإِنَّهَا لَا تَعِيشُ إِلَّا طَعْمًا . وَلِنَدْرِكُ بَعْضَهَا مُرْتَبًا عَلَى حُرُوفِ
الْمُعْجَمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

بُرْعُوثٌ . هُوَ أَسْوَدٌ أَحَدَبٌ ضَامِرٌ إِذَا وَقَعَ نَظَرُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ أَحْسَنُ
بِهِ فَيَسْبُبُ تَارَةً إِلَى الْبَيْتِ وَتَارَةً إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَغِيبَ عَنِ نَظَرِ
الْإِنْسَانِ . قَالَ الْأَجْحِظُ إِنَّهَا تَبْيَضُ وَتَفْرِيخُ . قَالُوا عَمْرُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ .
زَعَمُوا أَنَّ الْبَرَاغِيثَ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِي يُعْرِضُ لَهُ الطَّيْرَانُ فَيَصِيرُ بَقَا كَمَا
يُعْرِضُ لِلدَّعَامِيصِ الطَّيْرَانُ فَيَصِيرُ فَرَأَشًا . وَزَعَمُوا أَنَّ الْبُرْعُوثَ يَأْكُلُ
الْقَمَلَ الَّذِي فِي الثِّيَابِ وَيَمُوتُ مِنْ رَائِحَةِ وَرَقِ الدِّفْلِيِّ
بُعُوضٌ . هُوَ حَيَوَانٌ فِي غَايَةِ الصِّغَرِ عَلَى صُورَةِ الْفِيلِ وَكُلُّ عَضْوٍ خُلِقَ

لِلْفِيلِ فَلِلْبَعُوضِ مِثْلُهُ مَعَ زِيَادَةِ جَنَاحَيْنِ. فَسُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ لَهُ الْأَعْضَاءَ
الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ وَالْقُوَى كَذَلِكَ كَمَا لِلْحَيَوَانِ الْكَبِيرِ. أَنْظَرَ إِلَى صِغَرِ
جِسْمِهِ فَإِنَّ الطَّرْفَ بِالشَّدَةِ يُدْرِكُهُ لِصِغَرِهِ. ثُمَّ إِلَى رَأْسِهِ فَإِنَّ رَأْسَهُ كَمِ
يَكُونُ مِنْ جِسْمِهِ وَفِيهِ الْقُوَّةُ الْبَاصِرَةُ وَالسَّمِيعَةُ. ثُمَّ إِلَى دِمَاعِهِ وَأَنْظَرَ كَمِ
يَكُونُ دِمَاعُهُ مِنْ رَأْسِهِ فَإِنَّ فِيهِ الْقُوَى الْبَاطِنَةَ الْخَمْسَ. فِيهَا الْحِسُّ
الْمَشْتَرِكُ لِأَنَّهَا تَرَى الْحَيَوَانَ تَمْشِي إِلَيْهِ. وَفِيهَا الْحَيَالُ لِأَنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ
عَلَى الْحَيَوَانَ تَغْمِسُ خُرْطُومَهَا وَإِذَا وَقَعَتْ عَلَى الْحَائِطِ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ.
وَفِيهَا الْوَقْمُ لِأَنَّهَا تَفْرُقُ بَيْنَ مَنْ يَقْصِدُهَا فَتَهْرَبُ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَقْصِدُهَا
فَتَبْقَى. وَفِيهَا الْحَافِظَةُ لِأَنَّهَا إِذَا اجْتَدَبَتِ الدَّمَ تَهْرَبُ فِي الْحَالِ لِعَلِّهَا
يَأْتِيهَا أَوْجَعَتْ فَتَأْتِيهَا صَدْمَةُ الْمَنَاءِ لِمِ. وَفِيهَا الْمَتَفَكِّكَةُ لِأَنَّهَا إِذَا أَحْسَتْ
بِحَرَكَةِ يَدِ الْإِنْسَانِ تَهْرَبُ لِعَلِّهَا أَنَّهَا مُهْلِكَةٌ وَإِذَا اسْكَنَ يَدُ عَادَاتٍ إِلَى
مَكَانِهَا لِعَلِّهَا أَنَّ الْمَنَاءِ فِي ذَهَبٍ وَأَنَّ حَمْلَ الْغَدَاءِ خَلَا. وَهِيَ خُرْطُومُ
أَدَقُّ شَيْءٍ يُهَيِّئُ أَنْ يُقَالَ وَمَعَ دِفْنِهِ مُجَوَّفٌ حَتَّى يَجْرِي فِيهِ الدَّمُ الرَّفِيقُ
وَخُلِقَ فِي رَأْسِ ذَلِكَ الْخُرْطُومِ قُوَّةٌ تُضْرِبُ بِهَا جِلْدَ الْفِيلِ وَالْجَامُوسِ
تُنْفِذُ فِيهَا وَالْفِيلُ وَالْجَامُوسُ يَهْرَبَانِ مِنَ الْبَعُوضِ فِي الْمَاءِ

دُودُ الْقَرِزِ. دُوبَيْبَةُ إِذَا شَبِعَتْ مِنَ الْمَرْعَى طَلَبَتْ مَوَاضِعَهَا مِنْ
الْأَشْجَارِ وَالشُّوكِ وَمَدَّتْ مِنْ لُعَابِهَا خُيُوطًا دِقَاقًا وَنَسَجَتْ عَلَى نَفْسِهَا كِبَّةً

(١) قد قسم الفزوي القوى الباطنة في الحيوان الى قسمين الى المدركة والى عقلية
فنسب المدركة الى الحيوان المحض وقد نشأت عن ميله الغريزي. اما العقلية فقد اخصها
بالحيوان الناطق وهو الانسان لاغير

مِثْلَ كَيْسٍ لِيَكُونَ سِرْبًا لَهَا مِنْ الْحَرِّ وَالْبُرْدِ وَالرِّبَاجِ وَالْأَمْطَارِ وَنَامَتْ
إِلَى وَقْتِ مَعْلُومٍ بِإِلْهَامِ اللَّهِ تَعَالَى

وَأَمَّا كَيْفَةُ أَقْتِنَايِمَا فَمِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا وَهِيَ أَنَّهُمْ أَوَّلَ الرَّبِيعِ
يَأْخُذُونَ الْبُزْرَ وَبَشُدُونَهُ فِي خِرْقَةٍ وَيُجْعَلُ تَحْتَ تَنْدِي أَمْرَأَةٍ لِتَصِلَ
إِلَيْهِ حَرَارَةُ الْبَدَنِ إِلَى أُسْبُوعٍ . ثُمَّ يَنْتَرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ وَرَقِ التُّوتِ
الْمَنْصُوصِ بِالْمَهْرَاضِ فَيَتَحَرَّكُ الدُّودُ وَتَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ الْوَرَقِ ثُمَّ
لَا تَأْكُلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النُّومَةِ الْأُولَى . ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْأَكْلِ
فَتَأْكُلُ أُسْبُوعًا ثُمَّ تَتْرِكُ الْأَكْلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النُّومَةِ
الثَّانِيَةِ . وَهَكَذَا فِي الْمَرَّةِ الْأُخْرَى وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النُّومَةِ الثَّلَاثَةِ . وَبَعْدَ
النُّومَاتِ يُطْلَقُ لَهَا مِنَ الْعَلْفِ لِتَأْكُلَ كَثِيرًا وَتَشْرَعُ فِي عَمَلِ الْفَلِيحَةِ .
فِيظَهَرُ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى ظَهْرِهَا شَيْءٌ مِثْلُ نَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ وَبَزْدَادٍ شَبِيحًا
فَشَبِيحًا فَإِذَا مَطَرَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَطَرٌ يُلِينُ الْفَلِيحَةَ بِرُطُوبَةِ النَّدَاوَةِ
وَتَنْقُبُهَا الدُّودَةُ وَتَخْرُجُ مِنْهَا وَقَدْ تَبَتَّ لَهَا جَنَاحَانِ فَتَطِيرُ وَلَا يَحْصُلُ
شَيْءٌ مِنَ الْإِبْرِيشِمِ . وَإِذَا فَرَعَتِ الدُّودَةُ مِنَ الْفَلِيحَةِ عُرِضَتْ عَلَى الشَّمْسِ
لِتَبْهُوتَ الدُّودَةُ فِيهَا وَيَحْصُلُ مِنَ الْفَلِيحَةِ الْإِبْرِيشِمُ . وَيَتْرِكُ بَعْضُ
الْفَلِيحَاتِ لِتَنْقُبُهَا الدُّودُ وَتَخْرُجَ وَتَبْيَضُ وَبِيضُهَا يُحْفَظُ لِلْسَّنَةِ الْآتِيَةِ فِي
ظَرْفِ نَبِيٍّ مِنْ الْحَزْفِ أَوْ الرَّجَاجِ . وَالشِّبَابُ الْإِبْرِيشِمِيَّةُ تَنْفَعُ مِنَ الْحِكَّةِ
وَالْحَرْبِ وَلَا يَتَوَلَّدُ فِيهَا الْقَمَلُ

عَنْكَبُوتٌ . أَصْنَافُهُ كَثِيرَةٌ لِكُلِّ صِنْفٍ فِعْلٌ عَجِيبٌ مِنْهَا الطَّوِيلَةُ
الْأَرْجُلُ فَإِنَّهَا لَهَا عَرَفَتُ ضَعْفَ قَوَائِمِهَا وَأَنَّهَا تَعْجُزُ عَنِ الصِّدِّ أَعَدَّتْ

لِلصَّيْدِ مَصَابِدَ وَحَبَائِلَ مِنَ التَّخْبُوطِ فَعَمَدَاتٌ إِلَى فُرْجَةٍ بَيْنَ حَائِطَيْنِ
مُتَقَارِبَيْنِ . وَيُلْقِي لِعَابَهُ الَّذِي هُوَ خَيْطُهُ إِلَى جَانِبٍ لِيَلْصِقَ بِهِ ثُمَّ بَعْدَ
ذَلِكَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ وَهَكَذَا ثَانِيًا وَثَالِثًا وَهَذَا هُوَ السَّدَى . ثُمَّ يُجْحِمُ
لِحْمَتَهُ حَتَّى يُنِمَّ النَّسِجَ وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى تَنَاسُبِ هِنْدَسِيٍّ حَتَّى يَصِحَّ النَّسِجُ .
ثُمَّ يَقْعُدُ فِي زَاوِيَةٍ مُتَرَصِّدًا وَقُوعَ الصَّيْدِ فَإِذَا وَقَعَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الدُّبَابِ
أَوْ الْبَقِّ يَأْتِي إِلَى أَخِيهِ

وَمِنْهَا صِنْفٌ آخَرٌ قَصِيرُ الْأَرْجُلِ يُسَمَّى الْقَهْدَ فَإِنَّهُ يَصِيدُ الدُّبَابَ عَلَى
شِبْهِ صَيْدِ الْقَهْدِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَتَمَكَّنُ فِي زَاوِيَةٍ فَإِذَا طَارَتْ دُبَابَةٌ يُقْرِبُهُ
وَتَبَّ إِلَيْهَا . وَرُبَّمَا مَدَّ خَيْطًا مِنَ السَّقْفِ وَعَلَّقَ نَفْسَهُ فِيهِ مُنَكِّسًا فَإِذَا
طَارَ دُبَابٌ يُقْرِبُهُ رَمَحَى بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ وَأَخَذَهُ . وَمِنْهَا صِنْفٌ آخَرٌ يُقَالُ لَهُ
الَلَيْثُ وَلَهُ سِتُّ عُبُونٍ فَإِذَا رَأَى الدُّبَابَ لَطَى إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ وَتَبَ فَلَمْ
يُحْطِ وَتَبَّتْهُ وَهُوَ آفَةُ الدُّبَابِ . وَمِنْهَا صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ الرَّثِيلَا إِذَا مَشَى عَلَى
الْإِنْسَانِ يَهْوَتُ الْإِنْسَانُ مِنْ لُعَابِهِ . وَيُسَمَّى عَقْرَبَ الثُّعْبَانَ لِأَنَّهُ يَقْتُلُ
الثُّعْبَانَ . وَمِنْهَا صِنْفٌ دَقِيقُ الصَّنْعَةِ يَهْبِي نَسِجَهُ وَيَصْعَدُ بَيْنَهُ فَإِذَا وَقَعَتْ
فِي مَصِيدَتِهِ دُبَابَةٌ تَضْطَرِبُ فِيهَا فَيَهْبِي إِلَيْهَا وَيَبْصُ رُطُوبَتَهَا
وَالدُّبَابَةُ تَطْنُ مِنَ الْأَلَمِ إِلَى أَنْ تَمُوتَ وَيَجْهَلُهَا إِلَى خِزَانَتِهِ لِلدَّخِيرَةِ
وَكَثُرَ مَا يَقَعُ فِي مَصِيدَتِهِ عِنْدَ غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ

وَرَزَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعِنَاكِبَ الْإِنَاثَ هِيَ الْعَوَامِلُ وَالذُّكُورَ خُرُقٌ
لَا تَعْمَلُ شَيْئًا . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ السَّدَى مِنَ الْإِنَاثِ وَاللِّحْمَةَ مِنَ
الذُّكُورِ لِأَنَّ اللِّحْمَةَ أَقْوَى مِنَ السَّدَى وَهِيَ كَالشَّرِيبِكَيْنِ فِي الْعَمَلِ أَوْ

كَالْأَسْتَاذِ مَعَ التِّلْمِيذِ

فَرَّاشٌ . هُوَ الْحَيَوَانُ الَّذِي يَنْهَافُ عَلَى السَّرَاجِ وَيَحْتَرِقُ . ذَكَرَ خَفِيفُ
السَّمَرَقَنْدِيُّ صَاحِبُ الْمَعْتَضِدِ أَنَّهُ كَثُرَ الْفَرَّاشُ عَلَى الشَّمْعِ بِحَضْرَةِ
الْمَعْتَضِدِ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فَجَمَعْنَاهَا فَكَانَتْ مَكُونًا مِثْلَ مِيزَةٍ فَكَانَ اثْنَيْنِ
وَسَعِينَ شَكْلًا . زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْفَرَّاشَ دُعْمُوصٌ نَبَتَ جَنَاحُهَا .
وَسَبَبُ وَقُوعِهَا عَلَى النَّارِ مَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا إِذَا رَأَتْ السَّرَاجَ بِاللَّيْلِ
نَظُنُّ أَنَّهَا فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَأَنَّ السَّرَاجَ كُوَّةٌ مِنَ الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ إِلَى الْمَكَانِ
الْمُضِيِّ فَلَا تَزَالُ تَطْلُبُ الضُّوْءَ وَتَرْمِي نَفْسَهَا فِيهَا إِلَى أَنْ تَحْتَرِقَ
تَحُلُّ . حَيَوَانٌ ذُو هَيْبَةٍ لَطِيفَةٍ وَخَلْقَةٍ ظَرِيفَةٍ وَبُنْيَةٍ نَجِيفَةٍ وَسَطُ بَدَنِهِ
مَرَبَعٌ مَكْعَبٌ وَرَأْسُهُ مَدَوْرٌ مَبْسُوطٌ وَمُوَخَّرٌ مَخْرُوطٌ وَوَرَكِبٌ فِي وَسَطِ
بَدَنِهِ أَرْبَعَةُ أَرْجُلٍ وَبِدَانٍ مُتَنَاسِبَةٌ الْمَقَادِيرِ كَأَضْلَاعِ الشَّكْلِ الْمَسْدَسِ
وَقَدْ جُعِلَ فِيهَا مُلْكٌ وَتَوَارَثُ الْمُلْكُ أَوْلَادُهَا عَنْ آبَائِهَا . فَإِنَّ
الْبِعَاسِيْبَ لَا تَلِدُ إِلَّا الْبِعَاسِيْبَ . وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ الْبِعْسُوبَ لَا يَخْرُجُ مِنْ
الْكُورِ لِأَنَّهُ إِنْ خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُ جَمِيعُ النَّحْلِ فَيَقِفُ الْعَمَلُ وَإِنْ هَلَكَ
الْبِعْسُوبُ وَقَفَتِ النَّحْلُ لَا تَعْمَلُ شَيْئًا فَتَهْلِكُ عَاجِلًا . وَالْبِعْسُوبُ تَكُونُ
جِثَّتُهُ كَجِثَّةِ نَحْلَتَيْنِ وَهُوَ يُوَزَعُ الْعَمَلُ عَلَى النَّحْلِ حَتَّى تَرَى بَعْضَهَا يَهْدِي
الْأَسَاسَ وَبَعْضَهَا يَعْمَلُ الْبَيْتَ وَبَعْضَهَا يَعْمَلُ الْعَسَلَ . وَمَنْ لَا يُحْسِنُ
الْعَمَلَ لَا يُجْلِيهَا فِي وَسَطِ النَّحْلِ بَلْ يُخْرِجُهَا وَيَنْصُبُ بَوَابًا عَلَى بَابِ الْحَلِيَّةِ
لِيَلَّا يَدْخُلَ إِلَيْهَا مَنْ وَقَعَ عَلَى النَّجَاسَاتِ فَإِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ النَّحْلِ عَلَى
النَّجَاسَاتِ مَنَّعَهَا الدُّخُولَ

وَأَتَّخِذُ بُيُوتَهَا مُسَدَّسَةً مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْبَاءِ وَالْعَرْضُ مِنَ الْمُسَدَّسَاتِ
 الْمَسَاوِيَّاتِ الْأَضْلَاعِ لِخَاصِيَّةِ بِنَصْرِ قَهْمِ الْمُهَنْدِسِ عَنْ إِذْرَاكِهَا
 لَا تُوْجَدُ تِلْكَ الْخَاصِيَّةُ فِي الْمُرَبَّعِ وَلَا فِي الْخَمْسِ وَلَا فِي الْمُسْتَدِيرِ .
 وَفِي أَنْ أَوْسَعَ الْأَشْكَالِ وَأَجْوَدَهَا الْمُسْتَدِيرُ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَمَّا الْمُرَبَّعُ
 فَيَخْرُجُ مِنْهُ زَوَايَا ضَائِعَةٌ . وَشَكْلُ النَّحْلِ مُسْتَدِيرٌ مُسْتَطِيلٌ فَتَرَكَ الْمُرَبَّعَ
 حَتَّى لَا تَضِيعَ الزَّوَايَا فَتَبْقَى خَالِيَةً وَلَوْ بَنَاهَا مُسْتَدِيرَةً لَبَقِيَ خَارِجَ الْبُيُوتِ
 فِرْجٌ ضَائِعَةٌ . فَإِنَّ الْأَشْكَالَ الْمُسْتَدِيرَةَ إِذَا جُمِعَتْ لَا تَجْمَعُ مَرَاصَةَ وَلَا
 شَكْلًا فِي الْأَشْكَالِ ذَوَاتِ الزَّوَايَا يَقْرُبُ فِي الْأَحْوَاءِ مِنَ الْمُسْتَدِيرِ ثُمَّ
 يَبْرَاصُ الْجَمَلَةُ مِنْهُ يَحِثُّ لَا يَبْقَى بَعْدَ اجْتِمَاعِهَا فِرْجَةٌ إِلَّا الْمُسَدَّسُ
 فَانْظُرْ كَيْفَ أَلْهَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ

وَتَعْمَلُ فَصْلَيْنِ فِي الرَّبِيعِ وَالْحَرِيفِ فَتَجْمَعُ بِالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ مِنْ
 وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَزَهْرِ الثَّمَارِ الرُّطُوبَاتِ الدُّهْنِيَّةِ الَّتِي تَبْقَى فِيهَا مَنَازِلُهَا
 وَهِيَ مِشْفَرَانِ حَادَّانِ تَجْمَعُ فِيهَا مِنْ ثَمَرِ الْأَشْجَارِ رُطُوبَاتٍ لَطِيفَةٌ
 عَجَزَتْ عُقُولُ الْأَكْثَرِينَ عَنْ مَعْرِفَتِهَا عَلَى طَبَائِعِ . وَخُلِقَ فِي جَوْفِهَا
 قُوَّةٌ طَائِحَةٌ تُصِيرُ تِلْكَ الرُّطُوبَاتِ عَسَلًا حُلُومًا لَذِيذًا غَدَاءً لَهَا وَلَوْلَادِهَا
 وَمَا فَضَلَ عَنْ غَدَائِهَا تَجْعَلُهُ مَخْرُومًا فِي بَعْضِ الْبُيُوتِ وَتُغْطِي رَأْسَهَا
 بِغِطَاءٍ رَفِيقٍ مِنَ الشَّمْعِ حَتَّى يَكُونَ الشَّمْعُ مُحِيطًا بِهَا مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ
 كَأَنَّهَا رَأْسُ الْبَرَانِيِّ مُسَدُّودَةٌ بِالْقَرَّاطِيسِ وَتَذْخَرُ ذَلِكَ لِأَجْلِ الشِّتَاءِ
 وَتَبْيَضُ فِي بَعْضِ الْبُيُوتِ وَتَحْضُنُ وَتُفْرَخُ وَتَأْوِي إِلَى بَعْضِ الْبُيُوتِ
 وَتَنَامُ فِيهَا أَيَّامَ الشِّتَاءِ وَيَوْمَ الْبَرْدِ وَالرِّيَاحِ وَالْأَمْطَارِ وَتَنْقُوتُ مِنْ ذَلِكَ

الْعَسَلِ الْمَخْرُوجِ فِي وُلُودِهَا لَا إِسْرَافًا وَلَا نَقْتِيرًا إِلَى أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ
 الرَّبِيعِ وَتَخْرُجَ الْأَزْهَارُ وَالْأَنْوَارُ فَتَرْعَى كَمَا كَانَتْ تَعْمَلُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي
 وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَأْبُهَا بِالْهَامِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى. وَمِنْ عَجَائِبِ النَّخْلِ أَنَّهُ إِذَا
 عَرَفَتْ أَخَذَ الْعَسَلُ وَأَحْسَتْ بِالذُّخَانِ جَعَلَتْ تَأْكُلُ مِنْهُ أَكْلًا ذَرِيعًا
 حَتَّى بَعْضُهُمْ أَنْ خَلِيَّةً مِنْ خَلَايَا الْعَسَلِ مَرَضَ نَحَلَهَا فَجَاءَ نَحْلٌ خَلِيَّةً
 أُخْرَى يُقَاتِلُهَا عَلَى الْعَسَلِ الذِّي فِي بُيُوتِهَا يُرِيدُ إِخْرَاجَهَا مِنَ الْخَلِيَّةِ
 لِيَسْتَوِي عَلَى عَسَلِهَا فَأَقْبَلَ قِيمُ الْخَلَايَا يُعَاوَنُ النَّخْلَ الضَّعِيفَ الْمَرِيضَ
 وَكَانَ يَلْسَعُهُ النَّخْلُ الْغَرِيبُ دُونَ الْمَرِيضِ كَأَنَّهُا عَرَفَتْ أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْهَا.
 وَأَمَّا الْعَسَلُ فَذَكَرُوا أَنَّ الْأَبْيَضَ عَمَلُ شَبَابِهَا وَالْأَصْفَرَ عَمَلُ كَهُولِهَا
 وَالْأَحْمَرَ عَمَلُ شَيْبِهَا

انتهى المتن

من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للغزوي



فهرس

وجه

من كتاب العبر ودبوان المبتدأ في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان
الأكبر لعبد الرحمان بن خلدون المحضرمي

المتقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاملاء بما يعرض للورخين من المغالط
والاوهام وذكر شي من اسبابها

٢

من كتاب نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب تاليف العلامة المفري

١٥

في وصف الاندلس

في لقاء الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن

٢٦

زياد

من كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعينة بارض مصر لابن

اللطيف

المقالة الاولى وهي ستة فصول

٢٠

النصل الاول . في خواص مصر العامة لها

٢٤

النصل الثاني . فيما تختص به من النبات

٢٧

النصل الثالث . فيما تختص به من الحيوان

٤٠

النصل الرابع . في اقتصاص ما شوهد من اثارها القديمة

٥٥

النصل الخامس . فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن

المقالة الثانية

٥٧

في النيل وكيفية زيادته واعطاءه حال ذلك وقوانينه

من تحفة النظر في غرائب الامصار ومعجائب الاسفار لابن عبد الله محمد بن عبد الله

٦٢

بن محمد بن ابراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة

٧٠

حكاية خصيب

٧٦

حكاية ابي يعقوب يوسف

من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للشيخ الامام محمد بن محمد القزويني

٨٧

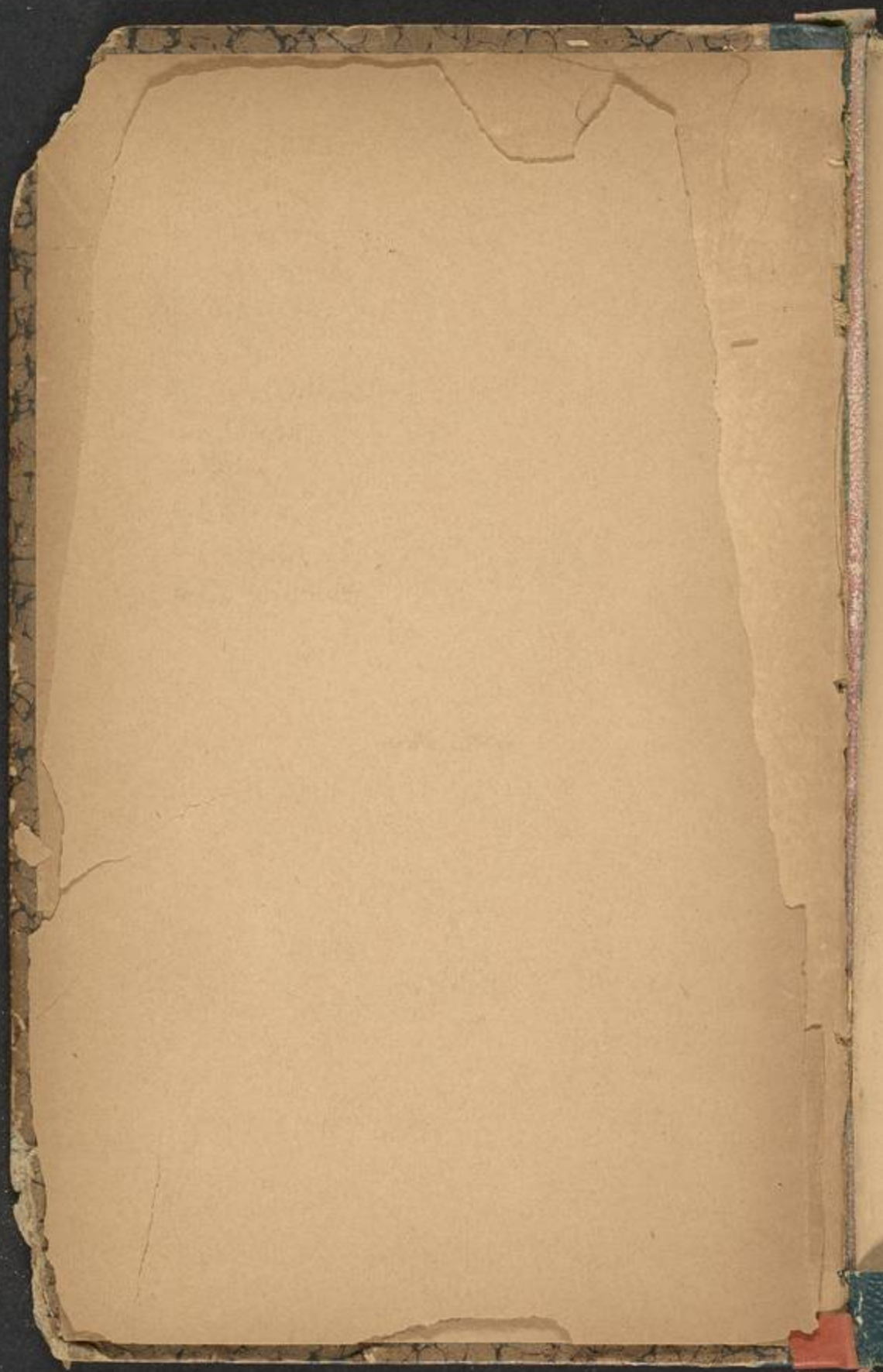
النظر في الكائنات وهي الاجسام المتولدة من الامهات

٨٨

النظر الاول . في المعدنيات

• ٨٩	النظر الثاني . في النبات
• ٩٠	القسم الاول . الشجر
• ٩٣	القسم الثاني من النبات . النجوم
• ٩٥	النظر الثالث . في الحيوان
• ٩٦	التنوع الاول . الانسان
• ٩٧	النظر في القوى
• ٩٨	القوى الظاهرة وهي الحواس الخمس
١٠٠	فصل في الدواب
١٠١	فصل في النعم
١٠٢	فصل في السباع
١٠٢	فصل في الطيور
١٠٧	فصل في الموام والحشرات





• 89

• 90

• 91

• 92

• 93

• 94

• 95

100

100

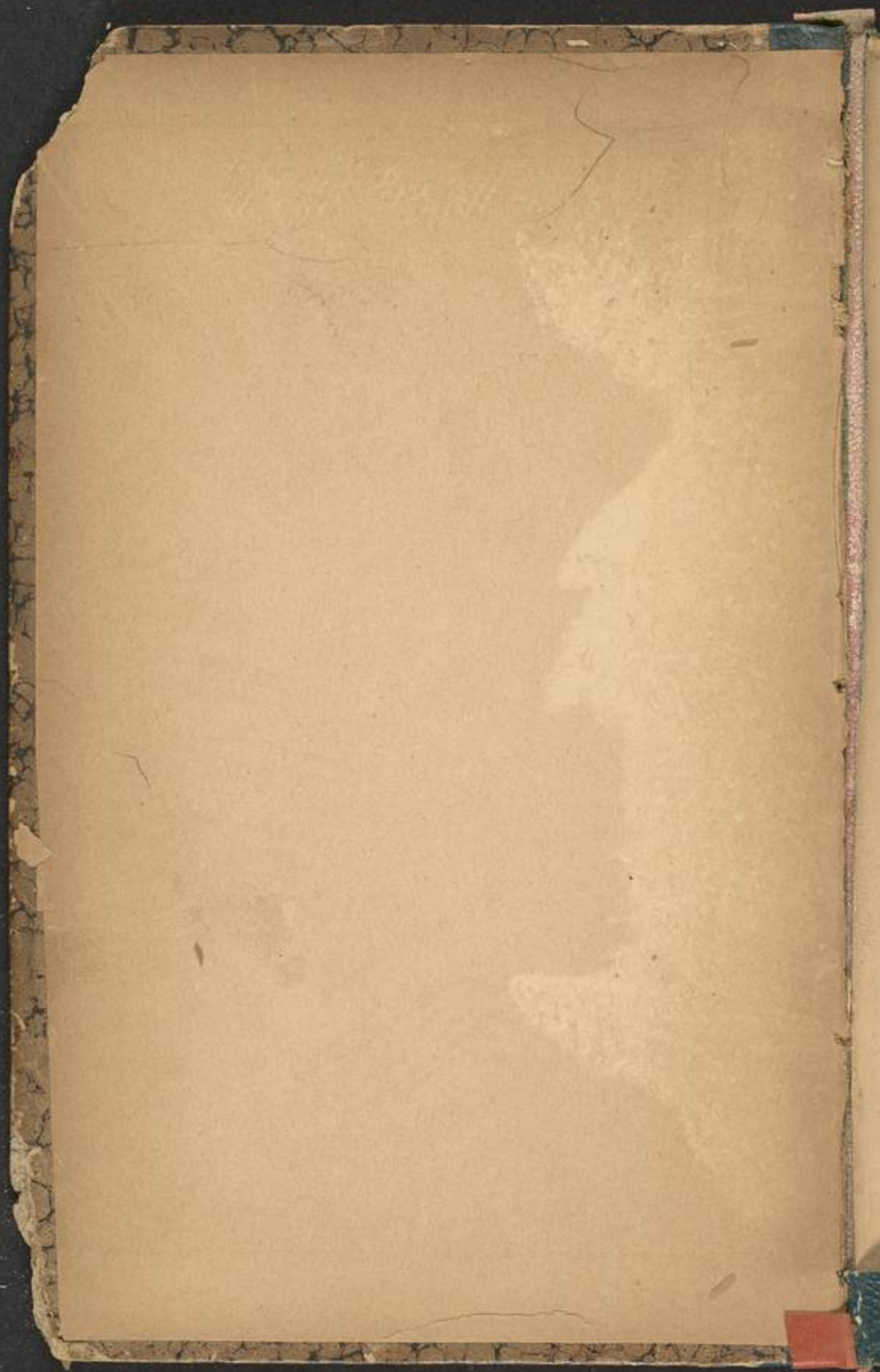
100

100

100

H. L. J.

Rec'd fr. Gräfe April
26th, 1894.





EAST